

الجحيم الأصفر

رواية

ل إبراهيم سيد كرم

حقوق الملكية الفكرية

الرواية مسجلة في حفظ حقوق المؤلف بوزارة الثقافة المصرية

تحت رقم ٣٧٣

بتاريخ

٢٠٢١ / ٨ / ١٥

اهداء

اهديها الى ابي العزيز رحمة الله عليه فقد كنت أتمنى ان انشرها قبل وفاته ولكن لم يشاء الله ذلك .

رحمة الله عليه وعلى جميع امواتنا .

واهديها لنفسي فقد كافحت كثيراً لأمضى بالطريق الذي احبه (الكتابة) بالرغم من جميع معوقات و ضغوطات الحياة التي أعيش فيها منذ أعوام ولا أزال وأتمنى لي ولكم التوفيق و النجاح.

واهديها لكل شاب له حلم وتعصف به الأيام بعيدا عما يحلم وأقول له لا تيأس مهما طال عليك الزمان فما دمت تتنفس فأنت بعون الله تقدر أن تحقق أحلامك مهما سخر منك الجميع.

تحياتي.

إبراهيم سيد كرم.

جدول المحتويات

١.....	١
١.....	الوداع يا أمي.....
٢٤.....	2.....
٢٤.....	الطيب واللصوص.....
٥٦.....	٣.....
٥٦.....	بسملة الأمل.....
٧٤.....	٤.....
٧٤.....	هناك شخص ما.....
١٢٤.....	٥.....
١٢٤.....	المفقود.....
١٤٧.....	٦.....

اطول ليلة في الوجود..... ١٤٧

٧..... ١٦٢

العجربة والاعين الزرقاء..... ١٦٢

٨..... ١٨٣

عين واحدة..... ١٨٣

٩..... ٢٠٨

البروفيسور..... ٢٠٨

١٠..... ٢٣٥

أرجوك..... ٢٣٥

١١..... ٢٦٠

المُبجل والسر العظيم..... ٢٦٠

12..... ٢٨٦

لحظة توقف فيها الزمن..... ٢٨٦

٣١٥..... ١٣

٣١٥..... البائس x الفاشل

٣٥٤..... ١٤

٣٥٤..... حياة آدم

٤٠٨..... ١٥

٤٠٨..... العاصفة قادمة

الوداع يا أمي

أين أنا.؟. آه أنا واقف وسط زحام رهيب بداخل إحدى عربات المترو، سخونة الهواء خانقة والازدحام رهيب يتعدى تعداد المتواجدين أكثر من مائتي شخص بداخل العربة، متكدسون ومتلاصقون بعضهم فوق بعض بطريقة غريبه، الحرارة مرتفعة جداً، يكاد الأوكسجين أن ينعدم في ذلك الجو الكاتم ولا يوجد مكيف هواء بداخل العربة الوجوه بأثسه عابسة، يتصبب منها العرق بغزاره، بجانب رائحته المقذزة التي تمتلا العربة بها من كل جانب بدأت اشعر بفقداني للوعي وأنا ملتصق في الباب الخلفي للعربة وكّم هائل يتراكم فوق، لا أكاد أستطيع التنفس بدأت اصارع لأحصل على مساحة أكبر حتى أستطيع التنفس بهدوء ولكنى لم أستطع حتى التحرك، الامر شبيه بقطعه من الحديد المكبوسة من الجانبين، لا أستطيع فعل شيء غير الانتظار الى ان يصل القطار الى أقرب محطة ولكن المصيبة السوداء انه توقف في المنتصف، وانقطعت الكهرباء عن العربة فأصبح المكان مظلم هذا ما ينقص الامر، بدأت تشنجات التنفس تتصاعد حاولت وضع يدي بحقيبتى السوداء المعلقة على كتفي ولكنها لم تعد بجانبى بل أصبحت تستقر خلفي من الازدحام، حاولت تحريك يدي للخلف لأصل اليها لأجلب بخاخة الربو

ولكنى لم أستطع، لقد منعني الطبيب من الأماكن المزدحمة ولكن كيف لي أن اعلم أن العربة ستمتلاً هكذا؟ ولكن الأمر يزداد سوءاً حيث أنى لا أستطيع حتى تحريك رقبتي لأخبر الذي يقف خلفي أن يجلبها لي من حقيبتى حاولت الصياح ولكن الضوضاء تمنع صوتي من الوصول لأحدهم، والذي قد أخذت أنتباهه ونظر لي كان يضع سماعات الهاتف في أذنيه، يا لحظي الأسود، مرت لحظات معاناة والم ضيق التنفس ثم كل شيء أصبح أسود أمام عيني، لا أعلم كم المدة التي فقدت فيها الوعي ولكنى استيقظت بداخل صحراء ما، واقف في منتصف الخلاء لا وجود لبشرى او حتى سلحفاء، والشمس فوق رأسي كالجحيم، نظرت الى نفسي، نصفي الأعلى عار تماماً لا أجد نظارتي الطبية ونصفي الأسفل أرتدى بطال قصير ينتهي قبل القدم بقليل ازرق اللون، لا جيوب له حافي الأقدام، تحترق قدمي من شدة سخونة الرمال وكأني واقف فوق صفيح شديد السخونة، نظرت حولي لا أكاد أرى شيء من شدة ضوء الشمس، ولا أظن أنى سأرى شيء بدون نظارتي ولكنى أرى اطياف أطياف، اللعنة ما الذي حدث.؟. كيف وصلت الى هنا.؟. وأين بحق الجحيم أنا.؟ هل حملني أحد الى هنا وأخذ الاموال والحاسب الذي كان في الحقبة.؟ ولكن لماذا أخذ ملابسى ولماذا أخذ نظارتي.؟. بالفعل إنه الحظ الأسود الذي يلاحقني دائماً. ما الذي على فعله الان.؟ بدأت أشعر بالحزن وتحركت عيني مسرعةً كالمعتاد لتطلق رصاصتها المائية كما هو الحال مع وجود أسى مأزق أواجه أبدئ بالبكاء والنحيب على الذي يحدث لي وعلى طبييتي الزائدة التي توقعني في العديد من المصائب دائماً أعامل الناس بالحسنى ويعاملونني بالسيئة، لا يلقون منى ضرراً ولا ألقى منهم

غيره، ولكنى لم استطعت تغيير نفسي لم أتحمل أن أصبح شخص سيئ يوم واحد، لم أستطع، أتمنى أنى أستطيع أن أصبح شخص سيئ،

كل ما كان على فعله هو التحرك في أي اتجاه، على أمل أن أصل الى الطريق قبل حلول الليل وقدم الظلام، تحركت بالفعل وكان كل ما يدور في ذهني تحت حرارة الشمس الرهيبة وسخونة الرمال تحت قدمي، هل سأتمكن من الوصول لليابسة قبل أن تنتابني تشنجات الربو؟ أتمنى ألا تصل حتى أصل الى أي مكان أعرف أتحرك فيه، من الجيد أن من سرقني تركني حياً، ولكن لماذا تركني هنا؟. اللص اللعين. بدأت أضحك بغزارة عندما بدأت أحصى ما كان معي، لقد كنت أتتحرك وفي جيبي خمس جنيهاً والحاسوب معطل لأني كنت ذاهب لأصالحه ولا أظن ان قميصي الاسود القديم ولا بنطالي الاسود ايضا سيجلبون الكثير، يا له من لص لعين غير محظوظ الشيء الوحيد الذي كنت ارتديه ذات قيمة هو حذائي الجديد، اول خطوات له على الارض يعرضني للسرقة لقد أبتعته البارحة فقط، لقد كنت أشعر أن ذلك الحذاء منحوس، ولكنه كان يعجبني، مهما يكن فقد رحل اللهم أنى أصفح عن الذي سرقني في كل ما أخذه منى ولكنى لا أسامحه في أخذه لنظارتي ولا لدوائى، لا. اللهم أنى أسامحه قد يكون ضعيف النظر مثلى، او يسرق لإطعام اولاده، ما الفائدة من الدعاء عليه لن يفيدني في شيء، وبالطبع لن يجلب لي الأشياء الذي سلبني أحيائها فالعفو أفضل، شخص آخر كان سيسب ويلعن فيه طوال حياته، أنا اريد أن اتعلم كيف أصبح شخص سيئ ولكن لا أظن انى سأستطيع ذلك مهما حاولت، بدأت أتصيب العرق من كل جزء في جسدي وأظن أن قدمي قد أحرقتها سخونة الرمال ولكنى أستطيع

تحمل الألم مهما كانت قساوته وقدره، طريقة علمني اياها مدرب الكونغ فو الذي كان يدرّبني ولكنى لم أكمل فيه كثيراً بسبب مرضى أخبرني أن أتجاهل الألم حتى لا أشعر به، وقد تعلمت ذلك جيداً، الحر أمر طبيعي بالنسبة لسكان مدينتنا ولكنى أخشى أن تتأبني تشنجات الربو الان، لا اريد الموت عارياً هكذا، إنها بالفعل طريقة منحوسة للموت، وبالتفكير في الموت، أظن أن والدتي ستحزن كثيراً عندما تعلم بموتى في الصحراء هكذا، ولكنها ستحزن أكثر لأنها لم تزوجني لبنت أختها المزعجة، لطالما أخبرتني أنها تريد أن ترى أطفالي قبل أن تموت، ولكنى كنت أحبطها دائماً بقولي لا أريد الزواج الان، كانت تصرخ في قليلاً ثم تقاطعني عدة أيام ولكنها كانت تعود أدراجها مرة أخرى، وعندما تطيب تبدأ تذكر الأمر مرة أخرى، وكل مرة بفتاة مختلفة، تظن أن الفتاة السابقة لم تروق لي ولكنى شرحت لها الأمر مرات كثيرة أنى لست مستعد للزواج وتولى مسئولية أسرة حالياً، لابد أن أمنّ مستقبلي قبل أن أتزوج حتى أستطيع النفقة على زوجتي وأولادي مستقبلاً، ولكنها لا تفهم ذلك، فقط هي كأم تريد الاطمئنان على أطفالها، أظن أنها قد تموت عندما تعلم بموت ولدها الأكبر قرة عينها، ما هذا الفأل السيئ، اللهم أنقذني فأنت أعلم بحالي أكثر منى، أخجل من نفسي حقاً فالإنسان لا يتذكر الله إلا في المصائب و الامراض , حسناً أعزم على أن لو مازال لي وقت في هذه الحياة ألا أعصى ربي قدر المستطاع , الشمس أصبحت خلفي و الهواء بدء يصبح رطباً قليلاً , تنهدت براحه وقد عبرت إلى نسمة هواء باردة أحتاج اليها كل الشدة في ذلك الوقت , بالفعل إن ذكر الله يأتي بالطيبات , حسناً سأظل أدعوا حتى لا تنقطع تلك النسيمات , ولكنى بدأت أشعر بالدوار و الضماء الشديد , وقد تجعدت شفتاي و تصلبت كالصخور و لم أعد أميز في أي

أتجاه أسير , أريد أن اجلس لأستريح قليلاً ولكنى لا أستطيع فقد قاربت الشمس على الفراق , أظن أن أمامي أقل من ثلاث ساعات قبل أن يأتي المساء بظلامه وإن حل على الظلام فبالتأكيد لن أرى شيء، وسأضطر لقضاء الليلة في وسط العراء، آه من ذلك اللص اللعين لقد كان يستطيع تركي في مكان مليء بالحياة أكثر من ذلك، وقفت ألتقط أنفاسي للحظات وأنا أنظر حولي على أمل أن أرى شيئاً الجيد في الأمر أنى مريض بقصر النظر، فأنا لا أرى القريب جيداً ولكنى أرى البعيد جيداً الى حد ما، ولكن تلك الصحراء لا ينفع معها شيء فهي خاوية تماماً، أين ألقى بي ذلك اللعين.؟! تحركت بضع خطوات ثم جلست، لأنى قد بلغت حدود طاقتي، فلا أستطع التحرك ولو لخطوة أخرى قبل أن ألتقط أنفاسي غير أنى أتمنى ولو قطرة مياه واحدة أحرك بها محرك حلقي الحانق استلقيت بظهري الى الرمال الساخنة وبدأت أنظم أنفاسي بهدوء، فلا أريد أن ينهى بي الربو اليوم كما فعل في الليلة السابقة وبينما أنا كذلك شعرت بلدغة قوية في ذراعي الأيمن، فانتفضت مسرعاً فلمحت ثعبان يتحرك في الرمال هارباً ثم ألقيت نظرة على ذراعي، لقد لدغني بالفعل أسفل كتفي بقليل، فسقطت على ركبتي منهاراً بالبكاء، فهذا هو ما ينقصني الان سُم يجرى في عروقي، لقد كانوا يخبروني دائماً ألا أردد كلمة حظ سيئ كثيراً، ولكن ماذا أقول غير ذلك.؟! خلعت بنطالي مسرعاً و قطعت قطعة من طرفه بعد عناء كبير ثم أحكمت رباطها على كتفي الأيمن عند المفاصل حتى أفصل الدم عنه حتى لا ينتشر السم في كامل جسدي , ولكنى شعرت بدوار كبير في رأسي ثم سقطت على الارض و بدأت أفقد توازن أنفاسي و الدنيا تغيب عن ناظري , لقد علمت حينها أنها نهايتي بلا شك , فاللهم إن كانت هذه هي نهايتي فأجعل خبر موتي على أمي

يسير , وتولها هي و إخوتي الاطفال و أرثف بهم , آه راحة لا مثيل لها , لا هموم لدنيا زائلة ولا شحناء و لا مزيد من السرقة ولا الزحام و لا مزيد من الألم بعد اليوم , لا أعلم ما الذى يبكييني الان ولكنى أشعر بالراحة بالفعل , لا يوجد من أقلق عليه في حياتي غير أمي و إخوتي الاطفال , من الجيد أنى سأموت على يد حيوان وليس أنسان , حسناً لقد كنت أتخيل نهايتي دائماً ولكنى لم اتخيلها هكذا البتة , الحظ السيئ يلاحقني حتى في الموت , لا بأس فأنا ذاهب الى أرض الحق و بلاد العدل الوداع يا أمي , أتمنى لو أضمك قبل رحيلي ولو للحظات قليلة, سأفتقدك حقاً وأعلم أنكى ستفتقدينني كثيراً ولكن لا بأس على الأقل أموت وأنا أعلم أن هناك من سيحزن على, آه القاكم في الحياة الأخرى, الوداع .

حسناً، الوداع.

قالتها وهي تغلق هاتفها المنزلي المتواجد فوق طاولة زجاجية منسدل من فوقها فرش ذهبي اللون مذكر بورود حمراء، الارتباك والقلق والحيرة مع دموع عينيها التي تتساقط كالمطر من أعينها الزرقاء ذات الجفون السوداء من قلة النوم وكيف تنام وهي لا تدري ما الذي أصاب ولدها البكري أول فرحتها في رحلة زواجها، لم تعد تدري من تخاطب ومن اين تبحث بعد أن خاطبت كل أقاربها ومعارفها وكل أصدقائه، على أمل أنه يتواجد عند أحد منهم، وحتى إن جلس عند أحدهم، كيف لا يتصل بها ويخبرها أنه سيتغيب لعدة أيام، لقد مر ثلاثة أيام على خروجه ليرى ما الذي أصاب حاسبه المحمول ولم يعد أو يتصل من حينها، ولدى يا (هادى) ما الذي أصابك.؟. وأين أنت الان يا ترى.؟. ولماذا لم تتصل بي

حتى الان.؟ بدء عقلها يأخذها يميناً ويساراً فيما الذي حدث له؟ ثم رفعت يدها الى السماء تدعوا الله أن ينجي ولدها وأن تسمع منه خبر حتى تعلم انه بخير وحي لم يصبه أي مكروه، تحركت من فوق أريكتها البرتقالية الفاخرة ذات السندات الحريرية الناعمة المريحة، وبدأت تتحرك يميناً ويساراً في صالة الشقة الواسعة، ذات الإضاءة البيضاء الهادئة، وهي تجز على هاتفها المحمول الذي في يدها بقوة، وتفكر في مخاطبة الشرطة، ولكن ما الذي ستقوله.؟ كيف تخبرهم عن شاب في اواخر العشرين من عمره مفقود، بالتأكيد سيخبرونها أنه بالغ ويستطيع الاعتناء بنفسه، وقد لا يقولوا، قد يتجاهلون كما هو الحال دائماً، وقد لا يتجاهلون، لم تعد تدري ما الذي عليها فعله، غير أنها تحركت لتتجاوز الصالة الى المطبخ الذي يقع في يسار نهاية الرواق الضيق، وهي تهم وتنوى الذهاب للوضوء، خرجت بعد عدة دقائق وفي يدها سجاده حمراء منقوش عليها بيت الله الحرام باللون الابيض والذهبي، حددت قبلتها، وشرعت في صلاة تضرع الى ربها ومولاها ليحفظ لها ولدها من أي مكروه وأن ينجيه من أي شر يصيبه.

*أنهيت صلاتها، وظلت كما هي تدعوا ربها رافعه يدها بتضرع وخشوع
مصحوبين ببيكاء شديد، قاطع خشوعها صوت طفولي يأتي من خلفها
أمي.. أين ذهب أخي، هل هو متضايق مني في شيء.*

مسحت الام دموع عينيها، فلا تريد أن يظن الاطفال أن اخوهم الكبير قد أصابه مكروه، التفتت الام ببطء ورسمت على وجهها ابتسامه حزينة وضمت بنتها الى صدرها هامسه بحنان في أذنها الصغيرة

لا. لا. يا عزيزتي لا تقولي هذا ابدا، انتِ تعلمين أنه يحبك أليس كذلك؟

ولماذا لم يعود حتى الان، انا افتقده جداً يا أمي، أرجوك إن كنتي قد
أسئت له فأخبريه ان يعود.

أنت كلمات طفلتها على غير المتوقع البتة بالنسبة لها وأصاب صوتها
الطفولي الرائع أعماق اعماق قلبها ولم تعد تحتمل عينها كبت دموعها
أكثر من ذلك فأطلقت العنان لها لتسيل كالأنهار وأصحبت الدموع قهقره
في صوتها ينبع عن شعور حزين بداخلها لم ترى مثله في حياتها من قبل،
فهو كان رجلها بعد أن فارق زوجها الحياة، بل كان أكثر من ذلك عندها،
كان بسمتها وفرحة عمرها وأملها في الحياة، لقد كانت تبعد فكرة فراقه
عن عقلها منذ زمن بعيد، مجرد التفكير في ذلك الامر كان يصيبها بالحزن
العميق، ولكن إن الامر يبدو حقيقياً هذه المرة، بدء عقلها في تخيل كيف
ستصبح حياتها بعد فراقه، وكيف ستعيش بدون أمل وبدون ابتسامه،
تتخيل كل ما هو كئيب وحزين ودموع عينيها تستجيب لألحان مشاعرها
الحزينة المتهيجة ارادت أن تطمئن صغيرتها وتبعث الامل في قلبها من
جديد فنطقت بكلمات هي ليست على يقين بصحتها

لا تقلقي يا عزيزتي كل شيء سيكون على ما يرام، سيعود قريباً،
أعدك بذلك. كل شيء سيصبح على ما يرام. كل شيء سيصبح
على ما يرام.

يتحرك بهدوء وراحة ممزوجة بسعادة بالغه، بدء يسرع من خطوات
أقدامه العارية فوق تلك الرمال المبللة بمياه البحر الذي يهرع اليه، يكاد
يطير من قمة السعاد التي يشعر بها في ذلك الوقت، القمر يتوسط
السماء يراه فوق مياه البحر مباشرة مع تلاًلاً المياه بضوءه الابيض،
يعطى بريقاً خاص والنجوم يكاد يراها فوق لوحه البحر الزرقاء مع لونها
الاسود اللامع في ذلك الوقت من الليل، يبدو الامر أمام عينيه الزرقاء التي
قد أخذها عن أمه، كلوحة ربانيه شديدة الجمال، تتمم بداخله وعيناه
تتسعان من روعه المشهد وجماله

*سبحان الخالق العظيم، أين أنا؟. أنا في الجنة. آه يبدو أني
كذلك. أظن أن قلبي سينفجر من قمة السعادة التي أشعر بها الان،*

فاضت عيناه من البكاء من شدة سعادته ونشوه عارمه تخترق جميع
اجزاء بدنه، شعور لم يتذوق طعمه من قبل في يوم من أيام حياته، سقط
على الرمال جالساً ثم عقد يديه حول قدماه المنثنين بالقرب من صدره
وأمال برأسه للخلف قليلاً وبدء يتأمل روعه وجمال المشهد الذي أمام
عينيه،

*أشعر أني حي وليس ميت، أشعر بعظام قدماي، وأشعر بدقات قلبي
العالية وأسمع نبضه المرتفع يتراقص من الفرحة والسعادة، لقد
كنت على يقين أن الله سيغفر لي ويرحمني، أمتنى حقاً لو أعود
فأعبد الله أكثر مما كنت عليه في حياتي ولكن هنا أفضل وأكثر راحة،*

لا هموم ولا مشاغل ولا لهو، فقط نقاء خالص وروحانيه خاليه من
الشواب صافيه، نقيه بنقاء الثلج الابيض الناعم،

أتت موجه عالية لتتنقض عليه وهو جالس أمام الشاطئ كالفهد عندما
ينقض على فريسته، أستقبلها بضحك وفرحه بالغه ثم وقف يعدو الى
داخل البحر وما أن وضع قدميه حتى سقط في المياه وأكتشف أنها في
غاية العمق وكأنها في منتصف البحر وليس بدايته، بدأت المياه تأخذه الى
العمق شيئاً فشيئاً وهو يغوص في الظلمات وحياته تمر بين عينيه لحظه
بلحظه، ثانيه بثانيه، يوم بيوم، وما أن رأى صورة أمه وأخواته الصغار حتى
تبسم بسعادة وما أن تبسم حتى تلاش كل شيء من أمام عينيه، وكلما
يغوص كلما تزداد الحرارة ويبدئ الحر في القدوم، وشعور بالاختناق
ورجفه شديدة في الجسد وألم معاناة غريب وصوت ينادى عليه يأتي من
الظلام،

(هادى).. (هادى)..

وما أن أدرك صاحب الصوت، بدء بالصراخ،

(أمي)... (أمي)، أمي.....

فتحت عينيها بسرعة وهي لا تدرك ما الذي يحدث.؟. تتنفس بصعوبة
وشعور كثيب يجتاز قلبها وضيق غريب في صدرها

يا الهى . إنه مجرد حلم. إنه مجرد حلم لا أكثر. ولكن هل ذلك يعنى
أنه مات؟. لا. لا.

تنهدت مفرغه بعض القلق والحزن بقلبها، وتحركت مسرعة من فوق
فراشها الكبير المريح ووقفت أمام النافذة تتطلع بعينيها في السماء
باحثه عن القمر فلم تجده أمامها ولكنها ترى ضوءه في السماء، فاقتربت
أكثر من النافذة الزجاجية الكبيرة وتجاوزتها لتقف في الشرفة الدائرية ثم
رفعت رأسها لأعلى، وما أن أدركت عينها القمر وقد وجدته بدرأً بعث
ذلك في قلبها الخوف والامل معاً، فهي لا تدري ما معنى ذلك الحلم، هل
يعنى انه حي، ام أنه ميت، وما بال ذلك الشاطئ وما بال ذلك البحر
المظلم؟. وما لبثت لحظات حتى على الصوت في الارحاء معلناً عن نداء
الحق وأداء الصلاة،

انه الفجر، ربى أنت أعلم بحالنا فألطف به ونجيه مما هو فيه

ثم تحركت لتؤدي الفريضة.

وسط الصحراء الخالية ، القمر فوق الرؤوس يتوسط السماء وحوله
النجوم يبريقها اللامع ، كانت تعدو مسرعة وهى تُعد وتحصى عدد
خطواتها ، ببسمة أمل في الحياة وشعور غريب بالسعادة في قلبها ، تعدو
نحو القمر الذى يتوسط عينيها السوداء المبتسمة للحياة ، فهو دليلها
للمكان الذى تسعى الوصل اليه ، تتطاير خلاصات شعرها البنى المعقود
بتعرج و تموج كلما أسرعت من خطواتها وهى تعدو وحفيف رداؤها

الرملي الباهت يشبه رمال الصحراء كثيراً يعلوا في الصحراء الخالية ,
تستمع لدقات قلبها المرتفع من كثرة المجهود ومن طول المسافة
وتحاول أن تنظم أنفاسها ببطء , شهيق من الانف وزفير من الفم , وهكذا
ببطء و هدوء تحاول أن تجتاز أكبر مسافة ممكنة بدون مجهود كبير ,
وتراقب ساعة يدها السوداء الكبيرة في محاولة تحديد المدة ما بين
المسافتين , وما أن وصلت الى قمة جبلية عالية حتى بدأت تزد من
سرعتها أكثر فأكثر حتى صعدها بسرعة عالية بخطوات متباعدة متزنة ,
صعدت الى منتصف القمة الجبلية في اقل من خمس ثوان ولكنها
شعرت بتعب في المنتصف فتوقفت بتمايل الى الامام حتى لا تسقط
على الارض وتعود من حيث بدأت , ثم أخذت تصعد ببطء و أرها ملحوظ
حيث أن عضلات أقدامها تلتهب من الألم الشديد الناتج عن التسلق
السريع , تشعر بالتعب و الارهاق ولكن شعورها بالسعادة يطرد كل تلك
الآلام ببهجته و روعته , وصلت الى القمة بعد عناء كبير بين صعود
بالأيدي و الاقدام , رفعت رأسها ببطء لتنظر الى الجهة الاخرى من الجبل
بهدهء وصمت غير ملحوظ , ألقت نظرة خافته سريعة في اقل من الثانية
ثم أخذت تخلع سترتها الرملية ثم وضعتها بجانبها و حركت بندقيتها
التي كانت تخبأها تحت سترتها , ثم أخذت تجلس في وضع التنشيين و
التركيز على الهدف التي أتت من أجله , تنظر عبر منظار بندقيتها الآلية
الحديثة , قناصه من نوع حديث ولكنها صغيره بها كاتم للصوت كبير في
الأمام.

أين تختبئ أيها الماكر.؟

قالتها وهي تلتفت يميناً ويساراً ببطء وحذر شديدين، مرت دقيقة ثم
أخرى وبدء القلق يحوم حولها والتوتر يرعش يديها والعرق يعيق رؤيتها
والتنفس أصبح أصعب ودقات القلب هي التي تخرج قعر أذنيها
بأففاعهم المخيف القلق المرتبك، ولا شيء أمام عينيها غير ظلام في ظلام
وصحراء خاليه تماماً ولاوجود للحياة فيها، تنفست الصعداء بشدة
وأفرغت بعض من قلقها في زفرة قوية. ولم تمض لحظات حتى أتاها
الصوت من خلفها

لا تتحركي.. وإلا قتلتك في الحال.

اللعنة.. قالتها في نفسها وهي تشعر بخيبة أمل وخسارة كبيرة بعد
تدريب كبير وأعمال شاقة تحت حرارة الشمس وركض بالليل والضحي
وتسلق الجبال بالساعات، وفي النهاية فشل ذريع كل مرة، التفتت بأحباء
شديد وحزن عميق صارخه باتجاه صاحب الصوت.

أنت لتيم جداً يا أبي!!

تقهقر بصخب بابتسامه عريضة فوق محياه كشفت عن نواجذه

*هذه هي المحاولة الأربعون حتى الان وكلها تنتهي بانتصاري.. لقد
بدأت تفقد الأمل في هزيمتي أعلم ذلك. ولكن يبدو أنه ينقصك
كثير من التدريب والمهام الشاقة.*

القت بظهرها فوق الرمال الباردة متنهدة بغضب.

لقد سئمت كثرة التمارين والتدريبات الشاقة خاصتك ... والتي حتى
الآن لا أعلم لماذا أقوم بها أو لماذا أقوم بكل ذلك من البداية؟. لقد
سئمت حقاً ذلك الأمر.

جلس بجانبها باعتدال متشابك الأيدي وقد علت نظرات الجّد والحذر
وجهه وأتى صوته حاداً جاداً هادئاً في ذات الوقت

لقد أخبرتك من قبل أن كل ذلك من أجل حمايتك وسلامتك فنحن
لا نعلم ما الذي قد يحدث في الغد ولكن كل ما علينا فعله هو
الاستعداد له بكل قوة.

أنا لا أعلم ولكنك تعلم ولكنك ستخبرني أن كل شيء سيكون على
ما يرام كما هو الحال دائماً وتتجاهل إخباري بحقيقة الأمر في كل
لحظة، أنا أرى القلق في عينيك يا أبي، ألم يحن الوقت لإخباري مما
نحن هاربون؟.

أمسك يديها وضغط عليهم بقوة ولمعت عينيه بثقة عارمه متدخلاً
بهدهوء.

عزيرتي نحن ليس هاربون من شيء، هذه رحلة استكشافية لمعالم
الطبيعة والطبيعة دائماً خطيرة لذا لن نخسر شيء إن كنا على
استعداد تام لأي من مخاطرها ومحنها، أليس كذلك؟.

رحلة استكشافية؟؟. قالتها بسخرية واستهزاء متابعة بضيق وهي
تجلس معتدلة بجانبه لتشعر ببعض الدفء في ذلك الجو البارد

هذه ليست رحلة استكشافية يا أبي وانت تعلم ذلك وتعلم أيضاً أني
ليست بفتاة غبية او اني مازلت فتاة في العاشرة من عمرها، لقد
اصبحت في التاسعة عشر منذ شهر، لذا توقف عن معاملتي كطفلة
أرجوك.

تحرك واقفاً لتكشف وقفته عن طول ساقيه وعرض كتفيه النحيفان،
لمعت عيناه في الظلام أثر سقوط ضوء بسيط عليها

لقد انتهى وقت النقاش وحان موعد العودة للكوخ، يبدو أن هناك
عاصفة قادمة.... هيا بنا.

تحركت لتقف بجانبه وخلصات شعرها المعقود تتطاير في الهواء، بدأت
تفرك يديها من شدة برودة الهواء

آه ... لنعود، هكذا تهرب من الإجابة عن أسئلتني دائماً

أشعر بدوار فظيع وخمول لا يوصف، يبدو أني مازلت على قيد الحياة، ولكن السؤال هو أين أنا؟. أظن انه سؤال مبتذل فلم أستطع تحديد مكاني قبل لدغة الثعبان، وبالتأكيد لن أستطيع تحديد مكاني الان، ولكن هناك شيء غريب؟ أشعر بألم في ساقى اليمنى، يبدو الأمر وكأنني معلق من قدمي، ويديا مقيدتان خلف ظهري، وعيني معصوبة بقطعة قماش سوداء خشنة، لا أستطيع فتح عيناى، ولا تحريك يداى، أشعر بالغثيان والدنيا تدور ولى وصداع رهيب في رأسي، يبدو أن أحدهم أنقذني من سم الثعبان ولكن لماذا يقوم بتعليقي هكذا؟. يبدو أنه سيقوم بسلخي ويأكلني، ما هذه الافكار المرعبة او يريد أن يجرب شيء على، لا أدري ما الذي جعل الأمور تأخذ ذلك الاتجاه الغريب، لقد كنت أنتقل عبر المترو كل يوم تقريبا ولم يحدث أي شيء من هذا، ما الذي على فعله الان؟. مهما يكن، فلنرى ما الذي يريده ذلك الشخص منى. الألم يشتد في قدمي اليمنى أكثر فأكثر، أشعر كأنها ستنخلع والدم كله يتجمع في رأسي، أستطيع الشعور بتجمعه في شرايين رقبتى وعيني وجبهتي، لا أعلم كم مر من الوقت وأنا هكذا؟. ساعة، ساعتان، ربما أكثر من ذلك.

وربما أقل، أفكر في شأن تلك الوضعية التي أنا بها، ما الذي يريد الحصول عليه بتعليقي هكذا، اما أنه شخص جائع في تلك الصحراء ويريد أن يأكلني وأما أن الذي أخذني مختل مجنون يريد تقطيعي، وأما الاختيار الأخير شخص يريد استجوابي واستخراج المعلومات منى، ولكن ما هي نوعيه المعلومات، وما الذي يظنني اياه؟. إن كان الشخص الاخير بالفعل فإنه بكل تأكيد يريدني في أضعف حالاتي حتى يتم استجوابي بسهولة ويسر، ما هذا الحظ اللعين وهذا التفكير السيء، مأكول، مقطع،

مخطوف، تفكيري سلبي للغاية، ولكن ما الذي يفعله بتعليقي هكذا؟. ذلك هو الأمر المحير!! أظن أن في كلتا الأحوال سينتهي بي الأمر ميتاً بالتأكيد، لقد كنت أقول إن الموت عبر سم الثعبان غير جيد، فماذا سأقول الان وأنا لا أدرى كيف سأموت، وبأي طريقة سأستقبل نهايتي، لا بأس بأي طريقة مهما كانت فأنا لا أخشى الموت البتة ومنتظره كباقي البشر أن يأتي في أي لحظة وأي وقت. فالموت أصبح راحه هذه الأيام الصعبة، و الان أصبحت أفكر في الموت، تفكيري سيء للغاية، مع أن ذكر الموت ليس بشيء سيء البتة و لكن إن كنت سأموت بالفعل فلما سأفكر في الطريقة التي سأموت بها، ما الذى سيفيدني بذلك، ولكن من السهل التغير في التفكير أنا الان في محنة صعبة فإن فكرت في محن أخرى سأموت قبل أن يتوقف قلبي و يزد من همومي و أحزاني، ولكن ما الذى يفكر فيه الشخص قبل الموت، بكل تأكيد يفكر في أشياء كثيرة جدّ، إما اهملها في حياته أو أشخاص يشترق لهم او أشخاص يود الاعتذار لهم أو أشخاص يود توديعهم، بالنسبة لذلك الأمر إن فكرت فيه سأبكي بكل تأكيد، ولكن ما الذى سيفعله أي شخص آخر في مكاني، سيصرخ، يبكي، يتوسل، يدعو الله، يحاول تحرير نفسه وبالتفكير في ذلك الأمر، يداي مقيدتان خلف ظهري بقوة، عيني معصوبة فلا أستطيع رؤية شيء، ومعلق من قدمي اليمنى واليسرى في الهواء، يبدو الأمر في غاية الصعوبة بالنسبة لتحرير نفسي من كل تلك القيود، والمصيبة الكبرى هي أنى لا أستطيع تحديد في أي ارتفاع أنا؟ إن كنت في الصحراء ربما لن يكون عالياً، ولكن إن كنت خارجها فمن يدري أين أنا معلق الان؟. أستطيع سماع هزيز الرياح والعواصف من هنا، وأميز رائحة الرمال مخلوطة برائحته الدماء يبدو أنى مازلت بداخل الصحراء، إن كانوا

ينتظرونني لأطلب الرحمة وأبدئ في التوسل فأظن انهم امسكوا بالرجل الخاطئ ولكن ماذا لو تركوني هكذا ورحلوا.؟. ولكن هذا الامر مبتذل للغاية فمن هذا المجنون الذي سينقذ أحدهم من الموت ليعلقه ويذهب.؟ أشعر أني سأبدئ بالضحك، لا أعلم لماذا ولكن يبدو أن الفقر لا يريد تركي حتى في الموت، أحتاج الكابتن (رضا) يأتي لينقذني الان، أتخيله واقف بهيبته وسمته المهيب وهدوئه المخيف ينظر الى ثلاث أشخاص، يخبرهم أن يتركوني فيرفضون فينقض عليهم بأسلوبه السريع ووابل من الحركات القتالية حتى يقضى عليهم ثم يأتي لي ويحررني من قيودي لا أظن أنه يفكر في حتى، بل لا أعتقد أنه يتذكرني حتى الان، أظن انهم سيمهلون وقت اطول حتى اطلب المساعدة ولكنى لن أفعل مهما طال الوقت.

الظلام حالك والجو ساكن والهواء شبه منعدم والطقس قارص البرودة وسط الصحراء الخالية، الحيوانات القابعة فيها مختبئة داخل مساكنهم الرملية عندما سمعوا ما لم يسمعه البشر باقتراب عاصفة قوية شديدة الرحال، قرابينها الرملية عاتية لا تفرق بين عدو وحبیب فهي تذيّل كل ما تجده أمامها , صدی هزیزها يتناغم بتردد وخفوت مرة بعد مرة , تقترب باقتلاع الرمال من مسترقها لتدخل في دوامتها الكاسحة لأي شيء أمامها يظن أنه سيقدر عليها فينصدم بعد فوات الأوان و فقدان الأمل في العودة , تتحرك بسرعة عالية دوامات خلف دوامات رملية شديدة القوى عاتية مزلزل لكل من حولها ترجزج الصحراء الخالية بشدة صيحتها الجافية , صرخات حبيبات الرمال المسكينة التي تتصادم مع بعضها البعض , يطلبون النجدة من أي أحد ولكن كل من في الأرض لا يفهم

لغتهم ولهجتهم الدامية ,يحاولون الهروب والعودة الى مسترقهم بجانب أخوتهم ولكن الى أين المفر , فإنها عاصفة الفراق التي تفرق عائلات الرمال عن بعضها البعض وتلقى بهم كل واحد في وادٍ مختلف عن الآخر , غريب عن دياره بعيد عن أهله و ناسه , ولكن يبدو أن هناك من أستجاب لصرخات وتوسلات الرمال الضعيفة , انه مبنى مربع القوام قرمزي اللون قصير ليس مرتفع ظهر في وسط الصحراء أمام العاصفة , معلن عن تحدي جبروتها وقوتها و مجيب لصرخات الاستغاثة التي بعثتها الرمال , ضحكت العاصفة باستهزاء و سخرية معلنه عن ضعفه و قبول تحديه الخاسر , فاصطدمت به صدمة سريعة قوية , تتج عنها صوت قنبلة مدوية و ما أن التصقت بالجدار إلا ورأت عدة مباني أخرى ظهوروا من العدم واقفون خلفه بثبات و انتظام يساندونه و يقاومون معه أمامها , فما كان منها إلا أن قاومت بقوة كبيرة و عواصف رملية كثيفة تصيب الناظر اليها بالعمى و الواقف فيها بالاختناق , استطاع بعض من حبيبات الرمال الهروب و النفاذ بجلودهم من تلك العاصفة العاتية عبر نافذة أحد المباني فرحون وسعداء أنهم استطاعوا النجاة منها و في وسط فرحتهم وسعادتهم اصطدموا بوجهها العجوز المجعد و أغرقوا ثوبها الأسود و ملئوا شعرها الأشيب المعقود للخلف , و كأنهم أرتموا في أحضانها من شدة سعادتهم , ولكنها لم تشاركهم تلك الفرحة بل لعنت وسبت كل حبة فيهم باستياء وضجر قامت بتنظيف ثوبها وهى جالسة فوق كرسيها المتحرك , صرخت في الثلاثة المثلثون الواقفون أمامها بثبات و انتظام بدون حراك , لا يظهر منهم شيء إلا أعينهم و الباقي يخفيه الثوب الأسود الطويل , تساءلت بصوتها الكهل الضعيف

ماذا فعلتم مع ذلك الشاب المعلق؟ وهل اكتشفتم من هو وما الذي أتى به إلى هنا؟.

أجاب أولهم الذي عن يمينهم ويسارها: إنه مجهول الهوية حتى الان سيدتي ولكنه معلق منذ يومين ولم يتفوه بأي كلمة.

عقدت حاجبيها الأشياءان وضمت شفاتها المجدتان باستغراب وحيرة: وما هي وضعية مؤشراتته الحيوية؟.

أجابها نفس الرجل: كلها طبيعية سيدتي منذ أن وجدناه حتى الان. يبدو أنه يستخدم حيلة ما أو أننا نتعامل مع محترف!!.

طبيعية؟ تدخلت باستغراب متابعة بهمس وخفوت وهي تفرك جبينها بيديها المرتعشتان الضعيفتان

يبدو أننا نتعامل مع محترف حقاً، ولكن ماذا لو كان غير ذلك؟.
حسناً لابد من التأكد حتى لا نقتله بالخطأ أرسلوا اليه (الطيب)
ليستخرج منه المعلومات ويعرف من هو وما الذي أتى به هنا؟.

أمرك سيدتي.

يتحرك بثبات وتثاقل وسط الهواء الشديد ملثم الوجه ويده حقيبة كبيرة مستطيلة رفيعة سوداء , وردائه الأبيض يتطاير ويتراقص مع الهواء

وحفيفه يدوى الأذان , واضعٌ يده اليمنى فوق رأسه مثبتاً حاويه رأسه حتى لا تطير , يتحرك بعناء شديد وبطاء في الحراك يدفعه الهواء للخلف ولكنه يقاوم ويتحرك , يغمره الشعور بالاستمتاع وتملئه النشوة العارمة عندما أخبره قائده أنه سيذهب في مهمه تعذيب جديدة , ولكن الأمر الذي أثار رغبته وجعلها تشتعل من الحماس عندما أخبره أنه ذاهب لاستجواب محترف لينسجم ويستمتع بنظرات الخوف في عينيه و يتراقص مع نغمات قلبه الخائف المرتجف كما فعل مع الآخرون عندما كان يعذبهم , وصل إلى باب المبنى المربع القصير بصعوبة , بدء قلبه بالخفقان مسرعاً وهو يفتح الباب الأحمر الصغير , متحمس للغاية بتلك النزوة التي أتته بعد غياب طال كثيراً بدون تعذيبه لأحد , أغلق الباب خلفه وأضاء الإنارة , لينقشع الظلام ويطرده الضوء مسرعاً , وجد نزوته وضحيته المكلف بها معلقه في سقف المبنى من قدمه اليمنى , معصوب العينين , مقيد اليدين خلف ظهره , وضع حقيبته على المكتب الصغير الذى يتواجد بأخر الغرفة الواسعة ذات اللون الاحمر الدامي ولا وجود للنوافذ ماكن فيها , قام بفتحها بسرعه وسعادة وسحب سكينه المفضل من بين اثنى عشر سكين مختلف اللون و الحجم و الشكل وقام بقطع الحبل المعلق منه , ليسقط على الأرض كالجثة الهامدة , لم يصدر منه أي تأوهات أو ألم غير تنهيد بسيطة تكاد لا تسمع , لقد حان وقت المرح

يبدو أن الوقت قد حان لمعرفة الإجابة التي كنت أريد الحصول عليها وفكرت فيها كثيراً، والتي هي من هو الذي أنقذني...؟ ولماذا أنقذني.؟. لقد قطع أحدهم الحبل الذي كان يعلقني في الهواء، لقد تفاجأت

بالسقطه، لم تكن قوية لتجعلني أصرخ من الألم ولكني أشعر بشعور سيء حيال ذلك الأمر، الأمر الذي يبدئ بتعليقي هكذا فبماذا سينتهي.؟ لا يهم على أي طريقة ينتهي فكل ما أريده هو أن ينتهي.. أسمع بعض التخبطات بالمكان الذي أنا فيه، لم تمض لحظات حتى أمسكني من كتفائي ورفعني في الهواء ثم وضعني فوق كرسي أو طاولة لأجلس عليها، يبدو أنه شخص قوى البنية ليحملني بسهولة هكذا، لا أشعر بالخوف البتة ولكني أشعر بالحيرة والاستغراب الشديد وكان لأبد أن أسأل ذلك الشخص وأريح نفسي قبل أن يقتلني

لماذا.؟. سألت بهدوء.. ولكنه لم يجيب

فكررتها: لماذا.؟.

أجابني بصوته الغليظ الأجش.: لماذا ماذا.؟.

لماذا أنتقتني إن كنت ستقتلني في النهاية.؟. لماذا لم تتركني أموت هناك.؟.

أمم.. أولاً أنا لم أنتدك ثانياً لو أني كنت متواجد سأنتدك ثم أقتلك لأستمتع بقتلك.

اللجنة، يبدو أن توقعاتي كانت في محلها، أنى مع مختل يريد تقطيعي،
ولكن هل سيأكلني.؟ لن يضر شيء إن سئلت في كلتي الحاليتين أنا في
تعداد الموتى

هل ستأكلني بعد أن تقتلني أم ماذا ستفعل بجثتي.؟.

لا... لن أفعل ذلك بل سأفعل ما هو أسوء من ذلك، سأسلخ جلدك
من فوق لحمك قطعة قطعه حتى أملئ وأشبع شهوتي الدامية

إذاً هل أنت مستعد.؟ ...

لا أعلم إن كنت مستعد أم لا ولكن أظن انها النهاية ولكن بطريقة مؤلمة
بعض الشيء، لا أعرف كم سأكررها ولكن يبدو أنه الوداع حقاً يا أمي.
أراكي في الحياة الأخرة.

الطيب واللصوص

الإضاءة زرقاء و حمراء , مزيج مختلف بين شتى الألوان , فلاشات تتبعث من أجهزة ضوئية تسبب العمى للناظرين ولكنها تزين المسرح وتعطي بريق خاص في بار الجحيم الممتلئ على آخره , الجمع كبير معظمهم سكارى لا يدرون من يجلس بجانبهم وبعضهم يعي للدنيا , ناظرين بأعين محرومة لجسد الراقصة المثيرة وهى تشعل فتيل شهوتهم بنيران جسدها العاري وتحبس أنفاسهم بملابسها الضيقة الشفافة , وفي وسط ذلك الجمع الكبير كان يجلس رجلان في نهاية البار بأحد الأركان المعزولة عن الجميع بعيداً عن الضوضاء و الضجيج, يتشاركون الخمر بينهم بتصادم كؤوسهم معاً , ثم يتجرعون شرفات من أعلى الخمر و المُسكرات , يضحكون ويمرحون و يراقبون هذا الجمع الهائل من خلف الزجاج الكاشف لمجمع الشيطان و ملهى الذنوب و المعاصي , قاطع ضحكتهم أثنين , يقفون في ذل و خشوع و الخوف يتساقط من أعينهم التي تستقر بالأرض , المكسوة بسجاد أزرق فاخر , تحدث أولهم بخوف و قلق

سيدي.... قاطعه صاحب البذلة الزرقاء بصيحه عالية قوية: دعك من

تلك التفاهات وأخبرني هل أحضرت المبلغ...؟

تدخل الآخر صاحب البذلة السوداء وهو يضع كأسه على الطاولة الزجاجية
الزرقاء التي أمامه

من هؤلاء وكم المبلغ الذي تريده منهم؟!..!!

إنهم بعض الحثالة الذين يأخذون أشياء لا يقدرّون على تحمل كلفتها
أرى ذلك ولكن كم المبلغ !!

خمسة آلاف جنيه.

يا رجل لقد ظننتك تتحدث عن مبلغ كبير. قالها باستهزاء ثم أشاح بنظره
إلى أولهم ذات القوام النحيف الذي بدء بالحديث

ما الذي أخركم في الدفع هكذا؟.

تدخل الآخر ذات القوام الثمين.: لقد اتينا لنطلب مهلة لعدة أيام.

صاح الأول.: مهلة. هل أنت مجنون أم ماذا؟ ثم من أنت أيها اللعين.؟
نظر للآخر قائلاً.: من هذا الفحل اللعين الذي أتيت به هنا أيها الأحمق.؟.

إنه صديقي، يساعدني في جمع المبلغ لك سيدي.

تدخل صاحب البذلة السوداء مهدئ لزميله: اهديء يا (رمزي) ولا تفسد علينا جلستنا بتلك التفاهات اللعينة.

ثم أشاح بنظره الى الاثنيين الواقفين أمامهم: وأنتم أيها الحمقى كم ساعة تريدون لجمع المبلغ المطلوب.؟.

كم ساعة؟ تسائل النحيف بقلق ثم أكمل الأخر بتهجم: كنا نأمل في عدة أيام.

أخرج (رمزي) علبة السجائر من جيب بذلته الأيمن متدخلاً وهو يشعل سيجارة حمراء: تعامل أنت يا صديقي، فأنت لا تعلم هؤلاء الملاعين جيداً. متابِعاً بغضب وهو يتحرك للباب: سأذهب لأرى أحوال الملهى حتى تنتهي منهم لأنني إن جلست هنا أكثر من ذلك سأقتل أحدهم أو سأقتلهم معاً.

آه... سأتولى أنا الامر لا داعي للقتل البتة، أمم حالياً حتى نرى ماذا سيفعل هؤلاء بخصوص ذلك.؟.

أصابت كلمة القتل الاثنيين بالخوف والفرع وبدأوا يتحدثون بارتباك وهلع

أرجوك سيدي لا داعي للقتل، سنجمع المبلغ في يومين، أرجوك كل ما نطلبه يومين فقط لا أكثر.

إبراهيم سيد كرم

وضع قدم فوق الأخرى وهو يتكئ بظهره على الأريكة الأرجوانية الحريدية
المريحة ثم نظر إليهم بازدراء وتكبر

أمامكم أربعة وعشرون ساعة لا أكثر، إن لم تجمعوا المبلغ
المطلوب والذي هو عشرة آلاف جنيه في غضون ذلك الوقت فلا أظن
ان هناك من سيرحمكم مني أو يرحم عائلاتكم وأطفالكم.

سيدي لا بد أنك مخطئ إن المبلغ المطلوب هو خمسة آلاف وليس
عشرة.

لا أنتم المخطئون، إنه عشرة آلاف من الان وإن أكثرتم الحديث
سيصبح خمسة عشر.

ثم نظر الى ساعة يده الماسية اللامعة: انها السابعة مساءً والوقت يمر،
أعتقد أن عليكم الأسرع في جمع الأموال الان أمامكم حتى السابعة في
يوم غد، إن لم تصلوا في الوقت المناسب سيتضاعف المبلغ أكثر وأكثر
ومن حسن حظكم أنى انا المسئول عنكم الان وأنا شخص طيب القلب
ليس متعصب كصديقي (رمزي).

السابعة مساءً من يوم غد، عشرة آلاف، أرجوك سيدي إن هذا ليس
عدلاً البتة.

لقد أصبحت السابعة وخمس دقائق.. الوقت يمر.

الجيم الأصفر

تحركوا مسرعون الى باب الغرفة والغضب يتحرك بداخلهم ويضيق
صدورهم وهم يتحركون وسط الضوضاء والضجيج والرقص والسكر،
لمحت عين أحدهم (رمزي) صاحب البذلة الزرقاء واقف مع سيدة
يضحك ويقهقر

فتحرك النحيف بغضب يملئ عينيه ونية في تحطيم رأسه وتمزيق
جسده ولكن الآخر أمسك بيده ونظر اليه بخجل

اهدئ يا صديقي، سنتدبر الأمر الليلة بإذن الله، لا تضع نفسك ولا
عائلتك في موقف حرج لا تستطيع الخروج منه في لحظة غضب
طائشة.

ولكن ما العمل في تلك المصيبة اللعينة، لقد استغلنا ذلك اللعين
وضاعف المبلغ، هل تستطيع إخباري كيف سنجمع العشرة آلاف
الآن ...؟

الأمر صعب ولكن عندي خطة، هيا بنا سأخبرك عليها ونحن
تتحرك.

هيا بنا. لقد أصبحت السابعة والنصف.

هذه هي خطتك.؟. قالها باستعجاب وهو يقود سيارته الرمادية القديمة،
ثم نظر اليه وهو جالس على المعقد بجانبه : أنت تمزح أليس كذلك.؟.

تنهد بقوة ومرارة وهو يراقب الطريق المليء بالسيارات والأضواء ويراقب
أوجه الناس وهي تمر أمام عينيه السوداء الحزينة بسرعة وهو حزين
بائس وكأن وجهه صنع من آسى وتشكلت ملامحه من الهم والحزن

التوبة صعبة في هذا الزمن المقيت، كل شخص يريد أن يأكل الآخر
ولا يهمه ما الذي يعانیه ذلك الشخص، كل شخص يظن أن مصيبتة
هي المصيبة الكبرى التي ليس لها مخرج ولا حل وأن الهم والحزن
والشقاء والألم خلق من أجله هو وحده ولا يظن أن كل شخص له
من الهموم والأحزان ما تفوق السحاب والتي إذا وضعت فوق جبل
يخر من ثقلها ولكن لا أحد يتعظ من ألم ومعاناة الآخرين ولا أحد
يحمد الله على ما هو فيه من نعم ليست عند غيره وذلك اللعين
عندما علم أنى نويت التوبة والابتعاد عن طريق المخدرات وبيع
السموم يضيق على حياتي وبيها تف الجميع حتى لا يجعلني أحصل
على وظيفة من رزق حلال أكفي بها بيتي وأسد حاجة زوجتي
وأولادي، لقد كنت مدين له بألفين جنيه وعندما علم بأمر ابتعادي
ضاعف المبلغ الى خمس آلاف ثم ظهر ذلك اللعين الآخر ليضاعفه
الى عشرة آلاف وإن لم نقبل سيقتل أطفالنا وزوجاتنا أعلم أنك ليس
لك علاقة بالأمر ولكن قدمك سحبت معي، أسف يا صديقي لما
حدث.

لا تقلق يا رجل سنجمع المبلغ الليلة بأمر الله، ثم إننا أصدقاء في كل
شيء والصديق لا يترك صديقه في الصعاب ولكن أخبرني هل أنت
واثق من تلك الخطة انها ستأتي بمبلغ كبير؟.

مد يده بداخل درج السيارة الصغير ليخرج علبة سجائر ثم أخرج
سيارتين وأشعلهم، أبقى واحدة معه وأعطى الأخرى لصديقه وهو يقود
السيارة

لقد امتنعت عن السرقة منذ أن رزقني الله بطفلتي (أمل) وسميتها
بذلك الاسم وأنا آمل أن يتوب الله علي ولكن يبدو أن دعوتي لم
تستجب.

قال الآخر وهو ينفث الدخان الأبيض بغزاره

أنت مضطر والمضطر أحل له الحرّات.

نريد أن نضحك على أنفسنا، ذلك ليس سبب يجعلنا نسرق ولكن
ليس أماننا طريق آخر لجلب ذلك المبلغ في ليله.

حسنًا لقد اقتربنا من محطة القطار.

لا.. ليس القطار بل اذهب لمحطة المترو فإنها مكتظة بالبشر
وسيكون أماننا فرصة كبيرة في سرقة أكبر عدد منهم إن شاء الله
قل أمين.

تبسم بتعجب : أمين.. ولكن أدعوا ألا يقبض علينا أيها المؤمن..!!

ما هذا الفأل السيء، ثم أن الله أعلم بحالنا ولن يجعلنا نقبح خلف
القضبان، لان خلفنا أرواح بريئة لإنقاذها.

حسناً لقد وصلنا، لقد حان وقت العمل. قالها باضطراب وهو يوقف
السيارة بعيد عن المحطة بخطوات

نظر اليه صديقه متدخلاً بهدوء

أشعر أنك خائف ولكن لا تقلق إن الأمر بسيط للغاية اسحب
المحفظة عند الاصطدام بالشخص.

ضحك بهستيرية ممزوجة بخوف وقلق

بسيط للغاية، اللهم اجعل هذه الليلة تمر بسهولة.

هيا بنا.

آه هيا بنا.

بعد ساعتين

الجحيم الأصفر

الإضاءة البيضاء قوية بداخل العربة الفارغة التي لا يتواجد فيها غيرهم
وشخصين آخرين، همس أحدهم في أذن الآخر

كم جمعت حتى الان.؟.

حوالي المائتي حافطة.

وانا كذلك، حوالي المائتي والعشرون.

حسناً هيا بنا لنرى المبلغ الذي جمعناه، فتحركوا ببطء نحو الباب
والقطار يتحرك، فلمحت أعينهم شاب نائم وهو جالس فوق أحد
المقاعد، فنظروا الى بعضهم البعض بأعين مأكرة، همس الأول للآخر
قائلاً بمكر

هل تفكر فيما أفكر فيه.؟.

آه، ولكن هناك أثنين آخرين، لا نريد أن يتم إمساكنا بعد كل ذلك
العناء.

حسناً، لنذهب بسلام.

مهلاً.. قالها ونشوة السرقة تتحرك بداخله وتجري في عروقه، نظر اليه
الآخر بقلق منتظر جوابه فهو قد أكتفى من تلك الليلة المقلقة والمرعبة

ويريد الذهاب بأسرع ما يمكنه حتى تنتهي تلك الليلة ويلوم نفسه على
ذكر ذلك الشاب أمام ذلك اللعين الذي لا يشبع ولا يمل من السرقة، بدء
العرق يتصبب من وجهه بغزارة والقلق يسيطر على جسده والخوف
يمتلك تحركاته

مهلا، ماذا؟.

لمعت عين الأخر بشراهة كلمعان أعين القطة في الظلام

سنأخذه معنا.

سنأخذه معنا؟. تسأل بصيحه واضطراب، وضع الأخر يده على فمه

أشش، اخفض صوتك أيها اللعين. لقد جلبت الأنظار إلينا.

ولكن سنأخذه إلى أين ...؟

أعلم مكان جيد بعيد عن الأنظار سنلقى به وتتحرك.

. بعد عدة ساعة تقريبا.

الجيم الأصفر

بعد أن أخذوه معهم ووضعوه بحقيبة السيارة وتحركوا به الى داخل
الصحراء

نحن تتحرك منذ كثير بداخل تلك الصحراء اللعينة، أين ستلقى به
بالضبط.؟.

توقف بسيارته وهو يصيح: لقد وصلنا بالفعل. ثم تحركوا فأخرجوه وبدأوا
يجردوه من كل شيء قد يأتي بسعر مناسب

وقفوا ينظرون بداخل الصحراء في الظلام، يلتفتون عن يمينهم ويسارهم

ما هذا المكان.؟. تسأل النحيف باستغراب

تنهد الآخر قائلاً

إنه الجيم، لقد أتيت الى هنا منذ مدة طويلة كنت مثل ذلك الشاب
القابع تحت أقدامنا ولكن بطريقة مختلفة بعض الشيء

ما الذي حدث لك.؟.

آه، لقد رأيت الموت أكثر مما تتخيل، فعندك مثلاً ذلك الاتجاه ثم أشار
أمامه مباشرة هناك عائلتان يتقاتلان منذ عقود ولا أحد حتى الان يعلم
لماذا يذبحون في بعضهم البعض

إبراهيم سيد كرم

ثم أشار عن يمينه متابعاً.. وهذا المكان يقبع رجل مع فتاة صغيرة خائفون هاربون ولا أحد يعلم أيضاً من أي شيء هم هاربون لابد أن الفتاة قد كبرت الان، لقد مر زمن منذ أن كنت هنا، ثم أشار عن يساره وهذا المكان أجارك الله مما يقع فيه

تسأل الآخر بحيرة، لماذا.؟.

فهنالك يقع اللا مكان واللاهوية فقط الدماء والرمال هم اللغة المعروفة والمعترف بها، لقد سمعت عن ذلك المكان كثيراً ولكن من فضل الله على أنى لم أراه من قبل ومن خلف كل ذلك يوجد الجحيم الحقيقي.

وهل هناك جحيم أكثر من كل ذلك.؟. تسأل بضحك واستهزاء

الجحيم الأصفر...!

الجحيم الأصفر.؟. لم أسمع بذلك الاسم من قبل.؟.

وصدقني لن ترغب بمعرفة ما الذي يعنيه ذلك الاسم، ولكن هيا بنا لأنهم يأتون على ذكرهم.

تحركوا الى السيارة بخوف وقلق، ركب أحدهم ثم وقف الآخر ينظر الى الشاب الملقى على الأرض

حسناً ايها الشاب، الأمر كله متوقف عليك، إن تحركت للأمام
ستقابل العجوز المجنون وإن تحركت لليمين ستقابل الأب الخائف
وإن ذهبت لليساار ستتصادم مع قطاع الطرق المختليين، ولكن إن
ذهبت للخلف ستعود للديار.. القرار قرارك فصنع اختيارك وليكن
مصيرك بيدك ... الوداع.

الإضاءة كثيفة وهادئة مسلطة كلها عليه وهو جالس فوق كرسيه الدائري
الكبير، أمامه طاولة زجاجيه حمراء نصف دائرية عليها كوب كبير أبيض
من الخزف، هناك شخص واقف بجانبه يضبط له مكبرات الصوت
ويخفيها أسفل ربطة عنقه السوداء وما أن انتهى قام بمسح بذلته
السوداء الكلاسيكية باهظه الثمن ثم قام بتوسيع ربطة العنق قليلاً
وأستنشق بعض من الهواء الرطب البارد القادم من مكيفات الهواء
الكبيرة المتواجدة بالأستديو، تحركت الكاميرات نحوه وهو يبدئ بتجميع
شتات نفسه وجلب هدوئه وثباته حتى أتاه الصوت من خلف الكاميرات
أنه سيكون على الهواء بعد ثوان معدودة، وما أن رأى الضوء الأخضر
للبدء تحدث بأسلوبه اللبق وكلماته المثيرة الجاذبة للآذان

السلام عليكم، أحبائي وأعضاءي، ها نحن نلتقي وحلقة جديدة من
برنامجكم المحبوب (عالم الأحلام) لتفسير الأحلام وتوضيح الرؤى،
كنت أنوي الحديث معكم عن بعض الأشياء المهمة قبل بداية
الحلقة ولكن يبدو أن هناك كم هائل من المكالمات الهاتفية التي
تنتظر، لذا سنؤجل الحديث قليلاً حتى نُجيب على بعض المكالمات

السلام عليكم.

وعليكم السلام، تفضلي أختاه بذكر الحلم الذي تريدين تفسيره.

أتى صوتها حزيناً مهموماً من طريقة حديثها كانت صاحبه الصوت تبدو في
أواخر العقد الثالث من عمرها.

لقد رأيت حلم غريب. قالتها ثم توقفت وكان يبدو في صوتها الارتباك
والقلق، فتدخل المقدم مشجعاً لها

تابعي أختاه، إلا إذا كان أمر خاص فتستطيعي أخذ رقم هاتفني من
الكتترول وتستطيعي التحدث في أي وقت.

الأمر ليس كذلك بل إنني لا أعلم إن كان حلم أم رؤيا؟.

أخبريني ماذا رايتي ...؟

قبل أن اخبرك ماذا رأيت لا بد أن أخبرك ما الذي حدث لجعل ذلك
الحلم يراودني.

تحدثي باستفاضة سيدتي كُلي آذان صاغيه.

إن ولدي الكبير مفقود منذ عدة أيام وحقيقةً لا أتحمّل فكرة فقدانه،
لقد بحثت وسألت عنه في كل مكان كان يتواجد به وعند جميع
أقاربه وأصدقائه ولكنهم لم يرونه منذ تلك الليلة، يبدو الأمر كأنه
اختفى من فوق الأرض.

أسمعك الله عنه خيراً إن شاء وأذن ولّم شملكم قريباً.

لقد رأيته وهو جالس أمام الشاطئ في الليل كان القمر بديراً والنجوم
لامعه وكان يشعر بالسعادة البالغة، لم أره سعيداً هكذا في حياتي،
وأنه كان في النعيم حتى أغرقت ثيابه موجه من البحر فذهب
ليسبح ويستمتع بالمياه وما أن وضع قدمه فيها حتى بدء بالغرق
والألم والمعاناة ثم استيقظت فهرعت الى النافذة فرأيت القمر بديراً
وبعد لحظات سمعت أذان الفجر ولا أدري ما الذي يعنيه ذلك
الحلم؟. وهل هو حلم أم رؤيا؟.

ضم حاجبيه الأشيبان بتعجب متسائلاً: كم عمر ولدك سيدتي.؟.

تسعة وعشرون.

وما اسمه ...؟

(هادي).

هل لديه إخوة.؟.

فتاتان صغيرتان في العاشرة من عمرهم توأم (سلمى) و (سالي).

هل كان سعيد معكم، أقصد مع عائلته؟

اجل ... كان يحب الجلوس معنا دائماً.

ما سأقوله قد لا يعجبك سماعه ولكنه الشيء الذي توحى به رؤيتك سيدتي، إن ولدك كان يعيش سعيداً معكم وسيعيش سعيداً أيضاً بعيداً عنكم ولكن لفترة قليلة ثم سيمر بمعاناة ومحنة كبيرة، مرحلة لم يمر بها من قبل ومحنة لم تصادفه في حياته مرة واحدة، سيفتقدكم وستكونون أنتم سبب معاناته وأنتم أيضاً أمل الوحيد للبقاء على قيد الحياة ولكن مع مرور الوقت سيبدأ بفقدان الأمل في العودة لكم والالتقاء بكم مرة أخرى، ستجعله المحنة التي سيمر بها شخص من اثنين إما أقوى من السابق وأكثر مرحاً وتأمل في الحياة وإما سيتحول الى شخص آخر لن تستطيعي التعرف عليه القمر في رؤيتك هو عائلته، انت وإخوته، والبحر العميق هو محنته، لا تفقدي الأمل في البحث عنه والله أعلى وأعلم بصحة هذا الكلام، وأتمنى من كل قلبي أن تجتمعي بأبنك في القريب العاجل سالماً غانماً حسناً لنأخذ اتصال آخر.

أغلقت الهاتف والتلفاز بعد سماعها لتلك الكلمات التي أقلقتها أكثر مما ظنت أنها ستريحها، وشعور كئيب مخيف يجتاح روحها أنهى جلستها بكاء مرير وخوف من مجهول لا تعلمه، تتسأل في نفسها عن نوعيه المحنة التي سيمر بها ولدها

وهل ذلك الكلام صحيح أم مجرد تخاريف واستنباطات مبنية على ما ذكرته له، هبت ريح باردة عبرت نافذتها القابعة خلفها وتحركت لتلتف حولها بنسيما المريح الهادئ، تنهدت براحة ثم جلست تدعوا وتناجى ربها.

*ربي أتعن ولدي ونجيه من كل المصائب إنك أنت المنجي الرحيم
المعين.*

لقد تساءلت كثيراً بداخل عقلي عن طريقة نهايتي، كيف يا تُرى ستكون.؟. وفي حقيقة الأمر كانت كلها نهايات مأساوية بشعة، إما محروقاً او مصعوقاً أو غريق أو مذبوحاً أو مطعوناً، غير السقوط من فوق ارتفاع عالي او الاصطدام بسيارة في الطريق، لقد اصطدمت بواحدة وأنا صغير ولكني لم أمت بل نتج عنها عدة كسور في قفصي الصدري ونتج عنها أيضاً مرض الربو الذي لازمني منذ ذلك الحين، لقد كان مشهداً مؤلماً للغاية، أنذكره بكل تفاصيله حتى الان، أذكر عندما علمت أن أبي قد عاد من السفر بعد غياب طويل وأنه قد وصل أمام المنزل هرعت مسرعاً لأحتضنه، آه كم كان ذلك الإحساس رائع وجميل حقاً، لقد شعرت بأجمل المشاعر الراقية عندما لمحت عيناى وجهه أمامي، لم أتحمل حينها

انتظاره ليعبر الطريق فأسرعت أنا إليه ولكن ذلك السائق الناعس قد أنهى كل شيء وتلاشت البهجة ولم يعد غير الألم، شعرت بالألم قليلاً ولكن شعوري بالسعادة والراحة كان أقوى عندما احتضني أبي بقوة إلى صدره وبدء بالبكاء، عادة سيئة ورثتها منه سرعة البكاء والمشاعر الجياشة، كانت تلك اللحظات من أجمل وأروع لحظات حياتي، حينها علمت وتيقنت أن أبي يحبني كثيراً مع كثرة غيابه وفراقه الطويل، الحنان والحب الأبوي لا يعوض أبداً مهما كانت قساوة الأب أو كثرة سيئاته ولكن أين هو الان.؟. سؤال أطرحه على نفسي كثيراً، لقد تعود إخباري أنه سيأتي وقت يذهب فيه بلا عودة وكيف على أن أتحمّل المسؤولية حينها، لا أعلم هل كان يقصد الموت في ذلك الوقت أم ماذا كان يقصد.؟. على كل حال لقد ذهب منذ عشرة أعوام وهو لم يعلم أنه أصبح أب لفتاتان في غاية الجمال والروعة، لقد أصبحت أنا أبيهم بعدما ذهب، لا أعلم لماذا أشعر بالبكاء كلما تذكرتهم، هل ذلك لأني تعلقت بهم كثيراً، هم أيضاً تعلقوا بي كثيراً، لا أعلم ما الذي ستقوله أمي لهم عندما يتساءلون عني.؟. أمي، اعذريني لقد كنت أتمنى أن أريحك أنتِ واخوتي وأجعلك تحصلي على قسط من الراحة بعد المعاناة والمشقة التي قد لاقيتهم من أجلنا وحدك، لقد تساءلت كثيراً عن السبب الذي يجعل الأب يترك زوجته وأولاده ويرحل ولكني لم أجد الجواب حتى الان وإن وجدت واحداً يكون جواب سطحي للغاية لا معنى له ولا هدف حقيقي يجعل الأب يترك أولاده من أجله، لم أفكر البتة أن نهايتي ستكون مسلوخ الجلد عن اللحم، أتساءل كيف سيكون شكلي ومظهري بدون جلد.!! لا أستطيع تخيل صورة واضحة ولكن الراجح أني سأكون مضمّد من كل جانب، أتخيل كيف ستكون ردة فعل أمي عندما تراني وأنا مضمّد هكذا، بالتأكيد

لن تتعرف علىّ ثم تبدأ بالصراخ والصياح بطلب النجدة، ولكنى أظن أن مظهري سيعجب إخوتي وسيحبونه وبالتأكيد سيظنونني دميّه على قيد الحياة، سأصبح الرجل المضمّد، لقب ليس سيء للغاية سأحتل القنوات الفضائية وشاشات التلفاز وسأصبح حديث العام، أفكر في شعار أقوله على الهواء مثل أنا الرجل المضمّد وقد أتيت لأنقذ هذه المدينة، ما هذا الهراء!!

أنا شخص ذكي، بالتأكيد لا أنفاخر ولكني أرى أدق التفاصيل التي لا يراها أو يلاحظها الآخرين مثل صوت ذلك الرجل المختل الذي سيقوم بسلخي حياً، لا أظن أن صوته طبيعياً البتة، هناك أمر من اثنين، إما أنه يعاني من مشاكل في حنجرتة أو أنه يستخدم جهاز تغيير الأصوات والثاني هو الأرجح لأن ذبذبات صوته ليست طبيعية البتة، لدى أذن حادة أظن أن ذلك بسبب ضعف نظري فإن الله يأخذ من هنا ويعطي هنا، أتخيل شخص ضخم مفتول العضلات يمسك بيده منشار مدبب لسلخي وابتسامه عريضة على وجهه وأسنان محطمة ووجه ممزق وملابس غارقه في الدماء، تفكير مرعب للغاية، أظن ان تدريبات الكابتن (رضا) ستأتي بمفعولها الان، أستطيع سماع صوته يتردد بداخلي وهو يقول لي، تجاهل الألم ولا تفكر فيه وفكر في شيء جميل أو ذكرى سعيدة حتى تتغلب على مرارة الألم وتسيطر عليه، لقد جربت تلك الطريقة كثيراً وبالفعل قد انت بنفعها فأنا أتجاهل الألم منذ ذلك الحين ولا أفكر فيه حتى بدأت أعتقد أني لا أشعر بالألم الجسدي البتة، أشعر بشعور غريب للغاية ليس الخوف ولا الهلع ولكنه شعور من نوع آخر وكأنها الحيرة ممزوجة بشيء آخر لا أستطيع وصفه مهما حاولت أظن أنها إحدى طرق التعذيب الذي

يستخدمها ذلك المجنون، يخبرني كيف سيقتلني حتى يأخذني عقلي
يميناً ويساراً وأضيع في بحور المشاعر المخيفة وألم فقدان، الانتظار
مؤلم أيضاً أشعر كأنه مرت ساعات منذ سقوطي ولكن يبدو ان الذي مر
عدة دقائق فقط، هيا أيها المختل اللعين أسرع لقد بدأت أشعر بالملل
والضجر.

وسط الرياح العاتية والضباب التراخي الكثيف يجلس في الخلاء يراقب
الأرجاء بأعين لامعه كأعين الذئاب، يتلفت يميناً ويساراً بنظر ثاقب ،
يشعر بالضيق و الغضب من عدم تمكنه من رؤية أي شيء في ذلك الجو
العاصف ، يود التحرك ولكنه يخشى أن يظهر أي شخص بعد ذهابه
ليختلي بابنته الوحيدة التي حوصرت بغير قصد في قضيته و محنته ،
يفكر كيف يعتذر لها ولكنه لا يجد الكلمات المناسبة والمعبرة عن خوفه
و قلقه عليها ، ولكن كل ما يستطيع فعله لها هو تدريبها وجعلها أقوى
حتى تتمكن من حماية نفسها إن حدث له أي مكروه ، ولكنه يخشى
عليها أكثر من خشيته على نفسه ، لقد كان يأمل لها بمستقبل أفضل و
رؤية مشرقة للعالم لو أنه رفض طلبها للذهاب معه لكانت في أمان الان ،
ولكن الوقت قد مر و أصبحت عالقة معه في وسط اللا مكان ، يفكر كيف
يعاقب نفسه على ما فعله بابنته الوحيدة ، ويا لها من طريقة عقاب
بالجلوس وسط الرمال في العاصفة الخانقة يلتف من حوله يشعر بضيق
التنفس و تتأكل نفسه من الغضب ولكنه لا يستطيع فعل شيء غير
الانتظار الى الفرصة المناسبة أن تأتي ليهرب هو و ابنته الى أرض الأمان و
الراحة .

الجدران الحمراء تشير شهوته الدامية وتحرك عجلات إثارته القاتلة، كم يكره الانتظار للبدء في التلذذ برؤية الدماء وهي تسيل من جسد ضحيته ويتراقص مع ضربات قلبه الخائف، ولكن عليه الانتظار حتى يبدي عقل الضحية بالضعف ويتملكه الخوف ليصبح الاستجواب يسير بعد ذلك، ولكن الحيرة تتملكه فالشخص الجالس أمامه يبدو هادئاً للغاية ولم ينبث بكلمه واحدة غير السؤال الغريب الذي طرحه عليه، لقد تملكه اليقين أنه يتعامل مع شخص محترف للغاية، فكيف لشخص عادي يطرح سؤال هكذا؟. بدء يفكر انه إن كان يتعامل مع محترف حقاً فإنه سينتظر كثيراً، يكفي هذا الوقت لابد أنه أصبح جاهز للاستجواب

تحرك إليه بقلق وهو يفكر في ردة فعل ذلك الشخص، وكيف انتهى استجواب اخر شخص كان امامه وكيف أن ذلك الشخص المحترف جعل بداخله قلق من كل المحترفين في الاستجواب، بدء يجمع شتات نفسه ويتمالك أعصابه المتوترة، فلقد تعلم الدرس من المرة السابقة ولن يسمح لذلك الشخص بالهروب كما فعل السابق، كل ما عليه هو الهدوء، الهدوء هو المفتاح للتعامل مع المحترفين أمثاله، تنهد بقلق وهو يتحرك ليخلع عصابة العين من فوق ذلك الشخص ليستمتع بخوف عينيه

وما ان اقترب وتمايل بجسده باتجاهه وهو يخلع العصابة من فوق عينيه، تسائل باستغراب وهو جالس بهدوء

يبدو أنك متوتر للغاية، أستطيع سماع دقات قلبك المرتفعة من
مكاني.

تنهد بصعوبة ودقات قلبه تتزايد بغزارة من رنين تلك الكلمات بداخله،
وتيقن كل اليقين أنه يتعامل مع محترف، مما جعله يتردد في خلع
عصابة العين، وقد تاهت منه الكلمات ولا يدري ما الذي يقوله وما الذي
عليه فعله الان وهو يردد بداخله

الهدوء، الهدوء، لا تجعله يتحكم فيك، اهدئ أنت المسيطر على الأمر

أجابه بثقة وثبات

متوتر؟. قطعاً لا، ولكن معك حق في أن دقات قلبي عالية لأنني
سأستمتع بالأمك وسوف أتراقص مع إيقاع صرخاتك.. حسناً لنبدأ.

لقد كان توقعي في محله، كل ما كان عليّ فعله هو جعله يتحدث حتى
أميز صوته مرة أخرى وأستطيع الجزم أنه يستخدم جهاز لتغيير الأصوات،
ولكن السؤال هو لماذا يستخدمه؟. حسناً بما انه قام بنزع عصابة العين
سأكتشف ذلك الأمر

تتحرك بؤبؤ عيني بسرعة عالية والرؤية غير واضحة أمامي، أشعر مثل
الأعمى الذي قد أعاد الله له النظر مستغرب المكان وغير قادر على
تجميع رؤية واضحة نظرت الى نفسي ببطء، يبدو أنهم ألبسوني بعض

الملابس الباهتة رمادية اللون ممزقة، هل هذه الملابس التي يجعلون كل من يستجوبونه يرتديها.؟ أتساءل كم شخص ارتدها قبلي.؟ وكم واحد سيرتديها بعدي.؟ لا أظن أن ذلك السؤال له قيمة الآن، ولكن يبدو أنه متوتر بالفعل وهذه هي فرصتي لتحديد نوعية المعلومات التي يريدونها مني.؟ بدأت بالتحدث إليه وأنا أرى ظله أمام عيني الواسعة

الأمر غريب حقاً، ولكنه لا يحتاج لذكاء لاكتشافه، شخص أو عدة أشخاص وجدوا شخص والذي هو أنا ملقى في الصحراء فيأخذونه ويعالجوه يبدو هذا رحيماً منكم ولكني أتساءل لماذا قيدتموني وأتساءل عن نوعية المعلومات التي تريدونها مني.؟

أتى صوته غليظ أجش للغاية: من أنت وما الذي أتى بك هنا.؟

من أنا، أستطيع الإجابة عن ذلك السؤال ولكن ما الذي أتى بي هنا فلن تصدقني إن أخبرتك أنني لا أعلم كل ما أعلمه أنني فقدت وعيي في عربة المترو فاستيقظت لأجد نفسي بتلك الصحراء والتي أظن اننا مازلنا بها تحركت فيها وأنا شبه عاري ظناً مني أنني ساجد الطريق للعودة للديار ولكن انتهى بي الأمر مغشّ على من لدغه الثعبان ثم استيقظت لأجد نفسي هنا، مع شخص مريب يستمتع بالقتل ويتلذذ بالدماء.

ضحك باستهزاء قائلاً

وهل تظن أن تلك الرواية ستختال عليّ؟. فقدت وعيك في المترو
ثم وجدت نفسك هنا؟ بالتأكيد أنت تمزح ولكنها مزحة سيئة للغاية
ولن تنطلي عليّ!!

إنها بالفعل مزحة سيئة للغاية ولكنها الحقيقية.

لقد بدأت الرؤيا تتضح أكثر فأكثر، بدأت أجمع ملامح جسده إنه ليس
كما تخيلته البتة بل إنه شخص نحيف متوسط القوام ليس طويل ولا
قصير، يرتدى رداء أبيض اللون، بنطال أسود واسع وقميص أبيض
وحاوية على رأسه بيضاء تلتف على وجهه ولا يظهر منه إلا عينيه، تحرك
وسحب كرسي ثم وضعه امامي وجلس ويده سكين غريب الشكل
ولكنه يبدو حاداً للغاية.

هل تصدق نفسك؟. تحدث باستغراب ثم أكمل باستهزاء وجديه

لن تخذعني تلك المزحة السيئة، إن ما تقوله يبدو خيالياً بعض
الشيء، أعنى من يسقط في مكان ليستيقظ ليجد نفسه في مكان
آخر؟. هل ستصدق أنت أحد إن اخبرك بما تقول الان؟.

لقد كنت أسمع أغرب من ذلك بكثير ولكنى أتساءل عن نوعية هذا
المكان وما هي المعلومات التي تريدها مني؟ وما هو الهدف من
وضع مغير صوت لتغير من نبرة صوتك وما الهدف أيضاً من إخفاء
وجهك، وهل سيصدقني أحد إن أخبرتهم عنكم؟. هل تظن انهم

سيصدقونني إن أخبرتهم أن من أنقذني مجموعة ما ملثمين يريدون
تقطيعي واستجوابي بأشياء لا أعلم ما هي ولا اظن أن لدى فكرة
عنها البتة.؟.

تغيرت ملامح وجهه ونظرة عينيه وبدء القلق يتحرك بداخله مرة أخرى
ذلك اللعين كيف أكتشف أمر المغير.؟. أم انه كان يعلم من السابق ولما
يريد الكشف عن هويتي ومن أكون.؟ هل يعلم من أكون بالفعل.؟. يبدو
أنه منهم بالتأكيد، كل ما علّى فعله الان هو أخبار الزعيمة بذلك الأمر. إنه
منهم بالفعل.

بداخل أحد المباني بقلب الصحراء , كان يجلس أمام شاشات الحاسوب
الكبيرة و الكثيرة منها من يعرض الاستجواب ومنها من يعرض
مؤشراتهم الحيوية وهو جالس أمامهم فوق مقعده الإسفنجي المتحرك
يدقق النظر في أرقام مؤشراتهم و معدل كل شعور لديهم , تلمع عينيه
من صدى الضوء الصادر من تلك الشاشات التي امامه بألوانها المختلفة
و الكثيرة و الظلام من حوله ولا يوجد إضاءة غير الضوء المنعكس من
الشاشات على جسده و وجهه , فتح الباب بقوة من خلفه ليكشف عنها
وهى تتحرك بكرسيها المتحرك وخلفها أثنين طوال عراض مفتولين
العضلات مثلمين بردائهم الأسود الكاتم

ماذا لدينا.؟.

انتفض الرجل بقوة وفزع ليقف أمامها بثبات انضباط خوف قائلاً بخفوت
وقلق

كل شيء طبيعي سيدتي.

تساءلت باستغراب وحيرة وهي تلقي بنظرها فوق الشاشات

طبيعي كيف؟.

تحرك الرجل وبدء يشرح لها وهو يشير على علامات وأرقام فوق
الشاشات

إنه صادق في كل ما قاله سيدتي ولا يبدو أنه يعرف شيء وايضاً ...

وايضاً ماذا؟.

إنه شخص حاد الذكاء سيدتي لقد حلل كل شيء بدقة عالية
واستطاع أن يكتشف أمر مغير الأصوات لدى (الطبيب) ويبدو انه
أستطاع أن يبعث في نفسه القلق أيضاً، ولكن الطبيعي في الأمر أنه لا
يعلم شيء البتة ويبدو ان ما يقوله صحيح لقد أتى هنا عن طريق
الخطاء.

حسناً إن كان كما تقول سنعرف بالطريقة الصعبة، أعطني جهاز
اللاسلكي.

فأحضره الرجل من جانب إحدى الشاشات ثم أعطاها إياه فأخذته وبدأت
تردد وتقول

من القيادة الى الطيب افعلها بالطريقة الجادة وتملك أعصابك أكثر
من ذلك وإلا ستكون أنت مكانه في المرة القادمة.

ألقت بنظرها الثاقب على شاشة مراقبة الاستجواب متدخلة بخفوت
ومكر

الان سنعرف من أنت حقاً أيها الشاب!!

تحرك من فوق كرسيه وفي يده السكين الحاد ثم اقترب مني أكثر فأكثر،
لا أعلم ما الذي حدث ولكنه اقترب مني حتى كاد وجهه يلتصق بوجهي،
دققت النظر الى عينيه وعيني بداخل عينه، لقد غمرني شعور غريب لم
أشعر به من قبل إنه شعور قريب من الشعور بالحنين والاشتياق، عيناه
تشبه عين أختي (سالي) كثيراً، أعين زرقاء صافية ورثتها عن أمي ولكن
(سلمى) ورثت عينيها السوداء من أبي، هذه ليست أعين رجل البتة، يا
إلهي هل هي انثى؟ كنت أود أن أسئلة أو أسألها ولكنه قاطع تفكيري
بسؤاله

من أنت حقاً؟.

تنهدت براحه وأنا متحير مع من أتحدث أهو رجل أم فتاة؟.

بل من أنت؟. وما الذي تريده مني؟.

أنا أدعى (الطيب) وأريد الحقيقة.

أنا أدعى (هادى) أعيش بمدينة الرمال ولكنى لم أرى هذه الصحراء
من قبل.

حسناً يا (هادى) أنا أسفه...

أسفه، لقد قالت أسفه إذا هي فتاة وليست رجل، يا إلهي ولكن لماذا
تتأسف

كنت أهم على طرح ذلك السؤال ولكنني عرفت جوابه عندما قطعت
شرايين يدي اليسرى بسكينها الحاد بعد أن حررتها من قيودها، بدأت
الدماء تسيل من يدي بكثرة والدموع أيضاً تتساقط بكثرة وأنا لا أعلم
لماذا أبكى دائماً هكذا؟.

حسناً أمامك أقل من عشرة دقائق لتفارق الحياة. قالتها وهي تجلس
فوق كرسيها الخشبي الصغير متابعة بهدوء

الجحيم الأصفر

ستشعر في البداية بالدوار ثم بالهذيان ثم بالحزن الشديد ثم اخر
مرحلة وهي الموت وكل ذلك يحدث في تلك العشر دقائق إذا هل
من أمني أخيرة قبل الموت.؟.

أمني لقد سمعت تلك الكلمة مرات كثيرة في مواضع مختلفة، أنا أتمنى،
أتمنى، كل ما أتمناه، التمني ولكنى لم أرى أمنية قد تحققت من قبل
حتى بدأت أسائل هل الأمني حقيقية أم مجرد خيالات لا وجود لها من
الصحة مثل أشياء كثيرة قد صنعت لنوهم بها أنفسنا ولا نضيع في عالم
من الخيالات والقنوط واليأس ولكن إن كانت حقيقية فماذا سأتمنى، وما
الذي سأتمناه قبل الموت، بالتأكيد أن يرحمني الله عندما ألقاه، ثم
ماذا.؟. ولكنى قد تمنيت واحدة بالفعل وهل هناك أكثر من واحدة في
ذات الوقت.؟. لا اعلم ولكن بما إنني سأموت بعد كل شيء فلا بأس
بطلب تلك الأمنية التي تشغل تفكيري وهي رؤية وجه تلك الفتاة، أريد
أن ارى وجه الشخص الذي سلب منى حياتي

آه، هناك واحدة ولكن هل تستطيعين تنفيذها.؟.

إن كنت أستطيع فسأفعلها بالتأكيد.

كنت أفكر في رؤية وجه الشخص الذي سأموت على يديه.

ترى وجهي.؟. ما تلك الأمنية الغريبة.؟. ولكنى أستطيع تنفيذها
بعد كل شيء.

ولكن قبل أن تفعلها أخبريني ما الذي تشعرين به عند قتل
أحدهم؟.

لا أستطيع وصف ذلك الشعور ولكني أجد ذاتي في القتل.

أتمنى أن أجد ذاتي أنا أيضاً في يوم ما.

بدأت بكشف وجهها شيئاً فشيئاً ولكن قبل أن تزيل كامل غطاء وجهها
فتح الباب بقوة، مما صدر صوت طرقة عالية فانتفضت من مكانها
بسرعة وهي تعيد غطاء وجهها مكانه، تحركت العجوز بكرسيها المتحرك
لتقف أمامه وهو جالس على مقعد خشبي كبير وقد بدء في مرحلة
الهديان، أصبحت عيناه شاحبه وجهه أخذ اللون الأبيض المصحوب
باللون الأزرق وكأن الروح تفارق الجسد، وهو يرى الدنيا أطياف ولا
يستطيع تمييز أي شيء أمام عينيه وجميع الأصوات متداخله في بعضها
البعض

أسفه يا بنى على كل ذلك ولكن كان علينا التأكد أنك لست منهم
بعد كل شيء سنقوم بإنقاذك ثم نعيدك من حيث أخذناك لأن ذلك
هو حدودنا ولا نستطيع تجاوز الحد مهما كان.

جهزوه.. قالتها للرجلان الواقفين خلفها ثم تحركت بمقعدها الى الخارج،
فقام الرجلان بتضميد جرحه ثم وضعوا غطاء أسود على وجهه وأخذوه.

لقد عدت من حيث بدأت ولكن بطريقة مختلفة عن التي بدأت بها كثيراً، أشعر بشعور كئيب للغاية في هذا الظلام المخيف والصمت القاتل، لا أعلم إن كانت أيامي القادمة ستكون كلها كذلك، ما بين الموت والنجاة والألم والحيرة لقد بدأت أسئم كثرة ترديد كلمة الموت كثيراً، سأموت، سأموت ولكني لا أموت، يبدو أن الموت حلم بعيد المنال عني الآن، لقد تفكرت كثيراً في أمر الروح والجسد والعلاقة الوثيقة بينهم وكنت أفكر وأتساءل هل الروح تظل حية بعد خروجها من الجسد.؟ بالتأكيد ولكنها لا تبقى هنا على وجه الأرض الله يعلم مستقرها ومستودعها، وإلى أين ستذهب روحي بعد فراقها للجسد، أتمنى أن تذهب لتراقب أمي وإخوتي وتحضنهم إن استطاعت ثم تعود لي لأودعها، لا أعلم ما سبب ذلك الشعور الكئيب الذي هاجم روحي فجأة هكذا، هل هو بسبب أن روحي حزينة لفراقها لجسدي.؟ أم أنها حزينة لما يحدث لها معي دائماً، إنها المرة الوحيدة التي أريد أن اصرخ فيها وأصيح بقول لا أريد الموت، لا أريد الموت وأظن أيضاً أنها المرة الوحيدة التي أشعر فيها أن الحياة غالية جداً وأنها نعمة لن تعوض بأي ثمن مهما كان

يبدو أني تحدثت مع روحي للمرة الأولى في حياتي، أظن إنني سأطلق عليه حديث الروح، لقد بدأت أهذى بالفعل الأمل والسعادة عادوا بداخلي مرة أخرى وأنا أتحرك في الظلام بداخل الصحراء لا أدري أين أذهب ولكني أتحرك على أمل أن أجد أحد لينجذني مما أنا فيه من ضعف ووهن، أريد بعض من الماء وبعض من الطعام لأستعيد عافيتي وأجدد طاقتي لقد بدأت أسمع صوت شديد يتحرك باتجاهي، يبدو وكأنه صوت هزيز الريح، هل ستكون ريح طيبة أم ريح عاصفة.؟

إبراهيم سيد كرم

أتمنى أن تكون ریح طيبة.

بِسْمَةِ الْأَمَلِ

زعيمة الفضاء قد اعتلت مركبتها الضوئية متجه إلى غروب، مودعه كل من يحتاج إلى ضوئها وإلى كل من يستجم بدفئها ببريق أرجواني رائع، حنون مُلهم للنفوس مُطمئن للأرواح الضائعة المفقودة في دوامة الدنيا العاتية المتحركة غير متوقفة صرخت الرياح بعواء وأنين ينبع من قراره روحها، تصيح وتصرخ غير سعيدة برحيل الضوء فهي لا تحب الظلام ووحشته ولا تستريح في هدوئه وصمته المريب، تقول للشمس لا ترحلي الان فهوائي لم يمل ولم يكل من ضوئك المريح قالت الشمس لها ، أعذربي أيتها الريح فقد حان وقت الذهاب ولكن لا تقلقي فإذا أراد الرحمن سأجدد اللقاء مادام في الدنيا البقاء ، و أنشر ضوئي ببهجة و نقاء في كل صباح حيث مستقر الصفاء ومنبع الراحة و الهناء ، فوداع حالياً هنا لأن آخرين ينتظرون طلوعي بشوق و ثراء ، تغيرت أحوال الرياح من سعيدة إلى حزينة يؤلمها لحظات الفراق ، فأطلقت العنان و أسدلت الستار لأجنحتها الهوائية و قررت مشاركة أحزانها و آلامها مع سائر الوجود ، فانطلقت بقوة و غضب ، عواصف خلف عواصف تُرابيه وغيوم مُظلمه غير سعيدة ، دوامات خلف دوامات بجانب دوامات ، وفي وسط كل ذلك الهياج ريشة تائهة ساقطة من الرُفات ، نازعت لأجل حُرِّيَّتِها من جناح الطير المُتسلق بالفضاء ، فكرت كيف تكون الأحوال فوق التراب و

الرمال , وسط البشر و الزحام , ولكن يبدو أنها لم تستقبلها الرمال بعد
بل تم استقبالها من قبل عاصفة الألم و الضباب وسط الخلاء

استرخت وتقلبت مع موكب الريح الشديد، حتى أتها فرصة الهروب من
بين أصابع الهواء القوية، فطلت تترنح بانسجام وسعادة حتى سقطت
بين أيديها وهي جالسة فوق قمة جبلية عالية صفراء، تتأمل بعينيها
الزرقاء تعارك العواصف النفراء حركت يدها ببطء والتقطتها بأصابعها
النحفاء الشبه ممزقة، مليئة بالندبات والحروق المشوهة لجلد يديها
الرقيق المائل للسواد من البياض، ثم رفعتها لتستقر يديها بين عينيها
الحزينة المُغرغرة من الدموع فهمست بحنان إليها

ما الذي أتى بكي هنا أيتها الريشة البيضاء؟ ثم تنهدت بقوة مفرغة بعض
الحزن بداخلها

هل انتِ بسمه الأمل التي أنتظرها منذ مدة طويلة أم أنكى مجرد هاربة
حمقاء؟ حسناً ستكون نهايتك بين أوراق مذكري الغالية، فالتقطت
دفترها البني القابع بجانبها وبداخله القلم الذهبي الصغير ثم ظلت تقلب
بين صفحات دفترها حتى استقرت على صفحة بيضاء ووضعت الريشة
بينها ثم ظلت تقلب حتى وصلت إلى آخر صفحة توقفت بها، لتكتب من
جديد في دفتر أحزانها المليء بالألم الساكن بداخلها

مذكري العزيزة الغالية وصديقتي الوحيدة التي لا أملك سواها , إنه
اليوم الأربعون بعد المائة منذ أن بدأت أقص لكي عن نفسي وعن

الذي حدث لي منذ الصغر , في البداية أعتذر عن تأخري لمقابلتك في الموعد المحدد لنا والذي هو حين الغروب في الضوء البترتقالي الخلاب , حين رحيل الشمس و تصادم النور بالظلام , لقد تأخرت بسبب ذلك الشاب الذي أمسكنا به بداخل حدودنا مُغشياً عليه وكان على حافة الموت , وكما أخبرتك من قبل أنا الوحيدة التي قد برعت في استخراج المعلومات من الغرباء أو الوحيد كما يُلقبوني هؤلاء القوم , هل تعلمي لقد كنت سعيدة في البداية لأنني سأذهب لأفرغ بعض من أحزاني فيه وفي تعذيبه ولكن الأمور قد أخذت منعطف آخر , لقد كنت أظن انه محترف وبدأت أقلق لأنني لم أكن أرغب في حدوث مشكلة أخرى كالذي حدث مع آخر محترف قمت باستجوابه , وبالطبع تعلمين ما الذي قد حدث لي بسبب هروبه من تعذيب و معاناة ولكنني شعرت بشعور غريب عندما نظرت بداخل أعين ذلك الشاب والذي أخبرني أن اسمه (هادي) وكان يبدو هادئ للغاية لقد غمرني الشعور بالحنين والاشتياق, لا أعلم لماذا.؟. هل ذلك لأنني وحيدة في بلدة غريبة عن التي نشأت بها, أم لأنهم يعاملونني بقسوة منذ أن تركني أبي لهم ورحل ولا أعلم أين ذهب كما أخبرتك من قبل!! لقد بدأت أستعيد حلمي مرة أخرى بعد أن بدأت في فقدانه تمام الفقدان, وتفكرت كثيراً في ذلك الأمر وسألت نفسي كثيراً هل حلمي بعيش حياة طبيعية كأبي فتاة حلم صعب للغاية.؟. هذا جزء من حلمي كما تعلمين, لأن حلمي المستحيل هو ارتداء الثوب الأبيض ذات يوم, ولكن يبدو أن حلمي مستحيل حقاً في هذه الصحراء مع تلك العجوز اللعينة, لأنهم يعاملونني كفتي منذ الصغر وقد لاقيت منهم القسوة والألم كثيراً, وكيف أني تجاهلت أنوثتي كي أستطيع

العيش بينهم، لا اعلم حقيقة الشعور الذي ينتابني الان ولكنه شعور غريب ولا أدري، حقاً لا أدري لماذا أراد رؤية وجهي؟. إنها المرة الأولى التي يطلب أحدهم رؤية وجهي!! بل إنها المرة الوحيدة التي يهتم أي شخص بي وكوني بشرية على قيد الحياة، ومن الغريب أيضاً تسائله عن شعوري في التعذيب؟ لقد شعرت حينها أنه يعرفني حق المعرفة!! وقد عبرت تسائل في عقلي غريب للغاية، هل كان يراقبني أم أنها مجرد صدفة!! أظن أنها بسملة الأمل التي كنت في انتظارها، ولكن المحزن في الأمر أنهم أخذوه وألقوا به في وسط الصحراء، بالتأكيد أنا مازلت مترددة في الالتحاق به والابتعاد عن تلك المنطقة اللعينة المليئة بالذكريات المؤلمة، أوعدك مذكرتي أنني سأذهب للبحث عنه وسأحاول التمسك بذلك الأمل وحتى إن كان ضعيف للغاية حسناً، سأذهب الان لأعرف أين ألقوا به الوداع يا مذكرتي نهاية اللقاء الأربعون بعد المائة.

أين أنت الان يا ولدي العزيز؟. تتساءل بداخلها بقلق وحيرة وحزن وهي تنظر عبر شرفتها الدائرية إلى ذلك التكدس المهول الذي يتحرك تحتها من فوق الطابق الثلاثون، إضاءة كثيفة أمامها تظهر لها كأنها نقاط صغيرة من ذلك الارتفاع ولكن بريقها رائع وملهم للنفوس في ذلك الظلام القادم، تنهدت بقوة وهي تتكئ بيديها فوق سور شرفتها الخشبي الدائري الطويل، يصل إلى منتصف قامتها، تتذكر كيف قامت بإخبار ولدها لتغييره ولجعله طويل من أجل الأطفال حتى لا يسقطوا وهم يلعبون في الشرفة تنهدت مرة أخرى بألم عندما تذكرت أطفالها وكيف يعانون من ألم فقدانهم لأخيهم الكبير الذي كان بمثابة أب لهم , يمدهم

بالحنان و العطف , وكيف أنهم يفتقدونه أكثر لأنه كان يلعب معهم كثيراً
و يجلب البهجة و السعادة لنفوسهم , ثم بدأت تفكر في طريقة لتجلب
لأنفسهم بعض من البهجة و السعادة حتى لا يضيعوا في بحور الاكتئاب
وهم صغار السن , وبينما تفكر جاءها الصوت من خلفها , رنين كلاسيكي
قديم , إنه رنين الباب فتحرت ببطء للداخل لترى من الطارق , وبينما
قد وصلت لمنتصف صالتها الواسعة تبحث عن خمارها أو أي شيء
تضعه فوق رأسها لتجذب به شعرها الأسود الناعم , جاءت طرقات
الباب قوية تبدو طرقات يد قوية عالية متتالية ولا تريد التوقف، انتابها
بعض القلق وظنت للحظات أنه من الممكن أن يكون ولدها هو الذي
يقف خلف الباب طارقاً بقوة لتلهفه واشتياقه لمقابلتهم، تحركت
مسرعة وقد تناسيت أمر الخمار وقد استيقظ الأطفال وتجمعوا حولها
عندما وصلت للرواق الطويل بين الغرف بجانب الباب يعبسون بأعينهم
بخمول قالت إحداهن

أمي.. هل هو أخي؟

اتكأت الأم على قدمها اليمنى لتحتضن أبنيتها إلى صدرها هامسة في
أذنهـم وسط الطرقات المحدثـة للضحيج

أتمنى ذلك يا أحبابي، أتمنى ذلك.

ثم تحركت مسرعة وبلهفة قامت بفتح الباب.

فتحت عينيها السوداء ذات الرموش الطويلة ببطء شديد ثم أخذت تبحث يميناً ويساراً بداخل الكوخ الصغير أربع شعل في الجوانب يعطوا إضاءة كافية لمن بالداخل ودفيء حنون طارد لبرودة الليل القارصة، انتفضت من فراشها الرملي الجاف عندما عاد إليها وعيها وعلمت بأن الكوخ خالٍ من أبيها، فتحركت مسرعةً إلى باب الكوخ المصنوع من أفرع الشجر الصغيرة وبعض الأقمشة البالية المتهاكلة من حرارة الشمس، ولكنها عندما تقدمت خطوة للخارج صدمتها سرعة الرياح وقوة الرمال العاصفة وكادت أن تسحبها معها لولا أنها تمسكت بأحد جوانب باب الكوخ بقوة ومثانة متفانية، ظلت مُعلقة في الهواء مُمسكة بالباب بكل ما أُوتيت من قوة وصلابة والعاصفة تسحبها معها من شدة قوتها وسرعة هوائها الرملي، تضحك بداخلها عندما تفكر كم غريب هو ذلك الاستيقاظ من النوم، وتقول لنفسها الإنسان يستيقظ ليجد شيء دافئ رائع حنون يستطيع استعادة وعيه بسلاسة معه وليس أن يستيقظ على عاصفة تريد أخذه معها وتلاقي به في أي مكان إن ظل على قيد الحياة ولم يصطدم بشيء يأتي بأجله ونهاية حياته، غريبة هي تلك الصحراء اللعينة التي حاصرني أبي فيها، ولا أعلم السبب حتى الان، ولكن أين هو الان.؟ لابد أن يأتي ويُساعدني من تلك المُصيبة الحمقاء

أبي، أبي، أبي، أنقذني يبدو أن صوتي لم ولن يصل إليه أينما كان.

هزيز الريح مداوياً للأذان يتعالى بقوة شيئاً فشيئاً وهي تتعارك مع بعضها البعض وتتنافر بقوة رملية كبيرة وهو جالس بالمنتصف بعيد عن كوخه بعدة خطوات ولكنه مُحاصر بالوقت ذاته فإن تحرك خطوةً واحدة

ستأخذه العواصف معها وينتهي به الحال إما مُصطدماً بكوخه وإما مُصطدماً بجبل أو صخرة في الطريق الذي ستأخذه العاصفة إليه، لا يدري ماذا يفعل وهو متمسك بقوة بقطعة من حديد مغروسة بالأرض كان واضعها ومثبتها في ذلك المكان لمثل تلك العواصف حتى لا ينتهي به الأمر طائر معها في الهواء وفي وسط تفكيره ذلك سمع صوت ابنته قادم من الكوخ صائحة فيه بخوف وقلق فزع من سماعه صوتها وهو يُميز تردّات القلق والخوف فيها، فلم يُعد يدري ما الذي يفعله؟. هل يترك يده ويطيّر مع العاصفة على أمل أن يصطدم بالكوخ ويزال حياً أم ستأخذه العاصفة لمكان آخر بعيداً عن ابنته تاركاً لها وحيدة في مأزقها ومعاناتها وهو لا يدري هل سيظل حياً بعد تركه ليده أم سيموت ويتركها وحدها في تلك الصحراء وسط كل هؤلاء الاعداء الذين يريدون الحصول عليه وعليها أحياء، أم يظل جالس في مكانه على أمل أن تنتهي العاصفة قريباً ولكن ماذا لو هناك شخص يهجم عليها الان؟. ماذا سيكون مصيرها حينها؟. إنه في موقف صعب للغاية مُخيراً فيه بين حياته وحياة ابنته لم يفكر كثيراً في تلك المقارنة لأنه يعلم من سيختار، فترك يده بدون تردد ولا خوف فأخذه العاصفة بقوة شديدة ليطيّر في الهواء غير متمالك لنفسه ولا مُتحكم بها فقوة الرمال هي التي ستصنع قرارها ما بين وصوله لابنته أم فراقه عنها، طائر بقوة وسرعة كبيرة يتنفس بصعوبة باللغة مر بجانب الكوخ بعدة خطوات لمحت عيناه أبنته مُعلقة في الهواء ومتمسكة بالكوخ بقوة، أراد أن يصرخ فيها يخبرها بأنه هنا وأنه أراد إنقاذها ولكنه الان كل ما يريده هو الاعتذار لها لما مرت به وكل ذلك بسببه هو، تطايرت دمعته من عينيه وسلكت طريقها بين الرمال حزينة

دافئة ومُطمئنة في ذات الوقت أن أبنته مازلت في أمان حتى فراقه لها، فهو لا يعلم هل سيعيش أم سينتهي به الأمر مفارق للحياة...!

آه، أخيراً ذهبت الشمس بلهيبها الحارق وبدأت الرمال تهدا قليلاً وتُنفس عن سُخوتها شيئاً قليلاً، لقد أحترق جلد جسدي من سخونة الرمال وحرارة الجو الذي لا يتواجد به شيء أختبئ في ظله، أنا منطرح على وجهي منذ ساعات لا أستطيع التحرك ضعيف القوى هزيل الجسد مخمول مُتعب للغاية، أشعر بظماً رهيب وجوع مُميت، لقد تعبت حقاً، مُرهق للغاية، ولم أعد أستطيع تخيل شيء سعيد في تلك المُصيبة السوداء التي وقعت بها، عقلي أصبح مُنهك للغاية لا يُفكر في شيء سوى المياه والطعام لأستعيد طاقتي المُهدرة، لا أعلم ما الذي يُمكنني فعله الان لأنجو، يقولون إن الأنسان يستطيع العيش بدون مياه لثلاثة أيام وبدون طعام لمدة تتراوح ما بين الأربعون والثلاثون يوماً، مما يجعلني ذلك إن صدقوا في ساعاتي أو دقائقي الأخيرة قبل أن أقول للدنيا الوداع، أفكر في طريقتين للنجاة، الأولى تبدو مبتذلة للغاية ومؤلمة بعض الشيء ولكن أضرارها أكثر من نفعها العائد لي، والثانية مقبلة ومثيرة للغثيان ولكن الأفضلية تعود لها، أما الطريقة الأولى وهي بخلع تلك القماشة السوداء اللعينة التي تضمد جرح يدي المؤلم للغاية وامتنصاص قطرات من دمائي ولكني أقول لعقلي ما الفائدة التي ستعود لي لن أستفيد شيء غير فتح الحرج مرة أخرى ودماء تسيل منه انا في أمس الحاجة اليها للبقاء على قيد الحياة، وأما الطريقة الأخرى هي شراب بولي، مقذذة للغاية ولكنها الأفضل ولكن بالتفكير في ذلك الأمر يتواجد عقبة واحدة أمامي، أين سأحتفظ بالبول؟ فأنا كما بدأت، نصف عاري،

بنطال أزرق قصير بلا جيوب ولا حافظات، أحمم ولا وجود لملابس داخلية أيضاً، أصبحت كالغريق، عالق في بحور أفكاره وقيود معاناتي، أبحث في ذاكرتي عن أي ذكرى سعيدة تُبعدي عن ألم واقعي فأجد الكثير ولكن سرعان ما يحترقوا من حرارة الواقع المرير، أفكر وأفكر كيف كنت وكيف أصبحت ومن سأكون في هذا الأمر العصيب والزمان يمر بي ويأخذني بين أيامه، فعشت وتعايشت ما بين ليلة سعيدة وأخرى حزينة، بين يوم ضاحك ويوم عبوس، لقد مررت بأيام سعيدة أكثر من أيام حزينة لا أعلم هل حان وقتي لأعيش أيامي الحزينة، أم لأعلم كيف كنت في نعيم وراحة غير شاكر لهم ولكنني كنت شاكر وممتن للغاية، أم ماذا يحدث لي...؟

لا أعلم لماذا ذلك المشهد يتردد بعقلي الان، لم أتذكره من قبل فلما الان.؟. انا لا أتذكر فقط بل إني هناك أعيشه من جديد في ذات التوقيت بعد غروب الشمس بقليل عُدت للمنزل بعد يوم شاق وطويل في الجامعة، متعب ومرهق للغاية قابلتني أمي ببسمتها وحنانها المعهود والتقطت مني الحقيبة ثم أسرع إلى إخوتي مطلقين لأذرعهم العنان وارتموا بأحضانني ضاحكين سعداء مشتاقين، فضممتهم إلى صدري بقوة، كم كان ذلك الشعور رائع للغاية ومريح أضع تعب اليوم وقتل الإرهاق وتبدد الخمول، ذهبت أمي لتحضر لي الطعام وذهبت انا للاستحمام، انتعاش ما بعده انتعاش، دخلت الحمام بكسل ولكنني خرجت بنشاط وحيوية بالغة، توجهت لثلاجتي الرمادية الكبيرة فوجدتها مليئة بالخيرات من الفاكهة والخضروات، لم يكن كل هذا هو سبب فتحي لها بل كانت هذه الزجاجاة السوداء المليئة بالمشروب الغازي الأسود، الذي لطالما أطلقت عليه بمشروبي الروحي، التقطتها وذهبت للشرفة الساحرة أتأمل

الكون المتحرك بسكون أسفل مني وأراقب بهدوء وبسمة ضحكات الصغار وهم يلعبون ويمرحون ويضحكون، أين ذهب كل ذلك الان وأنا أفكر في كيفية تناولي لبولي المقيت، أين ذهبت السعادة والراحة، أين ذهب الحنان والاشتياق، أين ذهبت الأموال التي كنت أجمعها ليل نهار، أين ذهب البكاء والنحيب على فقداي لأشياء كثيرة، أين ذهب كل هؤلاء الان.؟ هل مَن منهم سوف يأتي لإنقاذي من هذا الهلاك.؟ لم أتوقع في يوم أن كل ذلك قد يحدث لي!! ومن منا قد يعلم ما الذي قد يحدث له في أي لحظة وأي مكان!! فنحن أهل الفناء الخالدون، قد يكون الموت لي أمر بسيط عندي، قد أكون لا أحتاج لحياي ولكن هناك من يحتاجون لي

هناك من يعتمد عليّ، لذا فلن أستسلم مهما كانت الصعاب من أجلهم، سانجوا بأي طريقة كانت، سأشرب البول كأنه النقاء وسأكل الثرى كأنه الحلوى، سأفعل أي شيء لأعود لكي أُمي انتِ وإخوتي. لقد وقفت على أقدامي، بصعوبة أجل ولكن مليء بالطاقة ومفعم بالحيوية، طاقة العزيمة وحيوية الأمل، أتحرك في الظلام إلى مجهول لا أكاد أرى شيئاً ولكن كُلي أمل في الله أن يدُلني إلى شيء ينقذني وإلى أمان يأويني، النجوم تبدو متألقة اليوم للغاية بدون القمر، يبدو أنهم سعداء بعدم مجيئه لأنه يسرق الأضواء منهم والهواء شديد ورائع البرودة يملئ النفس بالطموح ولكني أسمع هزيز لريح قوية قادمة لا أعلم هل هي تمر بجانب أم قادمة من أمامي أم من خلفي ولكن يبدو أنني لن أنتظر كثيراً لأعلم من أين ستأتي لأنني أشعر بتدفق الرمال من خلفي بقوة تلسع جلدي، وعندما هممت النظر إليها حملتني بين يديها بقوة استطاعت بقوتها حملي من فوق الأرض لأعلى عدة أمتار، أنا الان طائر مثل الطيور

ولكن الفارق كبير بالتأكيد، فهم يتحكمون بأنفسهم ولكني لا أستطيع التحكم بنفسني وسط تلك العاصفة القوية، لقد كنت أظن أن الأمر غير حقيقي حتى رأيته الان وأعيشه، كنت استهزاء بمن كان يخبرني أن العاصفة تستطيع تحريك سيارة كبيرة معها مثل تحريك الصبي للدمية ولكن إلى أين ستأخذني.؟ كم هذا السؤال مبتذل للغاية لأنني أشعر أنني سأموت بالاختناق قبل تركها لي.

تتحرك وسط ممر ضيق للغاية مشع بالإضاءة البيضاء القوية على جدرانها سماوية اللون ويملئ قلبها الخوف والتردد الشديدين

مما هي مقبلة على فعله وعلى تنفيذ القرار التي قد اتخذته، تتحرك ببطء وتردد خطوة للأمام وأخرى للخلف تفكر في قراره نفسها، أتذهب لتسأل أين ألقوا به أم تذهب لغرفتها الصغيرة، وعندما فكرت بغرفتها انتابها الشعور الكئيب وتذكرت كم عانت في تلك الغرفة الملعونة وكم تمت لو تذهب في يوم بعيداً عنها ولا تعود لها مرة أخرى، وصلت إلى مفترق طرق بين أربع ممرات، واحد أمامها وهو المؤدي الي غرفتها والذي عن يمينها ينتهي بغرف المؤشرات والمراقبة أما الذي عن يسارها فنهايته بغرفة الزعيمة وغرف القادة وهناك يتواجد كل المعلومات التي تريد السؤال عنها، تصاعدت دقات قلبها وهي تفكر أي ممر تسلك!! إلى الغرفة أم الى ما تريد.؟ زفرت بقوة وخيبة أمل عندما فكرت في الذي سيحدث لها إن شكك هؤلاء بتساؤلاتها، فتحركت ببطيء الي غرفتها وقبل أن تنزل قدمها بأول خطوة سمعت تردد صياح قادم من غرفة القادة، فتحركت ببطء وخفوت وحذر شديد لتستمع لما يُقال ولكن

عندما اقتربت من غرفتهم سمعت صوت قادم من غرفة الزعيمة
فألصقت بأذنها فوق الباب وهي تراقب الممر بحذر وخوف فسمعتهم
وهم يتحدثون بصوت ضعيف

ماذا فعلتم؟ تتساءل الزعيمة بضجر

لقد فعلنا كما أمرتينا أيتها الزعيمة. أجابها صوت غليظ قوي، ثم اتت
نبرة صوت مختلفة عن سابقتها

لقد جهزناه بكل ما أخبرتنا به وألقينا به كما أمرتي في مفترق الطرق بين
الحدود.

تبسمت للحظات عندما سمعت تلك الكلمات وقد تفكرت في المكان
الذي قد يتواجد به وتظن أنها قد تتوصل إليه فهّمت بالتحرك والعودة
لغرفتها لتجهيز احتياجاتها للرحيل ولكن عندما خطت أول خطوة للأمام
شعرت بيد فوق كتفها الأيمن ثم أتى الصوت من خلفها

ماذا كنت تفعل أيها (الطيب)؟.

اللعنة، قالتها بداخلها وهي تفكر ماذا تقول في مثل هذا الموقف، ولكن
مهما يحدث لابد أن تتمثل الهدوء بكل كمالياته استدارت برفق متدخلة
بهدوء

لقد كنت أنتظر حتى ينتهي من بالداخل لأقابل الزعيمة ولكن
عندما شعرت أن الأمر سيطول أردت الذهاب والقدوم في وقت
لاحق.

ضم حاجبيه الغليظان بتعجب وحيرة تحركت شفتاه من خلف قناع
وجهه الأسود

سبب مقنع ولكن ما رأيته يخبرني بغير ذلك تماماً.

وما الذي رأيته؟. تساءلت بحزمٍ وعين صارمة قوية

تنحني باضطراب وقلق

لا شيء، لا شيء، يبدو أن الامور قد التبست على عقلي أسف
للغاية أيها القائد (الطيب).

تنفست الصعداء بقوة ثم تحركت إلى غرفتها لتجهز أغراض رحيلها ظل
الرجل واقفاً يراقبها بأعين مأكرة ونظرات خبيثة وعندما انعطفت لممر
غرفتها تحرك مسرعاً إلى الغرفة المقابلة لغرفة الزعيمة، فتح الباب بقوة
وتحرك بين سرائر كثيرة مقابلة لبعضها البعض يتكون كل سرير من
طابقين، فضي اللون حتى وصل إلى تجمع هائل بين الرجال ملتفون
حول بعضهم البعض يلعبون الكارد، توجهت الانظار إليه عندما توقف
أمامهم

إبراهيم سيد كرم

أجلس ألعب معنا. تدخل أحدهم بضحك

أجل ينقصنا واحد لنلعب الكروت الخمسة. تحدث آخر

تحدث بقلق واضطراب

لا وقت للعب الان، استمعوا لي جيداً لقد رأيت أمر خطير للغاية.

تغيرت ملامح الجميع من الضاحكة إلى الحاذرة، بجد وحزم تدخل أولهم

ماذا رأيت.؟.

مُستلقيه على فراشها الوردي الصغير وفي يديها دميته المحببة إلى قلبها، العروس ذات الفستان الأبيض الطويل تحركها يميناً ويساراً ومن أعلى لأسفل وهي ترتدي ملابس النوم خاصتها المنقوش عليها ديبه برية كثيرة مختلفة الالوان والأشكال، فتح باب الغرفة المضيئة بإضاءة بيضاء قوية وجدران زهرية اللون لامعه ودخلت الأم وقبلت رأس طفلتها بحنان

عزيزتي (سلمى) ألن تأتي لمقابلة الضيوف.؟.

قالت بضجر

الجحيم الأصفر

إن أخي كان يجلس بغرفته عندما يأتوا ثم يخرج حين يذهبوا فأنا
سأفعل مثله الليلة حتى يأتي.

تنهدت الأم بآلم عندما علمت أن أطفالها مازالوا متأثرون بغياب أخيهم

حسناً عزيزتي سأخرج أنا لمقابلتهم كالمعتاد.

أطفئي المصباح وأنت مغادرة أرجوك يا أمي.

حسناً فالتصبحين على خير عزيزتي..

أصبحت الغرفة شبه مظلمه، غير إضاءة بسيطة تأتي من النافذة بجانب
السريـر الصغير تقلبت إلى جنبها الأيمن ووضعت الدمية أمام عينيها
السوداء اللامعة ثم بدأت تتحدث إلى دميها

لقد أتت خالتي وأبنتها المزعجة اليوم للسؤال عن أخي ويريدون
معرفة مكانه الذي لا يعرفه أحد البتة أنا ايضاً لا اعرف مكانه، إن كنت
أعرف لما بقيت هنا ولو للحظة واحدة، كنت سأذهب إليه في الحال انا
أشتاق إليه كثيراً، هل تعلمين أنه هو الذي أعطاني إياك في عيد
مولدي السابق عندما أخبرته أنني أريد دمية مثلك فأحضرك لي على
الفور، فأنا أريده الان، هل تستطيعين أن تذهبي وتحضره لي كما
أحضرك هو لي؟ لا أعتقد ذلك! أمي تخبرني أنه قادم في وقت قريب،
أتمنى أن يأتي مسرعاً فقد اشتقنا جميعاً له.

همم، لقد نجوت بأعجوبة. قالتها وهي تنظف بنطلها وسترتها من الأتربة
بمنتصف الكوخ فوق فراشها الرملي

لا أصدق أني نجوت بالفعل!! لو لم أعلق قدمي بداخل الكوخ لما كنت
نجوت من تلك العاصفة اللعينة، التي أصابتني بالذعر عندما استيقظت
بدقائق، حركت يداها لتفكر برأسها، يا إلهي لقد أمتلى شعري بالرمال،
امم ماذا أفعل الان.؟.

تحركت وتوجهت إلى نهاية الكوخ بأحد الجوانب والتقطت جردل ماء
أبيض اللون نزعت الغطاء ونظرت بداخله

يا إلهي لا يتبقى الا القليل من المياه، كيف سأنظف شعري الان.؟
بالتأكيد لن أستطيع الذهاب إلى البئر الان وجلب المياه بسبب تلك
العاصفة الحمقاء وأيضاً لا أستطيع إهدار المتبقي من المياه لأنني لا
أعلم متى ستنتهي تلك العاصفة.؟ لا أعلم ما الذي على فعله.؟ أبي
أين أنت الان.؟

تتحرك بهدوء وحذر في الظلام وقلبها ينبض بقوة من الخوف والقلق
وهي تعبر بين أخطر منطقة كانت تفكر بها نهاية طريق الألم وبداية
طريق الحرية والتوجه إلى بسمة الأمل التي عبرت إليها بحنان وجاءتها
على اشتياق تتحرك بين المباني في الظلام بهدوء كي لا يلاحظها أحد من
هنا أو هناك والمباني عن جانبيها كثيرة ومتراصة على التوالي وحقيبتها
الرملية معلقة خلف ظهرها، مشدودة ومعقودة حول جسدها بقوة، وهي

ترتدي اللون الجملي الذي يشبه لون الرمال حتى لا تنكشف وهي تتسلل للخارج هاربة بعد عناء كبير ومشقة بالغة وذكريات مؤلمة وتعذيب طويل وقمع نفسي مرير أسرع من خطوات قدمها وقد ظهر آخر مبنى يقف بينها وبين حرقتها، تسرع وتسرع ودقات قلبها تنبض بقوة وجنون السعادة والخوف مزيج غريب يراودها الان في تلك اللحظة المصيرية بالنسبة لها، لحظة حياة أو موت، فإن عبرت هذا المبنى الأخير فقد نجوت بحياتها لأنها تستطيع الخفاء بداخل الصحراء المظلمة بسهولة ويسر وإن لم تعبر وعلمت الزعيمة أنها تحاول الهروب فستموت بكل تأكيد ميتة شنيعة غير يسيره البتة، وضعت قدمها بأول المبنى في محاولة اجتيازه بأمان

عرضه لا يتجاوز المائة متر بطلاء أحمر اللون بارتفاع طابقين فوق الأرض، اجتازت نصف المبنى بأمان ويتبقى النصف الآخر الذي يقف بينها وبين حياتها وموتها، اللعنة على ذلك الشعور، قالتها وقد عبرت المبنى بأمان وسلامة لم تتحرك خطوة واحدة بعد المبنى حتى جاءها الصوت من خلفها

(الطيب) إلى أين أنت ذاهب؟

زفرت بقوة وهي تقول بداخلها، لقد كنت أتوقع ذلك الأمر. استدارت بسرعة وهي تسحب إحداي سكاكينها من جانيها، فقامت بجرح أولهم جرح مميت بعنقه وطعنت الآخر في قلبه وكل ذلك فعلته في أقل من الثانية، همست في أذن المطعون بقلبه وسكينها ما زل بداخله

كنت أتمنى أن تمر الليلة بهدوء وسلام ولكن يبدو أنك مازلت مصر
على جعلها غير كذلك ثم إني لم أعد ذلك الشخص المدعو بالطيب
بعد الان.. فيأسمي هو (رحمة).

هناك شخص ما

(الطيب) ... إلى أين أنت ذاهب؟

زفرت بقوة وهي تقول بداخلها، لقد كنت أتوقع ذلك الأمر. أشاحت بنظرها للخلف ببطء غير ملحوظ، وجدت اثنان ملثمين واقفين بجانب بعضهم البعض، الفارق بينهم خطوة أو اثنين، لم تفكر كثيراً في الذي عليها فعله في ذلك الوقت بل استدارت بسرعة وهي تسحب إحدى سكاكينها من جانبيها، فقامت بجرح أولهم جرح مميت بعنقه وطعنت الآخر في قلبه وكل ذلك فعلته في أقل من الثانية، همست في أذن المطعون وسكينها مازال بداخله

كنت أتمنى أن تمر الليلة بهدوء وسلام ولكن يبدو أنك مازلت مُصِر على جعلها غير كذلك ثم إني لم أعد ذلك الشخص المدعو بالطيب بعد الآن فأسمي هو (رحمة) الوداع.

قالتها وهي تسحب سكينها للخارج ببطء، تنهدت وهي تنظر لشفرة السكين الحادة وهي تقطر بالدماء الغزير فكرت للحظات أن تحتفظ

بالسكين كما هو مُلطخ بالدماء لِيُذكرها بذلك اليوم الذي سيكون يومَ تاريخياً بالنسبة لها لأنه اليوم الذي ستحصل فيه على حُريتها المسلوقة منها مُنذ الصغر بين هؤلاء القوم الذين يُعاملونها بكل قسوة وتحتفظ به بداخل حقيبتها السوداء كما هو الحال بجانب عُشاقها من الشفراء الحادة المثيرين لشهوتها وغريزتها الدامية ولكنها لا تريد أي شيء يُذكّرها بذلك المكان ولا يُعيد لها ألم الماضي ووحشته، فانحنت بملل وقامت بمسح سكينها بقميص الجثة الأسود ثم أعادته مكانه إلى رباطه الشريطي العريض الملفوف حول خصرها وهي تعتدل متحركة إلى داخل الصحراء تنهدت براحه وهي تتحرك ببطء وانسجام ولا تكاد تُصدق أنها سوف تحصل أخيراً على حريتها المعهودة وتتجه إلى تحقيق حلمها وأملها في الحياة الذي لطالما فكرت به كثيراً وتخيلته ليال طول، يفكر علقها في الذي قد يحدث في ذلك الوقت وهل ذلك الرجل أخبر أخرون أم أنه أخبر شخص واحد فقط ، تعتقد أن هناك شيء خاطئ وتتساءل بداخلها كيف يمكن لشخصان مازالوا مبتدئين أن يحاولوا الوقوف أمام قائد ، وتقول أيضاً أنهم بكل تأكيد يعلمون الخطورة الناتجة عن ذلك الأمر ، ولكن هل يعقل أنهم كانوا يريدون إيقافي وحدهم من أجل الشهرة والمجد في تلك العائلة المجنونة ولكن من سيصدقهم عندما يحاولوا تكذيب قائد كبير في العائلة ، مم بالتأكيد هناك أمر غريب وراء ذلك الحادث ، و أظن أنني أعلم من خلف كل ذلك وما الذي سيفعله ولكني مستعدة له ولجميع احتياطاته و تحذيراته الخبيثة ، لقد كان يريد الإيقاع بي منذ مدة طويلة وأظن أنها فرصته الوحيدة المتبقية له وأظن أيضاً أنه سيحسن استغلالها جيداً ، وقد حان الوقت لتحديد الأقوى إما أنا أو هو ... أخذ عقلها ييث بأفكار الهروب بداخلها ولكن أتى الصوت من أعماقها

يُحدثها بأنه لا فائدة من الهروب فإن كان يعلم فلا بد أنه سيكون قد وضع المراقبة والحراسة على جميع المخارج والمنافذ التي قد تهرب منها وأغلق جميع الفرص أمامها، تنفست الصعداء وهي تتحرك إلى الصحراء وقد أخذت خطواتها في التسارع وقدمها يتسابقان مع بعضهما البعض اليمنى تسبق اليسرى واليسرى تسبق اليمنى، تنهدت مرة أخرى وقد ابتعدت تمام البُعد عن ضوء المكان وارتمت بأحضان الظلام في قلب الصحراء الخاوية، تُخيفها لفتاتها ويهزها صدى ورنين أنفاسها وقد بدء ييث الخوف في قلبها وهي تفكر فيما الذي قد يحدث لها إن تم إمساكها، فتذكرت التعذيب الذي قد لاقته منهم وبدأت أصواتها الصارخة تتردد بداخل أذنها فأخذت تعدو وتعدو، سقطت على وجهها فوق الرمال من الخوف وقد سمعت صدى رنين صارخ قد أصدع المكان الهادئ وقفت على أقدامها وأغلقت عينها وهي تأخذ نفس عميق ثم أفرغته بهدوء والصوت يأتيها من داخلها محملاً لها لما الخوف انت لم تفعل أي شيء خاطئ هذا حقيّ وها قد أتت فرصة انتزاعه من أيديهم كما كنتي تحلمين دائماً ولا يوجد الان إلا طريقتان ليس لهم ثالث، إما حريرتك أو الموت القرار قرارك والحياة حياتك فاغتمني الأفضل للمستقبل..لمعت عينيها الزرقاء بلمعان الضوء الأحمر الساقط أمامها من السماء، ضوء الشهاب وهو يحترق وقد امتلأت بالثقة والعزيمة وضعت يديها فوق خصرها بثبات وعزيمة صرخت بأعلى صوتها الرفيع الحاد

(سالم) ... أنا أعلم أنك هنا تختبئ خلف رجالك مثل الجرذان

فأظهر نفسك وكن رجلاً.

ظهر صوت تكتكة عالٍ ثم ظهر ضوء شديد مُسلط على رجل لا يظهر إلا
ظله في ذلك الظلام تحدث بسخرية

يا أسفاه أيها (الطيب) لقد وقعت في النهاية معي كما أخبرتك من
قبل، لقد حذرتك ولكنك لم تستمع لتحذيري فلا تلومن إلا نفسك
أيها الخائن أم تريد مني أن أقول أيتها الخائنة القذرة، لا تقلقي لن
أقتلك بنفسي فأنا لا ألمس القذارة سأجعل رجالي ينالون شرف
اغتصابك فوق هذه الرمال وبالتأكيد سأستمتع بالمشهد الرائع
وسأستمتع أكثر بصوت صرخاتك العفنة.

أتى الصوت مرة أخرى وكأنه يقول تريك تريك بطريقة عالية ثم ظهر ضوء
شديد عن يمينها كشف عن ظل رجلان واقفين بجانب بعضهم البعض
أحدهم يمسك بشيء طويل في يده وكأنه قطعة حديدية طولها لا يتجاوز
الستون سم، ثم كشف الضوء الذي عن يسارها عن ظل اثنين آخرين
واقفين بجانب بعضهم كحال الأولين، ثم كشف الآخر عن اثنين آخرين
من أمامها واقفين أمام الرجل الذي كان يتحدث، حركت رأسها للخلف
ببطء وهي تنتظر أن يظهر أشخاص آخرون ولكن لم يظهر شيء فنظرت
أمامها لتجد الأشخاص قادمين مسرعين باتجاهها، تنفست بهدوء وعينها
الزرقاء تنتقل بسرعة رهيبية بين الثلاث أماكن، أمامها وعن يسارها وعن
يمينها وقد غزت ملايين الأفكار عقلها ومئات ملايين الصور والحلول في
تلك اللحظات القليلة فبدى لها كل شيء يسير ببطء شديد جداً وهي
تقوم بتحليل الموقف وتوقع الضربات التي سوف يقوم بفعلها هؤلاء
وقعت عينيها للأمام فقامت بتحليل الأمر وهي تراهم يتحركون ببطء

شديد وكأنهم يعدون في مكانهم ثابتين، الظلال تكشف عن عرض أجسامهم النحيل وطول متوسط، الشخص الذي عن يسارها يمسك بيده اليمنى سكين واليسرى فارغه والشخص الذي بجانبه يده فارغه يبدو وكأنه من النوع القتالي بالأيدي العارية... انتقلت عينيها إلى الأشخاص القادمون عن يمينها جسد عريض غليظ ويحمل في يده مطرقة حديدية والأخر متوسط القوام ولا يحمل شيء

وعن يساري أثنين قصار الطول نحفاء الجسد ولكنهم هم الأسرع يبدو أنهم محترفون في القتال حسناً إنهم يتحركون معاً يبدو أنهم يريدون الوصول والهجوم في آن واحد وإن فعلوا ذلك فبالتأكيد ستكون نهايتي، إذا لابد أن أتحرك لهم أنا وأقاتل كل مجموعة وحدها حتى تكون الأفضل لي وليس لهم زفرت بقوة وقد عاد كل شيء مكانه وعاد لها عقلها الذي قد فقدته بين أفكارها ومعه الفكرة النهائية التي قامت باستخراجها من كل تلك الأفكار المهولة، فأخذت تعدو إلى الأمام باتجاه الشخصان القادمان لها بقوة، وعندما اقتربت قام الأول بمهاجمتها بسكينه الذي في يده اليمنى بطعنة أماميه في الصدر فقامت بصدها بيدها اليسرى من الداخل إلى الخارج بقوة كبيرة ثم قامت بنحر عنقه بيدها اليمنى بواسطة أحد سكاكينها الحادة من الخارج للداخل، فقام الآخر بمهاجمتها بركلة جانبه بقدمه اليسرى يستهدف الرقبة فتفادتها بإنحاء سريع من أعلى لأسفل ثم قامت بتمزيق جانبه الأيسر باستدارة سريعة بيدها اليسرى من الخارج للداخل فسقط على الأرض، فسمعت حفيف الضربة القادمة لها بقوة من خلفها فالتفتت مسرعة فوجدت المطرقة الحديدية موجهه إلى رأسها من الجانب الأيسر فانحنت بسرعة

كبيرة وقد كادت أن تصطدم برأسها ثم قامت بتمزيق أوتار قدمه اليسرى وهي تتدحرج متقلبه لتتجه للشخص القادم من خلفه فتدحرجت على ظهرها بانقلابات سريعة وقامت بطعن سكينها في عنقه من أسفل لأعلى، وقفت وهي تلهث والدماء تتسائل من سكاكينها كالمطر ونظرت للشخصين الواقفان أمامها يستعدان للهجوم عليها

يتحركون بمكانهم ليسوا بثابتين، قام الأول الذي عن يسارها بتوجيه ركلة جانبية قوية بقدمه اليمنى يستهدف بها عضل قدمها اليسرى فتفادتها برفع قدمها اليسرى وقبل أن تلامس قدمها الأرض وجهت لها ضربة أمامية قوية إلى صدرها من الشخص الآخر فلم تستطع تفاديها فاصطدمت قدمه بصدرها بقوة كبيرة فسقطت للخلف من شدة قوتها، فبدأت بالسعال الشديد وألم شديد بصدرها وصعوبة بالتنفس فقامت بوضع يدها اليمنى بداخل حقيبتها القابضة خلف ظهرها وأخرجت مسدس ٩ ملم وأصابت الأول في صدره والأخر في رقبته وهي مستلقية على ظهرها ولا تستطيع الوقوف من التعب، قالت بضجر عندما سقط الاثنان أموات بطلقاتها السامة

*يا إلهي مازلت ضعيفة ومستوأي ضعيف في القتال كما أنا ولكن
من الجيد أنني جلبت معي سلاح ناري.*

قامت بالوقوف بصعوبة بالغة على أقدامها وصاحت باتجاه الظل الأخير
الواقف أمامها

لقد حان وقتك يا (سالم) اللعين.

أنت الضحكات متعالية متتالية بتعالٍ وتكبر وسخرية

حان وقتي ... يبدو أنكى لا تعلمين من أنا جيداً ... فقام بالتصفيق
بيديه ليظهر أربعة أشخاص أمام الضوء مكان الآخرين بكل اتجاه.

عزيزتي الذين ماتوا ما هم إلا البداية فقط ويبدو أنكى لم تتحملي
وهذا سيء جداً لكي ... وجيد لي.. إذا ماذا ستفعلين!!

نظرت حولها وهي واقفة بصعوبة وإرهاق شديد، فوجدت أربعة أشخاص
عن يمينها ويسارها ومن أمامها فتنهدت بضجر.

اللعنة، يبدو أنها ستكون ليلة طويلة.

لا أعلم لماذا أريد الضحك أو بالتحديد لماذا أضحك، هل أضحك على
ذكريات حياتي التي تمر أمام عيني الان كلها لحظة بلحظة وموقف
بموقف، أسمع كل كلمة قيلت لي ذات يوم وأسمع كل كلمة نطقت بها
أيضاً، أراقب بعيني وأتحسر، شعور بالحسرة غريب، أتحسر على حالي
وكيف كنت محاصرٍ لنفسي ما بين ثلاثة أماكن الجامعة والعمل
والبيت، كم كنت غيباً أنا، لم أعطي نفسي حقها لم أستمتع كما فعل
الكثيرون مما هم في مثل عمري لم أرى الدنيا، لم أضحك كل ما كنت
أجيده هو البكاء على كل صغيرة وكبيرة، الدموع كانت أقرب مني عن

الضحكة وكان الناس دائماً ما يستغربون دموعي، أتذكر ذات مرة عندما رأيت قطة ميتة قد دهستها سيارة فأصبحت هي والأرض شيئاً واحداً، كان مشهد فظيع للغاية لم يؤثر بي ولكن ما أثر بنفسني هو مواء طفلتها عليها، دموع عيني لم تستأذن الخروج ولكن المواقف تداخلت حينها وتذكرت وقعتي مع أبي فبكيت وأنا أتسائل أين هو الان وهل يتذكر ذلك المشهد أم تركنا ولا يريد تذكرنا أيضاً ولكن سرعان ما تلاشت الدموع وبدأت بالضحك والتقهقر بصخب عندما تقدم نحوي رجل في أوائل الثلاثينات

يقول لي لا تبكي إن الرجال لا يبكون وأنت رجل، الضعفاء فقط هم من يبكون. تبسّمت له وأردت أن أسئلة أليس الرجل إنسان وله مشاعر ولكن يبدو أن معه حق وأن الضعفاء فقط هم من يبكون، فأنا ضعيف بالفعل أتذكر كيف كان الكثيرون يعتدون على بالضرب وكنت أسامحهم، كنت أفعل ذلك ليس لأني شخص كريم بل لأني لم أستطع الدفاع عن نفسي، لو كنت أستطيع لما تركت أحدهم يمد يده علي، كنت أشعر بالغضب وعندها أتوارى عن الأنظار وأبدئ بالبكاء أكثر شخص لاقيت منه الإهانة هو ذلك الأحق المدعو (نبيل) كان دائماً ما يقابلني في الجامعة ويأخذ أشياء كثيرة مني أموال ومذكرات مهمه وملخصات كنت أكتبها لنفسي وأتذكر أنه أخذ مني هاتف ذات مرة وعندما سألتني والدتي عنه أخبرتها أنني فقدته في الطريق وعندما أعود لها منتفخ الوجه متورم وتساءلني السبب أخبرها أنني سقطت ومرة اصطدمت بشيء ولكن كانت أمي دائماً تُرمقني بنظرات مأكرة أظن أنها كانت تعلم الحقيقة ولكنها كانت تمتنع عن الحديث فيه حتى لا تجرح مشاعري، كم كانت

ذكية أمي وكم أشتاق لها الان لو تعلم مكاني لأتت مسرعة ولكنها كانت ستنصدم عندما تراني هكذا وأنا مصاب بالجفاف وقد بدء، لا، أظن أنه في آواخر مراحلها، إحساس شديد بالعطش والتعب والخمول والإجهاد البدني جفاف في لساني وفمي وشفتي أصبحت نحيفه للغاية، خفقان في القلب شديد جداً، غير أن فوقي سائر ترابي كبير أظن أنه من العاصفة بعد أن ألفت بي لا أعلم أين ولكنني بالقرب من قمة جبلية، الشمس في ساعاتها الاولى لم يأتي الحر بعد وأتمني ألا يأتي الان لأنه إن أتى فهذه هي نهايتي بكل تأكيد، مهلاً، مهلاً أنا أرى شيء يتحرك امامي، شيء مدفون بالرمال

يا إلهي، هناك شخص ما يبدو أنه ميت ولكنه للتو تحرك، أرى قطرات دماء تسيل من رأسه ولكن لماذا لا أرى غيرها أين بقية جسده؟ بدء بالسعال الشديد أظن أنها من أثر الرمال بفمه، مهلاً قد يكون معه ماء، ماء يعني أنني سأنجو حاولت التحرك إليه ولكنني لم أستطع تحريك جسدي، يبدو أنني فقدت السيطرة على جسدي، هل هذه إحدى أعراض الجفاف.؟.

ساء...عد...ني أر...جو...ك. حتى صوتي لا يخرج، اللعنة على حظي الأسود لم يتركني حتى في الصحراء أشعر بأني سأفقد الوعي، اللعنة، ليس هذا وقتها البتة، هل هذه هي نهايتي أموت بحسرتي هكذا.؟. النجاة أمامي ولكنني لا أستطيع الوصول إليها!!! وهل يكون ذلك إلا حظ أسود لعين!! ولكنني لن أستسلم للموت الان، لن أستسلم للموت، سأعيش من أجلهم، أمي، (سلمى)، (سالي) سأعيش من أجلكم، يمتلئ قلبي بالعزيمة كلما تذكرتهم، إنهم أمني في الحياة استطعت التحرك زحفاً إليه،

أزحف بصعوبة ومشقة ولكني أقترب منه شيئاً فشيئاً، يبعد عني حوالي
خمسون خطوة فقط لا أشعر بقدمي البتة!! لا اعلم هل أصبت بالشلل أم
ماذا حدث!! ولكن يدي هي المستولة الان، يبدو أن الجفاف قد أهلك
قدمي لا يهم الان أظن أنه تأثير قلة الماء في الجسد فأنا في لحظاتي
الأخيرة وهذا الشخص هو أملي الوحيد وسبيلي للنجاة لقد اقتربت كثيراً
ولم يتبق إلا بضع خطوات ولكن هناك شيء خاطئ، لا أرى بقية جسده لا
أرى غير رأسه وأكتافه وبقية جسده مدفون تحت الرمال!!! ساعدني
أرجوك!!! قالها لي عندما اقتربت منه كثيراً وهو يسعل بشدة وينفث
الرمال القابضة بفمه،

م. ي. ا. ه. أ. ر. ج. و. ك.، اللعنة صوتي لا يطاوعني بعد، هل ذلك تأثير قلة
المياه أيضاً أم ماذا.؟.

لا يهم سأفعل أي شيء لأنجو، اقتربت منه كثيراً، لا أستطيع تحديد
ملامح وجهه من كثرة الرمال عليه، ولكنني صحت بأقوى ما عندي، م. ا. ء،
م. ياه مياه مياه اسقني أرجوك..

سألني بجديه وهو يصيح

هل تريد مياه؟

أ....ج....ل..، لم يخرج الصوت، فحركت رأسي من أعلى لأسفل

الجحيم الأصفر

جاءني صوته على غير المتوقع تماماً

إنه مدفون مع بقية جسدي!!!

لم أستطع التحكم بمشاعري، فضحكت ضحكات هستيرية، متتالية
مؤلمة للغاية وأنا أشعر أن قلبي سيتوقف من كثرة الضحك

أشعر كالمريض الذي ذهب لطبيب يداويه فوجد الطبيب يحتاج من
يداويه ...

أرجوك ساعدني.

أر...جو...ك...سا...عد...ني.

من الغريب أننا تحدثنا في آن واحد ولكن يبدو أن كل واحد منا يحتاج من
يساعده.

الهواء البارد يعزف براحه وهناء لخلصات شعرها الأسود المعقود
ليتراقص بين يديه وهي تتحرك ببطء وانسجام تستشعر برودة الهواء
بانتعاش وتراقب الأجواء بأعين سوداء جذابه وهي ممسكة بالجردل
الأبيض الكبير، الشمس تتحرك ببطء بضئها الشاسع الذي يملأ الكون
برؤية ربانيه خالصه والسكون جالس متربع الأقدام فوق عرشه الرملي
الواسع، تتحرك في منتصف الخلاء التام فقط هي والرمال تفكر وتحدث

نفسها بغضب على كيف يرحل أبيها في رحلة استكشافية ومراقبة للمكان المحيط من البارحة حتى الان على حسب اعتقادها وكيف أنه لم يأتي لينقذها عندما كانت مُعلقة بجانب الكوخ وهي على حافة الضياع بين أيدي العاصفة العاتية ولكنها تشعر بالضجر أكثر من نفاذ الماء ولم تغسل وجهها ولم تبلل خلاصات شعرها الذي تهتم به كثيراً، ثم بدأت تفكر في ردة فعلها عندما يعود ويعتذر لها كعادته بنفس الكلمات التي حفظتها عن ظهر قلب من كثرة ترديدها

عزيزتي (كريستينا) أعتذر عن تأخري ولكن لم تعلمي ماذا رأيت اليوم، وعندما أتجاوب معه وأقول ماذا رأيت.؟. يخبرني أنه رأى ثعلب ومرة ذئب وأخرى ثعبان وكل تارة بحيوان جديد ومختلف، أظن أنني سأصرخ بوجهه بقوة وأخاصمه لعدة أيام على تركي وحيدة هكذا ولا يوجد من أتحدث معه في هذه الصحراء اللعينة، إنه خطئي بكل تأكيد لو لم أطلب منه القدوم معه لما كان كل ذلك قد حدث وكنت أعيش حياتي بلندن العاصمة كما يحلو لي، أتسائل كيف هي الأحوال الان وكيف هي أخبار العجوزة

(روز) أظن أنها ماتت لقد مر أكثر من عشرة سنوات منذ جلوسنا بتلك الصحراء اللعينة ولا أعلم السبب حتى الان، أنا أشعر بالخوف في عين أبي دائماً وأرى القلق والحيرة دائماً ما يترددان في صوته ولكنه لم يخبرني السبب حتى الان، مما نحن هاربون ومما هو خائف هكذا فقط لو يخبرني السبب لكان أمر جلوسي هنا أصبح مقبولاً مني وكانت تحولت الأوضاع كثيراً

مهما يكن سأعاقبه بشدة ثم أجعله يعترف لي حتى أتحدث معه ثانية، آه
أخيراً وصلت لبئر الحياة المليء بالمياه، أظن أنني سأغتسل بقسوة حتى
أزيل ذلك الرمل اللعين من كل جسدي.

أضحك أم أبكي لم أعد أعلم ولكن على كل الأحوال تساقطت الدموع
من عيني بلا إرادة ولا سابق إنذار ثم أتبع الدموع شعور حزين لا أدري
من أين جاء ولكن هذه المرة لم أمنع دموع عيني وأطلقت لها العنان
بصرخات تتبع من قراره روي صرخات أظهرت معها الصوت وتأوهات
مكلوم وحيد ضعيف ضائع في عالم مخيف ليس له من مجيب ولا
صديق حميم

كبرت وحدي وتحملت الألم وحدي وتناقل كاهلي بالهم وحدي وبكيت
وحدي وها أنا مفقود متألم ولكن يبدو أنني لست وحدي ولم أكن وحدي
لقد كان الله معي وقد أستجاب لدعائي وأرسل لي ذلك الرجل لينقذني،

ولكن من سينقذنا غير الله ويخرجنا من مصيبتنا هذه، أنا ضعيف
هزيل القوى ميت علمياً وهو مدفون في الرمال حتى أكتافه

أتاني صوته مصحوب بسعال كثير

لماذا تنحب أيها اللعين؟. قم وأخرجني من هنا أريد الذهاب
لأبنتي.. أرجوك أفعّل أي شيء.

لا أستطيع!!!

لماذا لا تستطيع؟

لا أستطيع تحريك قدمي ولا جسدي، لا أملك غير يداي حالياً..

اللعنة!! قالها بيأس وقطرات الدماء تتساقط من رأسه المغلف بالرمال من كل جانب، ظلت عيني تراقب قطرات الدماء السائلة وهي تتحرك من رأسه إلى رقبته حتى تتجمع فوق صدره، قطرات متتالية تتحرك بانتظام وتسلسل فوق الرمال حتى تتجمع ببقعة كبيرة على الصدر، رمال مخلوطة بالدماء تشبه بقعة الماء ولكنها حمراء وليست رمادية، دماء وماء!!!

الفارق بينهم حرف واحد، مهلاً، مهلاً قد تكون الفكرة التي مرت أمام عيني فعالة، لم أفكر كثيراً ثم بدأت بالزحف مرة أخرى حتى اقتربت منه وأكد أن ألتصق به، ظهره كان متكأ على بداية القمة الجبلية وكأنه متكأ على فراش من الرمال وفوقه غطاء من الرمال أيضاً، يبدو ذلك المشهد مألوف لي يذكرني بنفسني وأنا فوق فراشي متكأ بظهري فوق سادتي الزهرية الناعمة وفوقي الغطاء الذي يشعري بالدفء ويترد عني برودة الهواء وأنا جالس إما أقرأ أو أدرس أو أشاهد التلفاز، آه، ذكريات رأسي عند صدره بقيت خطوة واحدة حتى أصل لرأسه، بدأت أزحف بكل طاقتي حتى أصعد لرأسه وبالكاد وصلت وعندما بدأت أقرب فمي من جرح رأسه لأتضرع بضع قطرات دماء صاح في متسائلاً

ما الذي تنوي عليه أيها اللعين.؟.

لم أنتبه له ولم أجيب على سؤاله , ألقىت بفتي فوق الجرح وبدأت أمتص الدماء وهو يصيح و ينبح في , لا أهتم , إنما هي طريقة للنجاة , إن ظلت أفكر بطريقتي القديمة في ذلك المكان الموحش فلن أنجو كما حدث معي و أظن الذي حدث معي حتى الان أكبر دليل لي , لقد كنت أخبر نفسي أن طريقة الحياة في المدينة هي طريقة الحياة في الصحراء ولكنني قد رأيت الاختلاف بأمر عيني , الدماء دافئة بداخل فمي وتنساب بسلاسة الى حلقي لا أميز لها طعم ولا أدري السبب قد يكون الجفاف قد أوقف حاسة التذوق لدي عن العمل كما أوقف قدمي و بقيه جسدي , أشعر برغبة قوية في الضحك وأنا أستمتع لصرخاته الغاضبة وصياحه في قائلاً , أبتعد عني أيها اللعين , أتركني أيها المختل المجنون , لا بد إنه يعتقد أنني مصاص دماء !!!

لا ألومه فإن مذهري يوحي بذلك تمام اليقين , فالقد أصبحت شبه هيكل عظمي ولكن الفارق الوحيد هي طبقة من الجلد الذي أصبح متحجر كالحديد رقيقه تكسوا كامل جسدي وقفص صدري بارز للغاية و عظام وجهي بارزه بطريقه مخيفه , لا اراها ولكنني أشعر بها غير أنني قد رأيت عظام يداي وعظام صدري بالفعل, لا ينقصني غير أن تبدء أنيابي بالظهور وأظافر يدي وقدمي تصبح حادة و قويه وتتحول رغبتني من الماء إلي الدماء ولكنني أتسائل هل سأصبح خالدً , لما لا و أنا سأكون أول مصاص دماء على الأرض , امم ليس سيئ البتة وبما أنني سأصبح خالد بدلا من هادي فلا أريد العيش وحيداً فسأقوم بتحويل أمني و إخوتي حتى

يبقوا معي ولكنني أقلق أن تقوم أُمي أو إحدى إخوتي بتحويل آخرين ،
سندخل حينها في صراع مقيت وسيكون البقاء للأقوى !!! اللعنة!! أين
ذهب عقلي!! ولكن يبدو أن الدماء بدأت بالعمل وقد بدأت أستعيد عقلي
وتفكيري

لقد ألتصق فمي بجرح العجوز ولا يريد تركه، أنجرع بنهم ولا أريد
التوقف ولكن لابد أن أتوقف حتى لا يموت الرجل من كثرة النزيف ولكن
رغبتني وشهوتي ونفسي يمنعاني من التوقف أريد تعويض ما فاتني
ولكن لابد من التوقف، أبعدت فمي بصعوبة من فوق الجرح واستلقيت
على ظهري وأنا أהלِس من صعوبة التنفس، اللعنة ليس الان، بدأت أشعر
بالدوار والغثيان الشديد

السماء تتحرك من فوقي وأشعر ان الجبل يتراقص والرمال تصفق له،
وأشعر بأن قلبي سيتوقف من شدة نبضاته العجوز يقول شيئاً ولكنني لا
أسمعه، أنا. أفقد ... الو.. ع.....ي.

تعدو مسرعة لأعلى القمة الجبلية الرملية والسعادة تغمرها من كل
جانب وهي لا تبالي لأي شيء فإنها قد وضعت قدمها على بداية الطريق
للوصول لحلمها وتحقيق أمانيتها التي كانت حبيسة سنين وسنين
بداخلها وصلت للقمة برشاقة رفعت ذراعها بمستوى أكتافها ثم حركت
رأسها للأعلى ناظرة للسماء الزرقاء الصافية وللشمس التي تتحرك ببطء
ملحوظ والهواء يدفعها للخلف من شدة صيحته وبرودته المنعشة

صاحت بقوة كبيرة وبصوت صاحب عالٍ وحفيف ثوبها الأزرق يملأ
المكان الشاهق

لقد حصلت على حرיתי، أنا حرة منذ والهواء.

استنشقت الهواء البارد بهدوء ثم أذفرت بسعادة وراحة

ما أجمل هواء الحرية ونسيم المستقبل المشرق والأمل المنير.

من كان يصدق أن هذه الليلة الشاقة ستنتهي هكذا، قالتها بحيرة وهي تحرك يديها للأسفل ثم جلست تتأمل المشهد الرائع الذي أمامها من جبال عالية صخرية ورملية مغلفون ببريق أصفر رملي بديع وضوء شمس هادئ مريح للعيون، ثم أخذ عقلها بتذكر المشهد المؤلم الذي كان سينتهي بموتها في الظلام وسط الخلاء على أيدي ألد الأعداء ...

تحركوا جميعا من أماكنهم مسرعين ليقضوا عليها بكل قوة بعدما سمعوا كلمة الانطلاق من كبيرهم (سالم)

تنهدت بقوة وهي تفكر في طريقة للنجاة من ذلك الأمر , فهي بالكاد تستطيع الوقوف على أقدامها و سلاحها الناري لم يتبقى فيه غير أربع طلقات بجانب خزنة إضافية وهكذا يكون العدد عشرة ولكنهم اثني عشر تفكر بفعالها وإن نجحت سيكون أثنان فقط هم من تبقوا ولكن ماذا لو أخطأت هدف ووارد أن تخطئ في هذا الظلام هكذا سيزداد الأمر سوءً

ولكن لا يوجد طريقة أخرى لفعلها فجسدها منهك من القتال السابق وليس أمامها حل آخر، وضعت يدها في حقيبتها وأخرجت الخزنة الثانية وعلقتها في شريطها المعقود حول خصرها ووجهت مسدسها باتجاه القادمون من أمامها ولكن قبل أن تطلق أتي الصوت ضجيجاً من خلفها

وكشف الظلام عن ثلاث عربات سوداء اللون كبيرة توقفوا خلفها تماماً فتوقف الرجال القادمون وثبتوا في أماكنهم عندما فتح الباب وظهرت أقدامها من فوق كرسيتها المتحرك ويدفعها رجل مفتول العضلات شديد القوى ثم خرج من السيارتين الآخريتين مجموعة كبيرة من المثلثمين واصطفوا خلفها بثبات وسكون، ووجهت فوهة المسدس لرأسها العجوز متدخلة بخوف

ماذا ستفعلين.؟

اهدئ أيها (الطيب) وأبعد ذلك السلاح عن وجهي. قالتها بحزم

أنا لست الطيب بعد الان. تدخلت صارخة متابعة ببيكاء

أسمي هو (رحمة) وأنا فتاة ولست برجل ولن أعيش كرجل بعد الان.

ذلك ليس بسبب يجعلك تقتل رجلان من العائلة. أتت نبرة صوتها صارمة قوية متابعة بجدية شديدة

الجيم الأصفر

ألم تفكر في عاقبة ذلك؟. وللمرة الأخيرة أقول لك أبعد ذلك
السلاح اللعين عن وجهي..

ستقتلينني!!

إن كنت أريد موتك لم أكن لأتواجد هنا الان، فقط دعينا نجلس
ونتحدث في الأمر حتى نصل لحل يرضي الجميع.

أنى الصوت بعيداً من الخلف

إنها خائنة اقتليها أيتها الزعيمة فإنها لا تستحق العيش بيننا وها
قد علمنا من كان يسرب المعلومات للعدو.

لمعت عينها من الغضب وتلاصقت الحواجب الصهباء وأتى صوتها
الhezil قوياً صارحاً

(سالم) تعال إلى هنا أيها اللعين وأظهر نفسك عندما تتحدث لي.

تحرك ظله من الثبات إلى الهرولة الفزعة وأجتاز الطريق الطويل في
لحظات وأسمعت حُطاه السكون بأنيها

أ. أسف أيتها الزعيمة لم أقصد. تدخل بارتباك وهو يقف أمامها بثبات
شديد.

إبراهيم سيد كرم

لقد خاب ظني بك كثيراً يا (سالم). زفرت بغضب وهي تتحرك
بكرسيها لتقف بينهم.

تدخل بهمجية ومكر: إنها خائنة أيتها الزعيمة.

صرخت فيه بقوة: أصمت أيها اللعين أنا لم أسمح لك بالتحدث بعد.

المعذرة سيدتي. تدخل بأسى وضجر ملحوظ.

لقد أخبرت نفسي أنك ستعقل الأمور بعد ما حدث ولكن يبدو
أنني أخطأت بقراري وصمتي أنا أعلم سبب الكراهية التي تقع بينكم
ولكني تجاهلتها لأنني ظننت أن الأمر قد حُسم عند ذلك الحد ولكن
يبدو أن ذيل الكلب لا يستقيم أبداً أيها الملعون الوقح، لقد أردت
اغتصابها فطعنتك، الأمر قد انتهى ولكن أن تتحرك بالرجال بدون
علمي أو إذن مني فذلك لم ينتهي بعد، كيف تجرؤ على فعلها، كل
ذلك بسبب رفضها لأحمق لعين مثلك، وكيف تسمح لك بهتك
عرضها وتصمت بدون ردة فعل قوية حتى لا يجرؤ أي كلب منكم
على مسها بسوء بعد ذلك!!! ثم كيف تجرؤ باتهامها بالخيانة.؟.

لقد أرادت الهروب وقتلت اثنان من رجالنا سيدتي.

وهل ذلك صحيح.؟. أم كان طعنها لك هو السبب ورفضها لك مثل
الكلاب العفنة.؟. تساءلت بمكر

سيدتي، ذلك الأمر قد أنتهى. تدخل بضيق وتأفف

ولكن لماذا لا يبدو كذلك؟. ثم ليس هناك قائد خائن، فعائلتي
ليس بها مكان للخونة والجرذان اللعينة إن كان هناك خائن فهو
ليس هنا في تلك العائلة بل هناك في عائلة (عصام) وزوجته هناك
مرتع الخونة والذئاب الماكرة.

إذا فلماذا قتلتمهم إن كانت بريئة كما تدعين؟.

إنها القوانين والقواعد أيها القائد الكبير ولكن يبدو أنك لم تتعلم
القوانين بعد، لقد أخبرت الجميع أي شخص يعترض طريق قائد في
العائلة فهو مهدر دمه، إن لم تكن قتلتمهم هي فكنت سأتكفل بالأمر
بنفسي حتى لا يجرؤ أي شخص على مخالفة القواعد، هل نسيت
ذلك الأمر أم ماذا؟. أنطق أيها اللعين!.

ولكنها أرادت الهروب، لو أنها بريئة لما كانت هربت منذ البداية.

تحركت العجوز وتوقفت أمامها وقد أسقطت المسدس فوق الرمال
وواقفة بثبات أمامها

لماذا أيها (الطيب)؟ لماذا لم تأتيني وتخبرني بما يجول بعقلك
منذ البداية؟ لماذا؟.

لماذا أنتِ تفعلين ذلك بي.؟ لماذا لا تريدين النطق باسمي الحقيقي
ولو لمرة واحدة. تحدثت بىكاء متابعة بحزن عميق يسكن بقلبها منذ
زمن طويل

لقد كنت أراقبك لساعات وساعات منتظرة فقط منك أن تنادمني
عليّ باسمي الحقيقي ولو لمرة واحدة، تستكثيرين مرة واحدة أسمع
فيها أسمى الحقيقي منك ولو لمرة حتى ولو بالخطأ، مرة واحدة
تعامليني كفتاة وليس رجل كنت أترقبها منك طوال الوقت، لماذا
تأبين معاملتي كفتاة هكذا.؟ ماذا فعلت أنا لكي تُعاقبينني هكذا،
لقد أحببتك مثل أمي التي لم أراها من قبل لقد أخلصت في خدمتي
لكِ وللعائلة وأنتِ ... وأنتِ ... لماذا.؟.

تنهدت العجوز بألم متدخلة بحزن واضح في قراره صوتها الهزيل

هل حقاً تريدين معرفة السبب بشدة هكذا.؟.

أجل. أجابت وهي تمسح دموع عينيها

لم يكن الأمر من اختياري في مناداتك وحتى مُعاملتكِ كفتى
وليس فتاة، لقد كان وعد مني لأبيك قبل أن يرحل.

أبي.؟. تساءلت بحيرة.

أجل.. هو أول شخص أطلق عليكِ (الطيب) وأخبرني أن أعاملِكِ
كفتى وتدريبِكِ بأقصى قوة وبأشق الأساليب.

ولماذا يقول أبي شيء هكذا؟ قاطعتها متسائلة.

تنهدت العجوز بقوة

حتى ... من أجل أن تنتقمي له ولأمكِ!!!! لقد كنت أنا وأبيكِ على
حافة الموت أنا مطعونة بظهري وهو مطعون بصدرة طعنات قاتلة
وعلمنا أنها نهايتنا فأخبر كل واحد الآخر بأخر أمانيه فإن عاش أحدنا
يسعى لتحقيقها نيابة عنه وكانت هذه أمنية حياته، ولد ينتقم له
ممن قتلوه هو وزوجته لقد كان يخشى عليكِ فأراد مني معاملتك
كفتى وأخبرني أن أطلق عليكِ (الطيب) وذلك لأنكِ كنتِ فتاة طيبة
معه ومع والدتك هذا هو كل ما في الأمر.. ولكني أتساءل عن سبب
كل ذلك؟. لقد كنتِ تعيشين معنا بسلام، ما الذي حدث لكِ؟.

أُكُلُ ذلك بسبب ذلك الشاب؟ ماذا فعل لكِ؟. ولماذا تخاطرين
بحياتك من أجله هكذا؟.

إنه ليس بخصوصه البتة الأمر كله متعلق بي.

حقاً! قالتها بتعجب متابعة بحيرة.. هل هو كذلك؟.

إذا كان الأمر كذلك فلماذا أخذتي جهاز المراقبة الخاص بالقرص
المتتبع الذي وضعناه في يده اليسرى قبل تحركك أنا أتسائل فقط!!!

تلعثت الكلمات بفمها وعجز لسانها عن إيجاد أي عذر مقبول تخدع
به العجوز، قاطعتها العجوز بسؤالها الذي جاء مفاجئاً لها

(رحمة).. ماذا تريدين..؟.

أريد حريتي!! أجابتها بثقة تامة.

هل تريدين ترك العائلة...؟ القتها العجوز بنبرة متسائلة قلقة.

أظن أن الوقت قد حان لتفني بذلك الوعد مع أبي كما أخبرتني
قبل قليل.

عادل بما يكفي، انتِ حرة للذهاب.

قاطعها (سالم) بتهجم.. ولكن سيديتي..

أصمت أيها اللعين. صرخت فيه بغضب. متابعة وهي تنظر إليها قائلة
بحنان وحنان

الجيم الأصفر

الوداع أيها (الطيب) وأتمنى أن تجدي ما تبخثين عنه.

هذا ما أتوقعه من الزعيمة دائماً. تدخلت بسعادة وهي تلتقط
مسدسها من فوق الرمال ثم وضعته في رباطها خلف ظهرها ثم همست
وهي تتحرك باتجاه الضوء القادم من الخلف وهي ذاهبة إلى قلب
الصحراء وإلى بداية طريقها نحو إنقاذه

الوداع.

أتاها الصوت من الخلف بعد أن تحركت بضع خطوات

(الطيب) ... معك شيء يلزمني!!!

صرخت بداخلها من التوتر والخوف، اللعنة على تلك العجوز لقد ظننت
أنها قد نسيت أمره، ثم استدارت وهي تخرج الجهاز الإلكتروني الصغير
من حقيبتها. أسفه لقد نسيت.

تحركت العجوز بكرسيها الصغير ذات العجلات السوداء الغليظة التي
تتحرك فوق الرمال بسهولة ويسر ثم توقفت أمامها وأمسكت بالجهاز
زافرة بحزن الوداع أيتها الماكرة.

عبرت ريح قوية بينهم وكادت أن تحرك عمامتها البيضاء وتكشف عن
وجهها المثلث وغمرهما الشعور بالحنين والاشتياق عندما مرت لحظات

الحنان عبر الذاكرة بينها وبين العجوز، تمايلت ببطء ونظرت بداخل
عينيهما المجعدتان السوداوان

سأظل مخلصاً لكِ دائماً سيدتي.

لمعت أعين العجوز وقد بدأت الدموع تتجمع بهما

أعلم ذلك، لذا توخي الحذر وأنتِ ذاهبة من أجلي، وإن أحتاتي لأي
شيء فلا تترددي لحظة بالقدوم هنا فإنها عائلتك بعد كل شيء.

أعلم، شكراً لكِ لكل ما فعلتبه من أجلي.

تنهدت العجوز بقوة مفرغة بعض الحزن الذي تجمع بقلبها متدخلة
وهي تستدير عائدة للجمع الكبير من الرجال

أذهبِ بسلام أيتها الحمقاء.

تنهدت وهي مستلقية على ظهرها فوق الرمال الباردة والهواء الشديد
المنعش يأتيها من كل جانب فوق تلك القمة الرملية العالية، اعتدلت
جالسة والعزيمة تتحرك بداخلها

لابد أن أصل إليه قبلهم.. قامت واقفة على أقدامها وهي ترتدي حذاء
بني غليظ، تنظر حولها باحثة بعينيها الزرقاء التي تلمع بلمعان الضوء
الأزرق الهادئ

انتظرنى أيها الشاب، أنا قادمة لإنقاذك..

دوامات رملية صغيرة تتحرك بعشوائية حولهم تجذب الرمال من
مسترقها إليها لتتحرك في دوائر خلف دوائر، بدأت الدوامات بالتعارك
فيما بينهم من أجل الحصول على الرمال، كل واحدة تريد أن تلتهم أكبر
قدر من الرمال بداخلها حتى تعلوا وتكبر وتتفاخر بقوتها وعلوها , بدأوا
بالتهام الرمال من حولهم و أصبح المكان حولهم شبه ضبابياً مليء
بالأتربة و الضباب الرملي يكسوا لوحة الصحراء يقف كالحاجز بينهم وبين
رؤيتهم لأي شيء قادم لهم , بدء العجوز بالسعال الشديد وهو مدفون
بالرمال حتى أكتافه مكبل بقيود رملية ثقيلة و الأخر ملقى بظهره بجانبه
كالجثة الهامدة يهلوس بداخل عقله ويتحدث وهو غائط في ثبات عميق ,
تنهد العجوز بقلق وحيرة وهو ينظر للشباب الذي على وشك الموت
بجانبه ويتساءل عن الذي حدث له وما الذي قد أتى به إلى تلك الصحراء
اللينة الخالية من أي ملامح للحياة , وهل العاصفة التي حملته هي
التي قد جلبته هنا أم أنه كان متواجد هنا قبل قدومه , ولكن إن لم يكن
فأين كان قبل أن تأتي به العاصفة وهل هو معهم أم أنه هنا بالصدفة
ولكن مظهره ومعاناته لا توحي بأنه معهم ولكن ذلك ليس سبب مقنع
إنهم محترفون وبإمكانهم فعل أي شيء للوصول لي و لابنتي وما أن
تذكر ابنته حتى أخذه عقله لجانب آخر من التفكير عن كيفية أحوالها وعن

إبراهيم سيد كرم

الذي قد يحدث لها وحدها وهي ضعيفة لن تصمد أمامهم للحظات،
اللجنة لابد من فعل شيء الان لن أبقى مقيد هكذا وابنتي في خطر كبير،
فبدء بالصياح في الشاب

أستيقظ أيها اللعين.. أستيقظ وساعدني بتحرير نفسي. ولكن لا يوجد
أي استجابة منه البتة

أرجوك يا بني ساعدني ... أرجوك ... أستيقظ أرجوك..... اللعنة هل
مات أم ماذا؟ لماذا لا يُجيبني.....

بدء يصرخ ويصارع مع الرمال ولكنه لا يستطيع تحريك أي جزء من
جسده من كثرة الرمال فوقه، بدء يصرخ ويتوسل بصياح عالٍ، أرجوك
أفق أستيقظ أرجوك ساعدني يا بني أرجوك..... ولكن لا يوجد
إجابة فبدء بالصراخ باسم ابنته على أمل أن تكون قريبة أو تبحث عنه

كريستينا، كريستينا، سامحيني يا بُنتي أرجوك ... سامحيني

وفي وسط صرخاته ونحيبه على أبنته وعلى حاله أتاه الصوت من جانبه
خامل كسول مُجهد

ما الذي حدث.؟.

نظر إليه مسرعاً متدخلاً بتنهد مريح

الحمد لله ... أرجوك ساعدني في تحرير نفسي.

أريد مساعدتك حقاً ولكني لا أستطيع تحريك بقية جسدي.

أرجوك افعل أي شيء، أنا لا أريد الموت هنا ... تستطيع تجرع قطرات من دمائي كما فعلت حتى تستعيد طاقتك.

أجل أستطيع ولكنك ستموت هكذا وأنا لن أقبل أن أحيأ بموت شخص آخر.

تسائل العجوز بإحباط ويأس

ما العمل إذناً؟. إن لم نفعل شيء سنموت نحن الاثنين.

لا أعلم ما الذي أقوله لذلك العجوز ولكن لا يوجد أمامنا شيء غير الانتظار إلى أن يجدنا شخص ما وينقذنا

سننتظر حتى يأتي شخص وينقذنا.

ضحك باستهزاء

إبراهيم سيد كرم

نتنظر شخص ينقذنا!! ألا تعلم أين نحن يا بني.. نحن في منتصف
صحراء لعينة خالية ولا نعلم أين ألقفت بنا تلك العاصفة اللعينة، نحن
ليس بمنتصف المدينة، نحن في منتصف الخلاء وقلب الصمت
القاتل ألم تعي ذلك حتى الان؟ أتعلم.. إن كنت أنا في مكانك لم
أكن لأتردد لحظة في قتلك وامتصاص كامل دمائك والتغذي على
لحم جسدك لأنجو بحياتي.

من الجيد أنك ليس في مكاني.

لم أشعر بالخوف من كلمات التهديد تلك لأني أعلم أنها كلمات يائسة في
موقف يأس، أشعر بالخمول الشديد ولا أريد التحرك من مكاني، لا يتبقى
الكثير من الوقت حتى تتحرك الشمس من خلف الجبل وتصبح فوق
رؤوسنا ولكن لا بد من فعل شيء قبل ذلك الوقت حتى لا نموت من
تأثير شدة حرارتها وضوئها الحارق الذي سيكون مُسلط فوق مناخ
عقولنا المتهالكة والمجهود من التفكير وقلة الراحة، حركت رقبتني
ونظرت إلى وجهه العابس المتستر خلف الرمال وبدأت أتحدث معه فلا
يوجد شيء آخر نفعله في ذلك الموقف غير الحديث والتجادل فيما بيننا

هل تعلم أيها العجوز، المأزق الذي منغمسين به غريب جداً!!

سألني بحيرة

كيف؟.

أعني أنظر لحالنا الان، أنا على وشك الموت مخمول متعب مجهود
ونصف مشلول وأنت مدفون من قدمك حتى أكتافك أي أن كل
شخص فينا يحتاج للأخر، أنا أحتاج للماء وللطعام اللذان معك كي
أنجو وأنت تحتاج لشخص يحرك كي تنجو ولكن الغريب أننا
هالكون ويبدو أننا في حاجة لمساعدة من شخص آخر ولكن بالتفكير
فيما تحدثت به لا أظن أنها فكرة سديدة.

عن أي شيء تتحدث.؟.

أتحدث عما قد أخبرتني به قبل قليل، عن تبديل الأماكن أنه لو أنت
الذي كنت بموضعي لم تتأخر بالتغذي على دمائي وتناول جثتي.

ولماذا تظن أنها ليست فكرة سديدة.؟.

لأنني مشلول ولا أستطيع التحرك كل ما سأفعله هو التغذية على
دمائك حتى تموت ولكن إن مت ستبدئ الجثة في التعفن والذي
سينتج عنها تخرص الدماء في الجسد ولكن السؤال هو كم ستمنحني
دمائك من أيام للبقاء على قيد الحياة.؟ يوم، يومان، أسبوع!! ماذا
سأفعل بالوقت ما دمت لا أستطيع تحريك جسدي، أنتظر أي
شخص ينجدني!! ولكنك تعلم أن ذلك الأمر شبه مستحيل بما أننا
في منتصف الخلاء وسينتهي الأمر بموتي كما سيحدث لك، إذا ما
الفائدة من سلب روحك منذ البداية.؟.

تنحج باضطراب متدخلاً: أنت لست مشلول!! إنها أعراض الجفاف ليس
أكثر

عندما يقل منسوب المياه في جسد الإنسان يتحرك الجسد ويمتص
من المخزون حتى ينتهي وإن انتهى ولم يتم تجديد المياه بيدئ
بتحويل الدهون إلى مياه وسعرات حرارية حتى تنتهي وعندما تنتهي
بيدئ بالدخول إلى العضلات ويمتصها عضلة بعد عضلة من أصابع
القدم حتى الرقبة وعندما ينتهي منها يتوجه إلى الدماء نفسها يأخذ
منها شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى النهاية وعندما تنتهي الدماء في
الجسد لن يجد حينها القلب شيء لضخه فسيتوقف ويموت
الإنسان وهذا ما يحدث بعد اليوم الثالث بدون قطرة مياه، ويبدو أن
هذا الذي حدث لك ولكن لا تقلق فكمية الدماء التي أخذتها مني
ستكون كافيته لمنع الجسد من استخدام دمائك لبعض الوقت،
وذلك يعني أنك ليس أمامك الكثير من الوقت وأيضاً يعني أننا في
مأزق كبير لعين لابد من التصرف فيه بأي وسيلة ممكنة حتى ننجو.

تنهدت بقوة وأنا أخبره بخمول

عقلي مُنهك للغاية ولا أستطيع التفكير في أي شيء الان.

أتى صوته عميقاً محمساً

وهل سنستسلم للموت بسهولة هكذا ونجلس نحب على حالنا
وعلى الذي حدث لنا، لا لن أقبل بذلك البتة، لن أقبل الموت
بسهولة لا بد أن أقاوم حتى أكون قد استحققت الحياة التي رزقني
إياها الرب.. ساعدني في تحرير يداي من الرمال.

وكيف ذلك؟.

أحفر عند منطقة الصدر والأكتاف حتى أستطيع تحريرها ثم
أساعدك في تحرير نفسي، هكذا سننقذ بعضنا البعض.

أنت لا تعي ما أمر به حالياً من تعب وإرهاق أليس كذلك؟. ثم أن
كل ما تبقى من جسدي هو يداي ورقبتي إن فعلت أي مجهود زائد
ستحترق قطرات الدماء وتتبخر ونعود من جديد وكأننا لم نفعل
شيء وإن لم تستطع تحرير نفسك حينها فسنصبح في تعداد
الأموات مرة أخرى، لا بد أن تتقبل الأمر لا يوجد نهاية لنا غير الموت
وأملنا الوحيد في وجود شخص ما لينقذنا وذلك الأمر ميؤوس منه
كما أخبرتني من قبل... أسف أيها العجوز.. صحيح نحن لم نتعرف
بعد... أنا (هادي) وأنت؟.

صاح بغضب

دعك من تلك التفاهات وفكر في شيء تنقذ به أنفسنا، ما الذي
سنأخذه من التعارف وتلك الحماقات الطفولية.

هدئ قليلاً متدخلاً بإحباط

أسف.. أنا (فرانك).

تساءلت باستغراب متحيراً

(فرانك).؟.!!!

أجل، البروفيسور (فرانك)!!

لا أعلم هل استمعت لاسمه صحيح أم أني أهلوس ولكن كان عليّ التأكد
منه مرة أخرى

أنت تقول (فرانك) أليس كذلك.؟.

ألتفت لي وهو يرمقني بنظرات غضب وتعجب

هل أنت أحمق أم غبي!! أجل أسمى هو (فرانك). ف. ر. ان.ك. هل
تصدقني الان أم ماذا.؟.

ضحكت من ردة فعله وغضبه الدائم

أسف لا أقصد ولكن (فرانك) ليس اسم عربي فاستغربت وسألت
أتأكد ليس أكثر.

أجل أنا لست بعربي وأحمد الله على ذلك. قالها بغضب وهو يسعل
بشدة متابعاً بحساسية واضحة

العرب همّج وغادرون جميعهم كذلك.

كلماته أغضبتني كثيراً فصحت منفعلًا

نحن ليس بهمّج.

قاطعني بانفعال أكبر

لا.. أنتم جميعكم كذلك، تضحكون ضحكات صفراء تظهرون
للجميع طبيبتكم خلف قناع الأنياب السامة والخبثية.

هؤلاء نحن!! نحن من نظهر للعالم طبيبتنا خلف القناع السام؟ نحن
من نظهر للجميع رفقنا بالإنسان وبحياة الحيوان ونذهب نذبح ونقتل
في الجميع بغير حق من أجل المال والنفط نقتل أكثر من حياة حتى
الأطفال لم تتركهم أليس كذلك.؟.

على الأقل حياة الانسان لدينا لها قيمة أكثر مما لديكم. تدخل
بازدراء وسخرية.

لا.. أنت تقصد أن حياتكم غالية عندكم أما حياة الآخرين فلا قيمة لها
وبالتفكير في ذلك الأمر أنت أخبرتني لو أنك مكاني لما ترددت للحظة
بقتلي لتعيش ولم تفكر في حياتي ولو لوهلة زمنية بسيطة... حاول
مقاطعتي بصخب ولكني رفعت صوتي أعلى وأعلى متابعاً لحديثي.

لم تفكر في حياتي لأن كل ما يهمك هو نفسك فقط وتقول إننا نحن
العرب همج.

أنت لا تفهم شيء أيها الشاب. تدخل بصوت حزين مهموم متابعاً بألم

أنا مستعد لفعل أي شيء أجل ولكن ليس من أجلي بل من أجل
ابنتي، إن كان الاختيار ما بينك وبينها فمن تعتقد سأختار؟ لا، بل لو
أن الاختيار كان بين حياتي وحياتها فلن أتردد لحظة في اختيار حياتها،
لأنها روحي وأنفاسي التي بها أحيأ.

ابنتك.؟. تساءلت باستغراب.

تنهد بقوة: أجل إنها هنا في قلب الصحراء وقد أصبحت وحيدة الان وكل
ذلك بسببي، أنا السبب في معاناتها وألمها.

وكيف ذلك؟.

إنها قصة طويلة، وليس لدينا متسع من الوقت لسردها الان.

أشعر بما تشعر به أيها العجوز وأشعر بمعاناتك وألمك ويضيق صدري كما يضيق صدرك، لم تفكر أنه لربما تكون حالتني مثل حالتك وأن لدي أشخاص أريد الذهاب لهم بقدر ما تود الذهاب لأبنتك وأكثر.

زوجة؟. تسائل بحيرة

أمي وإخوتي.

حسناً، ماذا ستفعل الان؟. قالها وهو ينظر لي بأعين حزينة

أعتقد أنه يظن أنني سأفعل به مثل ما أراد أن يفعل بي أتجرع دماثة وأنغذى على لحم جسده ولكنني لن أفعلها فأنا لست مثله

سأحفر بكل قوتي ولكن عندما تتحرر لا تتركني للموت.

أجاب بثقة: لا تقلق لن أفعل.

حسناً، لنبدأ.

ماذا ستفعلين.؟. قالتها وهي تضع كوب قهوتها على الطاولة الزجاجية الصغيرة المغطاة بفراش ذهبي اللون لامع
تنهدت الأخرى وهي جالسة أمامها فوق أريكتها الواسعة المريحة كتانية اللون مزركشة بورود زرقاء كثيرة

وما الذي بيدي فعله ولم أفعله.؟ لقد هاتفت الجميع من الصغير للكبير ولا يوجد أحد منهم يعرف أين هو أو سمع منه منذ اختفائه ولا يعلم إلا الله أين هو الان.؟.

هاتفي الشرطة!! قالتها بثقة وهي تتكأ بظهرها فوق أريكتها المريحة.

اهاتف الشرطة.؟. تساءلت بحيرة متابعة

وماذا أقول لهم.؟ أختي العزيزة (نبيلة) أقدر لك النصيحة ولكنه شاب بالغ وأيضاً لقد بحثت في ذلك الأمر واكتشفت أن هناك كم هائل من البلاغات عن المفقودين مقدمين من الأهالي للشرطة منذ عشرات السنين ولم يعثروا على أحدهم حتى الان لو أعلم فقط ما الذي حدث له لكان قلبي يطمئن ولكني لا أعلم ولم أعد أعرف ماذا أفعل.. لقد تعبت حقاً، لقد حاولت تجاهل الأمر ولكن كلما أنظر بوجوه الأطفال البائسة الحزينة أتذكر وأبداء أفكر وأتساءل ...

سقطت الدموع من عينيها الزرقاء خلف قطرة دافئة حزينة،
تحركت (نبيلة) لتجلس بجانبها وأمسكت يديها وضممتها بين أيديها بقوة

أهدئي عزيزتي (فاطمة) وأعتمدِ على الله وكل شيء سيكون على ما
يرام.

لقد تعبت حقاً يا أختاه، يمر على الوقت وأفكر أنه قد مل وتعب منا
ورحل بلا عودة ولا يريد الاتصال بنا أو حتى رؤيتنا.

لا تقولي هذا!!! انتِ تعرفين ابنك جيداً ومن المستحيل أن يفعل
شيء مثل هذا إنه يعشقكم كثيراً.

المصيبة أنني أعرف إبني جيداً وأعرف أنه طيب ولم يتعامل مع
العالم الصعب وحده من قبل، أنا أخشى عليه من قسوة الأيام في
هذا الزمن المرير الذي نعيش فيه الان.

عندي فكرة يا أختاه فلنجربها وأظن أنها ستكون فعالة إن شاء الله

وما هي.؟. تساءلت الأم بحزن

إن لدى ابنتي (ريم) صديقة تعمل والدتها في صحيفة مشهورة، ما
رأيك إن حددنا معها موعد لنشر صورة ل(هادي) بجانب بضع
كلمات منك له أو إن رآه أحد يخبرنا بمكانه أو كيف نعثر عليه وهكذا!

حركت الأم رأسها علامة القبول متدخلة بصوت خافت: لا بأس.

صاحت (نبيلة) بابنتها الجالسة مع الأطفال بالداخل

ريم... يا ريم.

أتى صوتها من بعيد شبه واضح

قادمة يا أمي.

تتحرك ببطء شديد وتعب ملحوظ وهي لا تنكأ تفكر في شيء غير الألم القادم من أقدامها ورأسها ويديها وهي تحمل جردل المياه الممتلئ على آخره فوق رأسها وتتحرك بثقل وإرهاق شديد تحت أشعة الشمس الحارقة الشديدة تصبر نفسها بقولها، لقد اقتربت كثيراً من الكوخ ولكنها تشعر أنها لم تقترب البتة من ثقل المياه ثم أخذت تلوم نفسها على ملئه على آخره هكذا وتفكر في سكب بعض منها فوق الرمال ليخف وزنه قليلاً ولكنها ستحتاج لكل قطرة منه في تلك الصحراء الحارقة وأيضاً تفكر انها قد ملأته هكذا حتى تغتسل بقسوة وتنظف جسدها من الرمال الملتصقة به، إنها المرة الأولى التي تذهب فيها لجلب المياه وحدها لقد كان أبيها هو الذي يذهب لجلبها دائماً ولكنها لا تعلم مكانه الان وما الذي يعوقه على القدوم للكوخ، شعرت بالغضب وصرخت بداخلها

حسناً يا أبي، أقسم أني سأقاطعك لعدة أيام وأعاقبك أشد عقاب علي
تركي وحيدة هكذا، سأريك عندما تأتي..

اشتد الالم في ظهرها فقررت الاستسلام وألقت بالجردل بعيداً ثم سقطت
فوق الرمال تلتقط انفاسها وتريح جسدها الهزيل قليلاً ولكن عندما
سقط الجردل فوق الرمال تطاير الغطاء من شدة اصطدامه بها وأخذت
المياه في الانسكاب فوق الرمال فانتفضت مسرعة وأغلقتة صارخة بقوة
في منتصف الخلاء، أبي، أبي، أين أنت بحق الجحيم..

لقد بدأت بالحفر منذ دقائق ولكنني أشعر كأنها ساعات مرت وأشعر
أيضاً بأنني لم أحفر شيء البتة أظن أن ذلك بسبب شعوري بالتعب
والارهاق الشديد غير الشعور بالخمول والتبدد والألم في كل شيء في
جسدي وضيق في التنفس شديد، أشعر أن أحدهم جالس فوق صدري
ولا يريد التحرك، لا أظن أنني سأستطيع الإكمال في الحفر بهذه الطريقة،
اللعنة لا أستطيع. صحت بها وأنا ألقى بظهري فوق الرمال بجانب هذا
العجوز البائس

قم أيها اللعين وأكمل لم يتبقى إلا القليل لقد بدأت أشعر بذراعي. قالها
بغضب ويأس.

لا أستطيع، لا أستطيع تحمل ذلك الكم الهائل من الألم دفعة
واحدة، لقد كنت أخبر نفسي دائماً أنني لا أشعر بالألم الجسدي
البتة، ربما كنت أفعل ذلك في بعض الأوقات، أتجاهله بأفكار سعيدة

وذكريات مبهجة ولكني لا أستطيع تجاهله الان لأن علقي شبه متوقف وأظن أن الألم ينتقم مني لتجاهله دائماً، لا تعتمد على ضعيف مثلي أيها العجوز، فأنا لا فائدة ترجى من خلفي البتة.

يكفي هراء وتفاهات ولا تستسلم لنفسك اليائسة، قم أيها اللعين وقاوم من أجل من تحبهم، انهض.

لا تحاول ، مهما حاولت فلا فائدة سترجى مني كما هو الحال دائماً ، لقد سئمت امر نفسي الضعيفة و أمر ضعف قوتي و سئمت التغير الذي لم يأتي وسئمت دموع عيني اللعينة ، حاولت قتل ضعفي وذهبت لأتدرب القتال ولكني لم أفجح ، حاولت التصدي لمن يسبني ويضربني ولم أفجح ، أنا لم أفجح بإنقاذ نفسي فكيف سأنقذ الآخرين ، لا بأس بالموت هكذا و إن كان على أمر أمي و إخوتي فليتولاهم الله برحمته ، لا بد أنهم سئموا من ضعيف مثلي لا أستطيع حمايتهم من أي شيء ، لم استطع حمايتهم و تحمل مسؤوليتهم عندما رحل أبي و كنت أوهم نفسي أنني أفعل ذلك ولكني لم أكن أفعل شيء ، لم أكن أفيد بشيء ، أنا عديم النفع، أنا عديم الفائدة.

اللعنة، أنا لا أعلم ما فائدة تلك الكلمات الآن.؟. صرخ بغضب كالمعتاد متابعاً بهدوء

الفائدة الحقيقية هي أن تثبت للجميع أنك لست كما تقول وإن كنت بالفعل فجاهد لتغيير ذلك الامر بعقلك أولاً حتى تستطيع تغييره عند الآخرين.

وما الذي يعينه ذلك بحق الجحيم.؟ تساءلت بضجر

ذلك يعني أن تثق بنفسك حتى يثق بك الآخرون، تقبل نفسك حتى يتقبلك الآخرون، ليس هناك شيء لم يخلق هباء هكذا بل كل شخص خلق لسبب ولغاية ولكن قليلون من يعرفون غايتهم وسببهم في الحياة، لذا لا تترك اليأس يمتلك قلبك وأنهض لا تفعل مثلي وأنا شاب، لقد فقدت نفسي ذات مرة عندما ماتت زوجتي وتركت لي فتاة صغيرة، فقدت نفسي وكنت بأس حزين، سكير لعين لا يفكر في شيء سوى الانتحار، نجاني الرب من ثلاث محاولات انتحار كل محاولة منهم كان ينقذني نظرت للسماء وصرخت، لماذا تنقذني، لماذا لا تدعني أموت وألتحق بها، لماذا تريدني أعيش بدون سبب، لن تصدقني إن أخبرتك أنني رأيت النجوم تتحرك لتصطف وترسم وجه ابنتي في السماء المظلمة، فعلمت حينها ما هو سببي في الحياة ولماذا كان ينقذني الله دائماً من الموت، وأنا كلي يقين أنه سينقذنا مرة أخرى ليس من أجل أنفسنا بل من أجل ما نعيش لأجلهم، لذا هل تعلم ما سببك في الحياة أيها الشاب، إن علمت سببك وغايتك ستتمسك بها وستنجو، ستقاتل من اجله شياطين الأرض، ستتحدى الجبال وتفعل أي شيء وكل شيء لتعيش من أجله مهما كانت الصعاب ومهما كان الألم ستعيش فقط من أجله.

لا أعلم ما الذي فعلته تلك الكلمات بداخلي كي تجعلني أشعر بما
أشعر به الان من حماس شديد ورغبة قوية في تدمير ذلك الجبل القابع
خلفنا وتحطيم الصخور بأصابعي، أريد الصراخ عالياً من هول إحساسي
الشديد بالرغبة في الحياة والنجاة تحركت بسهولة بيدي لأكمل الحفر
بدون أن أنطق بكلمة واحدة وكل ما أراه هو ذلك المشهد الذي كان
يبعث في نفسي الأمل دائماً، أمي واقفة ضاحكة بردائها الأبيض
الفضفاض وأمامها إخوتي متشابكين الأيدي ينظرون لي بضحكات
وبسمات رائعة وأنا أقترب لهم وكلما اقتربت أكثر يفرضون أذرعهم
لاحتضاني ولكني لم أصل لهم أبداً كل ما كان يجول في عقلي ومنذ أن
تخيلت هذا المشهد وهم هناك ينتظروني ولكني لم أصل لهم في أي
تخيل البتة، لا أعلم السبب ولكني أعتقد بأنها رغبة الوصول الطريق الذي
تقطعه لهم هو النشوة العارمة واللذة النارية التي تجعلك تتأكل من
داخلك، لقد تفكرت كثيراً في أمر وصولي لهم وماذا سيقولون أو ماذا
سيفعلون ولكن كلما كان عقلي يبدئ بالتعمق أو يذهب خيالي بعيداً
أفكر في شيء آخر، لا أعلم ماذا أخشى أن أكتشف ولكني أكتفي فقط
بوقوفهم هناك ينتظروني، ولا أسمع غير ضحكاتهم التي تجعل قلبي
يتراقص بدمائه لم أعد أشعر بالألم وأنا أحفر بقوة وبسرعة كبيرة أذرع
العجوز ظهرت وأستطاع إخراجها وبدء يحفر معي ويساعد نفسه
لتحريها من أصفاد الرمال الثقيلة، همس لي بخفوت وراحة أشعر بها
تتبع من قلبه

أتعلم أيها الشاب!!! أنت لست كما ظننتك وأنا أعتذر لك عما بدر
مني منذ قليل!!

الجسيم الأصفر

عن أي شيء تتحدث.؟. سألت بتعجب.

تنحني باضطراب متدخلًا بخجل كبير

أنا أعتذر عن سببي للعرب ووصفهم أنهم همج، لم يكن يحق لي
قول هذا بسبب معاملة قاسية لاقيتها من عربي او عدة أشخاص،
ولكنك لا تعلم ماذا فعلوا بي وبابنتي، دعك من هذا بل لو تعلم ماذا
فعلوا ببعضهم لتحقد عليهم مثل ما أفعل وأكثر على كل حال أنا
أسف، وأعتذر لك مرة أخرى.

على أي شيء.؟ سألت باستغراب وقد بدى عليه القلق والحيرة

ستعلم، ستعلم. ثم صرخ فرحاً عندما رأى قدماه قد ظهرت من تحت
الرمال، ابتعدت من امامه وألقيت بظهري فوق الرمال أنظم انفاسي
المتقطعة وبدأت أجد صعوبة بالغة في التقاط الهواء من الجو بسبب كثرة
الغبار المتناثر حولنا من الحفر

نظر لي بتعجب وهو يخرج قدماه من الرمال ووقف بصعوبة

هل لديك مشكلة في التنفس.؟.

آه، أنا مصاب بمرض الربو.

إبراهيم سيد كرم

تمايل باتجاهي ببطء وهو يخرج قارورة المياه من جيب قدمه اليمني ثم
وضعها فوق شفتاي

تجرع ولكن ببطء. بدأت أخذ رشقات بسيطة شيئاً فشيئاً ثم أمسكتها
منه وأخذت ألتهم المياه بشراهة بالغة

تمهل أيها اللعين حتى لا تموت، تمهل. ظل يصرخ في ولكني لا أهتم
فأنا أشعر بظماء شديد.

أخذ يخرج طعام ملفوف بقماشة بيضاء من جانبه الأيسر ووضعها
بجانبي، لم أسئلة لماذا تركه لي أو لماذا كان يعتذر لأنني علمت السبب

لقد علمت لماذا اعتذرت مرة أخرى.

بدت ملامحه حزينة مستاءة عندما قال

أسف حقاً أيها الشاب ولكن هنا نفترق، لن أستطيع أخذك معي
إلى حيث أنا ذاهب.

لا تعتذر وأرحل، فقط أرحل ودعني وشأني، لا يهم ما الذي قد يحدث
لي لأنك نجوت فهذا هو كل ما كان يهمك منذ البداية.

الأمر ليس كذلك.. صرخ باستياء شديد متابعاً بحزن وألم

الأمر وما فيه أنني لا أستطيع.

لا تهتم أنا لا أريد منك توضيح أي شيء لي، فقط اذهب لابنتك، قد يكون لديك أسبابك ولن أسئلك عنها.

أمسك أكتافي بقوة وعيناه ضاحكتان وكأنه شعر بالارتياح من كلماتي

أنا شاكر لتفهمك موقفني أيها الشاب، شكراً جزيلاً لك ... ستستعيد عافيتك بعد عدة أيام وستستطيع التحرك بحرية حينها الوداع ... من الجيد مقابلتك حقاً. قالها ثم أخذ يتحرك مبتعداً عني حتى توارى عن أنظاري تماماً، تهتدت بألم وأنا أشعر ببعض الغضب من تركه لي هكذا، لقد ظننت انه لربما يأخذني معه وينقذني ولكن يبدو أن توقعاتي قد خابت كالمعتاد

ولا أدري ما الذي أفعله بحالتي هذه، ليس أمامي غير الانتظار حتى أستطيع الوقوف على أقدامي مرة أخرى، أغلقت عيني بهدوء وبدأت أفكر في أخذ قسط من الراحة حتى ينتهي اليوم بحرارته الحارقة التي قد بدأت في القدوم وأستيقظ في المساء في البرد والانتعاش، آه ما أجمل الهدوء والسكون في هذا المكان، أظن أن هذا ما يميز الصحراء عن بقية الأماكن هدوء لا مثيل له يعطي شعور بالراحة والانسجام مع العالم المحيط، تصبح أذناك قوية تستمع لكل شيء يحدث حولك أستطيع سماع خطوات أقدامه وهو يتحرك من بعيد، يذهب فرحاً بحريته ونجاته وليفكر في ولا في الذي قد يحدث لي وأنا طريح هكذا، لا الومه ربما لديه

أسباب قوية تمنعه من أخذي معه، ربما أصبح يخشى من العرب بعد ما حدث له، لم أسئلة كيف يتحدث العربية بطلاقة هكذا ولا ما الذي قد أتى به هنا هو وابنته ولماذا يعيشون بالصحراء؟ لا يهم، ما الذي سيفيدني بذلك.؟، الأمر غريب فأنا أشعر أن الخطوات أصبحت أقرب وأقوى، فتحت عيني على عجل وأنا أتمنى أن يكون شخص قادم

ويتسنى لي طلب الإنقاذ ولكني لم أرى شيئاً الضوء شديد والرؤية غير واضحة، لا أرى غير ظل يتحرك باتجاهي، هناك شخص ما، صرخت بقوة

أنتقذي أرجوك ... أنتقذي.

توقف أمامي وتمايل باتجاهي وبؤبؤ عيني تتحرك بسرعة رهيبة تريد تمييز أي شيء ولكنها عاجزة عن الرؤية الواضحة ولكني استطعت تمييز يده وهي يأخذ الطعام والماء من جانبي، لا أعلم ماذا أفعل غير الترجي والتوسل له بتركهم لي

ارجوك إنهم كل ما لدي.. أتاني صوته ضاحكاً..

لا تقلق أيتها الأحمق، اللعنة أنت لا تراني صحيح؟.

من.؟. مستر (فرانك).؟. تساءلت باستغراب

أجل، إنه أنا، أنت لم تخبرني أنك ضعيف النظر، يا إلهي ما الذي
يفعله شاب مثلك هنا بكل تلك الأمراض؟.

ماذا ستفعل بالطعام والماء؟. أرجوك أتركهم لي.

لا تقلق أيها اللعين ما الذي تظنني إياه... قالها وهو يمسك بيدي
ويحملني، أشعر أنه يحملني فوق ظهره وتحرك بي

أسف لتركك هكذا، لقد تفكرت كثيراً بالأمر أنه لو أنك مكاني لما
تركنتني هكذا، أليس ذلك صحيحاً؟.

ماذا تعتقد أني سأفعله؟.

أعلم، اعلم يا بني أنك شاب طيب القلب، إن الكوخ قريب من هنا
أمامنا ليلة طويلة. سنصل بعد يومين وليلة ويبدو أنهم سيصبحون
شاقيين للغاية.

أسف أيها العجوز، لقد ظننت بك ظن سيء

لا، لا تقلق، لقد تركت بالفعل ولكنني قد صححت خطئي.

أتمنى ألا أتعب ظهرك من ثقل وزني.

ضحك ضحكات عالية متتالية

أنت خفيف للغاية يا بني ولكن لا تقلق إن شعرت بالتعب
سأستريح في الطريق.

لقد ورد على عقلي عدة تساؤلات لم أذكرها لك من قبل، هل هناك
مانع إن سألت عنها؟.

تريد معرفة ما الذي أتى برجل غربي ليعيش هو وأبنته بقلب صحراء
عربية أليس كذلك؟.

مم، لا اعلم من أين ابدأ ولكن دعني أخبرك بكل شيء منذ البداية.

المفقود

يتحرك بخطوات هادئة متوازنة بحذائه البني اللامع فوق الأرضية
 الرخامية المنقوشة بزهور كبيرة سوداء حاملاً بين يده حقيبة بنية صغيرة،
 صعد الدرجات الرخامية العسلية الطويلة بهدوء عابراً خلال البوابة
 الواسعة لداخل المبنى الضخم الهائل توقف أمام باب القاعة البني
 الداكن وأخذ ينظر لساعة يده السوداء ليجدها الثامنة إلا عشر دقائق، كان
 الضجيج يصل إليه بصخب عالٍ فلم يتحمل الوقوف في هذا الصخب
 للحظات فتحرك للداخل بضجر عم المكان الصمت والهدوء وأصبح لا
 يسمع إلا همسا، وضع الحقيبة فوق الطاولة البيضاء المستطيلة صائحا
 بقوة

صباح الخير.

جاءه الرد عالياً قوياً من الطلاب الجالسين خلف مدرجاتهم النصف
 دائرية المتتالية بتصاعد للأعلى

صباح الخير دكتور (سعيد).

أخذت الهمسات تتزايد وتتعالى في أرجاء القاعة، فرك جبينه العريض
صائحاً

هل الجميع متواجدون.؟.

أجابته فتاة تجلس في مقدمة القاعة

أجل دكتور الكل متواجد إلا شخص واحد وهو (احمد فؤاد).

(احمد فؤاد).؟. صاح مستغرباً ثم أتبع مسرعاً. أجل.. أجل.. إنه يُحضر
الضيوف ...

حسناً. تنهد بها بهدوء ثم أكمل بأرق. (نبيل).

أجل دكتور. أجابه شاب في أقصى يمين القاعة.

اغلق الأبواب والنوافذ.

أمرك دكتور. أجابه مسرعاً ثم اخذ يتحرك بخطوات مليئة بالغرور
وبالتفاخر بجسده العريض

وعضلاته المفتولة التي تكاد تمزق قميصه الأخضر الضيق، نظرات
غضب للفتيان ونظرات إغراء

للفتيات فيقابلة الشباب بنظرات تجاهل وأخرى غاضبة والكثير يقابله
بالخوف ونظرات الفتيات غالبيتها إعجاب بدء يغلق النوافذ الواحدة تلو
الأخرى حتى أصبح المكان شبه مظلم إلا ضوء بسيط قادم من باب
القاعة الأمامي فتحرك إليه بهدوء حتى أمسك بدرفته الأولى واغلقها
وعندما أخذ يغلق الأخرى اعترضه أحدهم من الخارج ففتح الباب
بغضب ليرى من هذا الذي وقف في طريقه، فرأى شاب متوسط القوام
أنيق المظهر يرتدي حلة سوداء أنيقة

صاح فيه بغضب. لماذا تعترض طريقي أيها الأحمق.؟

تصبب العرق من جبينه هامساً بارتباك وقلق. أسف أيها القوي فُجِلت
من غير قصد.

ثم أخذ يتحرك للداخل فاعترض طريقه بوضع يده اليسرى على صدره
مانعاً إياه

لم أنهي حديثي معك بعد!! قالها ونظرات الغضب تعلو عيناه

تنحج الآخر مرتبكاً؛ أسف ولكن دعني أعبر من فضلك لأن معي
الضيوف.

ضغط على يده بقوة آلمت الآخر هامساً بغضب: سنكمل حديثنا فيما بعد. ثم تنح جانباً فتتحرك الشاب للدخل وخلفه إمرأه حسناء ترتدي حلة عمل سوداء وتحمل في يدها حقيبة صغيرة ومن خلفها السيدة (فاطمة) بجلبابها الأسود المنقوش بفراشات ذهبية وفي يديها أطفالها الصغار يقبضون على يديها بقوة خشية منهم أن يفقدوها كما فقدوا أخيهم الأكبر، تحرك المعلم مسرعاً مرحباً بهم ثم أخذ يُجلسهم فوق المقاعد الإسفنجية السوداء الموضوععة أمام المدرجات ثم صاح بقوة

(أسماء).

أجل دكتور. جاءه الرد من الخلف ضعيفاً.

يُمكنكِ البدء الان عزيزتي. قالها ثم تحرك ليجلس خلف طاولته بهدوء.. مرت لحظات ظلمة لا يكاد يرى أحد منهم شيئاً ثم اخذ المكان يشع بالأضواء المختلفة مُسلطة فوق شاشة العرض البيضاء الكبيرة فوق رأسه، تعرض صور كثيرة له منذ صباه واخرى مع أهله وأصدقائه التي جُذبت لها الأنظار، تحركت فتاة مسرعة واطعة مكبر الصوت فوق الطاولة أمام المعلم ثم عادت لمجلسها سريعاً بينما تنح المعلم بهدوء لتجربة الصوت وعندما تأكد عمله أخذ يتحدث بهدوء

اليوم هو الخميس الموافق الخامس عشر من شهر أكتوبر لعام
٢٠١٢.. وكما تعودنا لمثل هذا اليوم من كل شهر نتحدث عن إحدى

الشخصيات المهمة التي تركت أثر كبير في العالم بابتكاراتها في شتى المجالات ولكن اليوم مختلف بعض الشيء

لأننا سنتحدث عن شخصية قد تعايشنا معها الكثير من الوقت ورأينا تميزه بعينينا ولامست أيدينا يداه وقد ترك أثر كبير بداخلنا من أدب اخلاقه وطيبة قلبه وتميزه المعتاد في دراسته كلكم بالتأكيد تعرفون عنم اتحدث.. هو طالبي المتميز (هادي عبد العزيز) الذي اختفى عنا جميعاً منذ أكثر من سته أسابيع، غائبا عن اهله الذين يفتقدونه بشدة، وقد تواصلنا مع والدته بعد أن قرر مجلس إدارة الجامعة مساعدتها في العثور عليه بأن نخصص هذا اليوم له وبتعاون مع الصحفية المشهورة مدام (إيمان) التي أرادت إنشاء مقال كبير عنه لذلك تقدمت للتحدث مع أصدقائه لبناء مقال صادق عن حياته لحثه على العودة من خلال رسائلكم له.. تفضلي مدام (إيمان).. أرجوا منكم التعاون معها بلا تردد ولا خوف. تحرك من مقعده بعد أن وصلت بجانب الطاولة، سعدت بهدوء جالسة تتحدث بينما جلس المعلم بجانب والدة المفقود.. شكراً لك دكتور (سعيد) ولكن قبل أن أبدأ في أي شيء أود أن أعرفكم بنفسي لمن لا يعرف من أكون.. أنا (إيمان) كاتبة صحفية في جريدة المستقبل. قد تواصلت معي السيدة (فاطمة) والدة (هادي) المتغيب عن المنزل منذ فترة طويلة ولا احد يعلم مكانه الا الله سبحانه وتعالى وفكرة المقال الصحفي إنما هي لتحريك مشاعره إن كان قد ترك المنزل وذهب بمحض إرادته ليعود لأمه وإخوته أو حتى يتواصل معهم عبر الهاتف ليطمئنهم عليه وأشك بأنه ترك المنزل هكذا وإن كان قد حدث له حادثة ما قد يتواصل معنا كائن من كان يخبرنا بما حدث وراه في أي

مكان في البلاد و أنا في كل الاحوال لا تعامل في قضية أو حدث ما إلا بالمصداقية و الحقائق لذا أرجوا من الجميع التعاون معي لربما أنتم من يعيدوه الى أهله بسلام ويكون كامل التأثير لكم لذا من كان يريد التحدث عنه بشيء فليصعد هنا الان . رفع الشاب ذو الحلة السوداء يديه عاليا. صاحت بهدوء. تقدم يا (احمد)

تحرك بهدوء لأعلى المنصة وجلس بجانبها على كرسيه الخشب. اسمك بالكامل لو سمحت؟ تساءلت بهدوء وهي تمسك بمسجل صغير في يدها قربته منه وهو يتحدث بتوتر. (احمد فؤاد). ما صلة قرابتك ب (هادى)؟ انا وهو اصدقاء منذ الطفولة تستطيعي القول باننا اصدقاء العمر، كنا كالكتابين المفتوحين امام بعضنا البعض كان يعرف ما بي من غير ان اتحدث وأستطيع فعل ذلك له ايضا كنت اعرف فيما يفكر من غير ان يتحدث، لم نكن نخفى عن بعضنا شيئا اطلاقا، حتى الاسرار التي لا يريد المرء تذكرها بينه وبين نفسه كنا نعلمها عن بعضنا

إذا فانت توعمه الروحي تساءلت بهدوء.

رشف رشفة صغيرة من كوب المياه الموضوع امامه فوق الطاولة ثم تحدث بهدوء: تستطيعين قول ذلك، اذكر بانه قالها لي ذات يوم.

لقد أخبرتني ونحن قادمون لهننا بانه لم يذهب بمحض ارادته كيف تتأكد من ذلك الامر؟ تساءلت بذكاء

مستحيل اقولها بكل يقين.

وما سبب يقينك القوى هذا؟

لأنني ساعته ذات يوم ونحن جالسون في مكانه المفضل امام البحر.
قلت له وانا شبه عالم بما سيقوله. (هادى) التفت لي والابتسامة
على وجهه وكان دائم التبسم في جميع الاوقات، متفاعل. ما هو املك
في الحياة؟

قال لي بسرعة بالغة بدون أي لحظة تردد. :ألمي في الحياة هي أمي
وإخوتي. وكانت عيناه تتلألأ بالأمل حقا. تغلغت الكلمات في اعماق قلبها
وهي جالسة تستمع وتجاوبت الدموع تسيل على خديها النحيفان تلوم
نفسها كيف ظنت به سيئا بانه تركهم وذهب ولكنها تعذر نفسها فقد
يئست من رجوعه لها فإنها تفتقده بشدة تود لو تدفع نصف. لا بل
عمرها كله وتراه ولو للحظات قليلة.

شكرا. لك. (احمد) على تعاونك وصراحتك، ولكن يظل هناك شيء
وحيد!

ما هو؟ تساءل بتوتر.

دعنا نفترض.. مجرد افتراض بانه ذهب بمحض ارادته لأسباب لا يعلمها
أحد الا هو ماذا ستقول له حينها؟ اخرج منديل ورقي من جيب حلتة

السوداء ومسح به فوق جبينه الصغير بهدوء متحدثاً سأقول له حينها
اتمنى الا تكون قد نسيت املك في الحياة. ولكنى كما قلت سابقا انا على
يقين تام بانه سيعود يوما ما بكل تأكيد.

شكرا جزيلا (احمد) على اخلاصك لصديقك وعلى حسن تعاونك. قالتها
ثم اغلقت المسجل، صافحته وهبط عائدا لمجلسه، اقتربت من المكبر
صائحة بهدوء هل هناك من يود التحدث عن فقيدنا بشيء؟ انتظرت
قليلا ولم ترى أي تجاوب، كان الجميع يبدو عليهم التوتر والاضطراب،
صاح المعلم من فوق مقعده هيا يا شباب اين التفاعل؟ رفعت يدها
بقلق وتردد واضح لمحها المعلم فصاح بقوة. تقدمي عزيزتي (ميساء)
ولا تترددي. وقفت بقلق وتحركت تجاه المنصة بتردد سقط الضوء عليها
وهي تتحرك بين المدرجات فكشف عن رداؤها الازرق المتلألئ وعن
حذائها الاسود الامع بجانب عقدة شعرها الحديثة صعدت وجلست امام
الصحفية بقلق. اسمك عزيزتي؟ تساءلت الاخرى بهدوء.

(ميساء) اجابتها بقلق.

هل انت صديقته؟ تساءلت بذكاء وحيرة.

اعتقد نفسي كذلك!!

ارادت الاخرى التساؤل حول هذه الاجابة المبهمة. وكيف ...

قاطعتها الاخرى بعجلة وتوتر: المعذرة ولكنى لن أستطيع الدخول في التفاصيل ولكن سعدت هنا لاعتذر من شخصين الاول هو (هادى) اقول له ارجوك سامحني على ما فعلت والثاني هي (اسماء). ارجوك (اسماء) تسامحيني. كانت (اسماء) تجلس خلف جهاز البث القديم بهدوء ولكن عندما سمعت اسمها تضجرت ورمقتها بنظرات الغضب وعندما ظلت تعتذر منها امام الجميع , تذكرت كم الاحراج التي لاقته منها سابقا وها هي تعاود كرثها , فتحركت غاضبة تهرع هاربة من هذه الفتاة الساخطة , تحركت بغضب باتجاه الباب الخلفي للقاعة , لمحتها الاخرى وهى تتحدث في المكبر وهى تذهب فقالت مسرعة: اسفة ولكن لا بد ان اذهب ولكن قبل ان افعل اتمنى حقا ان تصل رسالتي له في يوم ما ويسامحني على أفعالي معه المعذرة. قالتها ثم تحركت مسرعة تعدو خلفها وهى تصعد اعلى الدرجات للباب الخلفي صرخت بها وهى تتحرك مسرعة بداخل رواق ضيق يؤدي لساحة الجامعة. (اسماء) ارجوك انتظري.

اتركيني وشائئ. صاحت بها بغضب. لم تستسلم لصرخاتها الغاضبة واخذت تعدو خلفها حتى خرجت لساحة الجامعة الخضراء كانت تتحرك وسط الحديقتان الصغيرتان بعجالة والاخرى خلفها تصرخ فيها بأسف. (اسماء) من فضلك توقفي للحظات واستمع لي. ارجوك. التفتت اليها صارخة: ماذا تريدن؟

اريد الاعتذار منك.

انا لا اريد اعتذارك يكفي ما فعلتي. حقا لا أدري ما بك وكي تهدي
وتتوقفي عن محاولاتك السخيفة انا لن اسامحك ابدا. مهما فعلتي
ومهما اعتذرت.

انا حقا نادمة. قالتها بكامل الأسى ينبع في قرارة صوتها الناعم والدموع
سائلة على وجنتيها. صرخت فيها الاخرى بغضب حاقدا. لا يهمني. لم يعد
شيء تجاهك البتة. لذا توقفي عن ملاحقتي، ربا، انت حقا انسانة
بغيضة. لا تكثرين ولا تهتمين الا بنفسك فقط. التفت ذاهبة بغضب
تاركة اياها سائلة في دموع عينيها ولكنها لم تستسلم فهي على دراية
تامة بما تواجهه من موجة غضب ووعدت نفسها بانها ستتحمل حتى
الاهانات تكفيرا عما ارتكبته في حقها، عادت خلفها بعجلة من امرها وبغير
إدراك منها سقطت قدمها فوق ثوب الاخرى الطويل فسقطت على
الارض مرتطمة وجهها بالأرض الرخامية الصلبة فسالت الدماء بكثرة من
جبينها المجروح، وقفت صارخة مصدومة بما حدث وقد أنهى حقا أي
وسيلة للاعتذار بعدما ساءت الامور اسوء من السابق بكثير

حسنا سيدة (فاطمة) انا على دراية تامة بان لديك الكثير والكثير كي
تتحديني معي بشأنه ولكن سأعيد صياغة السؤال السابق عليك انت
ايضا ونقول فرضا كان اختفائه عن حياته بمحض ارادته ماذا ستقولين له
في هذه الحالة؟ كانت عينيها الزرقاء الواسعة تتفقد المكان الشبه مظلم
غير انعكاسات الضوء المبعوثة من شاشة العرض تظهر الوجوه الكثيرة
امامها وهي لا تزال تبحث بداخلها عما ستقوله له في مثل هذه الحالة،
حتى استقرت عيناها على ابنتيها وهم ينظرون الى صورة على الشاشة

بتأمل شديد: سأقول له حينها، ارجوك يا بنى عد من اجلنا من اجل أمك وان لم يكن فمن اجل اخوتك، فهم بحاجة لك أكثر منى بكثير، (هادى) بنى اين انت الان.؟.

ارجوك.. عد.. الينا.

دائما ما احب الجلوس في مثل هذا الوقت , وقت غروب الشمس حيث ينتشر اللون الأرجواني الخلاب في انحاء الوجود سبحان الله , سبحان الذى يغير ولا يتغير , منذ عدة اسابيع كنت في مثل هذا الوقت انظر عبر شرفة شقتنا لمياه البحر وزحام السيارات منتظر الغروب والان لا يوجد أمامي شيء غير الرمال والخلاء , اجلس فوق قمة جبلية ليست بمرتفعة أتأمل الوجود منتظرا قدوم العجوز بالطعام , لقد ذهب منذ مدة بعيدة , حوالى ساعتين او اكثر بالتأكيد الامور تغيرت عندما انظر لحالي الان وانا اقول ساعتين مدة طويلة , لقد كان اليوم يمر في المدينة ولا اشعر به , اتساءل عن الذى حدث ؟ بالتفكير في الامر اعتقد بانها وسائل الترفيه والعقل المشغول دائما اما هنا فلا يوجد غير الفراغ، وقت طويل بلا أي انشغالات ولا وسائل ترفيه، لم أكن القى بال للوقت سابقا لان عقلي كان دائم التفكير في وسيلة للنجاة اما الان بعد كل ما مررت به لم اياس من الخروج بالطبع ولكنى لم اعد أفكر فقط سأنتظر حتى اتعافى واسال العجوز عن طريقة للخروج من هذه الصحراء اللعينة ولكن ان كان يعلم أي طريقة للخروج فلماذا لا يزال هنا؟ لا أدري!! حتى انه لم يقص لي حتى الان عن سبب مكوثه في هذه الصحراء واعتقد بان سبب ذلك بانه

لم يثق بي كافيا ليحكى لي اسراره. على كل سأنتظر الوقت المناسب له حتى يخبرني من تلقاء نفسه.. سأنتظر.. فلا املك غير الانتظار الان.

من اكون في هذا الوجود الصارخ، ما هي قيمتي في هذه الحياة الواسعة اتساءل؟ انا بلا قيمة ام انى غير موجود اشعر بالحزن على حالي وحالي ابنتي وعلى حال هذا الفتى المسكين خطاء من كوني هنا؟! وخطاء من كون هذا الفتى هنا!

محاصرون من كل جانب فوق هذه الرمال الصفراء. هكذا نبعت تلك التساؤلات على قلبه الحزين بدون موعد وهو يتحرك بتثاقل مهموم وحزن مكروب بعدما أنهى النهار الطويل بدون صيد شيء صغير للطعام، بدء عقله بالتفكير في ترك الفتى والنجاة بحياته، فجسده لم يعد به الطاقة الكافية لحمله والتحرك به ولكن ماذا سيفعل الفتى المسكين وحده هنا بحالته الجسدية الهزيلة هذه، بالتأكيد سيموت بعد عدة ايام ولكنى أستطيع انقاذه!! بالذهاب وحدي وجلب الطعام والمياه له وحمله للكوخ، يتحرك ببطء مراقبا بعينه خطوات اقدمه الحافية فوق الرمال الناعمة ويحمل في يده حذائه الرملي حائراً فيما يفعل فهو يريد الوصول لابنته بسلام وايضا يريد نجاة الفتى المسكين، توقفت خطاه عندما رأى الفتى وهو مستلق بظهره على الرمال مغلق عيناه، اجتاح كيانه الحزن أكثر فأكثر عندما تمنع بالنظر لوجهه الضعيف وجسده النحيل الواهن فسقط على ركبته جاثيا باكيا

لقد جاء العجوز منذ لحظات وهو ينظر لي بطريقة مريبة بعينين مليئتين بالحزن مثقلة بالهم وانا منطرح على ظهري انظر له باعين شبه مفتوحة وفجأة سقط على ركبته واخذ يشهق باكيا فاعتدلت متسائلا بقلق وحيرة. ماذا حدث مستر (فرانك)؟ لما كل هذا؟ نظر لي وعيناه تفيض من الدمع، بنظرات لا افهم ما تحمله من معاني ولكنها حركت مشاعري وتغرغرت عيناى سريعا، لم يمض طويلا حتى سالت الدموع من عيني وهو يتحدث مقهقر بالحزن

انا اسف ايها الفتى. حقا.. انا اسف.

على أي شيء؟ تساءلت باكيا. فأجابني وهو ينتحب لم اجلب أي طعام. اشعر بأني خذلتك يا فتى

لا.. لا.. ابدأ اجبت سريعا ثم تابعت بصدق وحماس لقد أسرتني بإنقاذك لي وأسرتني أكثر بحملك لي فوق اكتافك وجعلتني مدينا لك بدين اتمنى لو أجد شيئا أستطيع فعله في يوم ما لأسد لك هذا الدين. لذا لا بأس مستر (فرانك). تستطيع الذهاب لقد فعلت معي أكثر مما كنت اتوقعه.. اذهب لابنتك ايها العجوز. نظر لي باندهاش واضح وكانت عيناه تتساءل كيف علمت بانه سيقولها. تردد للحظات وكأنه يريد قول شيء ولكنه لا يدري فأردت ان اريحه فقلت له. لا تقل شيئا فقط اذهب لابنتك، فانا اعلم بانك ستعود من أجلي. اليس كذلك؟! بالتأكيد يا بنى! قالها وهو يمسح دموع عيناه. الكوخ قريب من هنا سأعود لك بكل تأكيد لذا انتظرنى هنا ولا ترتكب أي حماقة حتى اعود لك. قلت ضاحكا. واين

سأذهب بجسدي هذا ولكنى سأنتظرك بالتأكيد. هيا اذهب لابنتك قبل قدوم الليل. اه. سأذهب. قالها وهو يرتدى حذائه وما ان انتهى حتى ذهب مبتعدا، حتى اختفى أثره من امام عيني وعدت وحدي شريدا منتظرا الظلام الذي ارتجف فيه خوفا وبردا وانا لا ارتدى غير قميص بيضاء أعطاني اياها العجوز والبنطال الازرق القصير الذي وجدت نفسي به هنا في هذه الصحراء. اتساءل عما ستحملة لي الايام القادمة؟! هل سانجوا ام ان من القى بي هنا كان يضعني بداخل مقبرتي ... على كل لا يهم. فانا لا أدري ان كان النهار سياتي على حيا ام ان هذه الليلة القادمة هي الاخيرة لي.

أوه. هذا هو الانتعاش الحقيقي. هكذا خرجت منها الكلمات بسعادة وارتياح وهي تمشط خلاصات شعرها البنى المبلل المبعثر على راسها بكثافة بواسطة مشاطة بيضاء صغيرة تنهدت بارتياح عندما تساقطت قطرة مياه على فخذاها وهي جالسة متربعة الاقدام فوق الرمال، انتهت من تمشيط شعرها ثم اخذت تضفره خلاصات بهدوء عبرت اليها الذكرى , عندما كان يساعدها ابيها في تضيف شعرها بطريقة سلسلة وفي غاية السهولة , نظرت حولها بتأفف مضجرة من جلوسها وحدها وتفكرت كيف انها كانت دائمة الوجود بارتياح شديد مع ابيها وكم انها تفتقده بشدة في هذه الآونة واين ذهب ولماذا لم يعد حتى الان لقد ذهبت تبحث عنه بالأنحاء ولم تعثر على دليل واحد او حتى اثر صغير له , فهي على يقين بان شيء ما حدث له لأنها على يقين اكبر بانه مهما حدث لم يكن ليتركها وحدها كل هذه المدة وكم انه كان دائم العراك معها على ذهابها بداخل الصحراء وحدها بدون معرفته , اذا فما الذى حدث له ؟ . انهيت

تفسير شعرها وتحركت مسرعة لخارج الكوخ لتبحث عنه وتنادم عليه
لربما يسمع صرخاتها الحزينة المفتقدة له.

في جو الفضاء الشاسع تحلق الطيور بانتظام صفوف تتبعها صفوف،
عائلة تتبعها عائلة، عائدین بعد شقاء يوم طويل تحت اشعة الشمس
لجلب الطعام لهم ولصغارهم. اخوة لأخواتهم، مسرعین للوصول
بالغنائم المتماسكة بها اقدمهم واخرى تمسك بالطعام بين منقريها
قبل قدوم الظلام وفي اسراعهم جاء مفترس كبير يهدد ذلك القطيع اما
بسرق الغنائم او بأكلهم كوجبة عشاء، فأسرعوا هاربين ولكنه لا يزال
يتبع الصف الاخير ارتعب عصفور صغير حديث عهد بالتحليق فسقط
الطعام من فمه، صرخ فيه عصفور عجوز تابع التقدم يا حفيدي العزيز
ولا تهتم، فهبط الطائر صائحا بحماس وعزيمة لن اترك طعام إخوتي مهما
حدث، فصرخ العجوز به عد ايها الغبي الاحمق. ولكن الكلمات لم تصل
اليه لان المفترس العنيد التقطه بمخالب حديدية قبل ان يصل للطعام
عصفور ضعيف مسكين. قالتها وهي جالسة بأعلى قمة جبلية تحدد
بعينها الزرقاء بداخل لوحة السماء الواسعة ترتقب قدوم الظلام وتللا
النجوم بتألق باهى وضعت يدها بداخل حقيبتها الصغيرة التقطت
مجلدها الازرق واخذت تتناول بعض صفحاته حتى وصلت لأخر صفحة
كتبت فيها حيث يتواجد بها قلمها الذهبي واخذت تدون بهدوء.

مذكرتي العزيزة لقد مرت عدة ليالي منذ ذهابي عن العائلة واخذ
حريتي، ابحت عن الشاب غاية الوصول لهدفي، ولكنى حائرة عما
يكون هدفي اهو لإنقاذه ام لتلك المشاعر الحائرة بداخلي الشاقة

لرؤيته ولقائه واعتقد بان تلك المشاعر تجاهه لأنني اعتقد بانه
يعرفني ويهتم لأجلي، الاهتمام الذي لم احصل عليه كفتاة من أي
شخص اخر غير انهم لا يريدون الا جسدي ولا يهتمون لروحي او
حتى شخصي ولكنه لم يهتم بجسدي بل بروحي. وتمنى وهو يموت
ان يرى وجهي، هل هو معجب بي ويبتغيني ام اني اتخيل كل ذلك
ولكن على كل سأذهب خلفه لإنقاذه حتى يأخذني للمدينة. وايضا
لا اعترف له بإعجابي به.. اجل.. سأعترف.

تهدت بقوة وهي تغلق مجلدها وتضعه بداخل حقيبتها ثم تحركت
لأسفل القمة بهدوء لتواصل مسيرة بحثها حيث ان الظلام قد اقترب
كثيرا، تحركت كثيرا حتى وصلت لمفترق طريق، يجول في خاطرها بان
هذه هي اخر نقطة لمحتها عبر جهاز المراقبة كان يتواجد بها ان تحركت
للأمام فتتحرك لمجهول وان عادت للخلف فتتحرك للعائلة وان ذهبت
يمينا فستصل لعصام وزوجته الاعداء المتربصون وان ذهبت يسارا
فستواجه قطاع الطرق المغتصبون وقفت حائرة مترددة باي طريق
تتحرك، الى مجهول لا تعلمه ام الاعداء معلومين. لربما تحرك باي اتجاه
وهو لا يدري، استقر تفكيرها بالتحرك في دائرة واسعة النطاق في جميع
الاتجاهات لربما تتوصل لشيء يساعدها في العثور عليه بدأت بالتحرك
بداخل دائرة واسعة تتحرك بأمل وارتياح , فهي غير مجبرة لفعل شيء
انما لأول مرة تفعل شيء بملكها وبكامل ارادتها الحرة لأجل ذلك كله
تبحث عنه بكل استماتة فهو العامل الرئيسي في جعلها تستيقظ من
غفلتها الراقدة وكونها اسيره شهواتها ولذاتها الدامية وتبحث في اعماق
روحها لتنقذ الفتاة المكبلة بقيود العائلة داخلها , توقفت خطاها , منصتة

اذناها عندما ظنت بسماعها لصوت , قامت بحبس انفاسها حتى لا تعيق قوة سمعها ولتتأكد مما سمعته قبل لحظات , مرت لحظات صمت لم تسمع شيئاً غير هزيز الريح ظنت لربما خيل لها من شتات افكارها فتحركت بهدوء فعاودها الصوت واضحا اكثر مما سبق قادم لها من خلفها فالتفتت بهدوء وتخفى , ان كان الصوت قادم من خلفي ضعيفا هكذا فلا شك المصدر الرئيسي له قادم من هنا فأشارت بيدها خلفها ثم اخذت تعدو بهدوء شديد لعدم جذب أي انتباه لحين تأكدها من هذا الصوت , تعدو وكلما تعدو يتوضح الصوت وكأنه يقول أي أي أي , وقفت امام قمة جبلية عالية فأخذت تصعدها بهدوء وحذر شديد ودقات قلبها تتزايد مما جعلها متوترة تتعرق تشعر ببعض من الخوف , الخوف الذي لم تشعر به من قبل . وصلت لقمة الجبل واخذت تسترق النظرات بهدوء منصتة فلمحت فتاة واقفة ام كوخ تحمل في يدها شعلة تصيح وتصرخ بقوة ابى فأخذت اين انت يا ابى. دقات قلبها لا تزال تتدفق بقوة خائفة واخذ عقلها بالتساؤل عنن تكون هذه الفتاة ومن هو ابوها، اتسعت عينها دهشة عندما تذكرت كلمات العجوز ذات يوم عن البحث عن الأجنبي وابنته هل من الممكن ان تكون هذه ابنته، هذه بالفعل مصادفة كبيرة وجائزة عظيمة للعائلة ولكنها اطفئت حماسها حتى تتأكد من عدم وجود الشاب او لربما يعرفون عنه شيئاً، لذا الانتظار هو كل شيء حتى الان حتى تتضح لها الرؤية جيدا وتعلم ما عليها فعله في مثل هذا الامر.

يتحرك بهدوء في شوارع المدينة يحمل خلف ظهره حقيبة ظهر متوسطة الحجم منتفخة صفراء اللون ويحمل في يده علبة معدنية صغير سوداء

وفى اليد الاخرى عدة اوراق بيضاء، يتحرك عدة خطوات ثم يقوم بلصق
واحدة على الحوائط والاعمدة

سبحان الخالق.

تتهد بها وهو يخرج سماعة اذنيه من جيب بنطله الازرق اوصلها بالهاتف
واخذ يستمع لأغنيته المفضلة المؤثرة بنفسه منذ ان اختفى صديقه من
الوجود، اخذ يتحرك بهيام بين الحانها منسجم مع رقة صوتها متأثراً
بكلماتها

سنرجع يوماً الى حيننا ونغرق في دافئات المني

سنرجع مهما يمر الزمان وتناهى المسافات ما بيننا

تسارعت خطاه وهو متلهف منهمك بلصق لافتات المفقودين، توقفت
خطاه امام عمود انارة ضخم وقام بلصق اخر منشور معه واخذ ينظر الى
صورته وهو مبتسم وفوق راسه جملة غريبة على عيناه. مفقود منذ عدة
اسابيع عن اهله. وبجانب صورته جملة ثقيلة عليه المفقود (هادى عبد
العزیز) واسفلها اشارة لا يصدقها، من راه فليتواصل مع هذه الارقام.
تغرغرت عيناه غير مصدقا لما تراه، لا يستوعب ما يحدث ولا يصدق بكل
المعاني بان هذا يحدث، وضع علبة اللاصق السوداء بداخل الحقيبة
وحملها بين اصابع يده وتحرك بانكسار بداخله يضيق روحه. يجعل لون
الحياة باهتا في عينيه السوداء الواسعة، اخرج سماعة الاذن من اذنيه

بضجر واضح واخذ يقلب في هاتفه الحديث بكرب وهم يبحث عن شيء يطفئ نار قلبه المتوهجة وبينما هو كذلك اصطدم في شخص بقوة اسفرت عن سقوط الهاتف من يده وارتطامه بالأرضية الإسفلتية، وضع يده على راسه متألما صائحا بهدوء اسف جدا اسف حقا لم انتبه.

رفع عينيه ببطيء وهدوء ليعتذر ممن ارتطم به فتفاجئ من رؤية صديق غير مرغوب به حاليا البتة.

. نبيل! همس بها مستغربا. ابتسم الاخر حاذقا وهو يضرب قبضة يده بكفه. مرحبا ايها الوسيم!

اسف جدا لم انتبه. قالها وهو ينحني ليلتقط هاتفه ولكن قبل ان يمسك به وضع الاخر قدمه عليه داهس اياه. رفع راسه رامقا اياه بتعجب صائحا بضجر. وماذا بعد؟! من المشين ان لا تلقى لي اعتبارا وانا اتحدث معك. قالها ساخرا ثم تابع بكبره وغروره المعتاد. الم اخبرك باننا سننهي حديثنا فيما بعد ولكن في الحقيقة هذه مصادفة كبيرة وممتازة في هذا المساء الرائع.

من فضلك ابعث قدمك من فوق هاتفي. قالها بهدوء وغضب مكثوم بداخله.

ها تفك! قالها الاخر ضاحكا مقهقر بصخب ثم تابع وهو يتفاخر بعضلات جسده التي تكاد تمزق قميصه الاحمر الضيق. تقصد كان هاتفك لأنه أصبح ملك لي الان. اعتدل الاخر مواجهها له وجه لوجه صائحا بغضب.

وماذا يعنى ذلك؟

. ذلك يعنى بانه أصبح هاتفي. مرت لحظات صمت حديث ولكن الاعين تحتد لبعضها متبادلة نظرات الغضب، اخذ (احمد) يهدئ من روعه ويتمالك جمرات غضبه حتى لا ينفجر فيه بوابل من اللكمات العنيفة الغاضبة المكظومة حبيسة انفاسه الملتهبة. اسف لم انتبه بانه لم يعد هاتفي. قالها بضيق واضح تحمله الكلمات التي في لحنها تحدى مخفى أسفل حروفها ثم تابع وهو يستدير. تمتع به وارجوا ان يرضى غرورك. التقط الحقيبة واخذ يتحرك مبتعدا عنه فصاح الاخر فيه. والحقيبة ايضا لم تعد ملك لك. انت مخطئ في حقيقة الامر لان هذه الحقيبة ملك لي. قالها بهدوء بالغ وهو يلتفت اليه ثم تابع وهو يقترب منه معلى عن تحديه البالغ.. يبدو بان الحقائق اختلطت عليك لان هذه الحقيبة ملكي انا وحدي ولن يشاركني بها أحد.

يبدو بانها مهمة لك!!!

لا شان لك بذلك.

اتساءل فقط. اين رايتها من قبل؟ اه. اجل. اجل. اظن انها هدية لك من ذلك الاحمق الضعيف الذي يبحث عنه الجميع والذي تعلق له هذه اللافتات الحمقاء. تحدث بسخرية واضحة ثم اخذ يتابع وهو يقهقر ساخرا. ماذا مكتوب فيها. تحرك لينظر بداخل احدى المصصقات المتواجد بعمود الانارة بجانبهم صائحا اجل. ابحثوا عنه انه شاب بالغ ضعيف مشير للشفقة ان وجدتموه ارسلوه لأهله البؤساء و قاطع (احمد) سخريته بركله غاضبا في قدمه اسقطته على الارض ثم قفز عليه بوابل من الكلمات الهائجة لكمة خلف اخرى تحمل معها غضب وكراهية وضيق وشقاء وتعب وافتقاد واشتياق ومشاعر اخرى هائجة مبعثرة بداخله، حبيسة ايام واسابيع وشهور لكلمات تتبعها اخرى حتى تألمت قبضاته التي اديمت وجه الاخر وفي وسط ذلك الحقد والكراهية عبرت له ذكرى هائمة اضاءت له وميض هائل من نور ابيض ساطع رأى من خلاله صديقه الوحيد وهو يهمس له بابتسامة هادئة (احمد) اهدئ فالعنف ليس الوسيلة الافضل انما هي الابتسامة. توقفت لكلماته الهائجة واخذ يشهق بقوة وهو ينتحب فانتزه الاخر توقعه وشتاته واستخدم قوة ذراعه بإسقاطه ارضا والانهمار عليه باللكمات والركلات الغاضبة القوية صائحا فيه بغضب. ايها اللعين الاحمق البائس الضعيف، ظل يسب فيه وهو ينهال عليه بالركلات القوية ولم يتوقف حتى سالت الدماء من وجهه وزفر بها من فمه، تمايل عليه قابضا على عنقه بغضب: لقد جلبت كل ذلك لنفسك ومن اليوم اصبحت في قائمتي السوداء، مما يعنى بان القادم لك اسوء بكثير .

الاضاءة خافتة هادئة بداخل الغرفة الواسعة وهي جالسة على مكتبها
الزجاجي الكبير، تمايلت بهدوء لتتناول كوب القهوة من فوق مكتبها
ورشفت منه بضع رشقات صغيرة واعادته حيث كان، اخذت تبحث في
عقلها وتعيد ذكرياتها بأمر هذا الشاب المفقود ووالدته الحزينة وكم انها
تصدق والدته ومتأثرة بها ومتعاطفة معها ولكنها فعلت ما عليها وجهزت
المقال وارسلته للطباعة في اولى الصفحات بالجريدة. قاطع تفكيرها رنين
الهاتف عن يمينها فأجابت مسرعة. اجل. حسنا. اجلب لي نسخة في
الحال. تنهدت بهدوء وهي تغلق الهاتف واخذت تكمل قهوتها بهدوء.
انهيت قهوتها مع طرقات باب الغرفة فصاحت بقوة. تفضل. فتح الباب
الايض وعبره رجل اشيب الراس يرتدى حلة عمل عسلية يحمل على
يده وعاء معدني عليه كوب مياه فارغ وفي يده الاخرى نسخة من الجريدة
اقترب من المكتب متحدثا: النسخة سيدي، تناولتها منه بهدوء

شكرا لك عم (سيد).. العفو سيدي. قالها وهو يتناول الفنجان الفارغ ثم
تحرك للخارج. اخذت تتفقد الجريدة وتتقلب بعينها بين صفحاتها ثم
وضعتها وتناولت الهاتف. (مريم) صليني بالطابعة، اجل. لا باس ابدا
بالطابعة والتوزيع.

تنظر بعينها الزرقاء المليئة بالحزن للملهى الواسع تراقب ضحكات
اطفالها وهم يلهون ويمرحون، تنهدت بقوة مفرغة بعض من نيران
الحزن بداخلها وهي جالسة وسط حشد كبير من الناس، تتسلل اليها
الضحكات تراقب ضحكاتهم وابتسامتهم، الضحكة والابتسامه التي غابت
عنها منذ ان رحل رجلها وولدها، اخذ منها الابتسامه واخذ معه كل شيء

المرح والابتهاج ما عاد بيدها شيء الا وفعلته، اجتاح كيانه شعور قوى بالضيق والالام يجعلها تود الصراخ بكامل قوتها الصوتية ولكنها تتمالك نفسها بقوة حتى لا تؤثر على نفسية اطفالها. اطفالها.. عبرت الكلمة وترددت بداخلها فتذكرت انها ابعدت عينيها عنهم فأخذت تبحث بعينيها في هذا الحشد الكبير لرؤيتهم ولكنها لم تراهم فصرخت بداخلها.. أطفالي وتحركت فازعة من حولها بلهفة تجوب الحشد بحثا عنهم تصرخ بأسمائهم. (سلمى).. (سالي) ولكنها لا تسمع منهم اجابة فصرخت صرخة قوية افزعت الجميع من حولها صارخة.. يا إلهي أولادي ... اين أطفالي...؟

اطول ليلة في الوجود

تتحرك مرتجفة بانهيأر عقلي ودقات قلب متنافرة تجوب الحديقة
الواسعة بحثا عنهم تصيح وتصيح (سلمى)... (سالي).. تجذب الاطفال
اليها بهلع لربما تكون احدى ابنتيها تصرخ بداخلها ما الذي يحدث؟ اين
ذهبوا؟ تنهال عليها الافكار المضطربة بكثافة توقفت افكارها، عاتقة
لعقلها وحكمتها، هل ستفقدهم كولدها، مرت هذه الكلمات بداخلها فلم
تفكر ولم تدبر الامر فهذا بعيد تمام عن ادراكها. فصرخت صرخة افزعت
من حولها من قوة الصرخة وتأثيرها المرعب على من حولها سقط
المشروب البارد من يد أحدهم وانطرح الطفل وهو يهرع لأحضان امه
باكيا مرعوبا، التم الناس حولها فزعين، الكثير منهم يخشونها مرتجفة
قلوبهم والكثير من الأيادي ترتعش، تساءل أحدهم بلهجة متسرعة قلقة.
ما الذي حدث سيدتي؟ صرخت وهي تنتحب.. أطفالي ... لا أجد أطفالي.
انجذب رجال الامن لهذا الحشد المريب فوجدوها واقفة وسطة تنتحب
من البكاء والانهيار اقتربوا منها متسائلين بحيرة.. ماذا هناك سيدتي؟
ماذا حدث لك؟

أطفالي.. لا أجد أطفالي ارجوكم ساعدوني.. توسلت ببيكاء

تنهد أحدهم بقلق مهدئ لها: لا بأس سيدتي هذا يحدث هنا كثيرا ولكن لا تقلقي سنعثر عليهم قريبا ولكن من فضلك اجلسي ولا تخافي سنهتم بالأمر بكل تأكيد.

ارجوكم افعلوا ذلك.. قالتها وهي تترنح فلم تعد قادرة على الوقوف. تحركت ببطء الى الطاولة والقت بجسدها كي لا تفقد وعيها والدنيا من حولها تلتف في دائرة.

اجلب لها كوب مياه وأي شيء يهدئ من روعها. قالها لصديقه بجانبه ثم التفت الى الحشد الكبير صائحا. من فضلكم اعطوا لها بعض من المساحة للهواء وتحركوا لمقاعدكم سنهتم بالأمر من هنا ... شكرا لكم. استجاب الحشد لدعوة رجل الامن المهذبة وتحركوا مفترقين. بينما احضر الاخر كوب المياه وكوب من مشروب العناب الاحمر البارد وضعهم على الطاولة البلاستيكية البيضاء الدائرية امامها بهدوء هامسا: تفضلي سيدتي. شكرا لك. قالتها بهدوء وسقم، تحرك اليها الاخر متحدئا. من فضلك سيدتي هل يوجد معك صورة لأطفالك. اجل. اجابته وهي تخلع سلسلة ذهبية من حول عنقها أسفل عباؤها السوداء لها قرص كبير على هيئة قلب. هذه هي. تناولها بهدوء متسائلا: ماذا كانوا يرتدون؟ : رداء ازرق لون المياه الصافية وشعرهن معقود للخلف بوردة حمراء. وما هي اسمائهن؟

(سلمى) (وسالي) تؤام في العاشرة من اعمارهن

حسنا سيدتي سنعثر عليهم بكل تأكيد، ارجوا منك التحلي بالصبر
والاطمئنان التام من فضلك.

شكرا لك يا بنى. قالتها بخفوت وهي تجمع شتات انفاسها، تحركت
الدموع سائلة من عينيها الحزینتان، سقطت قطرة فوق الطاولة مرتطمة
بها بقوة مما اصدرت صوت خفيف وهي تناجى ربها وتحدث ولدها، أترى
يا بنى كم نعانى في غيابك عنا، اترى كم انا وهم محتاجون لك اشد
الحاجة، فقط لو اعلم اين انت لأتيت لك الان حتى ولو واجهت الموت
(هادى) يا بنى عد لنا سريعا ارجوك فقط عد.

انا خائف حقا. انا كذلك، أكره الليل عندما يأتي بداخل هذه الصحراء،
الليالي الماضية كان العجوز بجانبى دائما فكنت دائم الوقت مطمئن
حتى وانا وحدي ولكن الان لا اعلم لماذا قلبي ينبض بقوة هكذا ويستمر
بإفراز سائل الخوف المرعب هذا، احاول منذ ساعات تجاوز هذا الخوف
الذي باغتني فجأة هكذا ولكنى لم أستطع. كلما اطمئن يتشتت عقلي
مجددا وابدأ بالخوف. اتساءل!! من أي شيء اخاف او حتى على أي
شيء؟! هل انا خائف على نفسي من الموت؟ ربما.. ولكن مازال معي
قطعة خبز وبضع قطرات مياه , اتجاهل تناولهم منذ فترة وانا اتضور
جوعا واشعر بالظماء الشديد , اعلم بأنى ستناولهم في القريب العاجل
لأنى لا اتحمل الجوع وخصوصا وانا معي طعام حتى ولو كان قطع خبز
متحجرة , تنهدت بقوة عندما بدء الخوف يتباعد عنى قليلا , الهواء بارد
منعش في هذه الليلة الهادئة تبسمت وانا اقول لنفسي وما الجديد فكل
الاقوات هنا في غاية الهدوء , النجوم تتلألأ عاليا في السماء والشهب

تتحرك كثيرا هنا بنيرانها الحارقة الوهاجة , اتذكر عندما اخبرني احدهم بان كل شخص على وجه الارض له نجم في السماء يتحرك فوق مسقط راس صاحبه في جميع الاوقات وعندما يموت الشخص يسقط نجمه على هيئة شهاب !! يا للسخافة!! لقد كنت اصدق هذه الكلمات وانا صبي صغير وكلما رأيت نجم يسقط اقول هناك شخص مات ولكنى كبرت وعلمت بان الشهب هي النجوم تحرق من يسترق السمع من الشياطين، مذكورة في القرءان في العديد من الآيات، سبحان الله، حتى وهي تحرق الملاعين تكون في غاية الجمال، بدأت اشعر بأقدامى يبدو بان الدم بدء يتدفق بهما مرة اخرى. عيناى تؤلمنى كثيرا في هذه الآونة ونوبات الربو تأتينى على حين غرة منى، لقد رأيت الهلع والفرع في اعين العجوز عندما أتتني اخر نوبة وشعرت حينها بان روحي تتصاعد هاربة من جسدى واعتقد بان العجوز بدء يشفق على منذ ذلك الحين، لقد أخبرني بان بحوزته نبتة قد تخفف عنى الام الربو ولكنى بدأت اعتاد الام عيني وصدري، اتساءل كيف يبدو هو الان؟ ... اتمنى ان يصل لابنته بسلام.

يتحرك بهدوء ورخاء لتجميع انفاسه المتقطعة حتى يعاود كرتة ويعود مسرعا، لقد عدى كثيرا قبل مغيب الشمس حتى يقترب من الكوخ سريعا ليطمئن على ابنته الوحيدة منذ عدة ليالى وايضا ليتمكن من العودة للفتى قبل ان يحدث له شيء ويتمكن من انقاذه بسلام، لقد اثار اعجابه أكثر من قبل عندما أخبره بالذهاب، يتحرك مبتسما وهو يثنى على ذكائه القوى اللماح، ضم حاجباه قلقا وهو يتفكر في الظلام بداخل هذه الصحراء وما يحمله من مخاطر كبيرة خاصة وهو مستلق بالخلاء. هكذا بدء يتمنى ان تمر عليه الليلة بسلام، فقط الليلة فهو يخشى ان

يلدغه ثعبان او عقرب وهو منطرح هكذا يخشى عليه أكثر لأنه لن يستطيع تفادى الامر بضعف نظره وجسده السقيم، رفع راسه للسماء مراقبا النجوم التي يستدل بها الطريق للكوخ فهو يحفظ الطريق من خلالها فان لم تكن هي لما استطاع ان يعود لابنته مرة اخرى ولفقدها بداخل هذه الفلاة الواسعة الجامعة، تنهد بقوة هامسا ... (كريستينا) عزيزتي انا قادم اليك لا تتحركي.. انا قادم.

تتحرك بخطوات حزينه، يعانق الهواء البارد خلاصات شعرها ترفرف مموج وتتراقص صفائرها من قوته تسير حائرة مضطربة غير عالمة بما تفعله اكثر من كل هذا البحث المتواصل عنه، تتساءل استظل منتظرة قدومه ام تذهب باحثه عنه في كل الاتجاهات ولكن العائق الدائم امامها هو انه لربما يعود بعد ذهابها حينها لم تعثر عليه البتة، تتحرك ذهابا وايابا امام الكوخ المنبعث منه الضوء والدفء حائرة عن اتخاذ أي قرار قد يدمر لقائها بابيها مرة اخرى، جلست بياس وتأفف تلاعب اناملها الرمال الباردة، فقط لو تعلم ماذا حدث لكان كل شيء تغيير وايضا لو اخبرها مما هاربون لكان مكوئها هنا اصبح مقبولا ولكن ما يضييق نفسها ويفزع صبرها بانها لا تعلم، اخذت تتعاهد عندما يعود سيكون لها ردة فعل عنيفة معه اما يخبرها او تهجره وتهدد بالرحيل والابتعاد عنه نهائيا، فقط عندما تقابله ستختلف الامور كثيرا عما سبق .

خلف القمة الرملية مستلقية على خصرها تراقبها بهدوء تام، زفرت بغضب هامسة بداخلها، كم ان هذه الفتاة الحمقاء لا تفعل شيء يلفت الانظار او حتى يثير الشك ومن الغريب ايضا انها وحدها في هذا الكوخ

ولم يظهر أي شخص آخر حولها ولكنها كانت تصيح بابيها يبدو انه لم يعود من الخارج حتى الان ويبدو ايضا بانها تنتظره بغضب ولكن لن يفيد التعجل بشيء نهائيا لا بد من التأكد حتى لا تفسد الامور ولكنها بدأت تشعر بالضجر والملل والصبر ينفذ منها اسرع مما توقعت , فقط قليلا وكل شيء سيتضح ولكن ارجوا الا يطول اكثر من هذا , بدأت تفكر في مهاجمتها وغرس جهاز تصنت بالكوخ او حتى بملابسها ولكن مثل هذا التحرك الجريء لابد ان يكون في غاية السرعة والدقة ولكنها مترددة بهذا الشأن لربما يتواجد الفتى بداخل الكوخ ولم يخرج بعد ولكن كيف تتأكد من ذلك ؟ .. فقط الانتظار وحده كفيلا بكشف الامر. قبل اتخاذ أي خطوة خاطئة لا بد من التأكد بانها وحدها في هذا الكوخ الصغير.

لقد وجدناهم وعثرنا عليهم سيدتي، قالها بنبرة باهجة سارة وهو يشهق بقوة ملتقطا انفاسه بصعوبة، انتفضت من فوق مقعدها بدهشة سعيدة اعادت الى وجهها الباهت الحياة ليصبح مستنيرا يشع بالحيوية صائحة بارتباك بهيج: حقا! ثم اخذت تتلفت من حولها باحثة عنهم بلهفة مشتاق متسائلة بشوق لا يضاويه شوق: اين؟ اين هم؟؟ فتنحى الرجل مبتعدا من امامها مشيرا بيده: ها هم قادمون مع قائدنا سيدتي بخير وسلامة كما وعدناك. :شكرا لكم جزيل الشكر. قالتها وهي تتحرك مسرعة باتجاههم بلهفة وسعادة واطمئنان، تحركوا الاطفال اليها مسرعين وارتموا بأحضانها، ضمتهم الى صدرها بحنان واغلقت يديها عليهم بقوة هامسة إليهم برفق: اين كنتم ايها الحمقاوات الصغيرات لقد أفلقتموني عليكم كثيرا، صاحوا بارتخاء بين احضانها: نحن اسفون يا أمي. :هكذا تتركوني وتذهبوا بدون إخباري هكذا أرعبتموني سأعاقبكم

اشد العقاب عندما نعود للمنزل. اعتدلت متمسكة بأيديهم بقوة. انا حقا ممتنة لك سيدي الشاب على ما فعلته حقا ممتنة. لا شكر على واجب سيدي هذا واجبي ونحن سعداء بإعادتهم سالمين اليك مرة اخرى. شكرا لكم جميعا.. شكرا لكم. قالتها ثم تحركت بهم الى بوابة الحديقة. صاح بها رجل الامن وهي تتحرك. المعذرة سيدي. التفت اليه بهدوء. اجل. القلادة خاصتك سيدي. قالها وهو يعيد اليها قلادتها الذهبية، التقطتها منه بخجل. لقد نسيته من الفرحة انا شاكرة لأمانتك سيدي.. شكرا لك. تحركت بهم الى خارج الحديقة الى الطريق الأسفلتي النظيف عبروا الطريق بهدوء الى الناحية المقابلة واخذوا يتحركوا بشوارع المدينة المنيرة بمنازل ارجوانية هادئة، تحدثت إليهم برفق وهم يتحركون. انا غاضبة منكم كثيرا وسأفطعكم لمدة طويلة. نحن اسفون حقا يا أمي ارجوك لا تغضبي منا. اجابوها بصوت طفولي يخلع القلوب. تبسمت بحنان مجيبة لهم. حسنا، انا مستعدة لمسامحتكم ولكن بشرط واحد. تساءلوا معا. ما هو؟ ان تعدوني بالا تتحركوا لأي مكان الا بعدما تخبروني.

نعديك بذلك.. حسنا لقد عفوت عنكم هذه المرة ولكن ان فعلتموها مرة اخرى سأعاقبكم اشد العقاب هل نحن متفقون؟ تساءلت بمرح.. اجل متفقون. اجابوها بسعادة

حسنا هيا بنا لأجلب لكم الحلوى. بدوا سعداء مرحين وهم يتجهون لمتجر صغير في منتصف الطريق وصلوا اليه وابتاعت لهم الام حلوى الشوكولا وبدوا أكثر مرحا وسعادة وهم يحملون حلواهم وهموا بالرحيل

ولكن قبل ان يتحركوا صاحت احدى صغيراتها: أمي ... انه أخي. التفت الام حولها بارتباك متسائلة: اين؟ اين هو؟ قالت لها الأخرى: انه ليس بالطريق يا أمي انه هنا بالجريدة!! التفت الام بلهفة وتناولت الجريدة واخذت تتطلع اليه بحيرة واشتياق جام.

لقد غلبني الجوع بالفعل ولم يتركني حتى اخذت اتناول قطعة الخبز المتحجرة , مذاقها لا باس به كلما اقضم قضمه افكر بالخبز المحمص الشهي ولكنه لا يؤلم أسناني كما تفعل هذه القطعة ولا اجد صعوبة في بلعها كما اجدّه الان , امضغها بصعوبة ومشقة كأني امضغ قطعة من صخر الصحراء ولكن عندما تحشر بحلقى ابللها بقليل من الماء , الماء الذى اوشك على النفاذ , استسلمت بتناولها لأمران في غاية المشقة الجوع اولا والبرد القارس ثانيا فجسدي ينتفض منذ مدة من شدته وظهري اخذ يؤلمني اكثر مما سبق من شدة صقيع الرمال التي استلقى عليها ولكن ماذا افعل ؟ كنت ولا زلت اتلوى مثل الثعبان متقلبا ما بين ظهري وجانباي وبطني كلما اشتد الصقيع على احدهم واشعر بالألم اتقلب لأخر والرمال اسفل منى تتزايد في البرودة وكان اسفل منها ثلج متجمد يرفع من برودتها شيئا فشيئا بجانب الهواء البارد يزداد شدة وبرودة , النوم يجافيني مبتعدا ارغب به ولكنه لا يرغب بي اريد النوم حتى لا اشعر بالألم اكثر من ذلك ولكنى اعتقد بأنى لم احصل عليه لأنه لن يأتي ما دام هناك الم وبرد تنهدت بضجر وانا اتفكر بداخلي عن طريقة تشعرني بالدفع , العجوز كان يشعل لنا النيران فتجلب لنا الدفع الجميل وايضا كنا ننام متلاصقين ببعضنا فنشعر بمزيد من الدفع , تبسمت عندما أخذتني الذكرى وانا بالمنزل كنت كلما اشعر

بالصقيع اتناول قطعة من الحلوى , حلوى السمسم والفول السوداني
والحمص , اللعنة .. هل حياتي اصبحت مجرد ذكريات، يبدو كذلك! ويبدو
ايضا بأني حصلت على كل شيء جيد وقد حان وقتي العسير وحدي في
الظلام.. أبكي على ما مضى من حياتي أفكر فيما سيأتي.. اتساءل! كيف
اخلص نفسي من معاناتي فنظرت للسماء اشكو باس حالي وضعف
قوتي واستسلامي يا من يجيب المضطر اذا دعاه فرج حالي وفك وثاقي ,
دعوت الله من داخل قلبي وأعماقي ثم تذكرت الابتهاال الذى لطالما
أشجاني وحملني الصوت الخاشع لأعانق السحاب واحتضن الطير وهو
يرفرف عاليا لا اذكره فقط بل انى استمع اليه الان فالصوت عاليا يملا
ارجاء الصحراء فأخذت اردد معه بارتياح ... يا سامعا دعوة المظلوم
صاعدة وظالم النفس يخشاها ويخشاك رحماك فالطف بنا في ما قضيت
به واغفر لنا واهدنا دوما لنعماك ولا تخيب رجاء لي وخذ بيدي ما لي
سواك وما لي عنك الاك فيأرب فرج عنى مصيبتى واخلف لي خيرا منها .
انتهيت بارتياح رائع وهدوء نفس غير مسبوق وعاودني الصمت تارة
يكسره هزيز الرياح كل فترة وبينما انا كذلك جاءني الصوت بجانب أذني
حتى إنني شعرت بأنفاسه تلامس جلد أذني صوت مخيف مترهل. هذا
رائع ايها الشاب.. هذا رائع. اصعقت تلك الكلمات قلبي حيث انها
جاءتني بغتة على حين غفلة منى، رباه صعقت صعقة كادت توقف
قلبي الذي اخذ ينبض بجنون يكاد يحطم أضلاعي صارخا وانا اغشى
على من الخوف: اه. وسقطت غائبا عن الدنيا ولازلت اشعر بإيقاعات
قلبي المتفجرة ... لا اعلم كم من الوقت مضى وانا غائب عن الوعى
ولكنى استيقظت عندما شعرت بشيء يتحرك على أقدامى فرفعت
رأسي ناظرا فوجدت ثعبان ضخم يصعد على أقدامى ثم صعد لخصري

عابرا بين أقلامي , ارحيت رأسي بهدوء بالغ وهو يتصاعد حتى توقف للحظات على صدري , يبدو بان نبضات قلبي العالية جذبت اذناه فانا اعانى من حالة رعب شديدة اريد البكاء والصراخ فانا خائف ... جد خائف بدأت اتنفس بصعوبة من شدة الخوف وحفيف ذيله يصدر طنيننا مرعبا وهو يتحرك حتى وصل برأسه امام عيني ينظر لي بتركيز شديد يخرج لسانه المخيف باستمرار , اردت تحريك يدي وقذفه بعيدا عنى ولكن يدي تستمر بالارتعاش واعتقد بأنى لا اريد المغامرة بتخييب القذفة لان عاقبة الفشل لدغة مميتة .. اللعنة ماذا على فعله في مثل هذا الموقف؟ التمست الهدوء مرتجفا فحاولت تمالك نفسي فلم أستطع ايقاف جسدي من الارتجاف وظننت بانها نهايتي ولكن خيب الله ظني حيث انه تحرك مسرعا مبتعدا عنى بغير لدغى وأذيتي تنهدت مفرغا بعض الخوف بداخلي فأردت مراقبته ونظرت عن يساري ولكنى تمنيت بأنى لم انظر مطلقا حيث فزعت برؤية ذئب يحد النظر لي, بلعت ريقى بصعوبة وعيناي بداخل عيناه لا اكاد أطرف بهما من شدة مراقبتي له وهو لا يزال ساكنا بجانبى يرمقني بنظراته الحادة, اللعنة ما الذي يحدث؟ منذ قليل ثعبان والان ذئب. هممت بالاعتدال من تألم ظهري فأسندت بيدي اليمنى المرتعشة بهدوء على الرمال ولكنها لم تكن الرمال بل انى ضغطت على الثعبان من غير نظر ولا مراقبة فلدغني لدغة مؤلمة في ذراعي فصرخت متاوها من شدة الالم فكشف الذئب عن انيابه ثم عوى بصوت عالي فلمحت الذئب تتوافد من كل اتجاه بكثرة فضحكت باكيا من هيستريا الخوف , يبدو بأنى سأكون وجبة العشاء الليلة , تحركت زاحفا على يداي محاولا الهرب ولكنى كنت ادرك بانها محاولة يأسه لأنى مهما اسرعت لن اسبقهم , صرخت بهلع عندما قضمني احدهم من

قدماتي جاذبا إياي للخلف وانهاالوا على يلتهمون أقدامي وانا لا ازال
ازحف محاولا الهروب , اشعر .. اشعر بأني اعيش في الخوف، استنشق
وازفر به وبداخله راقد أسفل منى ومتحركا بأعلى منى بكل انواعه
ودرجاته من الهلع والفرع الى الرعب والفوبيا انتقل خيالي بجسدي وانا
اهرع مسرعا في الظلام خائفا مرتجفا هاربا من شيء ما لا اسمع غير
صوت أنفاسي وخطواتي الخائفة نظرت خلفي بهلع انظر لما يلاحقني
فاصطدمت بشجرة كبيرة فسقطت على الارض وانهاالت على الكلاب
المفترسة تمزقني.. حتى في تخيلي أمزق من كل جانب، أعادني الالم
حيث انا راقد وجهي على الرمال أبكي على حالي من شدة الخوف، مرت
لحظات الم رهيب ثم اخذت الذئب تعوى هاربة عندما تعالت اصوات
خطواته وهو يقترب منى، ارى نعله الممزق واقدامه المتسخة البشعة
حتى توقف عن يميني، رفعت عيني لأعلى متسائلا بداخلي عمن يكون،
فوجدت كائنا ما يختبئ تحت رداءه الاسود الواسع مختبئ وجهه في
الظلام أسفل قلنسوته السوداء ممسكا بعصا غريب الشكل تنتهي
براس حديدي نصف دائري مخيف، لا يصدر صوتا تزايد الخوف بداخلي
وانا اتساءل من يكون؟ اردت التحرك فلم أستطيع وكان جسدي مكبل
من كل جانب، حاولت وحاولت ولكنى لم أستطع حتى تحريك إصبع
واحد، حاولت النطق مستعيذا بالله ولكنى لم أستطع. اللعنة صوتي لا
يخرج فأخذت اكررها مرارا وتكرارا حتى خرجت الاستعاذة من فمي
وسمعتها فانتفضت معتدلا فوجدتني حيث كنت نظرت لأقدامي فلم
أجد بهم شيء ثم نظرت لذراعي فلم أجد به شيء ايضا. كابوس لعين.
تهدت بها وانا أفرغ الخوف الذي ينتابني واخذت اتساءل بداخلي متى
بدء هذا الكابوس المخيف؟ اجل.. منذ ان باغتني الصوت المترهل

فأخذت اتلفت يمينا ويسارا ابحث بقلق عن صاحب الصوت فلم ارى أي شخص ولكنى على يقين بسماع ذلك الصوت فرفعت رأسي عاليا فوجدت شخص منتصب خلفي تماما بلعت ريقى بقلق متسائلا بخوف ... من انت؟

يتحرك ببطء شديد مستندا بالجدار والدماء تتقاطر من راسه بشدة حتى اغرقت قميصه الازرق من كثرتها وشدة سيلانها واضعا يده اليمنى على اضلاعه التي تؤلمه بشدة وكلما يتنفس يشعر بالألم بقفصه الصدري عبر باب المشفى بصعوبة وتحرك للداخل بترنح غير قادر على الوقوف وما ان وصل لبوابة الاستقبال حتى سقط على الارض سائلا في دمائه ... في نفس اللحظة كانت تتحرك للخارج مضمدا جبينها بالشاش الابيض موضوع عليه لاصق طبي ابيض لمحته وهو يسقط فتحركت مسرعة صائحة به. (احمد)! ما الذي حدث؟ فلم تجد منه جوابا فصاحت بقوة: المساعدة من فضلكم ... ايها الطبيب المساعدة. فتحرك ممرضان وحملوه واضعين اياه فوق سرير متحرك، فحصه الطبيب قائلا: انه يحتاج لجراحة الان.. ادخلوه غرفة العمليات حالا. تحدثت اليه الفتاة متسائلة بقلق: ما الامر ايها الطبيب؟ تساءل الطبيب من أسفل نظارته :من تكونين بالنسبة له؟ :انا صديقه في الجامعة. اجابته بارتباك. ان عينه اليسرى متضررة جدا وفي حالة حرجة وان لم نفعل شيء بخصوصها الان نخشى ان يفقدنا للأبد. وقفت مندهشة بما سمعته حائرة تتساءل بداخلها عما قد حدث له. قاطع الطبيب حيرتها قائلا: من فضلك انسة تواصلتي مع اهله في الحال. حسنا. قالتها بهدوء ثم تحركت للخارج.

الاضاءة زرقاء هادئة يعم المكان الصخب العال بالموسيقى الطالبة
العالية بداخل الملهى الصغير، يتراقص الكثير من الشباب مع فتياتهن
غارقين في بحور شهواتهم، منسجمين بأهوائهم وفي اخر الملهى كان
جالس مستند بيده على الطاولة الزرقاء المستطيلة وامامه الساقى وخلفه
زجاجات الخمور بمختلف الوانها واشكالها يتجرع الخمر وينفث دخان
سيجارته الحمراء بغضب يشع من عيناه المتورمة المنتفخة يفرغ الكاس
في رشفة واحدة ثم يطلب اخر، جلس بجانبه شاب يرتدى حلة زرقاء انيق
المظهر، تحدث بهدوء للساقى: كوب شعير من فضلك. كما تشاء مستر
(رامز). تحدث الساقى اليه بابتسامة تعلو محياه، وضع كوب الشعير
الممتلئ امامه صائحا بهدوء: تفضل سيدي. تناوله منه صائحا. شكرا لك
(ميخا). رشف رشفة من كوبه الكبير بهدوء هامسا اليه وهو يلتفت
بجانبه: هذا مشروب رائع بارد لذيذ الاتتفق معي في الرأي يا صديقي.
وضع الاخر كأسه ملتفتا اليه بغضب: ليس دائما يكون لذيذا. يا إلهي.
صاح بها الاخر متابعا: ما الذي حدث لوجهك؟; مخاطر المهنة. اجابه وهو
يشهق من سيجارته. اين الاغراض؟ تساءل بحذر. نفث دخانه بقوة.
بجانب قدمك. امسك بكوب الشعير ناظرا أسفل منه متسائلا: كم
بداخل هذه الحقيقية؟ خمس هواتف حديثة والحقيبة مجانا. ابتلع ما
تبقى من الكوب في رشفة واحدة صائحا بعدما انتهى: لقد اخبرتك سابقا
ليس هناك شيء مجانا. ثم اخرج حافظته من جيب جاكته الداخلي
واخرج منها النقود وناولها إياه: هذا حساب الهواتف. ثم امسك بورقة
نقدية من فئة المائتي جنيه: وهذه مقابل الحقيقة.

توقف بهدوء صائحا وهو يناول الساقى النقود: شكرا لك (ميخا) الباقي لك. شكرا لك سيدي. اجابه الساقى بسعادة. تناول الحقيبة هامسا له بأذنه. توخى الحذر في المرة القادمة يا عزيزي.. وفي المرة القادمة لا تهاتفني من اجل خمسة هواتف.. انت تعلم بان الوقت من ذهب.. ابذل جهدا أكثر تحصل على امتيازات أكثر.. عينك متضررة.. عالج نفسك اولاء. الوداع. حمل الحقيبة وتحرك للخارج صاح الاخر غاضبا: املى الكاس ايها الاحمق.

يتحركون بداخل الممر الضيق بقلق وارتباك شديد امام غرفة العمليات، جلست السيدة فوق المقعد البلاستيكي من شدة الام قدمها ولايزال الرجل يتحرك ذهابا وايابا بتوتر وقلق يعلو محياه، فتح باب الغرفة وخرج الطبيب يخلع قفازاته البلاستيكية فتحركوا اليه مسرعين صاح الرجل: ما الامر ايها الطبيب. هل كل شيء بخير؟ تحدث الطبيب متسائل: هل أنتم والداه؟ اجابه الرجل مسرعا: اجل انا والداه المقدم (فؤاد) مباحث عامة وهذه والدته. نظر الطبيب للأسفل متحدثا بأسى: للأسف لم نستطع فعل شيء أكثر مما فعلناه. علت وجوههم ملامح الاندهاش والحيرة صائحا الاب بكرب: مات؟

لا.. صاح بها الطبيب مسرعا متابع بقلق: انه حي يرزق ولكنه فقد عينه اليسرى هذا ما كنت اقصده. ماذا؟ صاح بها الاب. تدخلت الام باكية. هل نستطيع الدخول اليه؟. للأسف ليس الان لأنه في غرفة العظام لان جانبه متضرر كثيرا يبدو بانه تلقى الكثير من الركلات القوية بجانبه اليسر واعتقد بانه سيكون على ما يرام قريبا، بعد اذنكم. قالها الطبيب ثم اخذ

يتحرك مبتعدا فتحرك خلفه الاب صائحا. من فضلك ايها الطبيب. توقف
الطبيب مجيبا

اجل. ماذا تقصد بفقد عينه اليسرى؟ تساءل الاب بقلق. للأسف
سيدي لقد فعلنا ما بوسعنا ولكن عينه كانت متضررة جدا، يبدو بانه
تلقى كم كبير من اللكمات بها. بلع الاب ريقه بصعوبة. تقصد بانه فقدها
نهائيا. للأسف اجل. ليس هناك طريقة اخرى لمعالجتها حتى ولو خارج
البلاد؟

للأسف سيدي لقد فعلنا كل ما سيفعله أي طبيب اخر حتى وان كان
خبيرا أجنبي، اسف سيدي مضطر للذهاب، المعذرة، يا للهول. صاح بها
الاب بداخله ثم اخرج عليه سجائره وأشعل سيجارته. صاحت به ممرضة
خلفه. ممنوع التدخين هنا يا سيد. انتبه الاب لفعلته فتحدث بخجل وهو
يطفاها. اسف جدا لم انتبه.

زفرت بضجر وغضب شديد وهي متخفية خلف القمة الرملية تراقب
الكوخ امامها، لقد انتظرت الكثير من الوقت منذ دخول الفتاة بداخله ولم
يخرج أحد او يدخل غيرها بجانب انها فقدت كامل صبرها وتحملها في
هذه الليلة الطويلة صاحت بغضب ونفور (وكأنها اطول ليلة في الوجود).
اللجنة ما عدت اتحمل الانتظار أكثر من ذلك لا بد من التأكد من الامر في
الحال. لمعت عينيها الزرقاء عازمة على اتخاذ خطوتها في الحال للتأكد
من الامر بنفسها اخرجت مسدسها من حقيبتها واخذت تتأكد من
ذخيرته بهدوء تام ثم توقفت متحركة للأسفل بهدوء وحذر شديد اخذ

قلبي ينبض بقوة وهي تقترب من الكوخ مضطربة قلقة خائفة من خروج الفتاة في مثل هذا الوقت العصيب توقفت بهدوء تام امام الكوخ مستندة عليه ببطء شديد ثم رفعت سلاحها واخذت تجمع شتات نفسها , القت نظرة خاطفة سريعة بداخله فلمحت الفتاه وهي جالسة بظهرها للخارج , فتحركت بهدوء غير ملحوظ واخذت تقترب منها شيئاً فشيئاً ونبضاتها تتزايد بطريقة غير مسبوقه من الخوف والتوتر الشديد وضعت فوهه المسدس بمؤخرة راسها وهي جالسة تغسل ملابسها صائحة فيها بصوت اجش غليظ مخيف. تحرك , تموتين . بلعت الفتاة ريقها بصعوبة صارخة بداخلها. اللعنة لقد توصلوا الى.

٧

العجربة والاعين الزرقاء

من انت؟ تساءلت بخوف وهلع وانا ادقق النظر في وجهه ولكنى لا ارى غير الظلام تحدث وفي صوته الحماس مرحبا ايها الشاب. صوت مترهل كهل لعجوز مسنة ولكن ماذا تفعل في مثل هذه الصحراء هذه المسن، تحركت من خلفي بهدوء تام وبطء شديد حتى ظهرت عن يميني ترتدى رداء اسود واسع له قلنسوة تغطي وجهها من الجانبين تتكئ على عصي غريب الشكل بانحنائه خفيفة للأمام. جلست بعيدا عنى بخطوات عن يميني لا ارى منها شيئاً غير الرداء والعصى، فكررت سؤالي عندما ظلت صامتة: من انت وماذا تريدين منى؟ وماذا تفعلين هنا؟ واين نحن؟ تساءلت بكثرة فهناك العديد من الاسئلة بداخلي اريد جوابا لها باي طريقة حتى اطمئن واوقف أفكارى المشتتة، أجابتنى بهدوء: هذه اسئلة

كثيرة وتحتاج لجواب بالتأكيد ولكن لا تتعجل ايها الفتى ستعرف كل شيء في وقته المناسب. توقفت للحظات صامتة ثم تحدثت متسائلة. دعك منى انا وأخبرني من انت؟ لمحت في نبرة صوتها واجابتها السابقة بانها تريد التصرف بذكاء ولكنى فكرت بداخلي وعزمت الا أخبرها بشيء الا بعدما تخبرني اولا فتحدثت بكلماتها. انت من جاء وانا جالس إذا فانت من يعرف عن نفسه اولا!! ضحكت ضحكة لا تكاد تسمع ولكنى سمعتها ثم تحدثت بهدوء تام: يبدو بانك شخص ذكي بالفعل ولكنى اعرفك!!

ضممت حاجبائي الغليظان متسائلا بداخلي وكيف ذلك؟ لا بد بانها تمارس معي احدى الحيل القديمة فتماشيت معها بذكاء متسائلا: ان كنت كما تقولين فأخبريني من اكون؟

(ضياء) اليس كذلك؟ قالتها سريعا بدون تردد، فضحكت صاحبا صائحا لا ... قاطعتني مسرعة (هادى عبد العزيز سليمان). بلعت ريقى متحيرا مصعوقا متسائلا بداخلي كيف تعرفني ومن هي هذه العجوز بالفعل لقد أثارتني وحصلت على كامل تركيزي، قاطعت أفكارى وزادت إثارتى عندما تابعت: طالب في كلية الهندسة قسم الكترونيات واتصالات يعيش مع امه واخوته الصغيرتان التوعم سلمى وسالي، فقد في الثالث عشر من شهر اغسطس ولكن ... قاطعتها مسرعا: يبدو بانك تعرفين الكثير عنى وانا ايضا اريد معرفة مع من اتحدث؟ عابرة سبيل صدف وان مرت من امامك.

بالتأكيد هذه ليست اجابة لسؤالي ولم اعرف من انت سيدتي حتى الان. تحدثت بضجر ملحوظ: ادعى سيدة القمر يمكنك مناداتي ب (مارلين) انا

أحب هذا الاسم مع انى ليست بأجنبية ولكنى احبه. اشك بأنى احادث
عجوز ولكن كل شيء يوحى بانها كذلك. حسنا سيدة مارلين ماذا
تعرفين عنى؟ تساءلت بجدية: اعرف عنك كل شيء. كيف؟ لا يهم كيف
ولكنى اعرفك جيدا، اعرف ماضيك ومستقبلك. تحدثت بثقة بالغة تتبع
في صوتها المترهل ضحكت ساخرا. مستقبلي!! حقا. اجل فانا قارئة
المستقبل! أجايتني بذات الثقة المفرطة. صحت منافيا: هذا هراء، لا أحد
يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى. لقد قلت قارئة المستقبل وليس
عالمة بالغيب. قلت مستغربا: وهل هناك فارق بينهم؟ وما هو
المستقبل الا الغيب الذي قد يأتي وقد لا يكون هناك غدا من البداية.
صدق او لا تصدق يا فتى ولكنى رأيت مستقبلك ورؤيتي لا تخيب ابدا.
احسست في نبرة صوتها الانفعال لعدم تصديقي لها ولكن صدقا هذه قد
تكون عجوز مجنونة احادثها ولكن هناك امر غريب اشعر به لكونها
تتحدث بهذه الثقة. من تكون؟ سيدة القمر؟ انها منجمة لقول الرسول
(ص) كذب المنجمون ولو صدقوا لا ... بل ساحرة. اجل! انها ساحرة
فصحت بها: انت ساحرة. اجل انت كذلك.؟.

استنتج رائع من شاب يمتلك ذكائك ولكنى أفضل اللقب الاخر. وما
هو؟ تساءلت بهدوء ثم تابعت متسائلا: اهو سيدة القمر؟

لا ... لا وجود لسيدة القمر هذه مزحة اردت تضليلك بها ولقبي الحقيقي
(العجورية). عجورية؟ صحت بها مستغربا فتحدثت بصوت حماسي
مخيف. اجل، انا العجورية ملكة الصحراء وزعيمة الدماء، سيدة الرمال،
الكل هنا يعرفني والاقوياء يخشون لقاءى، ارى المصير في الكف وسير

الحياة بالحجر ورؤيتي للمستقبل لا تخيب فانا دائما رابحة ومن يسير معي يربح ومن يتحداني ويعادينني يهلك، إذا ايها الشاب الذكي ايهما انت معي ام ضدي؟ اللعنة! لقد بثت هذه اللعينة الخوف بداخلي مرة اخرى بصوتها المترهل المفزع ولكن يبدو بانها ساحرة خطيرة وتصدق نفسها في التفاهات التي تتفوه بها عن رؤيتها للمستقبل وانا على يقين بانها لا تعلم شيء ولن تعلم شيء ابدأ عن الغيب , بل اني مدرك تماما بانه غرور شياطينها المتحكمون بها فيبدو أمامي بانها خسرت نفسها لسيطرتهم عليها من زمن طويل , السحر دائما ضعيف امام من يستعين بالله وكذلك كيد الشيطان وانا مستعين بالله ولن تستطيع أذيتي او حتى إرهابي ولن تقدر على ان تسحرنى يقيناً بالله سبحانه وتعالى فتحدثت محيرا لها بثقة تامة: لا ذلك ولا ذلك .

وماذا يعنى ذلك؟ تساءلت بحيرة. فقلت لها: ذلك يعنى بأني لست بصديقك لأني لا اعرفك وايضا ليس بعدو لك طالما لا تؤذيني ولكن أخبريني بما أنك تعرفين الكثير كما تقولين، كيف وصلت هنا؟ ومن فعل ذلك؟ ولماذا!! ستعرف كل ذلك في وقته المناسب ولكنه مقدر يا فتى. الم تستمع للعدليب وهو يقول مقدرك ان تبقى مسجوناً بين الماء وبين النار. هذا هو مقدرك يا بنى، مقدر لنا منذ ولادتك اللقاء الليلة منذ تحركك بالصحراء وبعدها لدغك الثعبان وامسكتك العجوز المقعد وبعدها حررتك وانت اثرت شكوك الكثيرون فبعثوا رجالهم للبحث عنك عندما عجزوا الوصول بأجهزتهم الحديثة وايضا لم يتوصل رجالهم لشيء حتى انا وجدت صعوبة بالغة بالوصول لمعرفتك ومعرفة حياتك وعائلتك واصدقائك وكل المعلومات عنك ولكن المفارقة العجيبة بان

تصل إليهم كل المعلومات حتى مستقر اقدامهم بعد ان يأسوا بالوصول
لمعرفة من تكون والفضل كله يعود لامك

أمي؟ كيف ذلك؟ تساءلت بلهفة متحير قلق.

منذ رحيلك وهي تبحث عنك باستماتة وعزيمة لا تهتز ولكنها يئست
من عدم العثور عليك بكل طريق تبحث فيه فأجرت مقابلة صحفية في
صحيفة مشهورة ونشر الخبر الليلة مرفق به عدة صور لك تطالبك
بالعودة سريعا ان كنت ما زلت حيا. أمي مازالت تبحث عنى اشعر
بالاسى على ما قلته سابقا كونهم سئموا تواجدي معهم وانهم استراحوا
من أحقق مثلى هذه اللعينة لماذا تخبرني بكل ذلك؟ لا بد بانها تريد قتل
عزيمتي لاستسلم لمطالبها التي جاءت هنا من اجلها ولكن ما هي يا
ترى؟ ما الذي يبحث عنه الجميع معي ولا اعلمه، لا اعلم كيف جئت هنا
ولا اعتقد بأني مررت من هنا من قبل في حياتي لم ارى الصحراء الا في
شاشات التلفاز والسينما إذا فماذا املك ليستجوبني لأجله ويبحثون
عنى غاية الوصول اليه لابد ان اعرف ماذا يكون فتساءلت بإحباط كي
اشعرها بان خطتها تنجح في كسر عزيمتي: ولما كل ذلك البحث عنى في
المدينة؟

هذا امر طبيعي بالنسبة لصحرائنا هل تعلم بماذا يلقبون هذه الصحراء؟
قلت: ماذا؟ قالت. (صحراء الهلاك). لا يخرج منها أحد ولا يدخلها أحد
الجميع هالك بها الا اهلها من يعرفها حق معرفتها ولكن عندما اتيت
وتعمقت بداخلها كثيرا بغير إدراك منك صارت حولك الكثير من

الشكوك وكان لا بد من التأكد من هويتك. حسنا. ولكن يبقى هناك السؤال الاخير والاهم. تحدثت بهدوء متابعاً بحيرة: ماذا تريدان؟ أجابتني بسؤال. الا تريد الخروج من هنا والعودة لحياتك السابقة؟ بالتأكيد. اجبت مسرعا متابعاً بحيرة والمقابل؟ تحركت واقفة تتقدم نحوني فأخافني ذلك الامر وبينما هي تقترب ببطء مخيف صدر صوت عالي من يساري فالتفتت متسائلا وكان الصوت ثلاثا وكأنه صوت طلقات نارية صاحبة ما هذا؟ تمايلت الى تحملني هامسة انه صوت التحرك.

قبل عدة لحظات

يتحرك ببطء شديد فوق الرمال يتفكر في الجلوس ونيل قسط من الراحة فقدماه تؤلمه كثيرا من كثرة السير المتواصل وجسده منهك من قلة الماء والطعام فأخر قطعة خبز يمتلكها اعطاها للشاب الضعيف , تنهد بتعب وهو يتحدى كل الام جسده وضعف قوته لمواصلة السير حتى يصل للكوخ في اسرع وقت ممكن ليطمئن على ابنته ويطمئنها عليه ويمتد بالماء والطعام للعودة للفتى وانقاذه , يتحرك في الظلام مراقبا خطواته فالليل هو ليل الحيوانات والحشرات القاتلة يتحركون بعد انتهاء ضوء الشمس الحارق للحصول على غذائهم قبل بزوغ الشمس وينكمشوا بداخل اعشاشهم وبيوتهم التي تقيهم حرارة الشمس القاتلة , وقف امام قمة جبلية صخرية مرتفعة عالية , ينظر اليها بتراخي وتعب , حائرا في صعودها الان ام الجلوس حيث يقف لينال قسط من الراحة ثم يصعدا ويواصل السير يتساءل بداخله يبحث عن قرار لنهاية تلك الحيرة والارق زفر بقوة وهو يتحرك وقد عزم ان يستريح على قمته

العالية , اخذ يصعد بها ببطء وحذر شديد كي لا يتجرح او يسقط قتيلا , يصعد قليلا ثم يقف يلتقط انفاسه وراحة عضلات جسده المتألمة , يتسند على الصخور الخشنة بأقدامه بثبات متمسكة ايديه ببعضها حتى لا تتراخي اقدمه ويسقط فهو يخشى السقوط على مثل تلك الصخور الجافية , وصل لبدائها العالية يصعد بحذر شديد يحمل معه قلق وارتباك فالظلام وحده عائق لرؤيته بجانب انه يدرك بان مثل تلك القمة تكون بيوت واعشاش كثيرة من الحيوانات القاتلة لذلك لا يضع قدمه الا بعد ان يتأكد بعدم تواجد شيء عليها فأخر ما يرغب به الان لدغة ثعبان او عقرب قاتلة , جلس في منتصفها بهدوء فلم يعد يحتمل الام جسده , يستريح ويجمع شتات نفسه الغارقة في شواطئ الأمها وضعفها , يتفكر متسائلا عن احوال ابنته وكيف كانت تقضى يومها وحدها , يخشى عليها من ظلام الصحراء البارد ويخشى ان يعثر عليها احد اعداءه فيأسرونها ويستخدمونها كطعم له واجباره على الظهور علنا , اخذ يلوم نفسه على جلبها معه من بادئة الامر لو كان تركها في المدينة بصحبة جدتها لما كان حدث لها كل ذلك فهو يستطيع الاعتناء بنفسه ولكنه يخشى ان يخذلها ولا يتمكن من الاعتناء بها , فهو يخشى عليها اكثر مما يفعل لنفسه وكيف ان السنوات تضى عليهم وليس باستطاعته الهروب من هذه الصحراء , فقط لو لم يكن تلقى رسالة البعثة التي اتى من اجلها لكانت الحياة اختلفت كثيرا عما يواجهه الان من خوف دائم من العثور عليه وقتله , ارخى بظهره على الصخور مستلقيا فالنوم يطارده منذ مدة طويلة ولكنه لا يستطيع فالكثير من الارواح تعتمد عليه لإنقاذها فهو مدرك تمام الادراك بان على عاتقه مسئولية عظيمة وحمل ثقيل وضع يديه خلف راسه مستند برأسه عليهم يهمس بداخله وهو يراقب تلالا النجوم

الساحرة , حمل ثقيل وجسد منهك وروح ضائعة , حصار بعيد , هروب
طويل , الهم ينهال على أفكاري بمطالب كثيرة وما باليد حيلة , عزيمة
قوية واسباب محبطة انا الحر المكبل بقيود العبودية , اسير صحراء عتية
اعداء متربصون من جميع الجهات يحملون السيوف والبنادق الالية
عازمين على اسره وربما قتله , تذكر انهم بالفعل كادوا يفعلونها لولا
هروبه بابتته في اسرع وقت لكان ميتا منذ زمن طويل وكيف انه لا يجد
طريقة للهروب فهو محاوط بالأعداء من كل جانب لولا اختبائه وتنقله
الدائم لعثروا عليه منذ مدة طويلة , اغلق عينيه بهدوء وقد غلبه النعاس
رغما عن انفه ليستريح جسده بضع ساعات ويواصل المسيرة لإنقاذ
نفسه وابنته والفتى , يستمتع لهزيز الريح الهادئ الذى يساعده على
الغرق في بحور الاحلام الدافئة لتعود به لزمان ماضي وذكريات هائلة قبل
ثمانية عشرة عاما وهو يتحرك تحت ضوء الشمس الدافئ في هذا الصباح
البارد يخطوا بحذائه الاسود الامع فوق الثلوج البيضاء الخلافة مرتديا
سترة قطنية سميكة تحميه من البرد القارص وتعطيه الشعور الجميل
بالدفء , يتنزه مستمتعا بعشقه للثلوج يراقب المتزلجون وهم يمرحوا
سعداء بمزالجهم التي تعطيهم الشعور بالسعادة والنشوة . تبسم وهو
مستلق في الظلام عندما تذكر ذلك اليوم , اليوم الذى غير حياته للابد وهو
ينظر الى فتاة حسناء شقراء تجلس وحدها تلاعب الثلج الهائش بأصابع
يدها النحيفة البيضاء , الفتاة التي اصبحت شريكة حياته ورفيقة عمره ,
يهمس بداخله مبتسما كم كانت جميلة ورائعة وكم يشتااق لابتسامتها
الان , الابتسامة الحقيقية التي غابت عنه منذ رحيلها , تتدفق مشاعر
الحب والحنين بالهيام مع تعالى ضربات قلبه السعيدة وتوسعت
ابتسامته عريضة على وجهه وهو يتذكر اول موعد بينهم التي حصل فيها

على اول رقصة في حياته وهو يضمها الى احضانه , تناغم حركاتهم مع الموسيقى الكلاسيكية الهادئة . قاطع الصوت العال انسجامه بالذكرى ضجيجا قريبا يأتي من خلف القمة التي يستلقي عليها فقفز واقفا مذعورا بعدما ميز الصوت وعلم انه صوت طلقات بندقيته الحديثة صائحا. (كريستين)!! انها هي. واخذته الافكار بان هناك من يهجم عليها فاخذ يصعد بجنون لأعلى القمة غير مباليا لما يقع أسفل اقدامه يصعد بانفعالات ضخ الدم بعقله واضطرابات قلبه الخائفة على حياة طفله ومن غفلة تركيزه وانعدام افكاره تزلزلت قدمه من صخرة مائلة غير ثابتة اسفرت عن سقوطه للأسفل بتدحرج متكرر حتى علق بأسفلها صارخا من الالم قدمي. يراقب بعينه انهمار الدم من قدمه اليمنى المتضررة بشدة، حاول الوقوف بصعوبة بالغة ولكنه عندما اتكأ على قدمه صرخ باكيا من شدة الالم لقد كسرت قدمي. ساقطا على الارض بألم شديد

... قبل عدة دقائق ...

تتسند على باب الكوخ بقلق وارتباك شديد ونبضات قلبها تتسارع خوفا مما سيحدث في اللحظات القادمة لربما يتواجد معها احد بالداخل ولم يخرج ولكن هذا ما ينفيه واقع انها كانت تراقبها بحذر لساعات طويلة ولم يخرج احد ولا يدخل غيرها وكيف إن كان توقعها خاطئ وخرج احدهم في مثل تلك اللحظة العصبية سيكون الامر في غاية الغموض والخراب , ولكن ماذا ان لم تكن هذه هي الفتاة التي يبحثون عن والدها , لم تترك الافكار تنهال عليها اكثر من ذلك فالقت نظرة خافتة سريعة

للدخل لتقتل شكها الذى يكاد يدمر افكارها من كثرة انواعه فلمحت الفتاة وحدها جالسة بظهرها باتجاه المدخل فتحرت بتلصص وهدوء شديد لا يكاد يصدر منها صوتا نهائيا حتى وضعت فوهه مسدسها لخلفية راسها وهى جالسة تغسل ملابسها بداخل اناء بلاستيكي كبير صائحة بصوتها الاجش المخيف: ان تحركت ستموتين . صرخت الاخرى بداخلها عندما توغل الصوت المخيف المفاجئ الى قلبها مذعورة مرتعشة بأفكارها عن وصولها إليهم، لقد عثروا على ولكن كيف، واخذت تتفكر عن عدد الاشخاص خلفها ولكن ان فعلت أي شيء خاطئ قد يؤدي ذلك بحياتها فتساءلت بتوتر شديد من أنتم؟ وماذا تريدون؟ فجاء الرد متسائلا. بل من أنتم وماذا تفعلون بصحرائنا؟ صوت اجش غليظ يزيد من توترها وخوفها كلما سمعته ولكن ماذا تقول لهم لربما هم من كان يهرب منهم ابى فان علموا انه يعيش هنا ستكون معضلة كبيرة لي وله لذا تفكرت بان تخفى ابيها وتنفى وجوده تمام وتتعامل مع الامر كونها وحدها

نحن؟ تساءلت بهدوء متابعة بحذر: لا يوجد نحن بل انى وحدي هنا ولا يوجد أحد غيرى، يبدو بانكم أخطأتم بالشخص المطلوب. جاءتها الكلمات وهى واقفة محكمة قبضتها على سلاحها الغير مفعّل بذر الامان فهي لا تريد قتل فتاة بريئة لا علاقة لها بالأمر لأنها لم تعد الفتاة القاتلة التي تتلذذ بتعذيب الاخرين بل اصبحت تريد تغيير نفسها من اجل الفتى الذى اشعل فتيل حريتها وايقظ انوثتها من جديد ولكنها علمت بان الفتاة تكذب لأنها سمعتها الكثير من الوقت وهى تصيح مناديه لأبيها الغائب ولكنها تنبهت لذلك الامر واخذت في التفكير باحتمالية ان

يعود ابيها في أي لحظة الان لذا فعليتها الاسراع وزرع جهاز التنصت بأسرع وقت والمغادرة قبل حدوث أي مفاجئات ستكون غير سارة بالتأكيد فأرادت المجازفة واتخاذ خطوة جريئة فصاحت بها: نحن على علم تام بانك لست وحيدة هنا لذا اخبرينا اين ابيك الان وماذا تفعلون بداخل صحراءنا؟. صاحت الاخرى ببيكاء مصطنع انا هنا وحدي ارجوكم غادروا فانا هنا من اجل بحث علمي عن طبيعة الصحراء وبنيت هذا الكوخ من اجل المكوث هنا عدة ايام لاستكمال البحث والمغادرة ولا يتواجد معي أحد ارجوكم صدقوني. هذا هراء واضح. صاحت الاخرى بغضب مصطنع وهي تدرك كذبها واصطناعها لأمر البكاء متابعة بجدية: امامك عشر ثوان فان لم تخبرينا بالحقيقة كاملة سنفجر راسك لقطع متناثرة ولن يفيدك الكذب حينها بشيء ثم اخذت بالعد التصاعدي. واحد.. اثنان ... ثلاثة.

صاحت الاخرى ببيكاء ونحيب أكثر ارجوكم توقفوا. وهي تفكر بما ستقوله لهم فيبدووا بأنهم يعرفون بأمرها وامر ابيها ولا يصدقوها بكل تأكيد، جذت على قميصها المبلل بغضب متفكرة في الخطوة القادمة فعبرت اليها الذكرى لصوت ابيها وهو يدر بها وكان يقف خلفها.. انتبه لي جيدا.

فأرادت الالتفاف فأمرها بالا تفعل صائحا: لا تستديرين لأننا سنتدرب على مواجهة الهجوم من الخلف. صاحت باستياء واضح. لا يا ابي ارجوكم ليس الان. فضربها على قدمها بعصى خشبية رفيعة بيده ثم وضعها باستقامة في مؤخرة راسها صائحا: ماذا تفعلين ان كنت اهاجمك هكذا من الخلف بسلاح ناري؟. سأحاول التصدي لك. كيف؟ زفرت بقوة صائحة: سأخفض بجسدي للأسفل وأركلك في قدميك واسقطك.

حسنا. صاح بها متابع بهدوء وان كنت جالسة ماذا ستفعلين؟ لا أدري. قالتها وهي تلاعب اناملها شفتها الناعمتان. فصاح ابيها بتمعن شديد

حسنا فلنبدل المواضع ولتستمعي لي جيدا. عادت اليها افكارها بما هي تمر به الان عند صياح الاخرى برقم ثمانية. صرخت باكية باصطناع وهي تحكم قبضتها أكثر على قميصها المبلل لا ارجوكم. ثم تحركت بسرعة تلتف محركة يدها اليمنى لتبعد السلاح عن راسها قاذفة بقميصها المبلل بيدها اليسرى بقوة الى حيث يأتيها الصوت بعد ان لمحت وجهها الملثم دافعة بقوة اسفرت عن تساقط السلاح بعيدا وسقوط الاخرى على وجهها بينما علقت قدمها بالإناء البلاستيكي فسقطت هي الاخرى. صرخت بداخلها حمدا للرب بانه شخص واحد فان كانوا أكثر لكانت قتيلة او مصابة بطلق نارى. اخذا ينظران للمسدس الملقى على الرمال امامهم ثم ينظرون لبعضهم البعض بترقب شديد كانت تلهث من حركة الفتاة التي باغتتها بها في غفلة منها ولحظة تعجل حمقاء وهى تستند على معصمها حين سقوطها فلولا سرعة رد فعلها بوضع يدها امام صدرها لتسند عليهم لسقطت على وجهها وانتهى الامر نهاية جديدة ولن تكون جيدة لها , تنظر الى الاخرى مراقبة لها ثم تنظر الى سلاحها الملقى بينهم تفكر بالقفز عليه مسرعة والتقاطه ومعاودة الامور لصالحها مرة اخرى ولكن ماذا سيكون تصرف الفتاة حينها لربما تمتلك اسلحة بالكوخ حينها ستكون في موضع خطير لأنها لم تزيل صمام امن سلاحها . الامور اصبحت أكثر تعقيدا من قبل بكثير لذا لا يوجد امامها غير المجازفة بالقفزة. بينما تحولت افكار الاخرى عندما لمحت بندقية والدها على مقربة منها تكاد تكون اقرب اليها من المسدس الصغير الملقى بينهم والافضلية في القفز عليه لن تكون لها بكل تأكيد وربما يحدث قتال ستكون هي الخاسرة به لتأخرها لحظات قليلة لذا فالقفز على بندقيتها اصبحت الوسيلة الاكثر امانا لها لم تفكر كثيرا وهى تقذف بالإناء بعيدا

عن قدمها قافزة الى بندقيتها بينما الاخرى قفزت على سلاحها فالتقطوهم معا موجهين الاسلحة لوجوه بعضهم في ان واحد بينما كانت الاوضاع مختلفة حيث انها توجه بندقيتها وهى واقفة بينما الاخرى توجه سلاحها وهى مستلقية على جنبها الايسر مستندة قليلا على ظهرها. حسنا ماذا الان؟ قالتها وهي تحكم قبضتها فوق سلاحها الكبير اعتدلت الاخرى واقفة بترقب وحذر شديد صائحة بصوتها الاجش. انت من يقرر! من انت وماذا تريد؟ تساءلت بصياح يحمل معه التوتر. اجابتها الاخرى بثبات وثقة تنبع في صوتها الاجش. لا يهم من انا ولكنى ابحت عن الشاب صاحب الاعين الزرقاء، ماذا فعلتم به انت وابيك؟ عن أي شاب تتحدث؟ انا لم ارى أي شخص هنا منذ عقود. عقود؟ زفرت بها متعجبة نظرا لما تراه امامها فالفتاة الواقفة امامها قد تكون في مثل عمرها، هل ترعرت هنا مثلها ولكن لا يبدو ذلك منطقيا البتة فصاحت بها بسخرية: لا يبدو بانك صاحبة ثلاثون عاما ايتها الفتاة!. اقصد منذ شهور ايها.. الفتى!!

ولكنه كان يتواجد هنا؟ كيف لم تلاحظوه؟ تساءلت بحيرة لربما تخفى هذه الفتاة شيئا او لربما قتله ابيها وذهب ليواري جسده في مكان بعيدا عن كوخهم، قاطعت الفتاة افكارها متدخلة بهدوء: ربما مر من هنا ولم نلاحظه! تدخلت الاخرى بصوتها الاجش: او قتلتموه وذهب ابيك لدفن جثته في الرمال! اتسعت عين الفتاة صائحة بغضب هذا مستحيل! ابي لا يفعل مثل ذلك الفعل الشنيع نهائيا. إذا أخبريني اين هو الان؟ تساءلت بمكر: لا أدري لقد اختفى منذ عدة ايام ولكنه بالتأكيد لن يفعل شيء مثل ذلك.. انا متأكدة من ذلك الامر. حسنا. قالتها وعيناها الزرقاء تحد النظر للفتاة صائحة بثقة وغضب. اقسام بأني سأعود من اجلك انت

وابيك لأمزقكم قطعة بقطعة ان اكتشفت غير ما تقولين او انكم فعلتم به شيء صغيرا من الاذى سأبحث عنك في كل مكان اينما كنت لأقتلك بطريقة بشعة جدا. تسلل اليها الصوت الاجش الغاضب مخيفا اياها بشدة وزاد من توترها أكثر مما كانت عليه واخذت الافكار تنساب على عقلها لربما قد يكون فعل ابيها شيئا مماثل او لربما فعل الشاب شيئا به زفرت بقوة حائرة قلقة ففي كل الاحوال لا تدري بما حدث بالفعل وكل ما عليها الان الانتهاء من هذا الامر المقلق التي مازالت تواجهه حسنا انا موافقة ولكن يبدو بانك واثق من نفسك كثيرا بأمر قتلى! من يدري فربما اقتلك الان بكل بساطة وهدوء؟ قالتها بتعجب وثقة. لا اعتقد ذلك!! ولما لا؟ لو كنت تستطيعين لفعلي ذلك منذ فترة طويلة ولكن ليست ذات مقدرة على فعلها فقط لا تملكين الجرأة لفعلها، ثم هل تعتقد بأني سأكتفي بالمشاهدة فقط ثم ان الافضلية تعود لي حيث ان طلبة واحدة منك وستحتاجين للتقييم اما انا سأفرغ الخزينة كاملة بجسدك قبل ان تفعل ذلك. ولكن طلقتي قاتلة. قالتها بضحك واستهزاء متابعة بابتسامة قلقة. سينتهي الامر بموت كلانا! ولكن هناك طريقة أفضل لإنهاء هذا الامر! ما هو؟ تساءلت بهدوء ينبع في صوتها الغليظ القتال بدون اسلحة فقط الأيدي العارية الخالية. اووه يبدو هذا مثيرا للغاية ولكن هل انت واثقة من هذا الامر؟ القت بندقيتها بعيدا صائحة بحماس وهي تفرك بقبضاتها بالتأكيد. ظلت الاخرى موجهة اليها سلاحها الصغير بوجهها ترمقها بنظرة التعجب، رفعت الاخرى حاجبها منتظرة اياها هامسة. هل انت خائف ام ماذا؟ ضحكت بسخرية وهي تلقى بسلاحها. هذا هو قرارك سيدتي الجميلة. اخذى واقفين رافعين ايديهم امام صدورهم بوضعية القتال في منتصف الكوخ يفصل بينهم مدخله

الضيق , عبرت ريح قوية عابرة من خلاله لتلفح وجهم وتفرغ
ملابسهم معلنة بداية القتال , فتحركوا يتعاركون بأيديهم العارية كل
واحدة تدافع عن معتقدها و اخلاصها لمن يهتمون لأمرهم يتبادلون
اللكمات والركلات باستمتاع فيما بينهم يتدفق بداخلهم بنشوة غريزية
جامحة يهمسون بداخلهم فقط لو تقابلنا في موضع اخر لكنت تجمعا
صداقة جيدة دافئة يتركز بداخل كل واحدة صورة تركز الشجاعة
والحماس بداخلهم فهي تقاتل من اجل ابائها والاخرى من اجل رجلها
الفتى المسكين ابتعدا يلتقطون انفاسهم هامسة وهي تعيد ضفائرها
للخلف بإحكامهم حتى لا يعقها بالقتال: انت مقاتل جيد يا فتى . اجابتها
الأخرى: وانت كذلك ولكنى من سيفوز في النهاية. لا اعتقد ذلك لأني من
سينتصر بكل تأكيد. اخذت تتحرك بهدوء متفكرة بإنهاء القتال والابتعاد
ولكن عليها ان تضع جهاز التنصت لربما تقابله وتعثر عليه من خلالها لذا
فعليها القتال حتى تفعلها فتحركت مهاجمة اليها صائحة بقوة. القتال
الحقيقي يبدئ الان يا فتاة الكوخ. ثم وجهت لها لكمة سريعة بيدها
اليمنى. صاحت الاخرى وهي تتفادى بانحناءة سريعة للأسفل: وانا
مستعدة ايها المثلث صاحب الصوت الغريب. ثم قفزت عليها بقوة
تسقطها وهي فوقها تلكمها بوابل من اللكمات القوية اخذت الاخرى
تدافع عن نفسها ثم اسقطتها ارضا وصعدت على صدرها تبادلها
اللكمات ظلا يتدحرجان متبادلين اللكمات حتى استطاعت غرس جهاز
التنصت واخذت تلكمها لكمة قوية لتضعفها كي تستطيع الهروب
مسرعة وبالفعل سكنت الاخرى منطرحة بتعب من كثرة تلقيها لكمة
قوية على وجهها فتحركت من فوقها تلتقط سلاحها الصغير واخذت
تعدو للخارج هاربة صائحة. الوداع ايتها الجميلة. تحركت الاخرى مسرعة

ملتقطة بندقيتها الكبيرة وعادت خلفها بانفعال تطلق عليها النيران وهى تصعد القمة الجبلية بالتواء كالثعلب اطلقت ثلاث طلقات عليها بغضب حتى اختفت من امام نظرها تفكرت في ملاحظته ولكنها تخشى الظلام كثيرا بهذه الصحراء وايضا لا تريد المجازفة بالذهاب بعيدا عن الكوخ وحدها حتى لا يعود والدها ولا يجدها ولكن الان لا تستطيع المكوث هنا اكثر من ذلك فربما يذهب هذا المثلث ويجلب اخرين وحينها لن تستطيع التصدي لهم وحدها لذا لا بد من التحرك بعيدا فترة من الوقت حتى تبتعد عن دائرة الخطر فتوجهت للداخل تجمع أغراضها للتحرك .

منطرح فوق الرمال يصرخ متاوها من شدة الالم متمسكا بقدمه اليمنى يتحسس بيده عليها لتحديد موضع الكسر فوجده في منتصف ساقه اليمنى كسر متضرر كثيرا , خلع سترته الرملية وقام بلفها حول قدمه في موضع الالم وهو يقرر عازما على الضغط عليها بقوة لإعادة العظام لموضعها الصحيح حتى تستطيع الالتئام سريعا بدون أي اضرار قد تسبب له العجز الدائم , احكم ربط سترته حول قدمه بقوة ثم اخذ يجمع انفاسه واعادة رابطة جأشه ليعيد العظام المحطمة لوضعها الصحيح , وضع كلتي يديه على موضع الضرر صائحا بداخله عازما ان يفعلها عند العد التنازلي للثلاثة ثم اخذ بالعد ثلاثة .. اثنان .. واحد.. ثم ضغط بقوة على قدمه صارخا بصياح شديد والم رهيب يحاول تحمله بصعوبة حتى سمع صوت طقطقة في عظامه فعلم انه فعلها فألقى بجسده على الرمال مذعورا مصعوقا من شدة الالم الرهيب المتزايد حيث اخذه الالم بعيدا عن مكانه هناك حيث كان منذ عقود فوق الثلوج البيضاء وهو يقترب منها وهي جالسة تراقب الجمع الهائل السعداء المرحين بأعينها

الزرقاء الواسعة تبعد خلاصات شعرها الاصفر عن وجهها حيث يسقطه الهواء باستمرار، وقف امامها بسعادة واشتياق متحدثا اليها بتوتر شديد مرحبا. رفعت راسها ناظرة اليه هامسة بابتسامة مرحبا. تسلت ابتسامتها الخلابة الى اعماقه منجرفا في اودية الهيام وأصبح لا يتمالك نفسه أكثر مما سبق يود لو يحتضنها ويهيم عليها بوابل من القبلات. يتنحج مضطربا متلعثما تاها بداخله غريقا في بحور الكلمات ولا يدري من اين يبدي الحديث وكيف يثير اعجابها ولا يشعرها بالضجر قاطعت افكاره واضطرابه هامسة بهدوء وهي تمد يدها اليه: انا (ماري) وانت؟ حرك يده بتوتر زال واختفى عندما شعر بدفيء يدها البيضاء الناعمة الدفيء الذي توغل الى قلبه متربعا متحولا لعشق وهيام. (فرانك).. (فرانك). سالت الدموع من عينيه تتلألأ في الظلام عندما تحولت الذكرى وهي منطرحة على فراش موتها الابيض غارقة بدموع عينها تحمل طفلة بين يديها هامسة اليه وهو جالس بجانب الفراش: ارجوك (فرانك) أخبرها بأني أحبها كثيرا وبأني من اسمها باسمها. تحدث اليها بيباء عزيزي ارجوك لا تتحدثي كثيرا حتى تتعافي. ارجوك (فرانك) افعل ما بوسعك لرعايتها هذه هي أمييتي ورجاء لي ارجوك احميها وحافظ عليها من أي ضرر.. ارجوك (فرانك). تحولت الذكرى وامضة عابرة اليه طريحا باكيا بصوت الشاب وهو يحدثه بثقة عارمة: سأفعل أي شيء لأعود لأمي وإخوتي سأتحمل الالم واعدو فوق السيوف وسأبتلع الثرى واقتل الوحوش من اجلهم سأهدم الجبال بقبضاتي العارية حتى لو تحطمت سأستمر باللكم حتى اهدم الجبال ان وقفت عائقا بيني وبين عائلتي، ثم نظر اليه وهو جالس بجانبه هامسا اليه بثقة كبيرة. وانت ايضا ايها العجوز ستفعل أكثر من ذلك من اجل ابنتك اليس كذلك؟

بالتأكيد ايها الفتى سأفعل. صاح بها وهو يعتدل في الظلام كاظما بداخله صرخات الالم وقف بصعوبة متجاهلا الامه واخذ يتحرك بعزيمة مفرطة وجدية قوية وقد امتلأت روحه بالعزيمة والامل يقفز على قدمه اليسرى عازما على صعود القمة الصخرية التي تفصل بينه وبين ابنته وكلمات الفتى تتردد بداخله، صاح باكيا وهو يصعد بالم.. شكرا لك ايها الفتى.

لقد تزايد شكي كثيرا ليصبح شبه اكيدا بان هذه العجوز ليست مسنة البتة انها تحملني بسهولة وتتحرك بي وكأني ريشة فوق اكتافها، لا أدري اين تأخذني او ما هذا الصوت الذي سمعته منذ قليل اهو مستر (فرانك) ام ماذا؟ هل يتقاتل مع أحدهم ام ما الذي يحدث من حولي وانا لا أدري، ما امر هذه الساحرة وماذا تريد منى فعله هناك الكثير من الامور غائبة عنى لادركها، ماذا يحدث في هذه الصحراء اللعينة انى بالفعل ضعيف بدأت اشعر بالضييق وأكره ضعف جسدي فانا دائما عالة متواكل على الاخرين اشعر بالغضب الشديد على ما يحدث لي وانا كالأبله يحملونني حيث يريدون كقطعة لحم تننة لا ثمن لها ولا قيمة، جاءني صوت من داخلي يصيح بي قاتلا.. وما الجديد بالأمر فطوال حياتك وانت هكذا، ابله ضعيف لا قيمة له.. لا انا لست كذلك.. لا بل انت كذلك ام نسيت، هل نسيت هذا الضخم في الجامعة المدعى (نبيل) هل نسيت كم كان يسلبك اشياءك ويبرحك ضربا، هل نسيت كم كنت ترتجف لرؤيته فقط، ام هل نسيت خوفك عندما غازل أحدهم والدتك ولم تفعل شيئا غير الارتجاف. هل تساءلت يوم ماذا كنت ستفعل ان ارادوا اغتصابها؟ هيا أجبني ماذا كنت ستفعل؟ أكنت ستقتلهم ام ماذا ستفعل انا سأخبرك ماذا كنت ستفعل! كنت ستهرب كالجبان اللعين. لا.. لن اهرب انت

مخطيء.. لا كنت ستهرب فانت جبان لعين، أحقق لا يفعل شيء غير تلقى اللكمات. هذا الصوت اللعين جعلني انفعل فيه صائحا بداخلي انت مخطيء انا طيب وليس ضعيف. ضحك ساخر.. لا بل العكس هو الصحيح. انت ضعيف وليس بطيب هذه حجتك دائما لأنك ضعيف جبان، حسنا سأثبت لك الامر هل تتذكر كيف اهانك (نبيل) امام زملائك.. اجل عندما صفحك على وجهك. وعندما اخذ هاتفك وعندما اخذ مذكراتك، ماذا كنت تفعل حينها كنت تبكي مثل الجبان الضعيف لو لم تكن ضعيفا جبان خائف لما تركت نفسك هكذا هذا يحملك حيث يريد وهذا يحملك حيث يريد وانت كالأحمق لا تدري اين يذهب بك، هل تدري اين تأخذك هذه الساحرة؟ ام تدري كيف منذ بادئة الامر تحملك هكذا؟ لا تدري استفق من غفلتك ايها الاحمق الضعيف وأدرك الامور جيدا من حولك ولا تكن غافلا عما يحدث لك او ما يحدث من حولك!! اللعنة انه محق في كل ما قاله وهذه حقيقة اتجاهلها دائما، حقيقة اني ضعيف ميؤوس منه اتوهم بأني قادر على تحمل المسؤولية وأصبح رجلا يستطيع حماية نفسه وعائلته اتمنى ان أصبح شخص قوى مجرد تمنى ليس أكثر ولا افعل شيء لأصبح قوى غير التخيل والتواكل على الاخرين بالفعل كيف اترك نفسي هكذا هذا يحلمني ويذهب وهذا يحلمني ويذهب فلم أكن لأنجو لولا حملني العجوز والان لا أدري الى اين تحلمني هذه الساحرة وكيف تتمكن بجسدها الكهل حملي هكذا بدون أي مشقة فتساءلت بياس أخبرني ايتها العجوز. أجابتنى متممه. امم...؟ اتساءل كيف تحلمينني بسهولة هكذا؟ ضحكت بسعادة صائحة بحماس انت تستهين بقوة السحريا فتى. قوة السحر؟ صحت بها متحيرا فأجابتنى بحماس. اجل. متابعة بهدوء وثقة. ثم لا تقسوا على نفسك هكذا فانت

لست ضعيفا البتة انما ظروفك اقوى منك وايضا قوة الابتسامه اقوى من اللكمات ام نسيت؟ مستحيل!! صحت بها مصعوقا خائفا متحيرا اتساءل بداخلي كيف؟ كيف علمت بما احادث به نفسي وكيف علمت بتلك المقولة؟ وما زاد حيرتي وخوفي عندما قالت. لقد اخبرتك لا تستهن بقوة السحر يا فتى انها قوة خطيرة للغاية.. حسنا لقد وصلنا لوجهتنا. صاحت بها وهي تطرحني ارضا فتحسست بيدي على الرمال فشعرت بها مبلة فصحت متسائلا بقلق. اين نحن؟ نحن حيث نريد ان نكون بجانب بئر النجاه وخذق الانقاذ حيث ستاتي وتنقذك وايضا حيث ستستعيد عافيتك. لا افهم شيء!! صحت بها حائرا فأجابتنني بجديه تامه ولهجه غريبه مريبه. هنا حيث ستتعافى وتتحرك على قدمك من جديد فلن تفيدني وانت عاجز هكذا وايضا لن تفيد نفسك البئر خلفك تستطيع التهام المياه كما تشاء وبالقدر الذي ترغب به فجسدك بحاجة قصوى للسوائل كي يحدد خلايا قدمك من جديد.. استعد عافيتك وستتحدث حينها. اللعنة انا لا افهم شيئا.. لا افهم شيء ولا يزال الغضب بداخلي يتعاضم ولكن بالفعل انا لا افيد نفسي طالما لا ازال عاجزا ولكنى ارغب بالرحيل بشده الان والهروب من هذه الساحرة المخيفه التفت مبتعدة صائحه. الى اللقاء ايها الفتى. فأمسكت بقدها وهي تتحرك صائحا ببيكاء. ارجوك ساعديني.. اخرجيني من هنا.

ركلتني بوجهي صائحه بغضب. ابتعد عنى ايها الاحمق، يا إلهي انت مثير للشفقة حقا، لا شيء في هذا العالم للعين مجانا.

سأفعل أي شيء ولكن اخرجيني ارجوك انا اتوسل اليك ... ارجوك.

وضعت قدمها فوق وجهي تضغط عليه بقوة وحقد متدخلة بغضب. لقد
خببت ظني كثيرا، ضعيف مثلك لا يستحق العيش نهائيا ولكنى بحاجة
اليك كما ستكون انت بحاجة لي فقط استعد عافيتك وانتظرها بعد ثلاثة
ليالي في المساء واذهب معها حيناه سنلتقي من جديد.

من هي؟ تساءلت بياس.

ستعرفها عندما تأتي بعد ثلاثة ليالي. أجابتنى بغضب ثم تحركت مبتعدة.
تتكئ على عصاها الغريب تفكر كيف ان ما حدث قد فاجئها كثيرا
واغضبها أكثر لما ينافي رؤيتها او لربما لم تره في رؤياها فقط تجلب منه
المعلومات وحينها تقضى عليه بكل سهولة وتنتهى معاناته البائسة.

لمعت عينيه بالشر تتلألاً اثر تساقط ضوء القمر الضعيف عليها.

هذه اللعينة بنت اللعينة، اقسم بأني سأقتلها بعنف.

عين واحدة

مستندة بمعصميتها على حافة شرفتها العالية تتأمل الوجود الهادئ والكون المتعجل المتسارع في سباقه الذي لا ينتهى ابدا اسفل منها في هذا الصباح البارد , ثناءبت بكسل وتراخى وتفكرت بأخذ قسط من الراحة حتى تذهب لجلب اطفالها من مدرستهم فهي للتو قادمة بعدما اطمأنت على توصيلهم فلقد اصبحت مهمتها بعدما اختفى ولدها وايضا ما عادت تطمئن الا عندما توصلهم وتجليهم بنفسها , تبسمت بهدوء عندما غمرتها نسمة هواء باردة منعشة تطايرت معها خلاصات شعرها الاسود الناعم جاذبه اياها حيث كانت معتادة دائما تناول الفطور معه هنا في الشرفة قبل ذهابه الى الجامعة ولكن سرعان ما تغيرت الابتسامة لملامح حيرة وضجر عندما زفرت متممه بهمس .. يا الهى هل اصبح وجوده في حياتي مجرد ذكريات ولكنها اخذت تطمئن نفسها بعدما تذكرت المقالة التي قراتها الليلة الماضية فهي تشعر بالأمل انها ستصل اليه وستحته على العودة بسلام , تحركت للداخل وهى عازمة على امضاء الوقت بمشاهدة التلفاز فهي تريد معرفة تأثير المقالة في الاعلام لربما ساعدها بطريقة ما , شغلت تلفازها الكبير بعدما جلست بهدوء فوق اريكته البرتقالية الناعمة اخذت الريموت وبدأت تنتقل بين قنواته بهدوء حتى استقرت على قناة وهى تهمس بداخلها لربما يتحدثون عنه فهم دائما ما يعرضون اهم ابناء الصحف في البلاد وبالفعل اخذ المقدم

يتحدث عن المقالة بهدوء. جريدة المستقبل نشرت مقالة كبيرة من اعداد الصحفية المشهورة ورئيسة التحرير للجريدة مدام (ايمان) تتحدث فيها عن شاب في العقد الثاني من عمره اختفى ولا يعلم احد عن مكان تواجده. كان يتحدث وهو يمسك بالجريدة بيده ثم القى بها امامه بانفعال صائحا. والله ما ادري ماذا يجول في عقول الناس في هذه الايام, تركنا كل شيء يحدث في البلاد من فساد ودمار وابتزاز وقرصنة وتحدث عن المفقودين الان عن شاب بالغ ربما ترك المنزل وغادر من تلقاء نفسه لحالة نفسية او حتى أي شيء اخر ففي هذا الزمان العجيب اصبح الواحد منا لا يدري ما يدور في عقول الشباب والبنات ولكن من الغريب والعجيب وايضا الملفت للأنظار وهو قول والدة هذا الفتى المختفي عندما سالتها مدام (ايمان) هل بلغتي الشرطة عن هذه الحادثة؟ اجابت والدة. لا لأني لا اثق بهم. اتسعت عينها الزرقاء بدهشة غاضبة منكرة بداخلها مثل ذلك القول الغريب ثم تحركت لجلب الجريدة من جانبها لربما سهوت عن قراءتها من انفعالها البارحة بينما تابع المقدم حديثه. أخبروني أتم يا إخواني ماذا نفعل عندما أصبحنا لا نثق بأفراد شرطتنا الاشخاص الذين نعتد عليهم لحمايتنا وللحفاظ على حيوات الناس المسالمين ماذا نفعل حينها؟ فهذا هو عاقبة الفساد الذي يحدث بداخل هذه المؤسسة الضخمة الشامخة جعل افراد المجتمع لا يثقون بهم وهذا يفسر عدم تعاون الناس معهم وهذا أكبر دليل على هذه الام المسكينة الذي اختفى ولدها لم تبلغ الشرطة لأنها لا تثق بهم, لا تثق بان يفعلوا شيئا فهذا هو اعتقاد المجتمع عن افراد شرطتهم معهم حق, فماذا يفعل افراد حكومتنا؟ لا يفعلون شيء, الموظف منهم يجلس فوق مقعده غائط في نوم عميق لا يفعل شيء والواحد منا لاستخلاص

بضع ورقات رسمية يقف ساعات وساعات والشيء الاكيد انهم لا ينتهون في يوم واحد فيضطر ان يعاود مثل تلك الكرة مرة اخرى وعندما تتحدث مع أحدهم وتحته على الاسراع يصرخ فيك وكأنك سببته بأمه.. كانت تحدق اليه وهو يتحدث ويتحدث تبحث بعينها بداخل ملامح وجهه وتتساءل كيف؟ كيف يكذب عليها ويصدق كذبه. كيف يتمادى بداخل كذبه وينشرها على المليء هكذا فلقد بحثت وقرات المقالة عدة مرات ولم تجد بهم كلمة واحدة توحى بالثقة فهي متأكدة من ذلك. تنهدت بقوة صائحة. بئس مثل ذلك الكاذب الاحمق الذين يهدمون مؤسسة كبيرة بكذبتهم المتكررة فقط من اجل نسبة مشاهدات عالية وسرعة انتشار اساسها الكذب. فقط لو تعلم رقم هاتف القناة لتواصلت معهم وكذبه امام الجميع وهي على يقين تام بان مثل ذلك الكاذب لا بد ان يكشف امره، انقطع تفكيرها فازعة من رنين هاتفها المفاجئ تناولت السماعة بهدوء. اجل. جاءها الصوت. منزل السيدة (فاطمة)؟ اجل. اجابت بهدوء ثم تابعت متسائلة. من معي؟ معك السيد (فارس البشير) رئيس قناة النجمة الفضائية.

اجل ماذا هناك. فقط اتواصل مع سيادتكم للاتفاق لعقد لقاء تليفزيوني معك انت واطفالك للتحدث بخصوص ولدك ناقش فيه كل شيء على الهواء مباشرة اعتقد بأنه ربما يفيد قضيتك للغاية.

على الهواء مباشرة ؟ تساءلت بوضوح

. اجل سيدتي.

الجيم الأصفر

والموعد؟ تساءلت بنبرة متحيرة.

هل اعتقد بان هذه موافقتك سيدي؟

اجل. لا ارى مانع في ذلك فكما قلت ربما يفيد ذلك قضيتي كثيرا.

ليلة غد في الثامنة. هل الموعد مناسباً سيدي؟

اجل يبدو مناسباً. ولكن كيف سأصل فانا لا اعرف الطريق؟ تساءلت
بقلق.

اجابها بهدوء. لا تقلقي سيدي ستكون السيارة منتظرة قبل الموعد
بساعة امام المنزل.

حسناً. يبدو ذلك جيداً. شكراً لك سيدي الوداع.

الوداع سيدي. اغلقت الهاتف حائرة قلقة مترددة فأمسكت بهاتفها تنوى
مهاتفة اختها تستشيرها بهذا الامر.

فتح عينه اليمنى بهدوء ليجد نفسه مستلقى على فراش ابيض الفرش،
مضمد بضماد ابيض صلب عند صدره، يرى بعين واحدة والاخرى سوداء
مضمدة بإحكام، اخذ في الاعتدال ورفع جسده للأعلى قليلاً ليستند بظهره
على الفراش فتألم متاوها فتحرك الاب الجالس على المقاعد الاسفنجية

المريحة واضعا كوب الماء امامه على الطاولة الزجاجية مسرعا اليه، ساعده في جلوسه وعاد الى حيث كان بجانب والدته واخته، تمتم الاخر بحيرة عندما وجدهم جميعا. أمي.. ابي! اختي!! ماذا حدث؟ تساءل بحيرة وارتيباك وهو يتوجع من الام صدره المضمدم.. تدخل الاب صائحا بعدما انتهى من كوب المياه. هذا ما كنا سنسالك اياه!! ما الذي حدث؟ تتحرك بؤبؤ ته بسرعة غير منتظمة بارتباك يتزايد بداخله وضيق ينبع في صدره بكثرة فهو غير معتاد على الرؤية من عين واحدة، يتفكر ماذا يخبرهم ففي كل الاحوال لن يتفهموا ما حدث. لا شيء. صاح بها مضطربا وهو يتذكر معركته الدامية. لا شيء!! صاح بها بغضب متعجبا ثم اتبع بانفعال. ثلاث ضلوع محطمة والمزيد من الجروح وعين ... تلعثم لسانه بإحكام فهو مازال لا يصدقها.. وعين ... وضعت يدها فوق يده متمسكة بها بضغطة خفيفة، فحرك راسه ناظرا اليها بأسى وهي جالسة بجانبه فحركت راسها بهدوء لا يكاد يلاحظه أحد فهي لا تريد اشعار ولدها باي شيء خاطئ، تجرع والده بصعوبة ريقه صامتا. فصاح مرتبكا

وعين ماذا؟ ماذا حدث لعيني؟

وعين متضررة بشدة. زفر بها بصعوبة بالغة ثم تابع بغضب. وانت تخبرنا بلا شيء؟ (احمد). ارجوك أخبرني ماذا حدث لك؟ من فعل هذا بك يا بني. تحدث بهدوء مصطنع يخفى به انفعاله الغاضب.

لا شيء. صاح بها بغضب ثم تابع حانقا بالم. لقد قلت لا شيء ما الصعب في هذا الامر؟ تحرك بانفعال صائحا وهو يضع يده في جيب

جاكته السوداء. كيف؟ كيف تريد اقناعنا بان لا شيء حطم ضلوعك
وبان لا شيء أضر بعينك وبان لا شيء جرحك هكذا.

ارجوك انا متألم ولا اريد الخوض في جدال الان. اخرج علبة سجائره
واخرج منها سيجارة وهو يكظم غيظه ويتحكم بانفعاله محاولا بشدة
ومعاناة التماس الهدوء. صاحت به وهي تتحرك عندما وضع السيجارة
بين شفتاه. (فؤاد!! أدرك فعلته فأعاد السيجارة واضعا اياها في جيبه
محركا يده بتردد هامسا بارتباك. اسف. انا اسف، امسكت الام يد ابنتها
البالغة وتحركت بها للخارج صائحة. سنترككم وحدكم بعض من الوقت.
تحرك بداخل الغرفة الواسعة ذات الجدران البيضاء مهدئ لنفسه ثم
جلس بجانبه بهدوء. (احمد) ارجوك أخبرني ما الذي حدث؟ ظل صامتا
ولم يتحدث. فقط أعطني اسما!! تحدث بجرأة ثم تابع بقوة. وانا سأنتصر
لك منه مهما كان اقسم لك مهما كان لن اراف به لما فعله بك.

اسف ابي ولكن هذا الامر يخصني وحدي. هذا القتال قتالي انا ولن ادع
أي شخص يتدخل به حتى انت بل انت بعين الخصوص.

تحرك صائحا بانفعال. لماذا.. لماذا انا بذات العين.. انا ابيك ايتها الاحمق.

اجل اعلم جيدا بانك ابي. زفر بها بحزن ثم تابع.. ولهذا السبب بالتحديد لا
اريد تدخلك ام نسيت!!

يا إلهي. زفر بها بياس ثم تابع بالم. ما زلت تحمل لي الضغينة بسبب هذا الموقف لم تسامحني كل ذلك الوقت لهذا الخطأ. قلت لك الكثير من الاوقات بل في كل الاوقات بأني اخطأت اجل اعترف بأني اخطأت سامحني. لماذا لا تسامحني وتغفر لي هذا الامر.

حرك راسه بحزن هامسا بكرب.. لم أستطع.. لم أجد طريقة لأسامحك بها، صدقا لقد حاولت مسامحتك ولكنى لم أستطع وكيف اغفر لك.. كيف؟ كيف اغفر لك وقد حطمت أمالي وقد مزقت ثقتي بك الى الابد.

دعني اكفر عما مضى بهذه، دعني اثار لك لأثبت بأني تغيرت وبأني تعلمت من أخطائي الماضية.

لا يا ابي لن ادعك تحطم ثقتي مرة اخرى اعذرني ولكنى لن اثق بك هذه الآونة وكيف، كيف بعدما اتيت اليك لتنتصر لي وهزمتني كيف؟ عندما كنت صغيرا أصبح لكل العالم بانك بطلي وبانك قدوتي، عندما صفعني طفل صغير اتيت اليك أبكي لتنتصر لي ممن ضربني صفعتني انا لأنه طفل قائد اعلى منك، هزمتني لترضيه هو، حطمتني من اجل وظيفتك من اجل نفسك من اجل ترقيتك، حصلت عليها اجل ولكنك خسرت ابنك.. إذا لا تلومني عندما لا اثق بك الان. هذا القتال قتالي وهذه المعركة سأخوضها بنفسي سأثر ممن فعل ذلك بنفسي ولنفسي مهما حدث وان علمت بانك تدخلت باي طريقة ستخسرني الى الابد.

كيف؟ تساءل الاب بإحباط بالغ وحزن عميق.

كيف ماذا؟ تساءل بحيرة.

كيف ستقاتل هكذا؟

هذه الاضلع ستشفى بكل تأكيد وسأستعيد عافيتي، حينها سأقاتل بكل قوة واسترد حقي بيدي. وضع راسه بالأسفل مراقبا حذائه الاسود الامع وهو يقف على ارضية عسلية نظيفة بإحباط واسى يفكر كيف يخبره بأمر عينه فهو لا يريد تحطيم اماله مرة اخرى ولكنه في كلتي الاحوال سيعرف بأمرها، زفر بقوة هامسا بانكسار. بنى.. انا اسف حقا اقولها لك من كل أعماقي، اعنيها بالفعل واتمنى ان يعود الزمان كل ليلة لأصحح هذه الفعلة الحمقاء اجل لقد كنت اعمى لا ارى الا نفسي ومستقبلي في وظيفتي وكنت مهمل في حق عائلتي أمك واختك وانت، واعلم بان صوابي عاد لي متأخرا بعدما زرعت بداخلكم القسوة لي من أفعالي واسف ايضا لأنني سأخبرك بهذا الامر ولكن يحق لك المعرفة الان ففي كل الاحوال ستعرف.

ماذا هناك؟ صاح باستغراب.

انه بأمر عينك اليسرى!!

ما بعيني اليسرى!

لقد ... لقد ... يتحدث بأسى تأبى الكلمات الخروج من فمه يحاول جاهدا
النطق بها ولكنه لا يستطيع كيف يخبره ما هو لا يصدق بأمره، قاطع
تشتته صائحا. ماذا هناك ابى أخبرني!

لقد فقدت عينك اليسرى الى الابد.

اتسعت عينه مصعوقا باندعاش صائحا. ماذا؟

اعتقد بأنى بدأت اصاب بالجنون لأنى على غير المعتاد بدأت اتحدث مع
نفسى كثيرا وكأنها شخص اخر بداخلي افكر قليلا واتحدث معها كثيرا ,
نفسى ذات الثلاثة اوجه لوامة امرة بالسوء والاخيرة المطمئنة بالإضافة
لروحي واخيرا صوت قريني الملعون يتهافتون على واحدة تلو الاخرى
فعندما اخطئ تأتى تلومني وعندما اغضب تأتى تحوذني وعندما اهدئ
تأتى تطمئنني ولكن اللعين شيطاني متواجد في جميع الاحوال يريد
هلاكي , خمسة اصوات يقودونني الى الجنون , لقد بات امر تواجدي هنا
مؤلما للغاية فما عدت استطيع الانتظار في هذه الصحراء اكثر من هذا
ولكن ماذا افعل لأنجو ؟ هذا ما يفقدني صوابي ويجعلني طوال الوقت
غاضبا بشدة , اتذكر في حياتي كلها بأنى لم اشعر بمثل ذلك الغضب
الجارف يجعلني فاقد لصوابي , تفكرت كثيرا من الوقت من أي شيء انا
غاضب , في الحقيقة انا غاضب من كل شيء واعتقد بان هذه الساحرة
اللعينة هي من اشعل فتيل الغضب بداخلي فكلما اتذكر ركلتها لوجهي
اشتعل غيظا وكلما اتذكر قدمها وهى على وجهى انفعل مشتعلا غاضبا
من نفسى البائسة التي وضعتني في مثل هذه الاهانات المتكررة , كارها

لعجز جسدي السقيم , فقط لو انى استطيع التحرك بثبات لكل شيء
اصبح هينا واستطعت دفع الاهانة عن نفسى ولقد تعاهدت بأنى لن
اترك هذه اللعينة حتى انتقم منها اشد انتقاما , فقط قليلا من الوقت
فهانا بدأت احرك اصابع أقدامي اكثر مما سبق والبئر خلف ظهري
مستند على جداره الطيني المتحجر فقط قليلا من الوقت وسأعود
للتحرك والنجاة بنفسى فلن اعتمد على أي شخص اخر بعد اليوم مهما
كان ومهما كانت الظروف التي تحاوطني لن انتظر أي شخص لمساعدتي
دقات قلبي بدأت بالهدوء وانا اراقب الرمال بسكون بعدما ظهرت
الشمس اخيرا منذ عدة ساعات فانا بالفعل اعانى من عدم المقدرة على
النوم في الظلام, لا أستطيع اغلاق جفن واحد من شدة الخوف والصقيع
واصبحت لا انام الا تحت ضوء الشمس, تشاءبت بكسل وانا ارخى جسدي
على الرمال المبللة الهادئة لأحصل على قسط من النوم فعقلي يؤلمني
كثيرا من كثرة التفكير طوال الليلة الماضية الطويلة المخيفة, فقط قليلا
وكل شيء سيكون على ما يرام .

منطرح على وجهه فوق الرمال متجرعا رغما عن انفه من كاس الامه
ونبيذ معاناته يمسك بقدمه بعجز وبكاء والدماء تتقاطر منها بشدة ,
يلهث بصعوبة من غثيان الألم وهو ينظر الى الكوخ أمام عينيه بيأس
فآلام قدمه قد تعاضمت ولم يعد يستطيع التحرك من شدتها بعدما
أنهكها من عبور القمة الصخرية التي باتت خلفه , يصور له الالم الكوخ
بعيداً عنه وكأنه بأخر الكرة الارضية , ماذا يفعل وقد خسر الكثير من
الدماء ترسم طريقاً من تواليها خلف بعضها من حيث أتى حتى موضع
سقوطه ها هنا , اخذ يزحف بانكسار وضعف قوى يجرجر أقدامه خلفه

بصعوبة بالغة ومشقة لا متناهية تتكون الذكرى امام عينيه للفتى وهو
يزحف على يديه وكأنما الاثنان يزحفان أمام بعضهم البعض على خط
مستقيم يصيح به بعزيمة وإرادة قوية. لا تستسلم للألم مستر (فرانك)
وتابع التحرك بقوة فالكوخ قريب امام عينيك .

لا أستطيع. صرخ بها باكياً.

قاوم.

لا أستطيع. توقف بيأس معتدلاً على ظهره ينظر الى قدمه المتألمة بشدة.
ما عدت أقدر على الحراك من شدة الألم وضعف الجسد. تحركت اليه
برداؤها الاصفر الفضيض تحمل بين يديها طفلتها صائحة به وهي
تتوقف عن يساره. ماذا حل بعزيمتك (فرانك).؟.

(ماري) أنتِ هنا.؟. همس باكياً.

تمايلت اليه برفق هامسه بحنان. أنا دائماً معك يا عزيزي. ثم قدمت اليه
الطفلة هامسه بسعادة. أنظر هذه طفلتنا (كريستي) معي ايضاً. سألت
الدمعة من عينه سريعة متدخللاً ببيكاء ونحيب. انا أسف لأني لم أستطع
الوفاء بالوعد (ماري) انا اسف حقاً، لقد خذتكم بالفعل.. لقد فعلت.
جاءه الصوت عن يمينه يصيح فيه بثقة. لا تستسلم ليأسك مستر
(فرانك) طالما لاتزال حياً فذاك امل دائماً فقط قاوم من اجل ابنتك.

لا أستطيع ايها الفتى حقاً لا أستطيع. تدخل باكياً منتحباً.

ما فائدة البكاء الان النحيب لن يفيد بشيء هيا تحرك فالنجاة قريبة
بداخل الكوخ تستطيع انقاذ نفسك ومعالجة جروحك فابنتك تنتظرك
هناك هيا تحرك. ظل يتحدث معه مشجعاً له بينما هو منطرح ارضاً لا
يسمع منه شيئاً، همست الاخرى بأذنيه. أجل يبدو ذلك جيداً.. أجل خذ
خنجرك وأقطع تلك القدم اللعينة (فرانك) اقطعها (فرانك) وانهي المك.
رفع رأسه يرمقها بنظرات اليأس والحيرة هامساً. هل تعتقدي ذلك حقاً
(ماري).؟. اختفت الطفلة الرضيعة وتبدلت ملابسها لتصبح حمراء داميه
وتبدلت الابتسامة بالبكاء والعزيمة بالانكسار. افعلها من أجل
(كريستين) من أجل طفلتك الوحيدة (فرانك). تحركت ريح عاصفة
ضعيفة عندما توجهت عيناه لخنجره المعقود بساقه اليمنى متلاشيه
معها كل الاوهام و الصور التي تأتيه , حرك يده بعقل متوقف و أفكار
منعدمة والتقط الخنجر رافعاً اياه عالياً عازماً على قطع قدمه المتضررة
عاوده الصوت صارخاً به بقوة عندما تحركت يده للأسفل بقوة تجاه
قدمه. لا تفعلها مستر (فرانك) لا تفعلها ...فقام بغرس الخنجر بالرمال
متفادي قدمه بصعوبة بالغه صارخاً بانفعال غاضب وفي صرخته قام
معتدلاً جالساً فوق الرمال مستيقظاً من غفلته فوجد الشاب واقفاً امامه
يمد له يده هامساً بابتسامه. دعني اساعدك في الوصول مستر (فرانك) .
مد يده متمسكاً بيده واقفاً ثم أخذ يقفز على قدمه اليسرى بحماس
متألم.

أنا ممتن لك ايها الفتى.

يتحرك بثقة عالية تحملها خطواته العريضة فardاً اذعه الغليظة
باستقامة جسده الضخم رافعاً رأسه لأعلى بشموخ , يخفي عينيه اسفل
نظارة شمسيه سوداء كبيرة تتوافق مع جبينه العريض ووجهه
المستطيل الطويل , عبر بوابة الجامعة الواسعة بثقة لا متناهيه متباهياً
بضخامة جسده العريض , التفت برأسه عن يساره عندما تسلفت اليه
ضحكاتهن المتقهقرة بصخب , مسح بيده على قميصه الابيض الضيق
الذي يظهر عضلات ذراعه متباهياً بضخامتهم أمامهن الجالسون على
مقاعد الحديقة يمرحن بسعادة , ظل متحركاً بين الحديقتان بخطوات
هادئة صاح به احدهم مقترباً منه من الخلف . (نبيل). توقفت خطاه
محرراً رأسه للخلف بهدوء ثم تابع تحركه بلامبالاة واضحة ولكن الاخر
كان قد لحق به صائحاً فيه وهو يلتقط انفاسه. ألم تستمع الي.؟

ماذا تريد ايها الاحمق.؟. صاح به وهو يتابع سيره بدون ان يلتفت له. الم
تستمع لما حدث.؟. توقف معتدلاً اليه متدخلاً باستغراب. ماذا حدث.؟.
تدخل الشاب مرتبكاً وهو يحمل عدة مجلدات بين يده. إن الجامعة
انقلبت رأساً على عقب منذ الصباح الباكر.

انطق ايها اللعين ولا تختبر صبري. صاح به بانفعال متابع بصياح. ما
الذي حدث.؟.

حسناً لم اقصد. تحدث بارتباك وقلق متابع بحماس. ان الشرطة
هاجمت على الجامعة من الصباح حتى الان يستجوبون كل الافراد في
قسمنا.

احكم قبضته على عنقه صائحاً بانفعال وغضب. تحدث مسرعاً ايها اللعين ولا تخوض في التفاصيل الفاشلة، لماذا تتواجد الشرطة هنا.؟.

انهم هنا من اجل الشاب (احمد فؤاد). تجعد جبينه مستغرباً.

لماذا يبحثون عنه.؟.

إنهم لا يبحثون عنه هو إنما يبحث والده عن تعارك معه وأفقده عينه اليسرى.

ماذا.؟. هل انت متأكد من ذلك الامر.؟.

اجل الكل يتحدث عن ذلك الامر، امر عينه اليسرى.

ارخى قبضته صائحاً بداخله بارتباك.. اللعنة. واخذ يفكر بالهرب سريعاً مقاطعاً تفكيره الاخر وهو يشير للمبنى. انظر هذا هو والده. التفت الاخر بهلع فوجده واقفاً امام باب المبنى وحوله رجال من الشرطة يتحدثون مع الشباب فتحرك مسرعاً وهو على يقين بأنهم يبحثون عنه يهرع الى الخارج بخوف وفزع، صرخ به وهو يتحرك مستغرباً تصرفه. الى اين انت ذاهب. لم يجيبه واخذ بالهروب للخارج وبينما يتحرك اصطدم بأحدهم وهو يعبر البوابة فسقط صائحاً. انتبه ايها اللعين. بينما تابع الاخر هروبه، شاهدت الامر وهي تعبر البوابة بتعجب كبير متسائلة بداخلها.. من اي

شيء يهرب هذا الاحمق. بينما صرخت بها الاخرى. (ميساء). تحركي حتى لا تتأخر. آه انا قادمه. اجابتها وهي تتحرك للداخل.

هبط الدرجات بهدوء وهو يراقب البوابة الواسعة بقلق، أشعل سيجارته وهو يتفكر بأمر هذا الشاب ومما هو خائف ليجعله يهرع هارباً هكذا.؟. التفت صائحاً للجمع الهائل من رجال الشرطة خلفه امام بوابه المبنى. (أدهم). تحرك اليه أحدهم مجيباً بهدوء. أجل سيدي.

زفر دخانه بقوة متدخللاً بهدوء. اجمع القوة وغادروا يبدو أننا لن نتوصل لشيء فكما ترى لا يعرف أحد شيء بخصوص الامر يكفي اهدار وقت القوة أكثر من هذا. اجابه بصياح. امرك سيدي. ثم تحرك بينما ظل الاخر واقفاً متفكراً يفرك بخصلات شاربه العريض.

جلست مربعه فوق الرمال بكلل يجتاح كيائها وتعب يصرخ منه اقدامها فهي لم تستريح منذ أن تحركت من الكوخ فمن الجيد انها هربت مسرعة قبل حدوث أي شيء خاطئ لن تستطيع فعل شيء حينها، اسدلت حقيبته من فوق اكتافها واخرجت منها زجاجة مياه ممتلئة تجرعت بضع قطرات منها ثم وضعتها بجانبها فوق الرمال واخذت تفكر ماذا سيحدث ان عاد ابيها الان ولم يحدها بداخل الكوخ بالتأكيد سيقلق عليها كثيراً وسيذهب باحثاً عنها، زفرت بغضب وضجر عندما علمت ان ما فعلته زاد الامر سوء ولكن ماذا كانت لتفعل غير ذلك.؟. فمكوثها بداخل الكوخ أصبح محفوف بالكثير من المخاطر بعد ان هاجم عليها ذلك المثلث صاحب الصوت المخيف وبالتأكيد هذه أكثر الخطوات أماناً

لتبتعد عن موطن الخطر عدة ايام ثم تعود للكوخ فربما تجد ابيها هنا قد عاد من حيث كان وبالتأكيد لاتزال عازمة على التشبث بموقفها تجاه ما فعله، اغلقت الحقيية واضعه اياها خلف ظهرها ثم تحركت فربما هناك من يبحث عنها بعد هذا الهجوم تاركه خلفها زجاجة المياه حيث وضعتها فوق الرمال.

مفترشة على الرمال مستلقية بهدوء مستندة على زراعها خلف رأسها تختبي من اشعه الشمس التي اخذت في الالتهاب اكثر فأكثر منسجمة بالهواء البار تأخذها الخيالات هنا وهناك وهى تراه يضحك لها وهى يهمس بأذنيها معترفاً لها بحبه وعشقه لعينيها الخلافة , اعتدلت جالسة ضاحكة العينين تغمرها مشاعر الدفيء و الاشتياق سعيدة بهم فتلك مشاعر جديدة بالنسبة لها لم تذوقها من قبل , مذاقهم كحلوى الخطمي المغطاة بالعسل الابيض الشهى كالدفيء ينبع من نيران موقدة في مساء بارد كنسمة باردة منعشة تحت اشعه الشمس الحارقة , كطفل يلهو بدميه قطنيه . تحركت بغير إدراك منها مجبرة على الرقص من شدة مشاعرها بداخلها، تتخيله امامها جالساً بركبتيه وهى تتغزل بجسدها النحيل امامه تقفز من البهجة والارتياح وبداخلها نيران شوق تشعل فؤادها المضطرب يخفق همساً واشتياق لرؤياه والارتماء بداخل احضانه باعترافات الحب والاشواق، ارتمت فوق الرمال تلتقط انفاسها بهدوء وارتياح وهى تتخيله مستلقٍ بجانبها يهمس بشوق وحنان. (رحمه) انا احبك كثيراً. ضحكت بخجل وهى تضمه لأحضانها بقوة مغلقة عينيها باطمئنان , اعتدلت جالسة بحزن يزيد بأعماقها بنيران تحرق كل مشاعرها الدافئة الرائعة , زفرت بكلل عندما ادركت بأنها لاتزال وحيدة

بين الرمال , تحركت لحقيبتها الملقاة في الظل اسفل قمة رمليه صغيرة جلست تتفقد بداخلها بهدوء , اخرجت قطعة خبز صغيرة وكيس شفاف بداخله قطعة من الجبن وضعت قطعة صغيرة فوق قطعة الخبز وأخذت تتناولها متفكرة بأن الجبن أخذ على النفاذ منها و ايضاً الخبز لم يعد يتواجد معها الا قطعة صغيرة ثم نظرت لقروره المياه العسلية البلاستيكية الفارغة التي لا يتواجد بها الا بضع قطرات وعلمت ان المياه ايضاً اوشكت على النفاذ منها , تناولت طعامها من اسفل غطاء وجهها فهي غير معتادة على خلعه حتى وهي جالسة بمفردها فهي عازمة بان تكشف وجهها امامه فقط عندما تلتقي به , انتهت طعامها ثم اخذت تتجرع المياه المتبقية معها حتى فرغت القارورة , اجمعت اشياؤها مسرعة عندما تذكرت الفتاة وكم أنها تركتها وقتاً كافياً لتبتعد عنها حتى لا تشعر بأن هناك من يراقبها بجانب انها لازالت تشعر بالظماء وعليها البحث عن اي بئر قريب لتعيد ملئ قارورتها الفارغة , تحركت لأعلى القمة القصيرة ونظرت بهدوء وتخفي فلم تجد سوى الرمال فأخذت تتحرك بهدوء خلف الفتاة فالصوت يأتيها من بعيد خافتاً في اذنها من جهاز التصنت الصغير , تحركت تحت اشعة الشمس الساخن بكلل وارهاق فكلما توغلت ترتفع الحرارة من فوقها ومن تحت اقدامها وبينما هي كذلك لمع شيء في عينيها عن يمينها وكأنها مرآة تعكس ضوء الشمس فنظرت بهدوء فلمحت شيء يتلألأ بتوهج أثر سقوط ضوء الشمس عليه فتحركت باتجاهه بحذر , وصلت لهنالك فوجدتها زجاجة بلاستيكية شفافة مليئة بالمياه أخذتها مسرعة فرحه بها تتجرع منها بظماء ولهفه ثم اخذت تعيد ملئ قارورتها التي تحمي المياه من التأثر بحرارة الشمس , القت بها بعدما فرغت تسرع من خطواتها خلف الفتاة .

تتحرك تحت اشعة الشمس بهدوء تحمل حقيبتها الحمراء الصغيرة على معصها الايسر بينما تعدل قبعتها الكبيرة بيدها اليمنى لتخفي بها جرح رأسها المضمّد من أشعه الشمس الساخنة بهدوء خطوات متراخيه منسجمة بدفيء الشمس الهادئ تراقب الزهور والنباتات بداخل الحديقتان التي تسير بينهما بداخل الطريق الاسفلتي التنظيف بداخل الجامعة متجه للمبنى الكبير الواقع امام عينها تصدر خطواتها طرقات عالية اتيه من حذائها الازرق صاحب الكعب الخشبي العال , يرفرف ثوبها الازرق الهادئ كلما هبت عليه الرياح الهائجة , جاءها الصوت من يسارها هادئاً . مرحباً أنستي الغالية.

التفتت بحيرة واستغراب صائحة بلهفه عندما رأته وهو ينفث الدخان الكثيف من فمه. عم (فؤاد) ماذا تفعل هنا.؟. تساءلت بحيرة وهي تقترب منه. أجابها بهدوء وهو يمسح على جакته القطني السوداء. ماذا تفعلين أنتِ انستي في هذا الوقت المتأخر هنا.؟. اعتقد بان اليوم الدراسي بدء منذ ساعات، لماذا تأخرت هكذا.؟.

رفعت رأسها لتريه الضماد على جبينها. انا مريضة يا عمي.

ضم حاجبيه الرفيعان باستغراب. ما هذا.؟.

رفعت يديها بابتسامه متوترة. لا تنظر لي هكذا لقد سقطت ليس أكثر.

ولماذا لم تخبريني.؟.

لا تهتم عمي انه ليس بشيء كبير ولكن أخبرني هل انت هنا لتأخذ اجازة مرضيه ل (احمد).؟. وكيف هي احواله على كل حال.؟.

انه مصاب بشدة. قالها بحزن عميق متابعاً بضيق واضح. وانا هنا لذلك.

لماذا.؟. ماذا حدث له.؟. تساءلت بقلق.

القي بسيجارته على الرصيف الأسفلتي داهس عليها بحذائه الاسود المترب متدخلًا بألم وراسه للأسفل من الحزن. لقد فقد عينه اليسرى.

يا إلهي! قالتها باندهاش واضح.

للأسف.. وانا هنا منذ الصباح احقق مع اصدقائه لربما يعرف حدهما شيء فهو رافض اخباري بشدة.

وكيف هو الان عمي.؟. تساءلت بقلق واضطراب.

لقد تركته بالمشفى وهو في حاله يرثى لها، ارجوك (اسماء) بُنيتي أذهبي له وهدئي من روعه قليلاً.

حاضر عمي سأذهب. تنهدت بها بقلق وحيرة.

صاح بها متبسماً. هيا اذهبي الان حتى لا تتأخري أكثر من ذلك.

وقفت ثابتة تعطيه التحية العسكرية صائحة بضحك. امرك سيدي.

الشمس اصبحت فوق رأسي تلتهب التهاباً حارقاً ارغمتني على الاستيقاظ زاهق النفس اشعر بضيق رهيب من الحر الذي اجلس فيه منذ ساعات اشعر كأنها قرون تمر ببطيء شديد، اتنفس بصعوبة بالغة وكأني اشهق اللهب وازفر بالنيران والرمال أسفل منى تقفز من اللهب قد احرقت جسدي ولا أجد من حولي ظلاً أستطيع الاختباء تحته. ماذا افعل..؟! لا أدري.. حقاً لا أدري، اشعر بأني بداخل موقد يشعل بجسدي النيران، الهواء يأتي شديد السخونة والحرارة ترتفع أكثر فأكثر وكلما اشرب تخرج المياه عرقاً فوق جسدي في لحظات، التففت بزهق بالغ وألقيت بالدلو بداخل البئر الدائري الواسع ما ان امتلئ حتى اخذت اسحبه بتعب ومشقة وجسدي يتوهج حراً، سحبت بصعوبة بالغة ثم اخذت اتجرع بنهم وانا ألهث من صعوبة التنفس وقفت المياه بحلقي من سرعة تجرعي فسعلت بشدة اعاني الاختناق.. اللعنة. لا أستطيع التنفس اشهق بصوت عال اعاني الام الاختناق، مرت لحظات الم ومعاناة وقد تغرغرت عيني وشعرت بأني احتضرت ثم اخذت اسعل بشدة أكبر حتى تمكنت من التنفس هدأت من روعي الهالع قليلاً ثم اخذت الدلو اسكب فوق رأسي لأطفئ نيران جسدي المشتعل باللهب، زفرت بانتعاش بعدما غمرت كامل جسدي بالمياه وضربني الهواء المشتعل فشعرت ببعض البرودة الساخنة ولكن سرعان ما تبخرت المياه من فوق جسدي وارتفعت حرارته عالياً، أظن بأني سأصاب بضربة شمس

قاتله.. اللعنة.. الحرارة هنا تتجاوز كل معدلاتها الطبيعية بجميع المقاييس , الرمال امامي تتوهج اشتعالاً واسفل مني تزداد سخونة قاتله وكأن أسفل منها الجحيم المشتعل لقد احترق معظم جلد ظهري و اقدمي وعندما حاولت التسنيد على يدي قفزت صارخاً من الالم وكأني وضعتها فوق النيران , إني اعذب اشد العذاب بداخل هذه الصحراء , النهار جهنم الحارقة والليل الزمهرير الثلج , انطرحت على وجهي بعدما صرخت جلود ظهري من شدة الالم ولكني صرخت عندما لامس وجهي الرمال الحارقة فاستندت على زراعي مبعداً وجهي عن ملامسه الرمال , اخذتني الذكرى لهنالك بعيداً عن هنا عندما كنت اشعر بالحر في المنزل فقامت بتشغيل مكيف الهواء بداخل غرفتي ثم ارتيمت على الفراش اللين الناعم , شتان ما بين هذا وذاك ما بين الوسادة القطنية الناعمة والرمل الخشنة القاسية التي تترك اثارها بجلودي كل يوم وكل ليلة , طرقت امي الباب عابرة باندهاش صائحة وهى تضم زراعيها العاريان الى صدرها من البرودة . يا الهي ما هذا الثلج . فتحركت اليها ساخراً منها. أنا أحب الشتاء وأكره الصيف، فقط لا اطيع الحرارة العالية. فأمسكت يدها لأقبلها فسحبته مسرعة صائحة بضجر. يدك باردة جداً، هيا اطفئ ذلك الثلج وتعال لتتناول الغداء. وتحركت مغادرة، اطفأت المكيف واتبعتهما للصالة الواسعة فوجدتهم جالسون على المائدة منتظرين قدومي، جلست مراقباً الطعام، قطع من ثمر البطيخ البارد والخبز بجانب الجبن الريفي الابيض مع بضع قطرات زيت عليه والطحين، كم اتمنى الان ولو قضمه واحدة، أعادني الالم عندما تراخت يدي ولامس وجهي الرمال حيث أنا في معاناتي مع الحرارة لا أدري لأين اهرب منها، فأخذ هاتف يهمس بداخلي البئر!! فتذكرت الظل بداخله فتحركت هارباً من آلام

الاحتراق وألقيت بجسدي بداخله بدون تفكير ولا تدبير، فانجذبت روعي للأعلى عندما باغتني عمقه حتى ارتطم جسدي بالمياه الباردة، تنهدت بارتياح شديد عندما تطاردت المياه الباردة حرارة جسدي الملهب ولكن قدمي لا تلامس الأرض فهو أعمق مما تصورت ولكني ارخيت جسدي مستمتعاً بالمياه والهواء البارد وعاودني النعاس يغلبني، أظن بأني سأعفو القليل من الوقت فأمامي ليلة طويلة لأقضيها.

امسك بباب الكوخ الخشبي الواهن صائحاً بألم. (كريستين)!!! عبر الباب للداخل يبحث عنها باشتياق وقلق ولكنه وضع يده على عينيه من أثر الضوء فهو للتو تارك الشمس بضياؤها المتوهج , مرت لحظات اصفرار رؤية ووهجان عينين حتى تعودت عينه الظلام , وجد الاغراض مبعثرة بداخل الكوخ في كل اتجاه و الكثير منها مفقود , ارتمتى على الرمال بيأس عندما أدرك مغادرتها أو انهم أمسكوا بها وعثروا عليهم بالفعل , اخذ ينظر للخارج وهو منطرح على الرمال عازماً البحث عنها في كل مكان حتى لو اضطر للاستسلام لهم من أجل ان يحررها من قبضتهم ولكنه سرعان ما ادرك عدم مقدرته على فعل شيء بقدمه المصابة بشدة هكذا , فأخذ يتفكر في معالجتها حتى يتمكن من الذهاب خلف طفلته وإنقاذها , اعتدل جالساً ينظر لساقيه المفرودتان أمامه , فأخذ يثني قدمه اليمنى ببطء شديد ثم انحنى بصدرة عليها يخلع سترته ويفك وثاقها حيث أنها اصبحت غارقه بالدماء مليئة بالرمال , أرخى عقدتها و أخذ يزيلها عن قدمه شيئاً فشيئاً بألم و إرهاق شديد ولكنها التصقت من تجمد الدماء بها , أخذ الخنجر من فخذة الايمن ووضع مقبضه الخشبي بين اسنانه ضاغطاً عليه ليتحمل آلامه بينما يجذب سترته بقوة من فوق

قدمه , أحكم قبضته على سترته و أخذ يجذبها بقوة وببطء شديد فتقاطرت الدموع من عينيه المأ حتى استطاع ابعادها بعد معاناة ألم كبير , جذب جردل المياه الكبير بجانبه و أخذ يقطر عليها المياه لينظف الجرح المكسور ثم أخذ يضمدها برباط مطاطي أبيض ضاغطاً عليها بقوة ثم بدء يضع بضع عصيان خشبية باستقامة قدمه بشكل دائري ثم أحكم عليهم الرباط جيداً متجرعاً بضع قطرات مياه ساقطاً مغشياً عليه من شدة الألم .

مستلقٍ بألم على فراشه الابيض، تائهاً بداخله غريباً عن نفسه، حائراً في مضجعه متفكر بإصابته ومصيبته التي باغتته ودمرت أحلامه العريضة، كان بعينين معافاً مستغرباً الوجود بهالته الكبيرة العريضة الضخمة ذات الشموخ الزاهي، يتساءل كيف سيرى العالم الان بعين واحدة، هل سيراه من اتجاه واحد فقط، من هذه اللحظة وكل شيء أصبح مختلف بالفعل وأكيداً.. ماذا سيفعل حول قتاله الان.؟. كيف سيتمكن من مواجهه الأمور بعين واحدة.؟. كل شيء أصبح صغير من خلال رؤيته والصورة باتت غير مكتملة , هل يتنازل عن استرداد حقه ويترك الأمر لأبيه ولكن هذا ما يجافيه بكل السبل , حائر تائه مازال غير مدرك لإصابته ولايزال عقله رافض تصديق أمر عينه , هادئ ساكن على غير عادته , هل كسرتة الإصابة و أسكنته في كهف من الانطواء مبتعداً عن عالم البشر وكينونتهم الغوغائية , جزيئاً وحيداً مفتقداً لرفيق عمره الذي غاب بلا وداع يتساءل اهو يعاني مثل ما يعاني أم مُترف سعيد بعالمه الجديد , أيزال حياً أم اصبح تحت الثرى وحيداً يبكى , تحرك بانكسار جسدي قد حطم عزيمة روحه , يتجرع من الألم بتأوهات مكلوم سقيم ,

يحاول الوقوف على قدميه ليقضي حاجته ولكنه لا يستطيع فكلما حاول سقط من شدة الالم الصادر من صدره المحطم بضرر , جاءت المساعدة من أخته التي كانت تتطلع للكتاب بجانبه , أمسكت بيده هامسه برفق. دعني اساعدك أخي . رفع عينه متأملاً وجهها الرقيق الأبيض بانكسار عين تحمل في داخلها الحزن العميق هامساً بضعف. (زينب) أنتِ هنا!! وضعت يده حول عنقها مسنده اياه هامسه اليه برفق وهي ترى الحزن الساكن بعينه. واين سأذهب وأخي يحتاج مساعدتي!! يتحرك مستنداً عليها ببطء شديد هامساً بانكسار. شكراً لكِ (زينب).. شكراً لكِ.

لا تشكرني أيها الاحمق فأنا ممتنه لأفعالك معي كثيراً وهذا اقل ما يمكنني فعله لك ثم لتتذكر مساعدتي لك عندما تتعافى ولا تقسوا على مجدداً. تبسم بحزن هامساً بضعف. أتعافى.. كيف سأتعافى مجدداً. فتحت له الباب الابيض الصغير قائله بهدوء. لا تقلق يا اخي ستتعافى وكل شيء سيكون على ما يرام. اسندته على حوض سيراميك دائري وصاحت مغادرة. إن احتجت اي شيء فانا هنا لا تتردد بمناداتي. ثم اغلقت الباب. ظل واقفا امام المرآة المربعة النظيفة ينظر لعينه الساكنة بحزن و المضمدة بجرح عميق لا يشفى يبحث بداخله عما تبقى منه لايزال ينفي فقدانه عينه فأخذ يزيل الضماد بيأس من فوق عينه , يتجرع الالم ما يكفيه للتأكد من هذا الخبر المشؤوم فأزال الضماد وفتح جفنيه ليصعق من ما يراه بحدقته السوداء المعافاة , ينظر بهلع وفزع لعينه اليسرى الدامية فلا يرى منها شيئاً غير أنها مليئة بالدماء لا تتبع منها صورة ولا رؤيه صغيرة , داميه حمراء عاميه سوداء الملامح ... سالت

الدمعتان من عينيه يمنه حزينه سائله بالماء و يسرى متألمة جريحه
سائله بالدماء ..أدرك حينها بأنه بكل يقين أصبح بعين واحدة .

البروفيسور

أنا الغريب، غريب في صحراء قاسيه، ألوانها شتى متعددة الأشكال والصفات، كنت بالمدينة.. تبسمت بيأس وانا اكرر قولي كنت ...!! أجل ..كنت من أفعال الماضي الذي مر واصبح ذكرى , كنت لا اريد سوى عيش الحياة بهدوء ,سلام ,سكينه و اطمئنان كسائر افراد البشر وكنت كأى انسان يسهو ,يخطئ , يلهو ,يلعب ,يجد ويجتهد وحين النظر الى مراتب البشر فليسوا جميعاً سواء فهناك الغني و الفقير , القوي والضعيف , السوي والمريض ..أما انا فكنت من الضعفاء الواقع يقول ذلك مع أني لم اكن احسب نفسي كذلك حتى مع كل ما كنت الاقيه من ضرب وسب وما الى ذلك ولكن يبدو بأنني كنت اتجاهل ضعف قوتي وقله حيلتي و اواسي نفسي دائماً باعتقادي بأنني ليس بذلك الضعيف الواهن ولكن يبدو بأنني ذلك الضعيف الواهن حقاً ... آه .. أتسائل!! هل كنت حقاً احيا الحياة التي كنت ارغب بها دائماً؟. في سكون وهدوء واطمئنان؟. مرت أمامي الذكريات وانا حبيس البئر الواسع فتبسمت تبسم اليأس.. لا.. لم أكن اعيشها ومنّ يعيش الحياة التي يريدّها.؟! ..! إننا الواهمون الحالمون في عصر لا يصلح فيه الأحلام، مأثورون بداخل عقولنا في عوالم

من الخيالات، احلامنا مجرد خيالات نهرب بها من آلام الواقع المرير، لطالما كنت أهرب من واقعي لعالمي الخيالي، اتسعت ابتسامتي التي أشرقت وجهي بداخل الظلام وتلألأت أسناني في المياه الباردة وأنا أتذكر كيف كنت اتخيل نفسي دائماً قوياً، وسيماً، ومحبوباً من جميع الفتيات أهرع لأبرح ذلك اللعين (نبيل) المزيد من اللكمات وأتتصر لنفسي ولجميع من آذاهم هذا الضخم الأحمق، مجرد خيالات ... أتخيل.. طوال حياتي وأنا أتخيل.. ولكن سرعان ما أستفيق عائداً لوقر أحزاني، أسير خوفاً وضعف جسدي، مكبل بقيود الاوهام معلق في حبال الخيال، غائب في ثبات الأمانى!!.. ولكني لم افعل شيء لأغير واقع حياتي فقط كنت أتخيل!!.. أتخيلني قوياً أنتصر لنفسي، ثرياً مترفاً لعائلتي، وسيماً جذاباً أسرق قلوب الفتيات ...فقط أتخيل ولا أبالي لأمر واقعي.. فواقعي هو من أجبرني على التخيل، هارباً من برائن لهيبه الحارق، مختبأ تحت ظل الخيال لأحتمي من أمطار الواقع الممزقة، أتسائل!!.. هل سأظل هكذا أواجه الواقع بالتخيل.؟. أم أتي سأواجه الخوف وأتحدى ضعفي.؟. أعتقد بأني لا أملك الخيار في هذا الامر فواقعي الان تغير بكل المقاييس ولا يوجد طريق آخر امامي غير المواجهة، أظن بأني الان فقط فهمت مقصد الساحرة اللعينة بقولها إنه لا يوجد شيء هنا مجاناً وكل شيء له ثمن!!.. فإن أردت الطعام لا بد وأن اذهب للصيد، وإن لفحني البرد القارص لا بد وان أشعل النيران لأحصل على الدفيء وإن هاجمني أحد لا بد وأن ادافع عن نفسي لأتمكن من النجاة، لفحني الهواء البارد وأنا اعتزم بداخلي على عدم الاعتماد على اي شخص للنجاة مرة اخرى مهما كانت الصعاب التي سأواجهها ومهما كان من هو!!.. تنهدت بتوعدك وأنا أحرك اقدامي ببطيء، الاعب المياه الراقدة بأناملي بهدوء وانسجام متفكراً في طريقة للخروج

من هذا البئر، زفرت بضجر وانا ألوم نفسي على غبائي وكيف لم أفكر قبل أن ألقى بجسدي بداخل البئر، كيف لم أفكر عن طريقه الخروج منه؟. غبي، أحمق، أحسب نفسي ذكياً ولكني في قمة الغباء والحماقة، هل سأنتظر قدوم الفتاة التي أخبرتني بها هذه العجوز المجنون ولكني لا أصدقها على كل حال. تبسمت ساخراً عندما تذكرت أمر رؤيتها للمستقبل ، كم هي حمقاء مخبولة ، ثم اني قررت عدم الاعتماد على أحد مرة اخرى لذا لا يوجد أمامي غير التسلق و أمل ان لا تخونني أقدامي ، أخذت اتسلق متشبثاً بأصابعي بين فراغات الصخور الكبيرة مستنداً على اطراف أقدامي ولكني سقطت سريعاً من آلام اقدامي فعاودت الكره فسقطت ، زفرت بقوة عازماً عدم الاستسلام وحاولت ولكن كل مرة تنتهي بالسقوط تخونني اقدامي فشعرت بالغضب الشديد أرطم المياه بيدي بقوة هائجاً بانفعال ثم سكنت ألهث الهواء بصعوبة ، نظمت أنفاسي بهدوء لأبتعد عن أي نوبات ربو الان وأنا أتأمل النجوم الغائمة المشوشة بضعف نظري ، مغرغرة عيناى سريعة الامتلاء بالمياه الساخنة الحزينة التي تتلأأ بتساقط النجوم بداخلها وأخذت تقطر من عيني بكثافه ترتطم بمياه البئر الباردة ، قطره تتبعها قطره حزناً يشعل جانباى يتأكل منه صدري بتوجع قلبي المكوم .. فقط لو كنت قوياً لكان كل شيء أصبح أيسر كل هذا يحدث لي لأني طيب القلب. اللعنة.. الحزن مزق جرح قلبي القديم ..طيبة قلبي وبراءه افعالي وكيف أنهم يجلبون لي الالم و الحزن و المعاناة طوال الوقت ، بدأت بالنحيب تتجاوب معي دموع عيني كسيل مُهد له الطريق يهرع اليه بفيضانه الغزير وانا اتذكر أبي وكيف أن ذهابه ترك أثر كبير بداخلي وكيف أن غيابه أثر على روحي وتكوين شخصيتي لأصبح ضعيفاً هكذا ، فقط لو بقى معي لكنت

أصبحت شخص أفضل يستطيع الاعتماد على نفسه وشق طريقه الخاص , انهمار دموعي يسيل و انا اذكركه وهو يمسح على شعري بيده مبتسماً , اشتاق لضمه صدره ودفئ أحضانه ..أشتاق لصوته وهو يحادثني , لماذا ذهب يا أبي وتركتني هنا وحدي غيابك جعلني الغريب في دنياه , المسجون بداخل حريته ..لماذا ...يا أبي .. أشتاق اليك كثيراً حقاً اشتاق اليك. مسحت دموع عيني وهي لاتزال تتساقط متأثرة بمشاعر الافتقاد بداخلي.. ماذا افعل الان.؟. حقاً لا أدرى سأنتظر قليلاً ثم أعاود المحاولة لعلني أتمكن من الصعود فلا يوجد طريقة أخرى أمامي غيرها.

كيف أحوالك اليوم (أحمد).؟. تحدثت اليه وهو متكئ بظهره فوق فراش مرضه تعلوه نظرات الحزن والأسى، نظر اليها بانكسار وهي جالسه عن يساره تحديق فيه باتساع عينيها البنية الشغوفة، تعالت اضطرابات قلبه عندما وقعت عينه بداخل عينيها وكم هو مفتون بهما تحدث اليها بتراخي حزن عميق.

أرجوك (أسماء) اجلسي عن يميني حتى اتمكن من رؤيتك جيداً.

أوووه.. انا اسفه جداً (أحمد) لم اقصد. تلعثمت بتوتر وخجل منه ثم تحركت جالسه عن يمينه. أسفه جداً لم اقصد أنا فقط متوترة جداً المعذرة. لا بأس، لا داعي للاعتذار، أعلم بانك لا تقصدين شيئاً. تحدث اليها بهدوء شبه متبسماً ليهدئ من توترها الذي يتزايد منذ ان طلب منها الانتقال, مرت لحظات صمت بينهم فهي لا تزال تشعر بالخجل لأنها أشعرته بعجز نفسه وذكرته بفقدان عينه وهو ساكناً بداخل حزنه على

عينه ومشاعره المتأججة تجاهها وكيف انه لم يكن يرغب برؤيتها له في حاله الضعف هذه ولكنه عزم على بدء الحديث بينهم فلقد ضاعت الكثير من الفرص امامه للحديث ولا يريد أن تضيع هذه الفرصة ايضاً فتحدث اليها بهدوء وهي جالسه تفرك بأصابعها فوق رداثها الاصفر الجذاب. كيف أحوالكِ (أسماء).؟. بخير ولله الحمد. أجابت مسرعة لتستنفد حاله التوتر التي تنتابها ثم تابعت بهدوء. دعك من احوالي وأخبرني كيف هي احوالك.؟

كما ترين..!! أجابها بيأس.

اراك مصاباً ولكن هذه ليست بنهاية العالم، ستشفى جروحك وتعود معافاً من جديد وكل شيء سيكون على ما يرام.

كيف.؟. تسائل محبط العزيمة.

المعذرة.؟. تدخلت بحيرة.

كيف سيعود كل شيء على ما يرام؟ كيف بعدما خسرت كل شيء، خسرت عيني واحترامي لنفسي وحتى كرامتي.. فكيف سيحدث ذلك.؟.

فقدانك لعينك لا يعني بأنك خسرت كل شيء (احمد). ثم بماذا سيفيد الندم الان.؟. قد تحسبني لست بعالمه بمقدار مصيبتك ولكني على درأيه تامه بما تمر به الان ولماذا تشعر بانها نهاية كل شيء لأني مررت

بمصيبة أكبر من مصيبتك أم نسيت ما حدث لي , ليتني كنت خسرت
عضواً من جسدي ولا يمس احد بسمعتي ويسئ لسيرة حياتي وطريقتي
وأنت على دراية تامه بما حدث في الجامعة وكيف أخذ الناس ينظرون لي
ويطاردونني بكل مكان وفي كل وقت يخوضون بذكري بالسوء , هل هذه
الحادثة كانت نهاية العالم بالنسبة لي , أجل في هذا الوقت كانت ولكنها
لم تحطم عزيمتي ووقفت صامدة أمام كل الناس حتى تمكنت من دفع
الشبهات عن نفسي و انت ايضاً (احمد) لا بد وان تجمع شتات نفسك
وتستعيد عزيמתك ولا تستسلم و ان تستفيد من محنتك هذه لتجعلك
اقوى من السابق وتواجه يأسك وقنوط روحك . تسلت الدمعة من عينه
وهو مبتسم، يهمس بداخله بخنان. من اجل ذلك (اسماء) احببتك كثيراً
وقد تضاعف حبي لك في هذه اللحظة ولكنى عاجز. تنهدت بقلق وهي
تتساءل بداخلها عن كونها قد اساءت الية بغير قصد منها لبيكي هكذا
ولكنها لم تكُ تقصد أي اساءة او احراج له من أي جهة ثم اخذت تلوم
ذاتها بتوتر قد عاودها من جديد ولكنه قاطع افكارها واحرق توترها
هامساً. شكراً لك (اسماء) شكراً لك.

تبسمت بسعادة اطفأت ظننها ونيران توترها متدخلة بضحك. على اي
شيء ان شاكر لي.؟. فنحن اصدقاء وقبل ذلك نحن اقارب من الدرجة
الأولى وبذكر ذلك أود اطلاعك بأن عمك وزوجته أرادوا زيارتك ولكنك
تعلم حجم الخلافات بينهم وبين والدك لذا أرسلوا تحياتهم معي
بالشفاء العاجل وايضاً اعتذارهم لتخلفهم عن المجيء.

لا بأس. قالها بهدوء وهو يمسح دموع عينه متابعاً بهدوء. أخبرهم بتفهمي للأمر وتقبلي اعتذارهم.

مرت لحظات صمت بينهم فتنحج متحدثاً بابتسامة مشرقة.

تعلمين.

فاتسعت عينيها البنية منتبه بتمعن بينما هو تابع حديثه. عندما كنت اواجه صعاب من أي نوع كنت أسرع وأطلب مقابلة معه، لأني اعلم بحسن قراراته وبأني إن أخطأت سيلومني ويؤنّبني بشدة، لذا فأنا على يقين تام بأنه لو كان هنا ورآني مستسلم هكذا لصفعني بقوة على وجهي ولأخذ بيدي كما فعلتي معي تماماً فأنتِ أيضاً تشبهينه كثيراً. أخذ بؤبؤ عينها يتحركان في دوائر بمحجريهما حيرة وقلق فتحرّكت مقتربة منه تهمس محرّكة يدها. هل تريد مني صفعك أيضاً؟.

تبسم بارتباك وخجل من شدة تدنيها منه وارتجف جسده مرتعشاً بوقوع عينه بداخل عينيها المكحلة الجذابة فتسائل مرتبكاً عندما انتبه لضماد جبينها. كيف جبينك الان؟.

بخير. قالتها بتراخي صوت ناعم متابعة بشجون وبرآه. لم يعد يؤلمني وقد أخبرني الطبيب بأنه لن يترك إثر نهائياً وهذا أكثر ما كان يقلقني لأني سأصبح حينها قبيحة أليس كذلك؟.

تسلل صوتها الى اعماقه ليضخ الدم من قلبه شجوناً قوياً مما ازاد ارتبাকে
وحينه لعينيهما فتنهد باضطراب مشاعره الجياشة. قطعاً لا أنتِ أجمل
فتاة رأيتها قط.

احمرت وجنتيها خجلاً هامسة بخفوت. شكراً لك هذا إطرء جذاب.

ظلا ينظران لبعضهما البعض بسعادة وشوق وارتخاء ينبع من
مشاعرهم الدافئة التي تتبع بقوة من فؤادهما، قاطع انسجامهما
تنحنحها وهي واقفة أمام الباب هامسة بابتسامة. المعذرة أخي.
فتباعدت واقفة بخجل وإحراج. بينما تابعت الأخرى. إنه وقت العلاج.
حملت حقيبتها الصفراء متحركة للخارج. سادعك لتتعافى. الى اللقاء.

الى اللقاء. تنهد بها بقوة وهو يراقب خطواتها للخارج ثم ظل يرمق اخته
بغضب شديد. مما جعلها تتساءل بحيرة وضجر. ماذا؟.

تلهو الرمال مع بعضها بسعادة وانسجام يتحركون خلف بعضهم
البعض مشكلين دوائر صغيرة هادئة متراخين أسفل ضوء الشمس
الحارق باستسلام لنسمات الهواء الساخنة الشديدة العاصفة بهم
لتكوين دوامات رميلة صغيرة لاتزال في مهدها، يتراقصون ويمرحون هنا
وهناك في صحرائهم الواسعة، قاطع انسجامهم ريح غادرة أبعدتهم
مفترقين بكلل متنافرين من بطشها عازمين العودة لتجاهل المرح معها
ولكنها لاتزال تتحرك بهم ليصطدموا بالكوخ الصغير المتهالك في قلب
الخلاء. تباً لهذه الرمال الساخنة المزعجة. صاح غاضباً عندما أخذ نصيبه

من الغبار الهائج وهو جالس بالقرب من الباب , جسده بالظل وقدماه خارجاً في الحر الوهاج , تألمت القدم اليسرى من هول حريق الشمس فأسكنها الظل بانثنائها المريحة لجلوسه فوق الإناء البلاستيكي الأحمر بينما لاتزال اليمنى تشكو انحصارها بالألم في الضوء الناري الملهب يتنفس بصعوبة بالغة في هذه الحرارة المتصاعدة بكثرة وبشدة حارقة يتطلع بعينين مخمولة للهبيب الرمال المتزايد من هيجان الشمس المشتعلة , أخذ يتلفت حوله بترنج وغيثان محاولاً تذكر أين وضع الإناء الفخاري فوجده بجانب قدمة اليسرى فامسكه يتجرع بنهم وما ان اكتفى اخذ يسكب فوق راسه حتى اغرقت المياه الباردة فينيلته البيضاء وبنطله البنى الفاتح تشهد بارتواء وهو يسكب المياه فوق ساقه المضمدة بالمزيد من الاخشاب الرفيعة محكمة القيود حتى تلتام سريعاً بدى مستمتعا بلحظات انتعاشه فاخذ يدخن من مدخنته الصغيرة الخشبية الغير قابلة للاشتعال ورقات نبتة الخاصة التي تسكنه الام عظامه المتحطمة ولكنها تجعله منتشي غير مدرك لما يحدث حوله غارقاً في مدن الاوهام اللا منطقية مرت لحظات صمت بداخله يستمع لهزيز ريح قوية يأتيه من بعيد عيناه اخذت بالتثاقل يتساقط جفناه عليهما مع ازدياد دقائق قلبه المتنافرة شهق شهقة كبيرة من مدخنته الصغيرة واخذ ينفث الدخان من فمه وانفه بكثافة غزيرة حتى تثاقلت رأسه بدوار شديد وتراخت يداه تتهابط بغير إدراك منه حتى أسقطت المدخنة من بين أصابعه , شعر بحه في رأسه فأخذ يفرك في خلاصات شعره الاشيب لا يشعر بأصابعه وهى تتباطئي عن الحراك فوق رأسه وتمايل للخلف ساقطاً من فوق الإناء ليعانق جسده الرمال غارقاً في شواطئ الذكريات وهو يتحرك بحلته العسلية الأنيقة بداخل الرواق

الواسع يحمل مجلداته في يده ليعبر الباب بارتياح شديد لينتقل من الصمت الى قلب الضجيج النابض بشغف طلابه التي تملئ القاعة الواسعة عن بكره ابوها , وضع مجلداته فوق مكتبه الأبيض الصغير صائحاً بمرح . مساء الخير أيها الكسالى. عاوده الرد صياحاً من الجميع بمرح وسعادة. مساء الخير مستر (فرانك).

رفع حاجبه ناظراً إليهم بتعجب صائحاً. بروفيسور (فرانك) أيها الحمقى فأنا لا أعلم اللغة كي أصبح مستر بل إني أدرُس التاريخ أيها الجهلة.

تعالت الضحكات في جميع أنحاء المدرجات تتخافت ببطيء ثم صاحوا بقوة ومرح. مساء الخير بروفيسور.

فتبسم هامساً. هكذا نبدأ اليوم. ثم تحرك أمام المدرجات يتحدث بحماس. اليوم هو اليوم التاريخي الذي لن تستطيعوا نسيانه طوال حياتكم البائسة. تعالت الضحكات مرة اخرى فتوقف متأملاً بارتياح ضحكاتهم التي لطالما تشغف قلبه فذا ما يشغفه في مزواله هذه المهنة المحببة الى قلبه فصاح بهدوء. حسناً. في كل عام أخصص هذا اليوم لأتحدث فيه عن الأصالة والعراقة لأقدم حضارة في تاريخ البشرية، هل من مجيب يخبرنا من هم.؟.

صاح شاب بقوة. الفراغة بروفيسور.

أجل الفراغة يبدو بان صديقنا هناك يقرأ.

فتعالت الضحكات. فنظر إليهم بتعجب صائحاً. لماذا تضحكون أيها الجهلة.؟ فتزايدت الضحكات أكثر فأكثر.

بينما تابع حديثه بهدوء. الكتاب هو سر كل شيء، القراءة في لفظة أخرى لأنني أعلم بأن الكثير من الأغبياء يجلسون أمامي الآن. القراءة هي مفتاح المعرفة ولكن للأسف أصبحت مهمة في زمان الترفيه ووسائل الاتصالات السريعة فأصبحنا جهلاء إلا قليل القليل الذي يداوم على القراءة. نعود لموضوعنا الأساسي الفراعنة.. يا لهم من بشر أبهروا العالم بذكائهم وعلمهم وايضاً اخترعهم فهم أول من صمت للحظات وبدى متعرقاً يترنح برؤية مشوشة فقام بخلع سترته القطنية الأنيقة هامساً بارتباك. الجو يبدو في غاية الالتهاب. ولكنه لم يتمالك نفسه على الوقوف فاسند على مكتبه بذراعيه متعرقاً من كل جانب يكاد يفقد الوعي بغثيان شديد فجاءه الصوت من الخلف بصياح باكي. أبي ...!

(كريستين) ...! همس بها وهو مستلقٍ على الرمال،، التفت بلهفة صائحاً. (كريستين) فوجدها أمام عينيه المتثاقلة تهبط من أعلى المدرجات حتى اقتربت منه ترطم صدره بذراعيها تصرخ فيه بكاء ونحيب. أين ذهبت يا أبي وتركتني وحدي لأعاني بداخل الصحراء. لماذا.؟

لقد عدت يا بنيتي ولكني لم أجذك لماذا ذهبت قبل عودتي.؟. تحدث بارتباك وهلع فتلاشت من أمامه وهو يحاول بقوة رفع جفناه الثقيلان فأخذ يبحث عنها صارخاً. (كريستين). أين أنت عزيزتي.؟. أين ... جاءه الصوت عن يمينه ضعيفاً مجهداً. مستر (فرانك). التفت عن يمينه

بارتباك فوجده مستند على حائط القاعة بظهره مفترش الأرضية الرخامية النظيفة. (هادي). همس بها متحيراً ثم أتبع وهو يقترب منه. أنت هنا أيضاً حمداً لله أنك بخير يا بني.

بخير!!! همس بها ضاحكاً بتألم متابعاً بصياح حزين. لماذا ذهبت مستر (فرانك) وتركتني.؟. لماذا.؟. ... أنا اسف يا بني.. انا أسف.. انا اسف. ظل يكررها وهو ينفث الرمال منطرحاً على وجهه فعاوده الصوت في بحور أوهامه صياحاً قوياً يصرخ فيه. استفق مستر(فرانك) ... استفق. ففتح عينيه ليجد نفسه غارقاً في العرق يسيل من كامل جسده منطرح على وجهه بألم فتحرك واقفاً يترنح، يهرع للخارج صائحاً. انا قادم عزيزتي.. انا قادم يا فتى. فتحرك بترنح ليضغط على قدمه يخطوا للخارج فصرخ منطرحاً من الألم ساقطاً على وجهه تحت ضوء الشمس الحارق يتلفظ اللهب المشتعل يأتيه الصوت من بعيد.. (فرانك) ... (فرانك). فاتتبه لندائها وهي جالسة أمامه على الطاولة المليئة بالطعام يتسلل إليهم ضوء الشمس الهادي من الشرفة مجيباً بهدوء وهو يتناول الطعام. أجل أمي ماذا هناك.؟. نظرت بداخل عينيه بحيرة تنبع من تجعدات وجهها المسن هامسة بهدوء. ماذا يحدث معك يا بني أخبرني.؟ لا شيء أمي لا شيء.!. صاح بها بارتباك وهو يتناول قطع البيض المقلي بشوكته المعدنية بعجالة من أمره.. لا تكذب علي يا بني انا اعلم حين تكذب.!. زفر بقوة وهو يضع الشوكة والسكين على الطاولة الرخامية البيضاء اللامعة. حسناً. سأخبرك بكل شيء أمي ولكن أرجوا ان تتفهمي موقفي.!. انا منصتة يا عزيزي تحدث ولا تخجل من شيء ماذا يحدث معك.؟. تدخلت بهدوء. بدون الخوض في التفاصيل المملة، لقد وصلتني

برقية بعثة كنت اطلع إليها طوال حياتي.. إلى أين.؟. تساءلت بحيرة. بلدة عربية!! ألقى بها بصعوبة من إدراكه لكرهها لجميع العرب.. لا. صاحت مسرعة يعلوا وجهها نظرات الغضب.. ولما.. قاطعته بصياح تشير إلى وجهه بغضب. لا تقول لي لماذا!! أراحت يدها باستياء متابعة بيأس. ربا. أنت لم تتعلم مطلقاً مما حدث لي وأبيك من هؤلاء الملاعين الهمج الغير متحضرين نهائياً، ويبدو بأنك لم تكن تعي لتحذيرات والدك قبل وفاته ولا لتحذيراتي ايضاً وهذا أكبر دليل على ذلك تخبرني بأنك تريد الذهاب إلى بلادهم. لا (فرانك) لن أسمح لك بذلك. تنهد بيأس وهو يرمقها بنظرات الإحباط. لهذا لم أكن اريد إخبارك أمي. نظرت اليه بحزن جام. حقاً لم تكن ستخبرني (فرانك).. حقاً!!؟!.. أنت من يدفعني لذلك أمي، ثم أنا.. أنا مدرك ما تريدني إخباري به تماماً وما اراد أبي ايضاً ولكن مقابلة بضع أشخاص عرب سيئون لا يعني بأن جميعهم كذلك. لا كلهم كذلك بني كلهم كذلك اسألني انا عن ذلك الأمر فأنا اعرفه جيداً وأعرف طبيعتهم الهمجية. صاحت فيه بانفعال.. ثم إني اريد حقاً الذهاب أمي، كما تعلمين لقد حصلت على العديد من الجوائز والميداليات في تخصصي في دراسة التاريخ ولكني لم يسبق لي أن ذهبت لرؤية الحضارات التي لطالما تحدثت عنها في كُتبي أو حتى في محاضراتي مع أي تواق لذلك بشدة وهانا قد حصلت على فرصة مغرية بالفعل هل أتركها تضيع من بين يدي أمي.؟. أرجوك سألتزم بجميع تعليماتكم لي طوال الرحلة وسأتم عملي وأعود سالماً غانماً.. وكم ستمضي هناك.؟. تساءلت بضجر.. ثلاثة أشهر. أجب بسعادة. وماذا ستفعل بالفصل الدراسي.؟ سأطلب اجازة من الجامعة.. أنا لا أتحدث عنك عزيزي!! أووه.. همس بها متعجباً. لا أمي أنا لن أخذها معي إنها بعثة عمل

وليست نزهة.. حقاً لن تأخذها معك.؟!.. تحدثت بسخرية متابعة
بتعجب. وهل ستتركها وحيدة هنا وتذهب.؟ أرجوكِ أُمي لا تفعلي بي
ذلك، أرجوكِ.. لا (فرانك).. لا صاحت فيه بغضب ثم تابعت بتعجب
متحير. إنها خسرت أمها وأنت كل ما تبقى لها في هذه الحياة هل تعي
ذلك يا بني.؟. بدى متحيراً غاضباً من رفضها لطلبه ولكنه لا يدري أين
يتركها في أمان غير هنا فأخذ في المحاولة معها لعلها ترضى وتسمح لها
بالبقاء معها حتى يعود. ولكن أُمي ... قاطعته بغضب صارخة. لا تحاول
معي يا بني لن أدعك تتركها لأنها حينها ستتدمر كُلياً، سابقاً خسرت أمها
والان أنت لا أعتقد بأنها ستتعافى من صدمة كهذه طوال حياتها , لذا إما
أن تأخذها معك أو تترك الأمر على ما هو عليه بالفعل , ثم إني لا أفهمك
حقاً يا بني لديك هنا كل ما تحتاج إليه من مكانه جيدة في المجتمع
ووظيفة جديرة بالذكر , تملك حياة رائعة لماذا تريد المخاطرة بكل ذلك
من أجل بعثة لبلاد الهمج العدوانيون. لماذا.؟. من أجل ماذا تريد
التضحية بكل ذلك (فرانك).؟. من أجل ماذا يا بني.؟. سقطت الدمعة
من عينيه لتحتضن الرمال الساخنة هامساً بنحيب تحت أشعة الشمس
الحارقة. من أجل احلامي أُمي.. من أجل احلامي ولكني أخطأت، ليتني
استمعت إليك. غارقاً بدموع عينه طريحاً على وجهه يصارع أجفانه بشدة
تجوب به الرمال عالياً لتلحفه الشمس بقرايينها الحارقة فوق كامل
جسده. أخذ يقاوم استسلامه محاولاً الوقوف مستنداً على زراعية
النحيفان المكسوان بالرمال من كل جانب وعندما رفع جسده قليلاً
فاتحاً عينيه بشدة لمح قدم متسخة بداخل نعل مهترئ فحاول مد يده
لتحسسها حتى يتأكد بأنها حقيقية كما يراها فسقط على وجهه معاوذاً
فعلته فتحسسها حقيقية تماماً ولكن الأوهام تأتيه حقيقية أيضاً فتمتم

بمخمول مَّجهد. من أنت.؟. متابعاً وهو يضغط بيده فوق أصابعها المتسخة. هل أنت حقيقة أم خيال.؟. جاءت القهقرة المترهلة عالية يتكرر صداها بداخل عقله الواهن. مرحباً أيها البروفيسور، بالطبع أنا حقيقية تماماً وقد أتيت لإنقاذك، ألا تريد النجاة والخروج من هذه الصحراء بسلام أنت وابنتك.؟. أحكم قبضته على أطراف الرداء الأسود المتدلي بأعلى الأقدام هامساً بتغيب عن الوعي. أر...جو...ك.

بالتأكيد يا عزيزي. همست بها وهي تحمله فوق أكتافها برنين صوتها الكهل المترهل متابعة وهي تتحرك به لداخل الكوخ. فأنت الورقة الرابحة.

تتحرك ذهاباً وإياباً بداخل صالتها الواسعة بارتباك وقلق يتصدران ملامح وجهها الخائفة.

(فاطمة) أجلس أرجوكِ فأنتِ تفقديني صوابي هكذا. صاحت فيها بضجر وهي جالسة أمامها فوق الأريكة البرتقالية الواسعة، تنهدت بفزع وهي تجلس سائحة بضجر. انا لا أدري ماذا أفعل الان.؟. أنا بالفعل حمقاء لا أدري ما الذي دفعني بالموافقة على ذلك اللقاء.؟.

حقاً لا تعلمين ما الذي دفعكِ لذلك.؟. قالتها وهي تتناول ثمرة برتقال من داخل صحن الفاكهة الموضوع بالطاولة الزجاجية أمامها ثم أخذت بتقشيرها.

قد يكون ذلك الأمر في غاية المنفعة لقضيتك عزيزتي قناة فضائية يعني انتشار أوسع لجميع البلاد العربية وقد يراكِ وانتِ تتحدثين عنه ويدفعه ذلك للعودة أو حتى التواصل معكِ ليطمئنكِ عليه أينما كان.

أدرك ذلك جيداً ولكني لا أعلم ماذا أقول هكذا أمام الملايين من البشر إنه امر مخجل للغاية.

أنتِ صاحبة قضية عزيزتي. قالتها وهي تمضغ صفوف البرتقال بفمها العريض ثم تابعت. وليست أي قضية عادية بل قضية أثرت الراي العام كله وإن كنتِ قلقة على التحدث فلا تتحدثين إلا بقدر إجابتك على الأسئلة التي ستطرح عليكِ، وأيضاً هذه فرصة جيدة لتكذي ذلك الإعلامي الحقير الذي كذب عليكِ بكل وقاحة هكذا.

معكِ حق، فهذا الأمر مازال يضيق صدري. تدخلت بغضب وغيظ مرير متابعة بحيرة. إذا كنتِ ترجحين ذهابي!!!.

بالتأكيد عزيزتي مؤيدة ذلك مائة بالمائة. تدخلت مسرعة وهي تجفف يداها بمنشفة خضراء قطنية.

ولكني مازلت قلقة بشأن نوعية الأسئلة التي سأوجهها.؟.

يا إلهي. تدخلت بضجر وهي تتحرك للخارج متابعة بحيرة. لن تنتهي من القلق لذا سأذهب لان زوجي سيعود من العمل قريباً ولا أريد أي مشاجرات بخصوص الطعام اليوم.

تحركت الأخرى خلفها للبوابة الصغيرة، التفت الأخرى ممسكه بيدها برفق هامسة بحنان. لا تقلقي عزيزتي كل شيء سيكون على ما يرام بإذن الله وسيعود (هادي) لأحضانك بأمان وسلام فقط اعتمدي وتوكلِ على الله ولا تفقدي الأمل أبداً. ثم ضمتهما لصدرها بهدوء. تنهدت بطمأنينة وهي تبتعد عنها ذاهبة. الوداع.

الوداع عزيزتي. قالتها وهي تغلق الباب برفق.

الهواء هائم يتراقص بهيام وشغف يلها مع وشاحها الأبيض الفضفاض مغازلاً عينيهما الزرقاء الباسمة باضطراب حائرة الكيان تائهة الملامح متنهدة بأفكار غزيرة تتعارك لعقلها المتألم الموهن كلما مر عليها الوقت ها هنا، ارخت بجسدها جالسة بتأفف على الرمال اللينة الدافئة لتخرج من حقيبتها مجلدها كي تسطر فيه حيرتها وقلقها مفرغه بعض من الغضب الحبيس المتزايد بجوارحها المتأججة فخطت بيدها متجاهلة مقدمتها الدائمة. أنا متألمة جداً.؟. حائرة، غاضبة.؟. مضجرة مرهقة النفس، مكلمة.؟. تتكاثر على المشاعر، لا أعرف لها كينونة.؟. لماذا.!!؟.!!
لأني حمقاء غبية ساذجة كوني أعتمد على فتاة حمقاء مثلها في العثور عليه، فتاة لا تجيد غير البكاء والنحيب طوال الوقت والنوم في غالبته غير أن الفراغ هنا يقتلني يمزق أوتاري بانتحار مشاعري، غاضبة من نفسي

كثيراً وأريد تمزيق أحدهم بشدة عارمة لأطفئ غضبي برؤية سيلان
الدماء كما كنت أفعل دائماً. اللعنة!! الفراع هنا قاتل حتى إني ألفت له
قصيدة تحكي واقعي معه.. ماذا.؟ هل تريدن مشاركتي إياه.؟ حسناً
سأتلوها لك يا مذكرتي الغالية..

فَرَاغٌ يَقْتُلُنِي وَاشْتِيَاقٌ يَشْغَلُنِي بِأَفْكَارٍ تُلْهِئُنِي

عَنْ أَسَاسِ مُشْكِلتِي فَرَاغٌ يَقْتُلُنِي

عُزْبَةٌ تُمَرِّقُنِي فَأَحَاوِلُ أَنْ أَسْغَلَ نَفْسِي وَهِيَ تَمْنَعُنِي

فَلَا تُشْغَلُنِي وَلَا يَشْغَلُنِي غَيْرُ فَرَاغٍ يَقْتُلُنِي

فَكِرْتُ وَأَفَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يُلْهِئُنِي شَيْءٌ يُمْتَعِّنِي فَتَمَوْتُ مُتَعْتِي

وَتَذَهَبَ لَهْوِي مَشْغُولَةً فِي أَسْبَابِ كُرْبَتِي

فَرَاغٌ... فَرَاغٌ يَقْتُلُنِي

هذه هي!! ما رأيك بها عزيزتي.؟. جميلة أليس كذلك ...؟ أظن بأنها تحتاج لبعض التصفيق الحار فتركت قلمها الذهبي وأخذت تصفق بسعادة وارتياح ثم هدأت وتناولت قلمها تخطوا بداخل مجلدها من جديد. حسناً لأن أريد مشاركتك احزاني وأفكاري فأنا متحيرة ولا اعرف ماذا أفعل.؟. هل أظل ذاهبة خلف الفتاة على أمل أنها ستجده أم أذهب في اتجاه معاكس فنوسع دائرة البحث.. أجل أليس كذلك.؟. فإن وجدته هي سأعرف عبر جهاز التصنت وإن وجدته أنا سأكون الفائزة بكليتي الاحوال. شكرا جزيلاً يا صديقتي الغالية على استماعك لي.. الوداع.. أغلقت مجلدها بتنهيذة مريحة وهي تضعه بداخل حقيبتها ثم تحركت في الاتجاه المعاكس للفتاة التي تتحرك بكلل وتعب تتنفس بصعوبة شديدة لشعورها بالظماء ولا تريد الارتواء بقليل من الماء حتى تكفيها زجاجتها أطول فترة ممكنة وأخذت تتحرك متجاهلة احتياجها المرير للمياه، تتفكر بانكسار إلى أين هي ذاهبة.؟. بكل ذلك البعد عن الكوخ فتوقفت خطاها حائرة بداخلها أتكمل مسيرتها لمجهول أم تعاود ادراجها للكوخ لربما قد عاد أبيها خلال فترة غيابها فتحركت عائدة للكوخ على أمل ان تجد أبيها ثم إنها لم تلاحظ أي شخص يراقبها خلال الأيام الماضية. لربما كان الشخص الذي هاجمها يبحث عن صديقه ووجد الكوخ بالخطاء وربما لا.. فتوقفت خطاها معاودة ادراجها حيث كانت ذاهبة الى مجهول عندما تفكرت أنهم لا يزالون يراقبوننا بغير إدراك منها حتى يصلوا الى ابيها فهو غايتهم أو لربما خوفها هو ما يجلب كل هذه المخاوف فتوقفت حائرة مضجرة لا تدري ماذا تفعل ولا لأين تذهب فجلست بارتباك مضطرب تبحث يداها عن زجاجة المياه حول خصرها المعقود بشريط عريض مُعلق به سكين دائري حاد فلم تجد شيء غيره ففتحت حقيبتها بظماء

شديد تبحث بداخلها فلم تجد شيء فوقت بفرح حياة تفرغ حقيبتها فوق الرمال تبحث بداخل أشياءها عن زجاجة المياه بصرختها التي تنافي ما تراه .. اللعنة .. اللعنة .. أين ذهبت زجاجة المياه. فارتمت باكية صارخة بيأس وقنوط. لماذا كل هذا يحدث لي؟ لماذا ...؟ تنهدت بيبكاء والرياح تحوم حولها برخائها الهادئ يحمل لها الذكرى الماضية عندما كانت لاتزال ابنة الثانية عشر من عمرها عندما قابلتها جدتها وأخبرتها بأن أبيها منتظرها بداخل مكتبه الخاص فذهبت وطرقت الباب لتدخل فتجده جالساً خلف مكتبه البني الخشبي الصغير وأمامه العديد من الكتب العديدة التي تعج الغرفة بها من كل جانب، همست بهدوء وهي تراقب الشموع الساكنة بأعلى مكتبه التي تعطي بريقاً خافتاً هادئاً. أبي أنت تريدني..؟. فأشار بيده على المقعد الإسفنجي أمام مكتبه هامساً ببسمة حائرة. أجل عزيزتي اجلسي أريد مناقشتك بأمر هام. جلست بهدوء عن يمينه تراقب ضوء القمر الخافت القادم من النافذة خلف رأسه قائلة بلهفة واستطلاع. ماذا أبي..؟. ماذا هناك ...؟ هيا أخبرني ما الأمر!! نظر بداخل عينيها البنية متحدثاً بثقة وهدوء. عزيزتي (كريستين) انت تعلمين باني أحبك كثيراً اليس كذلك.؟

أجل أبي اعلم وانا ايضاً احبك كثيراً. أجابت بحيرة من أمرها ثم تابعت بقلق. ولكن لماذا..؟. ماذا يحدث..؟.

وايضا تعلمين مقدار اهتمامي بعلمي ودراسته وبأني ذو مكانة هامة بأمر الأبحاث التاريخية وما إلى ذلك.

بالتأكيد أبي وانا فخورة بك كثيراً.

إذا فانتى ستفهمين أمرى جيداً. قالها بقلق بالغ.

بخصوص ماذا؟. تساءلت بحيرة.

تنهد بارتباك متحدثاً بقلق. الأمر عزيزتي بأن العالم أدرك أهمية أبحاثي ومشاريعي العلمية التاريخية وارادوا استضافتي بإحدى الدول العربية عدة أيام من أجل دراسة هذه الأبحاث على الطبيعة الواقعة ولكنى حائر جداً في هذا الأمر فبمقدار رغبتى في الذهاب لهذه البعثة والحصول عليها لم أحدد قراري حتى الان لأني قلق عليك حين ذهابي وحدي. اتسعت عينها دهشة هامسة بتقمص. انت تريد الذهاب وحدك إذا؟. لأن مشاريعك أهم منى أليس كذلك؟.

بالطبع لا عزيزتي. تدخل مسرعاً ثم تابع متحيراً. الأمر وما فيه بأني لا أريد تضيع الفصل الدراسي عليك وإيضاً أنا ذاهب للعمل وليس لنزهة هناك وبالتأكيد سأخشى عليك من طبيعة الأمور هناك ولن أستطيع التركيز في عملي لأني سأكون قلقاً عليك طوال الوقت، اما هنا ستمكثين مع جدتك حتى اعود.

لا أبي. صرخت واقفة بغضب. لن تذهب وحدك لأني مكان إما ان اذهب معك وإلا لن تذهب نهائياً. ثم تحركت للخارج باستياء زفرت بغضب وهي تجمع اغراضها لحقيبته تلموم ذاتها لتصرفها الأحمق مع أبيها فقط

لو لم تذهب معه لكانت حياتها مختلفة تماماً الان. وقفت حائرة تلتفت حولها باحثة بعينها لأى ماكن تذهب ولكن غالبية أفكارها هي للعودة للكوخ لتعيد ملئ زجاجتها بالمياه لتقتل ذلك الظماء الشديد ولكن قد تواجه أي اعداء بالطريق ثم أنها قد لا تتمكن من العودة طوال كل تلك المسافة البعيدة التي قطعتها سيراً بحالتها هذه وفي تشتت أفكارها لمحت عينيها قمة جبلية صخرية عالية فظلت محدقة بها متسائلة بداخلها أين راتها من قبل مرت لحظات تفكر ثم اتسعت عينيها متذكرة لأمر هذه القمة فتحركت باتجاهها بهدوء وارتياح لأنها ستحصل على المزيد من المياه التي ستمكنها من مواصلة النجاة حتى تعثر على أبيها الغائب .

يصعد الدرجات الرمادية العريضة بهدوء ملحوظ يتظاهر في تحركات حذائه الأسود اللامع يتلفت حوله مراقباً الأجواء يتوارى تحت نظارته الشمسية العريضة فهو لا يزال يشعر بأنه مراقب من الشرطة ولا يزال غاضباً من تصرف الشاب الأحمق حيث أنه اخبر والده مُدلاً عليه وبات الان تحت انظار الشرطة وما يضجره اكثر بأنه لم يعد يستطيع فعل شيء لأنه مراقب من كل اتجاه , أشعل سيجارته واقفاً في الضوء الأرجواني الهادئ ينظر حوله بهدوء فهو يريد اكتشاف الشخص الذي يراقبه بشدة حتى يستطيع التعامل معه ولكنه لا يجد شيء مريباً غير بعض من الشباب يجلسون بداخل الحدائق يمرحون والبعض يتذكرون من بعضهم كما يحدث في غالبية الأيام, زفر الدخان بقوة وهو يشعر بأنه يوهم نفسه بكل هذه الخيالات ولا يوجد من يراقبه من بداية الامر القى بسيجارته متوجه بداخل المبنى خافت الإضاءة يتفاخر بجسده كعادته

محاولاً السير بذات الثقة كي لا يلفت اليه الأنظار ولكنه فزع من اقترابها منه على حين غرة من أمره صارخة بسعادة وهى ترتمي بأحضانها .
(نبيل) لقد استقت إليك . زفر بغضب وهو يدفعها بعيداً عنه بقوة صائحاً بغضب. ابعدني أيتها الحمقاء اللعينة. حاولت تمالك نفسها عن السقوط ولكنها لم تستطيع من قوة دفعته فسقطت على الارض متأوه بألم صائحة بحيرة وانكسار. (نبيل) ما الذي حدث.؟. السننا بأصدقاء.؟. تقهقر صاخباً بتكبر وغرور صائحاً. أصدقاء.؟. (ميساء) عزيزتي أنت فتاة حمقاء ساذجة كي تظني بأني قد أصادق فتاة مثلكِ فانا لا اصادق الحمقاوات امثالكِ. ثم تمايل هامساً اليها بجدية. وفي المرة القادمة التي تفعلني فيها شيئاً مماثلاً سأقتلع عينيكِ من رأسكِ وإن تفوهت بأمر أننا اصدقاء لأحد فسأقطع لسانك كي لا تتحدثين طوال حياتك. ثم صفعها على وجهها بخفوت. استفيقي أيتها اللعينة فانا أنزه من ان اصادق امثالك. ثم اعتدل ماسحاً على قميصه الأحمر الضيق ببسمة عريضة على وجهه متحركاً بغرور , تغرغرت عينيها وهى تراقب اعين الناظرين اليها بشماته واضحة ثم أخذت تعتدل تنظف ملابسها السوداء اثر سقوطها وهى حانقة غاضبة من فعلته عازمة على الثأر منه بأشع الطرق مسحت دموع عينيها بسرعة قاسية كي لا تتساقط على الأرضية الرخامية فتظهر ضعفها ثم اعتدلت متحركة للداخل بانكسار وغضب لايزال يشعلان كيانها بينما كان متخفياً بحائط الباب مراقباً لهم من بعيد التف وهو يشعل سيجارته ماسحاً على شاربه العريض نافثاً الدخان بكثافة من فمه حاذر العين مليئة بالحيرة والغموض يتحرك بأسفل الدرجات العالية فجائه الصوت عن يساره. عمي (فؤاد) . !!

فالتفت مرتبكاً فوجدها تقترب منه هامساً. مرحباً عزيزتي (اسماء).

ماذا تفعل هنا؟. تساءلت بهدوء وهي تقف امامه.

اعتلى وجهه ملامح الارتباك حائراً فيما يقوله لها فتحدث بتلعثم واضح. لا لا عزيزتي انا فقط كنت انهي بعض المعاملات الورقية بخصوص إجازة (احمد).

اوراق في المساء؟. كيف هذا؟. تساءلت بحيرة.

في المساء؟. همس بها مرتبكاً ثم تابع بضحك. اجل عزيزتي انتِ تعلمين مكانه عمك جيداً فانا لست متفرغاً طوال الوقت ورائي قضايا كثيرة لا بد من حلها بأسرع وقت وهذا ما يأخذني طوال الوقت لهذا تواصلت مع إدارة الجامعة بأني سأتي مساء اليوم لإنهاء كل الامور المتعلقة لطلب الإجازة ولكن أخبريني كيف احوالك اليوم عزيزتي؟. تسائل بمكر مبتعداً عن اسئلتها الصعبة هارباً من اي تسائل اخر قد يكشف امر مراقبته الخاصة.

بخير. اجابت بهدوء ثم تابعت بارتياح. لقد زرت (احمد) اليوم.

حقاً. اجابها متعجباً ثم تابع بقلق. وكيف احواله عزيزتي؟.

إنه في تحسن ملحوظ، لقد بدى مضطربا ولكنني تركته في حالة جيدة،
أتمنى له الشفاء العاجل.

شكراً لكِ عزيزتي.. هيا اذهب لمحاضرتك حتى لا تتأخرين فأنا لا اريد
التسبب لكِ بالمزيد من الحرج.. هيا. تحدث بضحك ومرح.

حسناً عمي. الوداع. قالتها ثم تحركت للداخل.

الوداع عزيزتي... الوداع. قالها وهو يدهس على سيجارته متحركاً للخارج.

أتى المساء بظلامه ليكسوا الوجود متلاشياً للضوء الهادئ ليعتليه موجه
عارمة من الاضواء الصناعية اللافتة للأنظار. كان يتحرك بهدوء وترقب
بجانب الحائط العريض الضخم حتى توقفت خطاه امام الباب الحديدي
القصير يتطلع للوحة بعينين حاذره منتفخة بإزراق أسفل منها، عبر الباب
وتوجه للداخل وعينه تقرا ما على اللوحة المضيئة باللون الأحمر المشع
(مستشفى السلام) سعد الدرجات وعبر من الظلام الى النور عابراً الباب
الزجاجي الفاصل بينهم لتوجه لمضيئة الاستقبال الجالسة خلف
حاسوبها الصغير متسائلاً بهدوء. من فضلكِ أريد معرفة اين يستريح
المريض (احمد فؤاد).؟.

امعنت النظر الى وجهه العريض ترمقه بنظرات الاستغراب والحيرة
متدخلة بشك. هذا ليس وقت الزيارات يا سيد الزيارة تنتهي في غضون
الساعة الخامسة مساء إلا افراد الأسرة قد نسمح لهم بالتواجد بعد ذلك.

انا ليس هنا للزيارة انا هنا لمعالجة عيني ولكني اريد معرفة الغرفة حتى اتي لزيارته في الصباح وانا عالم بها.

رفعت حاجبها الايمن بتأفف صائحة بضجر. حسناً.. حسناً.. ثم تابعت وهي تنظر الى الحاسوب. انتظر قليلاً. زفر بغضب وهو ينظر الى ملامح وجهها الذي يثير غليان غضبه لولا انه يريد التخفي عن الأمر لكان عاملها بغلظه وعنف قاطعت افكاره بقولها. المريض (احمد فؤاد) الغرفة السادسة والثلاثون قسم العظام والأمراض المستديمة، اوقات الزيارة من العاشرة صباحاً حتى الخامسة مساء.. انتهى وقتك يا سيد. قالتها ثم التفت بكرسيها المتحرك لتعطيه ظهرها مما اثار غضبه كثيراً محاولا التحكم بأعصابه واخفض يده قبل ان ينهال عليها بوابل من اللكمات العنيفة فتحرك مهدئاً لذاته بداخل إحدى الممرات الضيقة المستنيرة بإضاءة بيضاء قوية جذب انتباهه غرفة فارغة فوقف امامها بهدوء يقرا اللوحة الصغيرة المعلقة بجانب الباب. (غرفة التمرريض). فتسلل الى الداخل بحذر وأخذ يبحث بعينيه عن رداء الطب الأبيض ليساعده على التخفي والتحرك بحرية اكبر , فتحرك فاتحاً الدواليب الحديدية الصغيرة بهدوء واخرج عدة ردت منها فأخذ يرتدي احدهم فوجده صغيراً على اكتافه الغليظة العريضة , ما لبث حتى عثر على احدهم مناسباً لحجمه ضيقاً قليلاً عند الأكتاف ولكنه يوفي بالعرض بالنسبة له ثم ارتدى غطاء الرأس الشفاف ثم وضع السماعة حول عنقه متدليه على صدره المنتفخ وتحرك للخارج حتى وقف اما الغرفة السادسة والثلاثون فتح باب الغرفة بهدوء وقلبه يشع بالقلق والنشوة الجارفة فقد حانت اللحظة الحاسمة ثم دخل مغلقاً الباب خلفه برفق ليختلي به على مكث .

الجسيم الأصفر

أرجوك

اغلق الباب واقفا يراقب الغرفة بعينيه الجامدة المتحجرة , مقاعد فارغة
 عن اليمين واليسار تلفاز مغلق صغير فوق مسقط راسه مرحاض عن
 يساره نافذة عريضة زجاجية مغلقة ومنبع للمكيف بأعلى الحائط ابيض
 اللون وفراش صغير منطرح فوقه بثبات مضمد عند صدره بأكتاف عاريه
 وعينه اليسرى مختبأ تحت الضماد الابيض الكاشف وجبينه الصغير
 بمقدمه راسه , تحرك بطرقات خطواته المتعمدة لاستيقاظه ولكنه لم
 ينتبه فوقف عن يساره متأملا ملامح وجهه الصغير باعين قاسيه خالية
 من المشاعر متفكرا ببرود اعصاب فالت بقاتله حتى لا يكشف عنه أم
 ماذا يفعل معه فحرك يده الغليظة مقترباً من عنقه بهدوء فتحدث اليه
 وهو منطرح . ماذا تنتظر .؟. ففزع من غفلته صائحاً بخوف. اللعنة عليك
 أيها اللعين لقد أفزعتني بحق. تبسم وهو يعتدل جالساً. لقد كنت
 احسبك لا تخاف. زفر قوياً وهو يشعل سيجارته. وانا كنت احسبك قوياً
 بما يكفي لتواجه الأمر كالرجال ولكنك ضعيفاً جباناً لتخبر والدك عن
 الأمر. ضم حاجبه مستغرباً. أبي.؟. أجل أبيك إنه يراقبني في كل مكان
 أذهب اليه واعتقد بأنك من أخبره. لو كنت اخبرته لكان مقبوضاً عليك
 الان اليس كذلك ولكني لم أخبره بشيء. لماذا.؟. تسائل وهو ينفث

الدخان بقوة. تنهد بهدوء ناظراً إلى عينيه المتورمة. لأني من سيئاً منك. ثم قام برفع قبضته بثقة قوية. بيدي هذه. تفهقر صاحباً. تثار مني.. انت.؟ لا اعتقد ذلك. الأيام بيننا. تدخل سريعاً بيسمة هادئة. تحرك اليه متمائلاً ينظر الى عينه بثبات وثقة. أنظر (احمد) يا صديقي، أريد اخبارك بشيء غائب عن وعيك لتدركه، انا اقوى منك بكثير بالكاد من بضع لكلمات تمزقت ضلوعك وبالكاد ايضاً.. توقف نافثاً الدخان بوجهه على مقربة منه متابعاً بتعجب وسعادة. ولا تنسى أمر عينك. ثم تماثل الحزن والأسى ساخرأ. انا اسف كثيراً لم اقصد تدمير عينك لتصبح أعور طوال حياتك، لذا عليك التوقف والابتعاد عني لأجل الأفضل لك. اعتدل مبتعداً صائحاً. ولكن أتعلم أنا اعذرک لأمر الثأر مني وما إلى تلك التفاهات لأنك كلما تغلق عينك اليمنى تراني بداخل اليسرى لذا سأشفق عليك وادعك لشأنك تتحب على عينك كالنساء. اعتدل مسنداً ظهره على الخدادة القطنية المريحة بألم صائحاً بيسمة واضحة. أولاً أنا لا اعتقد بأنك تركتني وشأني وإلا لما كنت أتيت هنا الان تفكر في مهاجمتي وانا نائم كالجناء وثانياً لن ادعك وشأنك نهائياً حتى أثار لنفسي منك باقتلاع عينك اليمنى وليست اليسرى وأجل سأراك بداخل عيني وانا اقتلع عينك بيدي، لذا لا تخاف كثيراً أيها القوي فأنا لم ابغ أبي ولن أبلغه لأن ما بيننا سيظل بيننا حتى نهايته. اعتلت ملامح الغضب محياه صائحاً بانفعال. أنا لست خائف أيها الأحمق فأبي أغنى رجل بهذه البلاد أستطيع شراء هذه المشفى بكاملها وقسم الشرطة إن حكم الأمر ولكنني أشفق على أبيك لأنه لن يستطيع فعل شيء معي نهائياً وحتى إن امسكني لن يفعل شيء فأنا أمتلك كل شيء والسلطة دائماً بيد من معه المال وأنا أمتلك الكثير منه بحيث أعجز عن إنفاقه، لذا توخى الحذر

لأن في المرة القادمة التي ستعترض فيها طريقي لن أدعك ترحل من هناك حياً. ثم قام بخلع الرداء الأبيض بغضب والقى به فوق الأرضية العسلية النظيفة متابعاً. سأتركك لتتعافى أيها الثائر لنفسه. ثم تحرك الى الباب متقهقراً بصخب فتح الباب وخرج مشيراً إليه بإصبعه صائحاً. الأيام بيننا أيها الثائر وانا من ينتصر دائماً. ثم اغلق الباب ذاهباً.. أجل الأيام بيننا. همس بها وعينه مليئة بالحزم والعزم الجاد.

الليلة هي الليلة التي ستأتي فيها الفتاة لإنقاذي كما أخبرتني العجوز الساحرة ... اللعنة.. هل أصبحت يأس لمثل هذه الحالة لأصدقها فيما قالت، أم أن واقعي هو من يُجبرني على ذلك!!.. تبسمتُ بيأس وانا أخبر نفسي بأن هذه كلمتها ايضاً عندما اخبرتني بأني لست بضعيف وأن ظروفى أقوى مني!!.. أظن بان الأمر ليس بهذه الصعوبة البالغة , فإن نظر أحدهم لحال ضعفي وتخاذل جسدي سيعلم بأني لن اقدر على فعل شيء وإن كانت عزيمتي قوية صلبة ففي الظاهر سيكون ظروفى أقوى مني بالفعل , إذا فالأمر كله مبني على تقدير المواقف ونظرة ذكية ليس أكثر واما لأمر الفتاة , إن جاءت فربما تعمل معها فترسلها إلى كما اخبرتني حتى ابدأ في تصديقها لخرافاتها الحمقاء وإن لم تكن تعمل معها او حتى تعرفها فربما هي محض صدفة ليس اكثر , على كل حال لا يوجد أمامي سوى الانتظار ولكني أواجه معضلة حقيقية أعجز فيها على الانتظار اكثر من ذلك ولا يوجد حل اخر بعقلي قد يجدي بهذه المصيبة نفعاً نهائياً لأني وعلى غير العادة محسور جداً بحيث لم اعد استطيع تمالك نفسي اكثر من ذلك ولكن اين افرغ ما بداخلي وانا راقد بالمياه العذبة المنبع الرئيسي للمياه في هذه الصحراء مع أني لم ارى شخص

واحد خلال ايام وعلى اقل تقدير كيف سأتمكن من تناول المياه بعد ذلك وانا اعلم ما قد اسكب بها من بول سقيم هذا يصيبني بالغيثان , ولكني لا اعرف كيف اتخلص من حصرتي الان .؟. تأخذني الافكار بأن المياه تتغير على الدوام وبأن لا مانع من قضاء حاجتي بالمياه ولكني لا اعتقد ذلك واظن بانها مجرد تبريرات من نفسي لتتخلص من الأمها الحاقنة إذا ماذا افعل.؟. لا أدري!!.. حقا لا أدري!!.. ليس امامي سوى الانتظار كما كنت افعل في جميع معضلات حياتي السابقة، أتحمل أجل كنت اتحمل خوفاً وضعفياً، اتحمل طبييتي فليس بالهين تحمل الضرب بدون اعذار والإهانة بدون سبب، عندما يسلب مني جهد شهور من المذاكرة الجادة والدراسة المتفانية في لحظات!! فقط لأني ضعيف ... أتحمل صرخات روحي ودموع عيني عندما كنت أضعف على وجهي من أجل إرضاء الفتيات.. عندما القب بالشاذ المجنون!!.. اتحمل ... الأبله الجبان , الضعيف الارجوان ...أتحمل ... في الحقيقة لم اكن اتحمل بل كنت ابكي محطم الارجاء , هزيل الجسد ضعيف القوي لا اقوى على الانتصار لنفسي منهم , اوهم نفسي بأن الهروب والتحمل هو الانتصار بعينه , اشتقت لمن كان يغضب لصمتي عندما يسئ لي احدهم , يتعارك معي من أجلي ... حقاً اشتقت له كثيراً وكل يوم اتساءل كيف يواجه الحياة وحيداً أو ليس وحيداً ولكن بدوني بجانبه على الاقل أكثر إنسان يعرفني حق المعرفة حتى بدون ان اتكلم فكانت بيننا لغة قل ما يتفنها إلا من هم في مثل صداقتنا المقربة الا وهى لغة العيون فقط ينظر لي فيعرف فيما افكر وكيف اشعر , احسبني كذلك معه ايضاً أتساءل !!.. هل هناك من يفتقدني حقا كما افتقدتهم.؟. هل تواجهني معهم كان ذو تأثير إجابي في حياتهم.؟. لا اعتقد ذلك!!.. ولكن إن كان كذلك فبماذا.؟. ماذا

كانوا يرون في ليلهمهم؟. غباي! حماقتي! ضعفي! ام كل ذلك معاً؟!.
يا إلهي! اي شخص كنت انا؟!. وما هي كينونة شخص يتجمع به كل
هذه الصفات؟. أحق، غبي، ضعيف، انطوائي، جبان. حقا لا أجد صفة
مناسبة تصف كل ذلك! اذكرني كيف كنت امضي ايامي ما بين البيت
والجامعة والعمل وكيف أتي دائماً وحيداً منغلِق بداخل نفسي صامت
غير مرح وكيف أن هذا الصمت لم يكسبني الكثير من الصداقات بجانب
أن صديقي (احمد) لبقاً مرح يمتلك الكثير والكثير من الاصدقاء غيري
في الحقيقة كنت دائماً ما احسده على ذلك الامر واغار منه كثيراً، حيث
أن الفتيات اللاتي احلم بمحادثتهن كانوا يأتين اليه ويحدثونه بكل بساطه
وبدون اي شقاء منه مع اني إن مرت احداهن بجانبني أتلعثم واتعرق
بارتباك شديد وإن حدثتني إحداهن اصبح تائهاً في بحور الكلمات لا اعرف
كيف اجيبها كنت دائماً كما انا الان حبيساً بداخل نفسي مختبئ طوال
الوقت بالمنزل وإن ذهبت اتنزه وحدي بالطرقات قليلاً من الوقت
وسرعان ما اضجر واصبح زاهق النفس مسرعاً الى مخبئي بالبيت امام
كتبي ومجلداتي وحيداً اشكوا حالي لنفسي واحدها كالمجنون، ابكي
على وحدتي التي تؤلم قلبي، فاطرة لروحي، ممزقة جوارحي ... يا إلهي
!! لقد كنت اعيش بدون سعادة بداخلي، أجل كنت مميز في دراستي
ولكني كنت في ذات الوقت فاشل امام نفسي من حيث طريقة
معيشتي.. ربااه!! يبدو بأني كنت غافل لكثير من الامور التي كانت
تحدث لي وحوالي توقفت للحظات عن التذكر واخذت استمع لهزيز الريح
من حوالي، صامتاً هادئاً جاهداً في منع دموع عيني من التساقط رثاء على
حالي، يكفي بكاء على حالي أكثر من ذلك كفى وما نفع البكاء على كل
حال؟. لن يفرج الامر ولن يخرجني من هذا البئر ولن يغير ما مضى من

حياتي. كفى بكاء على ما مضى فلن يفيد شيئاً لأني الان احيا في الحاضر،
ولن ادع المستقبل يمر علي كما فعل الماضي كل شيء سيصبح في
ثوب جديد فقط قليلاً يا أمي وسأعود لك من جديد شخص اخر
ستفتخرين به بكل تأكيد فقط القليل من الوقت يا أمي، يقينا بالله
سأعود لك يوماً ما.

جلست باحتراقات انفاس متقطعة تلتقطها بصعوبة بالغة فوق المقعد
الإسفنجي الأسود بجانب أطفالها يهولها ما يحدث حولها من ضجيج
وصخب مصحوباً بتوتر و ارتباك بداخل الإستديو الواسع ، مُسلطة عليها
الاضواء والكاميرات مما يزيد من حدة توترها وهي متشابكة الايادي
بقلق ، التقطت كوب المياه من فوق الطاولة الدائرية الزرقاء ترتشف منه
قليلاً مهدئة لروعها المذهول فهي اصبحت في قلب الحدث الواقعي ولا
تعتقد بأن فكرة الانسحاب التي تملكها ستجدي نفعاً الان بعدما
انغرست اقدمها بالأمر عميقاً وإن فعلت لن ينوبها إلا الاحراج وسط هذا
الجمع من الإعداد الداخلي، قاطع الصوت الحاد أفكارها صياحاً . عشر
ثوان وسنكون على الهواء ، الرجاء الانتهاء من كل شيء . تحركت الفتاة
ذات الحلة الرمادية بعدما انتهت من تعليق الميكرفون في ياقة قميصها
الازرق الانيق وهي جالسة تحمل في يدها عدة ورقات كتانية اللون
مخطوط عليهم (رأي عام) في الخلف، تنحنحت بهدوء وهي تنظر
للكاميرات بعدما جاءها الصوت بالتعداد التنازلي. ٣ . ٢ . ١ . فأخذت تتحدث
بهدوء . مرحباً بكم ايها السادة والسيدات في برنامجكم (رأي عام) ، حيث
أنا الليلة سنتناول عدة قضايا هامة للغاية قد شغلت جمهور الرأي العام
في البلاد واولى فقراتنا مع قضية قد أثارت الجلبة والضجيج الانساني

وسط الزحام المتكدس بالقضايا السياسية و القومية , هي قضية الشاب الذي اختفى عن الوجود تارك خلفه أمه وإخوته الصغار وحدهم في هذه الحياة , قد تناولت هذه القضية جريدة قومية هامة وايضاً بعض القنوات الفضائية ولكن الليلة انفردنا باللقاء الحصري مع اهله لمناقشة الامر بوضوح أكثر من محدودية الجريدة وايضاً لنناقش كل الاسباب و الظروف التي قد تدفع به لفعل ذلك إن كان قد ذهب بمحض إرادته وايضاً لنسلط الضوء على سر الاختفاء المباشر لكثيرون غيره من افراد مجتمعنا بحيث انها اصبحت ظاهرة عامه وايضاً دور الشرطة في مثل هذه القضايا وهل فعلاً يتفاعلون مع الامر كما يُشاع أم تصبح ملف جديد يتراكم فوق قمة الملفات السابقة لقضايا مغلقة بعدم العثور على شيء . الأمر في غاية الأهمية ليس فقط متعلق بشخص واحد ولكنه متعلق بشعب كامل، لذا انتظرونا بعد الفاصل الذي سيتناول تقرير عن الأمر في عجالة سريعة. تنهدت بارتياح بعد سماعها لهذه المقدمة التي اعطتها مزيجاً من الأمل والشجاعة. مقدمة ملهمة سيديتي. تنهدت بها بهدوء.. شكراً لكِ سيدة (فاطمة). اجابتها بابتسامة رقيقة ثم تابعت بهدوء. أعلم بإنكِ قلقة بعض الشيء وهذا أمر طبيعي بالنسبة للمرة الأولى ولكن الأمر ليس بهذه الصعوبة فقط بضع اسئلة بسيطة لذا تحدثي بهدوء وقولي كل ما يجوب بخلدكِ وكل شيء سيصبح على ما يرام بإذن الله تعالى.. أتمنى ذلك!.. تحدثت بابتسامة خافتة تحمل في طياتها القلق. جاءهم الصوت صيحاً من الخلف. سنعود على الهواء بعد دقيقة في هذه الاثناء كان الناس مجتمعون خلف الشاشات متابعون للأمر بترقب شديد وانتباه زاهد بينما كانت القناة تعرض تقرير ملحق بالمزيد من الصور له في مراحل مختلفة من عمره ... في إحدى المقاهي كان

هناك جمع لا بأس به يُحْمَلُونَ بالتلفاز بتمعن وفي منزل اختها , كانت جالسة هي وابنتها على اريكة ذهبية اللون يتمعنون بملامح وجهه المبتسم وبداخل المشفى كان احمد يتابع الامر باهتمام شديد وفي احد القصور الفرهة بداخل احدى الغرف كان يجلس باتكاء زراعه الضخم يتابع الامر بكلل حتى لا يعرف نفسه من حبه للاستطلاع وهناك في قلب الخلاء العاتم بإحدى المباني الصغيرة كانت تراقب الامر وهى جالسة فوق مقعدها المتحرك ونظرات الحذر تستحوذ على ملامح وجهها المتجدد ... فكلُّ يتابع الامر لغايه في ذاته .. تنحنت بهدوء بعدما سمعت الصوت معلنا عن تواجدهم على الهواء، نظرت بعينيها السوداء المكحلة متحدثة بهدوء. مرحباً بكِ سيدة (فاطمة).. مرحباً بكِ سيدتي. أجابتها بتوتر ملحوظ. ثم نظرت إليهم وهم جالسون باستغراب وحيرة. مرحباً بكم صغيراتي. توددت إليهم بابتسامة حارة سعيدة ولكنهم لم يتجاوبون معها من شدة ارتباكهم. فتدخلت بابتسامة هادئة. المعذرة سيدتي ولكنهم خجلان فقط ليس أكثر.. حسناً سيدة (فاطمة) هناك الكثير والكثير من التساؤلات التي تجتاح كيان كل فرد ممن يتابعون الامر في شتى بقاع الوطن ولكن قبل التوجه بأي من هذه التساؤلات دعينا نطرق الباب من البداية وهو ماذا حدث في ليلة اختفائه.؟ زفرت بقوة متحدثة بألم. اذكر في هذا اليوم بعدما عاد من الجامعة جلسنا وتناولنا العشاء جميعاً وبعد لحظات توجه لغرفته ليتابع أمور دراسته كما هو الحال في كل ليلة ثم بعد قليل خرج يخبرني بأنه ذاهب للمدينة ليرى ماذا اصاب حاسوبه المحمول فتساءلت إن كان سيتأخر أم لا فأخبرني بإنه لن يتأخر فقط يرى ماذا حدث لحاسوبه ويعود.. ولكنه لم يعد!. تدخلت بهدوء.. أجل. قالتها بأسى يجتاح ملامحها.. سيدة

(فاطمة) اسمحي لي أن اتساءل.. من أي الاشخاص كان ولدك.؟. تساءلت بهدوء. ولكنها لمحت على وجهها الحيرة فتابعت موضحة الامر. اقصد شخصيته واحواله هل كان له المزيد من الاصدقاء ام كان شخص مختصر بذاته.؟ لقد كان (هادي) طيب للغاية أكثر مما ينبغي وقد رايتَه يعاني من هذه الصفة الحميدة بحيث انه كان يلاقي المعاملة الجافة السيئة فكان يمزجها مع طبيته ويلوم نفسه من اجلها وكان مختصر بذاته وهذا يعود لأنه كان خجول جداً ولم يكن يمتلك ملكة التعامل مع الاخرين وكنت دائماً ما أخشى عليه لأنه مُسالِم جداً وقد يستغل أحد ما هذه الصفات به وسبب قلقي الدائم أنه يأمن للناس ببساطة جداً.. إذا فأنتِ تخبرينا بأنه كان من الفئة ذات الطيبة المبالغ فيها والتي قد توقعه بالكثير من المصائب بحيث قد يستغله أي من الاشخاص اصحاب النوايا السيئة. حسناً. ولكن هناك تساؤل في هذا الامر وهو هل كان صاحب شخصية قوية يصنع القرارات الهامة بنفسه ام كان انطوائياً لا يقدر على اتخاذ قرار هام.؟ لقد كان استشاري جداً بحيث انه كان يحب مشاوره الاخرين بقراراته لربما نملك رأي أمثل نت رأيه ولكن هذا لم يكن ليمحي شخصيته المستقلة إطلاقاً بل كان ذكياً نابغاً في حياته العملية والدراسية.. والحياة الشخصية.؟. تساءلت بذكاء. لم يكن يمتلك الكثير من الاصدقاء كما اخبرتك سابقاً ولكنه كان يتخذ بديلاً يشغله ويجعله منهمكاً بداخله وهو الكتاب فكان يقرأ كثيراً ويجد في دراسته بتفاني.. دعينا نتطرق لأكر استثنائي وهو لربما هذه الوحدة القاسية كانت تحذ بنفسه كثيراً وقد يصاب المرء في مثل هذه الحالة بالاكئاب وكونه وحيداً فربما يتضاعف ويصل لمرحلة خطيرة، هل لاحظتي عليه مثل هذا الامر الشاق.؟. نحن نتطرق للأمر بأنه قد ذهب

لأن الإنسان في مثل هذه الحالات والتي أصبحت شائعة ومنتشرة بتزايد في مجتمعنا من حيث الضغوط التي يواجهها الشاب من قلة فرص العمل والفراغ وايضاً المشاكل العاطفية وكل العوامل التي تسبب الاكتئاب وقد يصل المصاب بهذا المرض النفسي لأن يقتل نفسه أو يذهب بعيداً عن حياته تاركاً كل ما قد يؤلم صدره هل تفكرت يوماً بأنه قد يكون مكتئباً ليفعل مثل هذا الأمر؟ لا.. قطعاً لا. قالتها بجدية وثقة تامة ثم تابعت بهدوء. وهذا لأنه كان شاب مؤمن ملتزم بأمر دينه مواظب على الصلاة وكان دائماً يجلس معنا يزودنا بالأمر الدينية ويعرفنا ما كنا نجهله بهذا الأمر وكلما كان يخبرنا بأمر الدين كنا نشعر بالراحة من لذه حديثه الممتع وكنت ارى السعادة والاطمئنان يشعان من عينيه، لقد كان قريباً من ربه ومن يكون كذلك لا يصاب بالأمراض النفسية مطلقاً لذلك لم تأخذ هذه الفكرة حيز بداخلي إطلاقاً مما يصعب الأمر عليّ وعدم إدراك ما قد يكون حدث له؟ حسنا سيدة (فاطمة). معنا مكالمة هاتفية من مدير الامن الداخلي للبلاد للاستفسار منه عن دور الشرطة في هذه الظاهرة ولكن بعد الفاصل انتظرونا.

في قلب الظلام الحالك والسكون القاتل تخطو ببطء شديد نابع عن جهد مبالغ لجسدها المتوسط القوام تترنح مع الريح ترفرف خلاصات شعرها الامامية عائدين لضفائرها السميكة تارة ومشوشين رويتها بتساقطهم على عينها تارة ، تحاول جاهدا مواصلة السير فهي اقتربت كثيرا لبئر النجاة حيث ستعيد ملئ معدتها بارتواء صدرها وانعاش جسدها من سائل الحياة ولكنها تخشى السقوط من دوار راسها المؤلم وضيق انفاسها الخانق فهي تعاني منذ ساعات انقباض حاد بأنفاسها وكأنها

تتعارك مع الهواء حين استنشاقها ،جاهدة في فتح عينيها بقوة ولا يوجد في حلقها الجاف شيء لين فهي منذ ساعات تعاني تحجر حلقها وجفاف فاهها الذى شقق شفتها الناعمان ليصبحا مثل اوراق الخريف الذابلة المتهالكة , تعثرت قدمها بكثافة الرمال فسقطت على وجهها مستسلمة بارتياح شديد وهدوء يحفها ناعم كملمس الحرير وبرودة الرمال تحتضن خدها الناعم بانتعاش تمتص حرارة الشمس الحارقة ارتشاف بطئ مريح تبسمت لحرارة قلبها الشغوف لذكرى جميلة كمثل هذا الشعور بانها كانت ذات مساء قارص البرودة تجلس امام التلفاز تحتضن غطاء من ريش النعام يعطيها الدف في حين هبوب الهواء البارد يهطل عليها من كل اتجاه وهى تراقب ملامح ابيها الناعس بجوارها كم كانت هذه الامسية ملهمة لروحها ومطمئنة لنفسها حركت يدها تلامس الرمال الباردة بهدوء وارتياح فأحست تبللها فاعتدلت بلهفة قد أذهبت معها كل الشقاء مصحوبة بخفقان قلب يتوق للنجاة وأخذت تبحث حولها عن سبب هذا البلل فهي بالفعل قريبة من بئر إنقاذها فأخذت تتحرك يمينا ويسارا حتى لمحت صخوره الدائرية تلمع في الظلام فتوقفت بالقرب منه بابتسامه أعادت لها الحياة وأخذت تقترب للاتهام بجنون سعيدة بحصولها على النجاة . وهي لا تدري بانها هي النجاة لكائن يقبع بداخل البئر منتظراً لطوق الحياة.

اشعل سيجارته وهو متواري خلف الجدار الابيض المرتفع الطويل مراقباً اياه بتخفي وهو يتحرك أمامه بشموخ وتعالى في خطواته المتباهية في الطريق الأسفلتي النظيف تحت الاضواء الأرجوانية الهادئة النابغة عن اعمدة الإنارة المتواجدة بالطريق بكثافة مما تعطي المدينة بريقاً خاصاً

مهذباً للنفس , بانسجام ظل يُدخن سيجارته وهدوء حتى ابتعد عنه مسافة جيدة ثم تحرك بخطوات حذره الا يكشفه وحينها يفقد مميزات ترقبه الشديد , بينما كان الاخر يتحرك وهو يعلم بأنه لا يزال مراقباً له وبأنه لم يستطع التخلص منه في زحام البشر الذي تعمد المرور من خلاله منذ قليل , زفر بغضب شديد فهو مضجر من هذه المراقبة البائسة التي تُحد من حريته بشكل كبير وكيف انها تعطل نزهته الفردية بشكل عميق فأصبح شبه مقيد وهذا مالا يطيقه البتة فهو دائم الشعور بالحرية المطلقة في جميع تصرفاته وأنه يفعل ما يحلو له بغير قيود كيفما شاء وقتما شاء بلا رادع ولا رقيب وما يثير غضبه اكثر بأنه قابل ابنه وكان صادقاً بأمر عدم اخباره شيء والا كان قد احتفظ بالوقت والقى القبض عليه في ذات الليلة . إذا فلماذا لا يزال مُصرّاً على مراقبتي هل لأنه أصبح موضع شك امامه ام ان هناك طرف آخر قد اوشى به ولكن لم يكن هناك أحد سبق وقد رأى الحادثة غيرهم إذا فما الذي يحدث مع هذا الشرطي ولماذا لا يزال يراقبه بعناية شديدة هكذا؟ حرك رأسه بسرعة يلقي نظرة خلفه مفاجئاً له فوجده لا يزال يتحرك خلفه ببطء فتوقفت خطاه وهو يصدر صفيراً هادئاً وأخذ ينظر للجانب الاخر من الطريق وهو يضع كلتي يديه بداخل جيوب بنطله الاسود الانيق , الجو الساكن امام عينه على غير المعتاد يجعل صفيحه عالياً يتردد صداه في الارعاء , تتلألاً عيناه السوداء بإضاءات المتجر أمامه متفكراً في التوجه اليه والحصول على بعض المشروبات الباردة التي تجعله يشمل حتى يفقد وعيه أم يعود للخلف متوجهاً له والتحدث معه بكل وضوح وصراحه حتى ينتهي من الأمر , أخرج علبة سجائره من جيبه واشعل سيجارة بهدوء وقف يستمتع بها بانسجام ثم تحرك متجهاً للمتجر بينما ظل الاخر واقفاً في

مكانه بثبات عميق يشعل سيجاه جديدة لتحد من توتره الشديد مراقباً له وهو يعبر الطريق متفكراً بأنه قد كشف مراقبته واخذ بالتلاعب بأعصابه حتى يفقده السيطرة على الامر ثم اخذ يتفكر في كيفية كشفه بسهولة هكذا وهل من الممكن ان يكون هناك من اخبره بأمرى أم ... قاطع تفكيره رؤيته وهو يتحرك باتجاهه بهدوء فتصاعد الاضطراب بداخله و اليقين بأنه قد كشف امره بالفعل , يتساءل عما يفعله الان .؟ ا يتحرك مبتعداً أم يظل كما هو ويرى ماذا سيحدث في اللحظات القادمة.. عبر الطريق حتى توقف امامه وجهاً بوجه وهو يحمل زجاجتان من المشروب الغازي ظلا ينظران لبعضهم البعض متفكران كيف يبدوون الحديث، نفث الدخان بقوة وهو مستند بظهره على الحائط ينظر اليه بنظرات التعجب مرسوم على وجهه بسمه خفيفة. حسناً. قالها وهو يُلقي بسيجارته ارضاً ويشعل واحدة اخرى. دعنا نتحدث بوضوح وصراحة لماذا تراقبني؟ ولماذا تظن بأني كذلك.؟ أجابه بتعجب كبير وهو لايزال ينظر اليه بذات البسمة ثم تابع ماسحاً على شاربه الغليظ. حقاً أخبرني ما الذي دفعتك لقول ذلك.؟ تبسم رامقاً اياه نظرات العجب متدخلاً وهو ينفث دخانه من انفه بكثافة. لقد اخبرتك دعنا نتحدث بصراحة ووضوح.. وهل تراني أفعل غير ذلك أيها الفتى.؟ تدخل مسرعاً بهدوء يجتاح كيانه، تغيرت ملامحه من باسمه لحائره مضطربة متفكراً بحيرة فيما يريد هذا الرجل الوصول اليه بهذا الاسلوب والغالبية تعود لأنه يريد الهروب من الموقف الذي يواجهه معي الان ويحاول التشبث بأمل ضعيف بأنه لايزال مسيطراً على الامور. حرك يده بالزجاجة اليه. تفضل سيد (فؤاد)!! شكراً يا بني لست بظمانا.. لقد ابتعتها لك ولن أقدر على تناول الأثنان.. أسف لن أستطيع تناولها فأنا ممتلى للغاية.

قالها وهو يدهس على سيجارته بحذائه الاسود. تدخل الاخر وهو ينظر اليه باستغراب. تناولها من يدي سيدي ولا تحرجني أكثر من ذلك فقط تناولها من يدي. ظلا ينظران لبعضهم البعض نظرات تحدي متخفيه وراء ستار البسمة المتجلدة.. حسناً. زفر بها بقوة وهو يحرك يده ليتناولها منه وعندما اقتربت يده من الزجاجاة وكاد يلامسها تراجع الأخر بيده ثم القى بها على الارض ناظراً اليه بكيد هامساً بهدوء شديد. لقد غيرت رأيي. تجرع الأسى يحومه الغضب الذي بات يشع من عيناه السوداء محكماً على قبضته يصارعها كي لا ينفجر ويخطئ الان فضحك بحقد صائحاً بغیظ. هكذا إذا.. ولكن دعني اخبرك بأنك تهين نفسك أيها الفتى ولا تهينني انا. ثم أشعل سيجاره ينفث فيها بغضب متابعاً. هيا انصرف من امامي قبل ان أجعلك تدم على ما فعلت.. لا أعتقد ذلك. همس بها بثقة قوية وهو يلقي بسيجارته بعيداً. تدخل الاخر بغضب. حقاً! دعني اخبرك شيء أيها الشرطي لن تجني شيئاً من خلال مراقبتك لي نهائياً ولن تستطيع إثبات شيء ضدي وحتى إن فعلت لن تقوى على فعل شيء ولن أجلس في قسم الشرطة ولو ساعة واحدة، لذا توقف عن إهدار وقتك في ملاحقتي من أجل الافضل لك. نفث دخانه بقوة ماسحاً على وجهه بيده ثم اخذ ينظر اليه بجمود شديد. لا تتحداني يا فتى لأنك لن تتحمل قبضتي!!.. ضحك صاخباً متقهقراً قائلاً باستهزاء وسخرية. لماذا؟. هل هي من فلاذ؟. ثم تابع بجدية وثقة تامة. وإن كانت ستتحطم قبل ان تمس جسدي وإن لم تصدق فجر بني أيها العجوز. شهق من سيجارته بقوة كاظماً غيظه ثم نفث بكثافة صائحاً بجدية. حسناً لك ذلك والأيام بيننا. ضحك صاخباً. الأيام بيننا مجدداً.. افعل ما يحلو لك سيد (فواد). ثم تحرك متابعاً. إلى اللقاء سيد الأيام بيننا. أخذ

الآخر يراقب تحركاته المتكبرة المغرورة وهو ينفث دخانه بسرعة غاضباً ينظر إليه بحقد وعزيمة على تلقينه درساً قاسياً لن ينساه ابداً مادام حياً.

حسناً سيدة (فاطمة) دعينا نتلقى بعض المكالمات الهاتفية الهامة. قالتها وهي تعيد ترتيب اوراقها السميكة فوق الطاولة الزجاجية الضخمة.. حسناً لا بأس. اجابتها وهي تتناول كوب المياه الزجاجي بهدوء، ارتشفت ثلاث رشقات بهدوء ثم اعادته برفق.. معنا على الهواء السيد اللواء (زاهر محمد) مدير الأمن الداخلي للبلاد. مساء الخير سيدي. جاءها الصوت غليظ عريض. مساء الخير (لمياء). توقف للحظات ثم تابع بهدوء. مساء الخير سيدة (فاطمة). كانت شبه غافلة في حيرتها فأعادها الصوت لتجيب على عجالة من امرها. مساء الخير سيدي المدير اللواء.. سيدي هناك الكثير والكثير من المواضيع الهامة الغائمة التي تحتاج لتوضيحها للعامة ومن اكثرها انتشارا هذه الآونة هي عمليات الاختفاء المتتالية للأفراد بداخل مجتمعنا في ظل السكون الملحوظ لأفراد الشرطة وغالبية هذه القضايا تنتهي بعدم العثور على الأفراد,, كيف توضح لنا هذه الملابس الجسيمة.؟. تنحنح متحدثاً بهدوء. اولاً هذه ليست بظاهرة حديثة عهد بل هي قديمة وليس كما يصورها الإعلام أو كما تتناولها الأخبار بالجرائد اليومية بأنها شائعة بكثافة هذه الفترة بل لو نظرتم للفترات ما بين اختفاء شخص واخر ستلاحظون فترة زمنية كبيرة ثم الاختفاء بعد التحقيق في الامر يتبين دوافعه وأكثرهم تكون لأسباب نفسية جسيمة او حوادث سير او سبب من الاسباب الطبيعية التي قد تحدث لأي شخص منا وأيضاً جرائم ولكن الجرائم دائماً تحتل نسبة منخفضة جداً ولكن الإعلام بكافة وسائله إما مقروء ,

مرئي , مسموع يصور الأمر كأن هناك عصابة كبيرة هي من تقوم بخطف الناس من منازلها و الشرطة عاجزة عن حل الأمر وهذا ليس بشيء من الصحة إطلاقاً و أظن بأننا ارسلنا لسيادتكم بتقرير شامل عن هذا الامر والذي في مقتداه بأن واحد من عشرة من القضايا التي تغلق بعدم العثور على الشخص وبأن التسع الآخرون نعثرهم عليهم ونرسلهم عائدین لأهلهم بسلام وأصحاب القضايا بعناوينهم وارقام هواتفهم مدرجون بالتقرير تستطيعين مراسله احدهم و الاستفسار منه بنفسك ولكن الأمر اليسير عن الجميع الان هو لو أفراد الشرطة على كل صغيرة وكبيرة وهذا أمر في غاية الخطورة مدام (لمياء) بحيث ان اعداء الوطن غايتهم زعزعة استقرار الأمن الداخلي للبلاد بجعلهم أن يفقدونا ثقتنا ببعضنا البعض , لذا اناشد الجميع من هنا بالآ نلوم الشرطة قبل ان نتحقق من الامر أرجوكم جميعاً . شكراً لك سيدي. تدخلت بهدوء وهي تطلع بالأوراق بيدها ثم تابعت متسائلة. ولكن ماذا بأمر فقيدنا سيادتكم؟ ماذا بأمره؟. تدخل متحيراً.. هل سيتم البحث عنه أم ماذا.؟. تدخلت متسائلة بحيرة.. كيف ذلك ولم يتم تقديم بلاغ عن الأمر؟ وإذا قامت والدته بتقديم بلاغ ماذا سيحدث حينها؟. تساءلت بذكاء. تدخلت متنحج. حينها سيتم تسخير قوة كاملة مزودة بأحدث الأجهزة وأكفاء الضباط للعثور عليه وليس هو فقط بل ذلك يحدث لأي فرد من افراد مجتمعنا الغالي.. حسناً. شكراً لك سيدي المدير على تواصلك معنا هذا المساء وتوضيح الكثير من الأمور لنا شكراً جزيلاً لسيادتكم. سلطت الكاميرات عليها وهي جالسة بهدوء واضطراب بحلتها السوداء الأنيقة. حسناً سيدة (فاطمة) ما الذي منعك من التوجه للشرطة؟. تنهدت بقوة متدخلة بضيق. أولاً أود توضيح أمر هام جداً وهو أنني لم أقل إطلاقاً بأني

لم أثق بالشرطة كما قالها هذا الإعلامي الكاذب افتراء عليّ ويمكنك الاطلاع على الجريدة ولن تجدي بها اي كلمة واحدة توحى بالثقة وفي حقيقة الأمر لا ازال حائرة جداً في فهم هذا الامر كونه يستخدمني لتبرير كذبه المغررة. لمحت على وجهها ملامح الانفعال الغاضب فهمت بتغيير مجري الحديث حتى لا تنجرف بأي خطأ يؤخذ ضدها. إذاً فلماذا.؟ ما السبب الرئيسي لعدم إبلاغك الشرطة.؟ لأني خائفة. تنهدت بها سريعاً.. خائفة...؟ تدخلت بحيرة واضحة.. أجل.. خائفة. أجابتها بحزن ينبع في صوتها الناعم متابعة بألم. خائفة الا يعثروا عليه فأفقد الأمل في عودته لي مرة أخرى ولا أتخيل كيف ستصبح حياتي حينها. تنهدت بهدوء وهي تراقب ملامحها الحزينة الساكنة وهي تحكم قبضتها على اطفالها بحنان خشية منها ان تفقدهم ايضاً فتدخلت برفق. حسناً سيدة (فاطمة) لقد توصلنا لنهاية لقائنا ولكن قبل الختام هناك تساؤل أخير.. هل حدث بينكم خلاف ربما يكون هو العامل الرئيسي في تركه للمنزل والمغادرة هكذا.؟. صمتت قليلاً متحيرة في الأمر فهي لم تخبرها بأنه مر بفترة اكتئاب سابقاً ومترددة بإخبارها عن الأمر، تنهدت بقوة متدخلة بهدوء وقلق. في الحقيقة هناك خلاف كان يتجدد بيننا كل فترة.. هل هناك حرج في إخبارنا به.؟. تساءلت بأدب. أنهيت كوب المياه بتوتر متدخلة بقلق. لا ابداً الأمر يخص والده المتوفي منذ أن كان في العاشرة من عمره، لقد مات زوجي وقد دفنت جثمانه بيدي ولكنه لا يعترف بذلك فهو على يقين بداخله أن ابيه لايزال حياً ولم يمت وكان هذا يسبب الخلاف الدائم بيننا، حاولت إقناعه كثيراً بأن يتقبل الواقع ويدرك بأن ابيه توفي ولكنه لم يتقبل وكان يجادلني بأنه لايزال حياً وبأنه أخبره بأنه راحل وبأن عليه تولى مسئولية الأسرة من بعده.. إذاً ربما قد ذهب يبحث عنه ليثبت لك

بأنه على حق.؟ هل توافقين الرأي أم ماذا.؟ لا اعتقد ذلك ...! تحدثت بثقة بالغة ثم تابعت بذات الثقة. لأنه لو كان كذلك لأطلعني على الامر لأنه لم يكن يخفي عني شيئاً إطلاقاً ثم إن والده توفي بالفعل وقد دفنت جثمانه بيدي هاتين كما اخبرتك وهذا ما يدفعني للجنون وهو عدم معرفة ما حدث له.. حسناً. شكراً لكِ سيدة (فاطمة) على تواجدك معنا ونتمنى في نهاية اللقاء أن يعود لكِ سالماً غانماً وأن يطمئن قلبك عليه بسلام.. شكراً لكِ سيدتي.. حسناً أَعْزائي المشاهدين قليلاً ونعود من جديد مع فقرة جديدة من فقرات الليلة الهامة، انتظرونا.

اغلقت التلفاز وأخذت تدفع كرسيها المتحرك بيديها المتجعدتان بأعين مترهلة ثاقبة يتجمع بهما الماء بغزارة توقفت امام الباب القصير وقامت بفتحه للخارج متحركة للرواق الضيق المنير واخذت تتحرك بينما اغلق الباب من تلقاء نفسه , حائره متفكرة بما ارتكبته في حقه وحق والدته وهى تدفع بكرسيها بقوه مما جعلها توصلت لنهاية الرواق سريعاً فتحت الباب الاسود وتحركت للخارج تتطلع بعينيها للرمال بتفقدتها للمكان الساكن حولها, اخرجت من حجرها جرس صغير واخذت تحركه بقوة يصدر منه زنين صاحب لم تمض لحظات حتى كشف الضوء البرتقالي الهادئ الذى يعم المكان عن اثنان ضخام الجسد عراض البنية واقفين امامها بثبات جاد ملثمة وجوههم تخفى ملامحهم تحت اغطية سوداء كاحله. امرك سيدتي. صاح أحدهم بقوة. كيف احوالكم أبنائي الاعزاء.؟. تحدثت إليهم بهدوء وارتخاء ينبع في قراره صوتها الكهل اخذى ينظران لبعضهم البعض باستغراب واضح ليسوا متأكدين مما سمعوه منها على غير عادتها الجادة. بخير ايها الزعيمة. صاحوا بحماس. حسنا احدكم

يدفعني للساحة القديمة والآخر يذهب ويطلق الانذار ويخبر الجميع بأني أريد اللقاء بهم هناك.. امرك سيدي. صاحوا بها بقوة متحركين أحدهم اخذ يدفع بهدوء والآخر ذهب لينفذ أوامرها مرت لحظات وتعالت اصوات الرنين بالمكان وتبدل الهدوء بالضجيج والراحة بالحركة الهائجة مرت دقائق وتجمع الجميع واقفين امامها بثبات في صفوف متتالية تنهدت وهي تشير للشخصين الواقفين بثبات خلفها فتقدموا واقفين امام الصفوف بثبات بينهم مسافة كبيرة اخذت تتطلع إليهم بهدوء تام ثم تحدثت بقوة. كيف اخباركم افراد عائلتي الغالية؟. بخير ايتها الزعيمة. اجابوها بصياح واحد. حمدا لله. زفرت بها بقوة وهي تمسح بيدها المتجمدة على شعرها الاشيب المشدود للخلف معقود بإحكام اخذت تتقدم مقتربة منهم فهم أحد الضخام بالتحرك اليها فأشارت اليه بأصابعها الا يتقدم فتراجع ثابتا وقفت على مقربة منهم صائحة بقوة. هل هناك احدا منكم يريد الرحيل عن العائلة والذهاب للمدينة؟. تعالت التتمتات الهامسة ولم يجيبها أحد فتدخلت صائحة. هيا أخبروني ولا تفرغوا من الان فصاعدا أي شخص هنا يريد الرحيل عن العائلة يخبرني ولن أقف في طريقة البتة فأنتم لا شان لكم بقتالي الخاص. تدخل أحدهم صائحا بغضب. كيف ذلك سيدي؟. لن نبرح ساكنين حتى ننتقم من(عصام) وزوجته لما فعلوه بالزعيم الكبير وبك وبعائلتنا مهما كانت الصعاب والمخاطر التي سنلاقيها معك سيدي فنحن عائلة واحدة ولن نهدي حتى نثار منهم بغضب. تعالت الاصوات صياحا ضجيجا مؤيدة لكلامه احتلت الابتسامه وجهها المترهل الكهل هامسة بهدوء. أخشى عليكم الهلاك لرغبات عجوز مقعد مثلي في الانتقام.. نحن معك ايتها الزعيمة. صاح أحدهم بحماس اخذوا بالصياح بتفاوت بينهم. اجل نحن

معك دائما وابدأ ومستعدون للقتال في أي لحظة. تنهدت بارتياح جام صائحة بهدوء. شكرا لكم أعزائي ولكن هناك امر ما اريد مشاورتكم به وهو الفتى المسكين الذي وجدناه في منذ عدة اسابيع.. ماذا بشأنه سيديتي.؟. تدخل أحدهم. لقد اخطأت باستخدامه في قتال ليس له علاقة به وقد تبين لي الامر بانه بريء وصدف وان جاء هنا بالخطأ فما شأنكم ان اردت انقاذه واعادته للمدينة لأهله بسلام هل هناك من سيعترض.؟ الامر امرك سيديتي فان اردت بقاءه فهو كذلك وان اردت انقاذه فلك ذلك. تنهدت بارتياح صائحة بحماس. حسنا جهزوا السيارات واجلبوا جهاز المراقبة ودعونا نذهب لإنقاذه. تحرك خمسة منهم صعد ثلاث السيارات وتقدموا بها خلفهم امام اعينها الثاقبة واخذوا يتصاعدون عليهم بحماس وانتظام بأسلحتهم النارية المتعددة، ثلاث سيارات سوداء ضخام ذات ابواب جانبية عريضة عجلات سميكة تتحرك فوق الرمال بسهولة ويسر اخذ أحدهم يدفع بها برفق لإحدى السيارات بينما يدعو خلفها سريعا باتجاهها صائحا بفرع. مصيبة ايتهما الزعيمة مصيبة. اغلقت المحركات واخذوا يهبطون من السيارات سريعا مجتمعين إليهم بعجالة من امرهم التفتت اليه باستغراب وحيرة صائحة بقلق. ماذا هناك.؟. وقف يجمع انفاسه بصعوبة متحدثا بتقطع. لقد.....سُرق الجهاز. اتسعت حدقتها بدهشة صائحة بغضب. ماذا!!!.

انا المسجون بقعر بئر عذب الندى غرير الهوى ريحة طيبة مشجون ببرودة الثلج منزوعة منها الاذى أحرك أقدامي متعبا مجهود الجسد مكلوم الروح اصرخ بكاء على نفسي فهل من مستمع؟ هل من مجيب؟ هل من منقذ يأخذ بيدي خارجه فدعوت من ملكوت كل شيء بيده هو

ناصرى ومنقذى مجيب الدعوات يا رب همست يا رب تحدثت يا رب
صحت يا رب صرخت بها عالياً نجني مما انا فيه فرج حالى والطف بي
يامن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء، اكشف عنى سوء حالى
وكرب مصيبتى استرحت بتنهيده دافئة الهمت روحى واشجنت نفسى
يأخذنى النعاس يغلب يقظتى ، يحملنى بعيداً بين كفيه الناعمتين مغلقاً
عينى رغباً عنى أهيم فى عالم الأحلام ، هناك فى بلاد الخيال الملساء
الخصبة حيث يصبح كل شىء ممكناً سهلاً لينا فى متناول الأيدي ،
يعاودنى المشهد الملهم لى نفسى ومشجعاً لروحى رافعاً معه معنوياتى
إلى عنان السماء وجاعلاً عزيمتى صلبة كالفولاذ ، هناك تحت ضوء
الشمس الارجوانى واقفين أمام قرصها الدائرى الدامى ، أستمع
لضحكاتهم الطفولية الرائعة فى حين مراقبتى لبسمة أمى الحنونة وهى
تراقبهم وهم يهرعون إليّ متسابقين فيما بينهم أيهم تصل قبل الأخرى
ولكنى واقفاً حيث أنا بلا حراك منتظرهم بشوق ولهفة جارفة لا اتحرك
رغم قوة اشتياقى أبدو ساكناً للغاية ، متى سأتحرك انا اليهم .؟ اتساءل.!.
أبدو عاجزاً للغاية ولكنى عازم كل العزم عن عدم التخاذل مرة اخرى
وسأبدأ انا بالتحرك إليهم وبالفعل تحركت مطلقاً العنان لأذرعى لأضمهم
إلى أحضانى بشوق مقرباً منهم بسعادة لا مثيل لها وفى لحظة احتضانى
لهم. فزعت لارتطام شىء بالماء، ففتحت عينى بعجالة من امرى
متحسناً بيدي لأدرك ما هذا الذى سقط فى المياه فى هذا الظلام
الكاحل، فوجدته الدلو.. يا إلهى. يبدو بأن هناك أحد ما يستسقى لنفسه
فأمسكت به صارخاً ... من هناك.؟ فجاءنى صوت فتاة مرتبكة تهمس
بارتجاف.. من.. من يتحدث.؟ فصحتُ مرتبكاً من السعادة. إنه انا.. إنه
انا. فهمست متحيرة. من أين تتحدث أنت.؟ أتحدث من الأسفل هنا

فسكنت بئأس ينتابني الشعور الحزين مستسلماً لتغرغر عيناى بالدموع
وفي حين حزني وانتحابي بداخلي أتاني صوتها من جديد متدخلة بمرح
وارتياح. أراك سكت يا فتى! هيا اخرجيني. صحت بسعادة تغمرني
وجدية في نطقي متابعاً بهدوء. لقد أتممت نصيبي من الأمر والان حان
دورك لتوفي بكلمتك هيا أخرجيني فأنا اعاني من آلام الحسرة بداخلي ولم
أعد أستطيع التحمل أكثر من ذلك.. هيا.. يا لوقاحتك!! صاحت بضجر
متابعة بعناد ملحوظ. لن اخرجك حتى تطلب الأمر بطريقة حسنة..
وكيف ذلك.؟. تساءلت بحيرة.. تترجاني وتتوسل لإنقاذك بصدق الامسه
في صوتك ولا بد أن يكون نابعاً من قلبك.. أتوسل إليك.؟. همست
بتأفف.. أجل. قالتها بجدية بالغة. أتوسل إليها لإنقاذي!! كيف.؟. وانا
الذي تعاهدت بالأ أعتمد على أحد بعد الان.؟. لا لن افعلاهما مهما طال بقاى
هنا.. وإن لم تفعل فماذا بعد.؟. جاءني الصوت بداخلي يلومني.. سأعتمد
على نفسي واخرج ولكني لن اتوسل لها. حقاً!! ستفعل.؟. إذا فما الذي
يؤخرك حتى الان أيها القوي.؟. ضعف اقدامي وهذال جسدي!! وما
الجديد بهذا الأمر.؟. مهما يكن لن اتوسل لأحد بعد الان مهما حدث! هذه
حماقة ليس أكثر انطق ولا تكابر في الخطاء فأنت تحتاج مساعدتها بشدة.
لا لن اتوسل. (هادى) عزيزي أنت تعلم يقيناً بأنك لن تستطيع الخروج
وحدك من هذا البئر وايضاً لن تستطيع تحمل يوم آخر الان وتعلم ايضاً
بأنك تكابر مع حاجتك الماسة للمساعدة. أعلم جيداً ولكن إن توسلت
لها الان سأظل كما انا ضعيف متواكل على الغير ولن أستطيع تجاوز
المحن وحدي كما كنت افعل دائماً. هذا غباء خالص!! لأنك في كلتي
الأحوال تطلب منها المساعدة ولكنك تطلبها بطريقة فذة للغاية لذا لا
تكابر وأطلب منها بطريقة مهذبة كي تنقذ نفسك وبعد ذلك تستطيع

الاعتماد على نفسك أيها المكابر الاحمق!!! إنه محق ففي كلتي الاحوال
أحتاج لمساعدتها بشدة ولكني فقط أكابر في التوسل إليها ولكنها تُعاند
معي وهذا ما يجعلني عاجزاً عن نطقها ولكني لا أدري ماذا افعل؟
قاطعت أفكارني المشتتة بقولها. حسناً إن كنت مصرراً على عدم التوسل
لإنقاذ نفسك فلا بأس فأنا مضطرة على الذهاب.. الوداع. ثم عم الصمت
المكان وأخذ القلق يجتأبني ولكني أظن بأنها تختبر صبري وقوة تحملي
لم تمض لحظات حتى أتاني صوتها المضجر صائحة بكلل وتأفف. حسناً
كما تشاء، انا ذاهبة بحق، الوداع ايها العنيد. تعالت نبضات الاضطراب
بداخلي وعاودني الصمت المريب جالباً معه الصوت بداخلي يصيح فيّ.
انطق أيها الاحمق قبل ان تذهب. مما زاد من خوئي وانا اشعر بثقل
الكلمات فوق شفقتاي. انطق. لا. انطق ...لا.. من أجلك.. من أجل إخوتك..
من أجل أمك ...من أجل العجوز.. من أجل انتقامك من الساحرة!! أم
نسيت ماذا فعلت بك.؟. هل نسيت الإهانة والذل وهي تركل وجهك أم
نسيت أقدامها فوق خدك.؟. صرخت بغضب كفى!!! لقد استطاع ذلك
الصوت اللعين إشعال جُمره الغضب بداخلي من جديد بعدما كنت قد
بدأت في طيها بعيداً الان مرت أمام عيني مشاهد الذل والإهانة التي كنت
اتلقاها في كل أيام حياتي فاشتعلت غيظاً عازماً على الانتقام من كل مَنْ
أذلني يوماً ما، تنهدت باستسلام. حسناً.. سأتوسل. مرت لحظات صمت
طويلة أقلقنتني ثم سمعت صوتها الناعم مريحاً لي. أنا منتظرة سماعك
بشوق وانت تتنازل عن كبريائك العريض هذا. تنهدت بقوة متدخللاً
بحزن عميق بداخلي. أخرجيني الكلمات تأبى عن الخروج ولكني
ارغمتها متابعاً ... أرجوك ... أرجوك.

يتحرك في الظلام بأعين حاذرة متلفتاً عن يمينه ويساره بقلق يرفرف
ردائه الأسود المتدلي من فوق كتفيه مع الريح يعطي حفيفاً عالياً شديداً
, تزايدت شدة الرياح فوضع يده فوق حاويته السوداء كي لا تتطاير مع
الهواء وتكشف عن وجهه المختبئ تحت غطائه الأسود الداكن , ظل
متحركاً حتى ظهرت قمم صخرية كثيفة بخطوات ثابتة مليئة بالحذر إلى
معبر صغير أسفل القمم مصنوع من الصخور الكبيرة الثابتة , صخرتان
عن اليمين واليسار فوقهم صخرة كبيرة كتانية اللون متراسة فوقهم
بثبات مشكلين معبر ذو جاذبية خلابة , ظل واقفاً بهدوء وثبات عميق
يراقب الاجواء من حوله هل هناك من يتعبه ولما تأكد عدم وجود احد
خلفه تحرك عابراً إلى داخل الجبال .

المُبجل والسر العظيم

يتحرك في الظلام الداكن متحسساً بيده على الصخور حتى وصل لساحة واسعة بين الجبال ، ذات إضاءة خافته ، وقف بمنتصفها مندهشاً باتساع عيناه من جمال ما يراه من نحوت راقيه خلافة بأسفل الجبل ، حجرات إضاءة وفراغات باهرة ، ثلاث غرف مظلمة وفوقها الكثير من الفراغات ، ظل متحيراً أيهم يعبر ، لم يفكر طويلاً عابراً الأولى عن يساره فأغشاه الظلام الطويل حتى ظهر الضوء فاستدل به حتى وصل ساحة واسعة أمام قصر جبلي باهظ الثراء من رؤيته فتوجه لداخله ولكن قبل ان تخطوا قدمه لداخله جائه الصوت الفازع عن يمينه . اثبت كما انت وإلا اصبحت في تعداد الأموات . فوقف ساكناً هامساً بصوت أجش غليظ. انا لستُ بعدو. اقترب منه رجلاً عاري الجسد يرتدي قلادة غريبة الشكل فوق صدره عريضة وتنورة قصيرة متقطعة من الأسفل، وجه السلاح الآلي لمنتصف ظهره صائحاً. ملابسك توحى بغير ذلك! ثم تابع بصياح أكبر. ارفع يدك عالياً.. اهدئ ولا تدع المظاهر تخدعك. همس بها وهو يرفع يديه ببطء شديد.. من انت وماذا تفعل هنا.؟. تحدث بصياح غاضباً.. انا صديق قديم لمولك المُبجل (عصام) أحمل له هدية قيمة ولكن يبدو بأنها لن تصل اليه بسبب حماقتك وهو في أمس الحاجة إليها وإن علم

بأنك المسئول عن تأخرها فلا بد أن تتحمل العقاب وأظن بأنك على درأيه تامه ما هو عقابه.. إذاً القرار قرارك!! تعرق مرتبكاً هامساً بخوف وقلق. وما هو هذا الشيء الهام لزعيمننا كما تزعم؟ هذا ليس من شأنك انت فقط اصلني بقائد اعلى مرتبة منك. صاح بجدية متابعاً بهدوء وهو يرخي يديه للأسفل. أخبر القائد (رفيع) فهو يعرفني ويعلم من أكون. أرخى بندقيته متحركاً بجانبه صائحاً بداخل الباب المظلم بقوة. أيها القائد (رفيع) نحتاجك عند البوابة لأمر هام. مرت لحظات سكون مليئة بالتوتر تحمله النظرات المرية لبعضهم البعض حتى تعالت طرقات لخطوات متتالية لأقدام تُجر بالأرض مصدره تشويش وراء كل خطوة فهب الرجل واقفاً بثبات عندما كشفه الضوء بقصر قامته ممتلئ من كل جوانب جسده، خصر ممتلئ تتدلى بطنه المترهلة أسفل حذاء تنورته الضيقة عند منطقة الحوض، يرتدي عدة سلاسل عظمية ضخام على صدره المنتفخ السمين، وقف أمامه وجهاً لوجه صائحاً بكلل. إنه أنت مجدداً!! صاحب الصوت الغليظ المخيف، ما الذي أتى بك من جديد؟ مرحباً أيها القائد (رفيع). صاح بهدوء متابعاً بجدية. أحمل للمبجل هدية ثمينة وأود مقابلته الان.. هدية؟. همس متسائلاً. من أي نوع يا تُرى؟ من النوع الذي يبهج سمو الزعيم المُبجل! حسناً. اتبعني. قالها وهو يتحرك للداخل يُجرجر بأقدامه المنتفخة فأتبعه لداخل الظلام , مرت لحظات كاحله ثم أتى الضوء النابع من سُعلات مُعلقة على الحائط الرملي بالتوالي , أخذ يراقب التماثيل الذهبية المُعلقة على الحوائط بأعين مبهورة من جمال ما يراه, حيث أنها تتلألأ من تساقط اللهب عليها فتعطي بريقاً ذهبياً لامعاً للساحة الواسعة , توقفت الخطى أمام باب لؤلؤي مرصوع بالياقوت والمرجان المذهب يُشع منه الضوء المتلألئ

بداخل عينيه السوداء الواسعة وكأنه واقف اما إحدى أبواب الجنان
الخلابة , يرفرف قلبه من مراقبته ترصيع الصفوف المرجانية على أرضيه
الباب الذهبية , قاطع الاخر انبهاره صائحاً. أنتظر هنا حتى أطلب الإذن .
ثم ولج للدخل لم تمض لحظات حتى فتح الباب وصوت يصدر من
الداخل. تستطيع الدخول أيها الصديق. تحرك للدخل مُضيقة عيناه من
شدة الضوء الارجواني المذهب الصادر من الداخل , ولج اليه متنهداً
باضطراب من جمال ما يَأثر أنفاسه وكأنما شمس ساطعة بالداخل في
هذا المساء المظلم , خطى بحذائه الأسود السميكة على الرمال المذهبة
وتلألأت ماسية مُشعه إلى داخل الساحة القصرية المستنيرة بإضاءات
السُّعل النارية المتعلقة بالحوائط بكثافة , فأغشاه الدفيء بتنهيدة مريحة
وهو يطلع إلى القطع الذهبية المُعلقة بغزارة بمختلف اشكالها وصياغتها
من قلائد وعناقيد وخالخل , تماثيل وخواتم كثيرة معلقة بكثافة اما نار
المشاعل فكلما هبت ريح توهجت النار فتنعكس على القطع الذهبية
فتتلاًلأً بجمال باهر يَأثر العيون ويقيد النفوس بجمالها الخلاب , ساحة
واسعة مليئة بالذهب مُشعة بالثراء الفاحش , هذ هو النعيم بعينه زفر
بقوة وهو يراقب خطوات الخادماات وهن يحملن أطباق الفواكه الذهبية
وفي تحركهن يصدر صوت خلاخلهن اصوات هادئة تفرح له القلوب
بالتتابع وملابسهن الشفافة الفضفاضة تُشعل برائهن الشهوة بقلب أي
جاحد متحجر النفس وهن يحملن اطباقهن أنواع مختلفة من الفواكه
الشهية الباردة اللذيذة , بلع لعبابه وهو سائلاً بفمه لنضارة الفاكهة مُحركاً
اصابع يده ليدرك بأنه لايزال مستيقظاً وليس بحالم يعيش في دنيا
الخيالات الواسعة , قاطع الصوت الخافت تيه أفكاره . من هنا أيها المُلثم
. فنظر عن يساره حيث اتاه الصوت فوجد السمين يُشير بيده للأمام

فتحرك بهدوء يتتبع آثارهن حتى اقترب من إحداهن فأوقفه جندي يحمل في يده بندقية آليه حديثة يرتدي خوذة ودرع حامي ضد الرصاص صائحاً به. ارفع يدك عالياً حتى أفتشك جيداً. فاستجاب له رافعاً يده، أخذ الجندي يفتشه بهدوء وما ان انتهى صاح به. اتبعني. فتحرك خلفه حتى وصلا لانعطافه يساريه فأوقفه الجندي واضعاً يده على صدره. انتظر حتى أطلب الإذن. غاب الجندي عن انظاره للحظات ثم أتى هامساً وهو يتحرك بجانبه متجاوزاً له. تستطيع الدخول الان. تحرك بارتباك خفيف وتنهيدة مقلقة متسائلاً بداخله عن كل هذه الجلبة المقلقة، عاوده المشهد المثير مرة اخرى بتجمع الخادومات حول العرش العريض يأثرن انفاسه الملتهبة، توقفت خطاه واقفاً بعيداً عن العرش المنتصف الساحة الواسعة ذات الإضاءة الخافتة المريحة لأعين منحنياً بهدوء صائحاً. سمو الملك المُبجل! مرحباً أيها الصديق مجهول الملامح. صاح به وهو مضجع بظهره فوق عرشه العريض وزوجته مستلقيه بظهرها تستند برأسها فوق فخذه الأيمن رافعه سيقانها على بداية العرش الإسفنجية الناعمة، مليئة بالخلاخل الذهبية وخواتم عريضة حول إبهامها العريض، تدخل ماسحاً على شاربه العريض فوق شفتاه المُحمرة. لقد سمعت بأنك تحمل لنا هدية ثمينة.. فما هي يا تُرى.؟. بدى حائراً وهو يراقب أطباق الفواكه الكثيرة الممتلئة بأنواعها المختلفة الموضوعه فوق الطاولة الزجاجية امام العرش، لا يقدر على إبعاد نظره عن جمال ألوانها الخلابة حيث أنه يشتهيها بقوة، تقهقر صاخباً بعدما لاحظ الأمر. تستطيع تناول ما تشتهي يا صديقي. تنحني مضطرباً وبدى ساكناً يمانع رغباته القوية بينما صاح به الاخر. هيا تقدم ولا تخجل. تبسمت عيناه خجلاً حاذرة يهمس بداخله، لا بد وأنها خدعه ليجعلني اكشف له عن هويتي

ولكنني لن أسقط بها فصاح بلطف. سأتناول ولكن بعدما ننهي حديثنا..
حسناً كما تشاء هيا تحدث وأفصح لنا عن هديتك واعلم جيداً بأنها
ستوزن بالذهب هدية بهدية.. لقد اخبرتك سابقاً عن الفتى المجهول
الذي امسكنا به قرب حدود العائلة وكيف ان زعيمتنا استخدمته
لصالحها وزرعت بيده جهاز تتبع واسع المدى على أمل انه قد يوصلها
للأجنبي ليكشف لها عن السر العظيم الذي يحمله.. أجل وقد ارسلت
رجالاً يبحثون عنه في المدينة ولكنهم عجزوا عن معرفة اهله ولم
يستطيعوا جلب المعلومات لنا وبأنك من احضر الجريدة التي تحمل كل
المعلومات عنه ولكن ماذا بشأنه إنه لا يعرف شيئاً عما يحدث بداخل
صحرائنا؟ لقد احضرت لك جهاز التتبع خاصته. صاح بها بحماس ينبع
في صوته الأجنس متابعاً بهدوء. إنه.. قاطعه بضجر وهو يمسح على
شاربه بإصبعيه. صديقي أرجوك أطفئ ذلك الصوت الغليظ فإنه يؤلم
أذناي.. أسف جلالتك، لقد تحدثنا بهذا الأمر من قبل وأخبرتك بأني لن
اكشف عن هويتي وصوتي هو هويتي بداخل العائلة فقليلون من
يعرفون هويتي.. ولكنك لست في العائلة الان انت في قصر عظمتي ولن
يكشفك أحد من رجالي لذا لا تفزع واضعن للأمر. اعتدلت مسرعة صائحة
باندهاش يظهر في عينيها. لقد قلت بأنك أحضرت الجهاز...؟ أجل مولاتي
الأميرة. أجابها بثقة.. هل هو معك الان..؟. تساءلت بلهفة. وضع يده
بداخل ردائه الأسود وأخرج جهاز عريض له شاشه واسعه وعدة ازره
بالأسفل. هذا هو سيدتي، إنه أمل العجوز الوحيد في العثور على الأجنبي.
هبت متحركة بردائها الأصفر اللامع ملتقطة منه الجهاز تتطلع اليه
بسعادة غامرة وحقد عميق ينبع في عينيها الواسعة.. كيف يكون هذا
الشيء هو أملها الوحيد..؟. تدخل متسائلاً بحيرة. تنهد بقوة قائلاً. لقد

رأيتها تجوب الصحراء مراراً وتكراراً من أولها لأخرها باحثه عنه باستماته شديدة ولكنها لم تعثر عليه وكأنه بطريقة ما اختفى عن الأنظار فيئست في العثور عليه ولكن عندما عثرت على هذا الفتى دب بصيص الامل بداخلها حيث انها علمت بأن الفتى صادقاً في كونه جاء لها بالخطاء وكونه لا يعرف شيء عما يحدث هنا فإن صُدف وقابل الأجنبي فلن يكون موضع شك امامه وسيمكث معه اينما كان وحينها تذهب إثره وتمسك به على حين غفلة منه. وضع مدخنه صغيرة ذهبية أنيقة المظهر بفمه فأسرع خادم ممن يحملون هوايات ريشية كبيرة واشعلها له ثم عاد كما كان سريعاً يجلب إليهم الهواء وهم جالسون بارتياح، نفث دخانه بكثافة صائحاً. ولكن كيف كان ستعرف بأن الفتى أصبح مع الأجنبي.؟. اليس هذا الأمر بعيد المنال والتصديق بسهولة هكذا.؟ هذا صحيح مولاي ولكن الأمر معتمد اعتماد اساسي على التوقعات والتقديرات وايضاً المراقبة الدائمة لتحركات الفتى فإن ظل ماكنثاً في منطقة واحدة لفترة طويلة فهذا يدل على أنه وجد الأجنبي ومكث معه لأنه شاب برئ ضعيف لن يستطيع النجاة وحده لأيام بداخل هذه الصحراء كما نعلم جميعاً أما الأجنبي فاستطاع النجاة لسنوات وهو الوحيد القادر على مساعدة الفتى وإنقاذه فمن غيره يعيش بالصحراء غيره وغيرنا في هذه المنطقة.؟ هكذا إذآ!!..!! همس بها متفكراً متابعاً بهدوء. هذه المرأة لا تزال في غاية الذكاء ولكني أسبقها دائماً بخطوات وأسبقها أيضاً للأجنبي وأقضي عليه حتى أحطم أرجائها وأضيع آمالها نهائياً في الحصول على السر العظيم. لمعت عينه بالمكر والدهاء متابعاً. وبهذا أكون قد كسرت شوكتها نهائياً لأنتصر في المعركة النهائية والأخيرة بيننا. تدخلت جالسة بسعادة خبيثة تعلقو محياها الرفيع. إنها هدية ثمينة

بالفعل أيها المثلث لابد وأنها تتخبط الان من الحسرة والغضب لفقدانها
 أملها الوحيد في العثور على الأجنبي الذي أتعبها غاية التعب في البحث
 عنه.. وهذا لتعلم جلاتتك مقدار الجهد المبذول في خدمتك. تدخل
 بحماس ينبع في قراره صوته الأجلش.. آه. صاح معتدلاً ينظر اليه بأعين
 مليئة بالحذر الثاقب صائحاً بمكر وهو ينفث دخانه بكثافة وقوة. سيُقدر
 هذا الجهاز بالذهب الخالص لتعرف أن من يتعاون معي بتفاني يحاوطه
 الثراء من كل جانب وينعم في سُبُل خيراتي المديدة التي لا تنتهي وأن
 من يُعاديني ويحمل السلاح صّدي يهلك كما ستهلكُ تلك العجوز
 بطريقة بشعة للغاية. كان يتحدث والثقة تنبع من عينيه بقوة ثم صاح
 عالياً. (رفيع). فجاء يهرع مجيباً بارتباك. أجل مولاي.. اذهب مع صديقنا
 ودعه يأخذ ما يستطيع حمله مما تشتهي نفسه واحرص على إرضائه
 جيداً.. أمرك مولاي. صاح سعيداً ثم تحركا للخارج. دنت منه هامسة
 بمكر. إنها ضربة مؤلمة لها بحق. صاح بأعين كالذئب في وقرها. آه..
 والقادمة ستكون مُميتة بشدة لتعلم هذه الحمقاء بأنها لن تستطيع
 هزيمتي مهما فعلت.

كيف حدث هذا أيها الحمقى الغافلون.؟. زفرت بغضب في ثلاثتهم وهم
 واقفون أمامها بثبات شديد واضعين رؤوسهم للأسفل لا يتجرؤون على
 رفعها عالياً والنظر بداخل عينيها المُلتهبة وهي جالسة مُشتعلة بالغضب
 الجارف لا تكاد تتمالك أعصابها عن الانفلات والانفجار بهم جميعاً.
 كيف.؟. صاحت. كيف.؟. بغضب مشتعل. كيف حدث هذا (مُنذر).؟.
 أخفض أوسطهم رأسه أكثر لا يكاد يعرف بماذا يُجيبها فصاحت به بقوة.
 انطق.. أجنبي.. أخبرني كيف حدث هذا وأنتم جالسون هناك طوال

الوقت.؟. كيف تسلل وسرق الجهاز هارباً منكم.؟. أكنتم نائمين.؟. هل تنامون بداخل المعامل الحيوية (منذر).؟. بالطبع لا سيدتي! أجابها بحسرة بالغة، فهبت فيه صارخة. إذأ أخبرني كيف سُرق الجهاز.؟. أقسم لك سيدتي بأننا سنعثر عليه ونعرف من فعلها وسيُعاقب أشد العقاب. تدخل غاضباً متألماً ثم كررها وعيناه تلتهب من الغضب. أقسم لك بأننا سنعثر عليه بأسرع وقت سيدتي وسيصبح عبرة حيه للجميع، لمن يفكر في خيانة العائلة مرة أخرى. زفرت بقوة وهي تلتف بكرسيها تنظر للنافذة الضيقة صاحبة الستار الكثيف التي تحمي الغرفة من الأتربة والغبار صائحة فيهم بضجر. انصرفوا وفي غضون ساعات يتواجد امامي تقرير عما حدث وإلا أنتم من سيُعاقب أمام الجميع بقسوة حتى لا يتهاون آخر بموقع حراسته مرة أخرى.. امرك ايتها الزعيمة. تدخل اوسطهم ثم اخذوا يتحركون للخارج فصاحت بهدوء. عدى انت (منذر) أبقي كما انت. فتحرك عائداً بينما انصرف الاخرون واقفاً خلفها بتراخي. كيف حدث هذا (منذر).؟. تساءلت بهدوء. تنهد بقوة متحدثاً بريية تنبع في صوته الهادئ. هذا امر محير للغاية سيدتي فمنذ انتشار الخبر وانا اشعر بأن عقلي ستدمر من كثرة التفكير في الامر وعن من يكون الفاعل وبلا شك يوجد خائن بيننا! لقد كنت اشك بالأمر من قبل ولكن الان اصبحت متأكداً بكل يقين في هذا الأمر.. خائن.؟. تدخلت بحيرة وقلق ثم تابعت باستغراب. ولصالح من يخوننا باعتقادك.؟. ومن غيرهم تظني.؟. تدخل مسرعاً متابعاً بكيد. لا يوجد غيرهم (عصام) وزوجته اللعينة.. (منذر). صاحت فيه بقوة متابعه بغضب. احفظ لسانك. أسدل رأسه هامساً بأسف. المعذرة سيدتي لقد انجرفت مع الغضب ولكنها لم تعد شقيقتك بل هي عدوتك الان سيدتي ولا بد أن تدرك ذلك جيداً واعتقد بأن ما فعلته أكبر

دليل على ذلك! دعك من هذا الامر وأخبرني بمن تشك كونه الخائن؟. تحدثت بحزن عميق وهي تفرك يديها المتجعدة بعضهم ببعض من توترها الشديد الظاهر على عينيها الكهله الضيقة. تنهد بقوة وهو يتحرك بداخل الغرفة الضيقة المستنيرة بإضاءة ارجوانيه خافته ذهاباً وإياباً بحيرة تحدث. الأمر ليس بهذه السهولة سيدي ولم يعد تعلق بمن فعل هذا بل أصبح يتعلق بأمن العائلة كلها وشعور اقرادها بالأمان داخل غرفهم لذا لا بد من اتخاذ قرار حاسم يمنع حدوث أي شيء من هذه الأمور القاتلة نهائياً ومن يفعل بعد ذلك سيُكشف بكل سهولة ويسر. التفتت بكرسيها المتحرك ناظرة لداخل عيناه الواسعة شديدة السواد. ماذا تقترح؟. تدخل بثقة قوية في نطقه. أن نتبع درب العهد القديم كما اخبرتك سابقاً.. هل تعتقد بأن اسلوب العهد القديم في إدارة الامور هو الانسب لهذه المرحلة الصعبة التي تمر بها العائلة؟ أجل سيدي وهو الأنسب في جميع المراحل وفي كل الأحوال والأوقات وأنت تستطيعين الحكم على الأمر في هذا الوقت، هل تتذكرين عدد الجرائم التي حدثت اثناء حكم كبيرنا؟ لا شيء! أجابت بهدوء. فتابع بحماس لا يفتر. أجل لا شيء وهذا هو المقصود عدد جرائم اقل ويكاد يكون منعدماً والجميع على دراية تامة بما سيحدث لمن يرتكب أي فعل مشين أمام الكل يكون العقاب وخيماً للغاية على مرأى أعين الجميع حتى يكون عبرة حية لمن يجد في صدره أي افكار خيانية. أسندت جبينها على كفها الأيسر هامسة بضجر. أجل ولكني لا اريد من افراد العائلة ان يكرهونني كما كانوا يكرهون الكبير وينتهي الأمر بخيانتني كما فعلوا معه.. المعذرة لك سيدي. تدخل وهو يجلس مرتبعا الأقدام فوق الأرضية الرخامية الباهتة متابعاً بهدوء. الكبير لم يكن مكروهاً البتة بين افراد العائلة، الجميع كان

يعلم بأنه صارماً ولكنه ليس سيئاً، أجل كان الناس يخشونه ولكنهم كانوا يتحدثون عنه بالحسنى لأنه كان يُراعي احوالهم وكان يعمل جاهداً على راحتهم ولكنه يكره الأخطاء في المقابل واما بأمر الخيانة فأنتِ على دراية تامة لما تم خيانتته ومن هم الذين تحركوا ضده ولماذا.؟. مرت لحظات صمت بينهم، بدت ملامح الحيرة على وجهها فتحرك واقفاً هامساً وهو يخرج. ما على الرسول إلا البلاغ وقد ابلغتكِ سيدي والقرار دائماً عائد لكِ في جميع الامور، لذا ارجوا ان تُحسني القرار في هذه المرحلة. همست به وهو واقف أمام الباب الصغير. حسناً دعني أدرس الأمر جيداً قبل الإعلان عنه.. حسناً سيدي استأذنيك. صاح بها وهو يغلق الباب خلفه. زفرت بقوة وهي تائهة في أفكارها الغزيرة المضطربة حائرة فيما ستفعله في هذا الامر فهي لطالما اعترضت على طريقة حُكم جدّها الاكبر في الامور ولطالما تخاصمت معه بهذا الشأن فهل تتنازل عن اعتراضاتها وتتبع نهجه العتيق في الحكم.؟. التفت ناظرة للنافذة وهي عازمة على إيجاد حل لهذا الأمر قبل شروق الشمس.

فتح عينيه بخمول وإرهاق بالغ فلمح السواد امام ناظريه فاعتدل حاذراً صائحاً بارتباك. من أنت.؟. أجابته بصوتها المترهل المخيف وهي تتحرك ببطء وإنحاء تتكا على عصاها المخيف مقتربة منه. مرحباً أيها البروفيسور (فرانك). أخذ يراقب تحركها بريية شديدة مدقق النظر إليها محاولاً بجهد كشف وجهها المختبئ تحت ظل قنلسوتها السوداء ولكنه لم يستطع فتحولت افكاره حيث ذهبت عيناه بأحد اركان الكوخ متفكراً في جلب سلاحه المختبئ تحت تراكم اغراضه المبعثرة حتى تكون الأولوية له في هذا اللقاء المريب الذي اتاه على غير المتوقع، فتحرك قليلاً

فهمست اليه بصوت مخيف حاذر. إن كنت مكانك لظلمت كما انا فما تفكر فيه غير مُجدي البتة وبلا اي فائدة. نظر اليها بدهشة مصعوقاً صائحاً بقلق وحيرة. من أنت.؟ وماذا تريد.؟ هذا سؤال جيد بروفيسور. همست بهدوء متابعة بجدية واضحة. انا سفينة النجاة خاصتك، أستطيع إخراجك من هنا بكل سهول ويسر فقط إن تعاونت معي.. وكيف سأتعاون معك.؟ تسائل بحذر معتدلاً.. بأن تعطيني ما جئت هنا لأخذه!! والذي هو.؟ تساءل بحيرة.. السر العظيم!! قالتها بحماس وجدية نشوة عارمة.. المعذرة. تنحج باضطراب متابعاً بهدوء. مع من أتحدث.؟ لقد اخبرتك سابقاً أنا سفينة النجاة خاصتك.. سفينة النجاة!! همس بها ساخراً متابعاً بضحك متوتر. هل هذا اسمك.؟ سفينة...! بروفيسور. صاحت بضجر متابعة بكلل. لا تتهرب من الأمر.. من الواضح بأنني لست من أتهرب من الأمر. تدخل سريعاً بذكاء.. حسناً. صاحت بها وهي تتحرك لأحد جوانب الكوخ ذات الإضاءة الهادئة النابعة من الشعلات النارية المعلقة بأركانه الأربعة. إن كان الأمر كذلك فلن اتردد ولن اعترض التعريف عن نفسي انا ادعى (سيده القمر). ضم حاجباه هامساً باستغراب. (سيده القمر)!! لقد سمعت بهذا الاسم من قبل بداخل.... تدخلت مقاطعة. بداخل سوق الدماء بروفيسور. بلع لعبه بصعوبة هامساً بحيرة. كيف تعلمين بذلك.؟ جلست فوق صندوق خشبي بجانب الباب متقهقرة بصخب صائحة بسعادة. أنا أعرف كل شيء بروفيسور، اعرف الماضي البعيد والمستقبل الخفي.. المستقبل.؟ صاح بها مستغرباً وهو يستند بظهره على الكوخ.. أجل فأنا اعرف ماضيك ومُستقبلك. تحدثت بثقة.. لا اعتقد ذلك. ضحك بها ساخراً متابعاً بابتسامه مشرقة على وجهه النحيف. فإن كنت كما

تقولين لما قدمتي إلى هنا الان تتسألي عن هذا السر اللعين. وجهت عصاها لوجهه صائحة بغضب. احذر لما تقوله أيها الأجنبي اللعين وإلا ندمت ندماً عظيماً.. انا لا اعلم شيء عما جئت لأجله سيدة القمر العالمية بالماضي والمستقبل تستطيعين البحث عنه في الماضي الذي تعلميه. تحدث بضيق ملحوظ. اشتعلت عينيها غيظاً وتوهجت باللهب وكأنهما جمرتان من نار مشتعل صائحة بانفعال شديد وصوت غليظ مخيف. لا تُغضبني وإلا ألقيت بك في الجحيم أيها البائس اللعين المثير للشفقة.. انا لا ارى شيئاً خاطئاً فيما اقول، اليس أنتِ من أخبرني منذ قليل بأنكِ تعلمين الماضي والمستقبل بناء على ذلك أقول لكِ بحبي عن هذا السر في الماضي المعلوم بالنسبة لكِ ثم ما بال هذه الأعين المتوهجة وهذا العصى الغريب هل تعتقدي بأن أي من هؤلاء سيُخيفني.؟ لا اعتقد ذلك فأنا لم اعد أخشى شيئاً منذ أمد طويل وايضاً لا اعتقد بأن هناك جحيم أفسى مما انا بداخله منذ أن حُصرتُ في هذه الصحراء اللعينة. اقتربت منه متقهقرة بصخب صائحة بسخرية واضحة. هل تطلق على هذه الصحراء الهادئة بالجحيم.؟ لا يا عزيزي صدقني أنت بعيد تماماً عن الجحيم الحقيقي والرعب الدائم.. الجحيم الحقيقي.؟. همس بها مستغرباً متابعاً وهو يمسح على جبينه المُترب. وهل ما نحن به غير حقيقي.؟. وإن كان كذلك فما هو الحقيقي إذأ.؟ الجحيم الأصفر!!! صاحت بقوة.. الجحيم الأصفر.؟. همس بها متحيراً.. أجل. تحدثت وهي تقترب منه أكثر حتى وضعت عصاها بين قدميه المتمددتان على الرمال مستندة عليها بمجامع يديها واضعة ذقنها فوقهم هامسه بتراخي. أعتقد بأنك سمعت بهذا الاسم أيضاً، أليس كذلك بروفيسور.؟. رمقها بنظرات الحذر ثم اخذ يتطلع لعصاها المريب

من الأسفل للأعلى ببطء يُمعن النظر بنقوشه غريبة الشكل والملامح حتى وصل لوجهها المختبئ في الظلام متنهداً بقوة. يبدو بأنك تراقبيني منذ مدة! أجل.. أراقبك منذ مدة طويلة، حتى وقبل وصولك هنا ولكن أليس من العجيب أن تقترب أنت وابتكتك من سوق الدماء؟. يبدو بأنك جريء جداً بروفيسور أم تفضل أن اناديك بمستر (فرانك) كما يفعل الفتى الضعيف؟. اتسعت عينيه دهشة صائحاً بقلق. الفتى؟. ماذا فعلت به أيتها المشعوذة؟. متابعاً بحدة وغلظة. أقسم أن أمزقك لو مسسته بسوء.. أووه، أليس هذا عجيب ما اراه؟. تحدثت برخاء شديد.. وما هو العجيب أيتها اللعينة؟. تسائل بجدية وغلظة.. العجيب ان تتعاطف مع شاب عربي، الجنس الذي تكرهه بشدة. ولكن لا تقلق لقد أنقذته من أجليك بروفيسور وألقيت به حيث سيتقابلان هناك هو وابتكتك (فرانك)!!! اعتدل بلهفة صائحاً. ابنتي (كريستين)!!! هل هي بخير؟. اعتدلت واقفة رافعة عصاها عن الرمال. لا تفزع.. لا تفزع ستكون بخير وهي معه. ثم تحركت تجاه الباب ببطء شديد هامسة بمكر. الفرصة لا تزال بين يديك للخروج من هنا بسلام انت وابتكتك، فقط أخبرني بالسر العظيم الذي لايزال هناك أناس يسكبون الدماء من أجله. بدى ساكناً حائراً يتماك أنفاسه عن البوح بسر النجاة خاصته فإن علموا به لن يترددوا في قتله هو وابتته في لحظات ولكنه لايزال تائهاً غير مدرك لما سيفعله الان. قاطعت افكاره بقولها. من الأفضل لك ولابتكتك عدم ترك الكوخ (بروفيسور).. واين سأذهب بقدمي هذه؟. اجابها بياس. وصلت امام الباب ثم توقفت تستدير صائحة بهدوء. أجل.. لقد كدتُ أنسى شيئاً هاماً. أخذ يرمقها بنظرات الريبة، بينما تمايلت ملتقطة مدخته الصغيرة هامسة بحماس. هذه نبتة خطيرة بروفيسور، غالباً لا اظهر نفسي لاحد

تحت ضوء الشمس الحارق ولكني اتيت لإنقاذك من الموت ولن اكررها مرة اخرى لذا توخى الحذر في استخدامها. ثم القت بها تجاهه فالتقطها بيده بينما تحركت للخارج صائحة بحيرة. إن صُدف وتمكنت من الخروج من هنا فابتعد عن الأزرق، تذكر تلك الكلمات جيداً (فرانك) ... لا تركب الأزرق. الوداع. قالتها ثم اختفت من امام عينيه، اسند ظهره على الكوخ يفرك بإصبعيه لحيته البيضاء الصغيرة متفكراً فيما يحدث ولماذا ظهرت هذه المشعوذة فجأة هكذا وكيف تعلم بأمر السر وماذا يكون هذا الأزرق.؟! تنهد بقوة ماسح بيده اليسرى على خلاصات شعره الاشيب الطويل حائر فيما يحدث حوله الان.

تتحرك متكئة على عصاها بداخل الظلام بهدوء وحذر فجاءها الصوت الأثوي الناعم عن يمينها. ماذا حدث سيدتي.؟! أجابت بفتور صوتها المترهل. كما توقعت لم يخبرني بشيء.. ولماذا أخبرته بأمر الأزرق إذا.؟! تساءلت بحيرة. ضحكت بمكر شديد. من أجل المتعة صغيرتي.. من أجل المتعة وايضا لا داعي للقلق فهو في كلتي الأحوال لن ينجوا من هذه الصحراء فلم ينجوا أحد من قبل ولن يفعلها أحد منهم مهما كان.. والسر العظيم...؟! لا يزال حبيس ذكرياته ولكن لا تقلقي عزيزتي لن يكون كذلك لوقت طويل فلن اهدئ حتى اكشفه بنفسي ولنفسي. كانت تتحدث وعينيها تشع لهيباً من الإثارة والحماس.

منطرح على وجهي فوق الرمال أحتضنها بقوة وصلابة , قوة عاشق وصلابة مشتاق فإنها رمال حرיתי , رمال عودتي للوطن , رمال حياة جديدة وميلاد شخص آخر , شخص قد تعلم اخطاء الماضي الكثيرة ولا

ينوي تكرارها , ربنا ولك الحمد , حمداً كثيراً مهما فعلت لا اقدرُ على شكرك يا مُجيب الدُعاء , فإن الله لا يضيع دعاء من دعاه ولا يخيب رجاء عبد من عباده ابداً , تنهدت بقوة متذكراً لآلم حسرتي فهمت الوقوف مستنداً على ازريقي ولكني لم استطع وسرعان ما سقطت على وجهي من الألم , فهناك ألم شديد يغزو جسدي بقوة ولا سيما ركبتي وسيقاني فهم يصرخان من شدته بجانب رقبتي وكامل جسدي يتجرعون مرارته حتى انفاسي التقطها بصعوبة بالغة وعناء شديد فاعتدلت على ظهري محاولاً التنفس بهدوء فلمحت الفتاة واقفة أمامي , لا ارى منها شيئاً غير ظلاً لها فالظلام وضعف نظري يعيقان رؤيتي لها وتحديد ملامحها , تبدو ساكنة للغاية فمنذ ان اخرجتني وهى صامته تماما وهذا الصمت يجعلني أتساءل أهي خائفة مني .؟. أم ماذا يحدث.؟. ولكنها بالتأكيد لا تعرفني فبلا شك ستكون خائفة ولكن ما يُثير فضولي هل هي الفتاة التي تحدثت عنها الساحرة أم انها لا تعرفها ومجيئها للبئر محض صدفة لا أكثر ...؟ فهمت سؤالها وانا مرتخي بتعت على الرمال بظهري وجسدي مغطى بالرمال المبللة من المياه التي كانت تتقاطر مني حين خروجي من البئر فتحدثت بتعب واضح. هل تعرفينها.؟. المعذرة.!! تحدثت بحيرة متابعة بتوتر. ماذا تقول.؟. هل تعرفينها.؟. كانت واقفه بهدوء تتطلع إلى ملامحه بحذر متفكره بداخلها بقلق وحيرة عمن قد يكون هذا الرجل غريب الملامح نحيل الجسد هذا.؟. كثيف اللحية المتربة طويل الشعر وكيف انتهى به الحال بداخل البئر هكذا.؟. ويا ترى من هي التي يقصدها بسؤاله هذا.؟. فلم يُصادف وقابلت امرأة في هذه الصحراء حتى الان.؟. من تقصد.؟. أجابتنى بحيرة من امرها استشعر بصوتها الدافئ فأخذت أجيبها. ال ... ولكني عندما نطقت بأول حرفان

أخذت أسعل بشدة وقوة، سُعال يؤلم صدري ويمنع انفاصي أشهق كالغريق الذي يبحث عن بعض الهواء لنجاته ولكن لا يوجد هواء، اللعنة، يبدو بأنها نوبة تُباغتني، أشهق وأشهق.؟ ولكني لا ازال أشعر بالاختناق والألم النفسي المرير، صرخت بفرع وهي تقترب مني. ماذا يحدث.؟. انقلبت أزحف على ساعداي متحركاً بهلع وكأني ابحث عن شيء ما وكأني أطلب النجاة ولكن لماذا ارفع يدي ولمن.؟. ولا يوجد أمامي غير الرمال، هبّت الفتاة تُلكم ظهري وكأنما هناك شيء عالق بحلقي ولكنها لا تدرك بأنها نوبة ربو باغتتني على حين غرة كما تفعل دائماً بدون الدواء، تغرغرت عيناى دمعاً دافئ حزيناً يملئ صدري وهي تتقاطر عندما أخذت أتساءل ذات السؤال منذ أن وجدت نفسي هنا.. لماذا.. لماذا يحدث كل هذا لي.؟. لماذا انا.؟. ولماذا دائماً كلما مررت بمحنة اذكر شيئاً من الماضي السعيد.؟. ما الذي لا أستطيع ادراكه حتى الان.؟. فقد علمت منذ قدومي هنا بمقدار النعم التي كنت غارقاً بها في المدينة ولا أدركها ولكن يبدو بأن هناك شيء لم أستطع ادراكه حتى الان.؟. فيا ترى ماذا يكون.؟. سقطت على وجهي مع توقف الألم منطرح بين الوعي واللا وعي، أغيب عن الدنيا بذكرى أراها الان أمام عيني، لا.. بل إني هناك اعيشها من جديد نفس لحظات المتعة التي قضيتها في هذا اليوم، حين كنت مستلقي بهدوء تحت المظلة الملونة بالكثير من الألوان النضرة التي تبهج النفس وتسعد الروح أتطلع للشاطئ الواسع النظيف صاحب المياه الزرقاء الصافية كصفاء السماء حين الظهيرة، أشعر بالسكينة بين خريف المياه وصخب العامة وبجانبي زجاجة المشروب الروحي خاصتي الزجاجة السوداء للمياه الغازية المثلجة، رباہ ... كم هذا الإحساس رائع!!! روعة الإحساس أعادتني للظلام وجعلتني اتساءل..! لماذا.؟. لماذا دائماً

الذكريات تصبح جميلة عندما تمر امام اعيننا في المحن.. هل لأنها تجلب لنا احساسها الرائع الذي نفتقده الان، أم ان الواقع الذي أصبحنا نعيش فيه أقسى من الماضي الجميل، ولكن ليس الماضي كله جميل ولكننا فقط لا نتذكر الا الجميل ليطوي في ذكراه بعضاً من آلام حاضرننا العسير ... أنت!! أنت! فتحت عيني لسماع نداءاتها القلقة ثم تحركت عازماً الوقوف وبالفعل وقفت ولكن بغير اتزان فشعرت بضعف اقدمي وكدت أسقط لولا أنها اسندتني بارتباك صائحة. مهلاً.. مهلاً إلى اين تود الذهاب وانت في مثل هذه الحالة السيئة؟ أريد الذهاب لقضاء حاجتي فلن أستطيع التحمل أكثر من ذلك!!.. تدخلت بتوعك شديد، فتحركت معي باتجاه قمة صخرية غير مرتفعة، اتحرك ببطء شديد وكلما خطوت خطوة اشعر بالألم الشديد بعضلات اقدمي المتراخية قاطعت تركيزي بالألم. المعذرة ولكن ماذا كان يحدث لك منذ قليل فقد ارعبتني رعباً شديداً وقد ظننت بأنك تحتضر بالفعل ...؟ تنهدت براحة عندما عبرت ريح هادئة تحمل معها رائحة شعرها المصفور الطيبة وكأنها رائحة الورود وأعتقد بأنها الياسمين القوية فأنفي تعرفها. رائحتك زكية! تدخلت بهدوء. أووه.. شكرا لك. أجابتنى بخجل استشعرُ بصوتها الناعم فاضطرابات قلبي تتزايد من خفقانه بقوة متذكراً علاقتي بهذه الرائحة المميزة. إنها تذكرني بالفتاة التي أحببتها من قبل، لذلك اعشقتها وأميزها بين آلاف الروائح المختلفة اما بأمر ما شهدته منذ قليل فهي إحدى نوبات الربو التي تأتيني بغتة.. الربو..؟ مرض التنفس..؟ تساءلت بحيرة.. أجل إنه هو ذلك اللعين.. وأين العلاج خاصته ...؟ لقد سُرق مني كما سُرق الكثير حتى نظارتي.. ضعيف النظر ومصاب بالربو!!.. إذأ فما الذي أتى بك هنا بكل هذه الأمراض..؟. تبسمتُ متذكراً كلمات العجوز (فرانك)

أتمنى ان يكون بخير. انا لم أتي هنا بكامل إرادتي! تبسمت قائلة بهدوء.
ومّن مِنّا فعل!! كنت أهم سؤالها عن الأمر ولكنها قاطعت حديثي
بصياحها. ها نحن وصلنا لوجهتنا تستطيع قضاء حاجتك هنا بهدوء بينما
انتظرك هناك. وأشارت لخلف القمة القصيرة ثم تحركت بينما استندت
على الصخور أفرغ ما بداخلي متفكراً في كلماتها وما تحمله من معاني
كثيرة ولكن المعنى البارز أنها لم تأت هنا بكامل إرادتها إذا فكيف جاءت
وما الذي حدث ومن تكون وهل هي تعمل مع الساحرة أم لا تعرفها...؟
لا بد ان أتأكد من ذلك الامر لأنه سيغير الكثير من الاشياء، انتهيت من
قضاء حاجتي ثم اخذت التحرك عائداً فخطوت خطوتان ثم سقطت على
وجهي مندثراً بالرمال.. اللعنة.. لا تزال اقدامي ضعيفة وكأنني اتعلم
السير من جديد، تحركت بعزم واقفاً من جديد ثم اخذت اخطوا بهدوء
ولكن سرعان ما سقطت فعدت وتحركت وهكا حتى غلبني التعب
فسكنت راقداً على وجهي اشتم رائحة الرمال الشديدة، استمع لهزيز
الريح الهادئ، الجو ساكن كعادته ولكن سرعان ما كسر الصمت
بخطوات متتابعة أعتقد بأنه الفتاة توقفت امام عيناها الضخم
الرملي الداكن ثم جلست فاعتدلت جالسا أخذت تنظر لي في صمت، ولما
اقتربت مني بدت ملامحها. رباها إنها جميلة للغاية فهزرت رأسي هامساً
بابتسامة. ماذا هناك؟ لقد رأيتك وأنت تسقط وهذا يجعلني اتساءل
لماذا لا تستطيع السير على قدمك؟. ما الذي حدث؟. تنهدت بقوة
متحدثاً بهدوء. لقد تمكن الجفاف مني ثلاثة ايام بلا ماء ولا طعام حتى
توقفت اقدامي عن الحراك ولكن الحمد لله اليوم هناك تحسن كبير..
عندما قلت هل تعرفينها! من كنت تقصد؟. تساءلت بحيرة وهي تلاعب
الرمال بأناملها.. الساحرة اللعينة. تحدثت بتوتر غاضب.. ساحرة؟.

همست باستغراب فتدخلت مسرعاً. أجل.. لقد حملتني حتى البئر ثم القت بي بجانبه واخبرتني بأن هذا هو المكان الذي ستاتي فيه الفتاة لتتقذك في المساء بعد ثلاثة ليال. انفجرت ضاحكة بصخب. انت تمزح اليس كذلك.؟. أبديت ملامح الجدية قائلاً ببعض من الضيق. وهل أبدو كذلك.؟ انت تقول بأنها القت بك خارج البئر فمن الذي اسقطك بداخله.؟. تحدثت بهدوء وارتياح.. انا من اسقطت نفسي بداخله لأنني لم احتمل حرارة الشمس كادت ان تقتلني. فعادت تضحك بتفهقر من جديد صائحة بسخرية واضحة. يا للغباء. فتبسمت ضاحكاً لضحكاتهما الباهية السعيدة ثم تنهدت متحدثاً بجدية. إذا أنت تخبريني بأنك لا تعملين معها ولا تعرفينها من البداية.؟ انا لا أومن بالسحر ولا اعتقد بأنه حقيقي بل مجرد خيالات واوهام لا وجود لها من الحقيقة في شيء. استشعرت من نبراتها الصدق ولكني متعارض معها فبكل تأكيد السحر حقيقي وقد أخبرنا الله عنه الكثير في كتابه الكريم. لا أنستي إنه حقيقي للغاية.. لن اختلف معك ففي النهاية كل إنسان له رأيه الخاص وليس من الإلزامي أن تتفق في كل شيء.. هذا صحيح انستي فلكل إنسان معتقده الخاص ومن الجيد تفهم الأمر من جانبك وإلا انشأنا جدال طويلاً لن ينتهي. عم الصمت طويلاً متدخلة في نهايته. صدق او لا تصدق ولكني لا اعرف اي شيء عن تلك الساحرة فقط لإجابة على تساؤلك إن كان يهمك معرفة الامر كثيراً. تنهدت بقوة حائراً فيما اقوله ولكني فضلت الصمت على ان يأخذ الحديث بيننا منعطف آخر، شعور غريب ينتابني واعتقد لأن كل واحد يخفي تخوفاته من الآخر لذلك لا انفك استشعر التبلد في حديثنا وحتى نظراتنا، أتمنى ان تمر هذه الليلة بسلام.

كيف حالك اليوم بُني؟!. تسائل بهدوء وهو يجلس فوق المقعد الاسفنجي الاسود بجانب الفراش، تحرك معتدلاً مجيباً بهدوء. الحمد لله أبي، اليوم أفضل من البارحة. مسح على قميصه الأسود اللامع. الحمد لله بني، الحد لله. متابعاً وهو يفتح زجاجة المياه برفق. وكيف عينك الان؟. هل كل شيء على ما يرام؟. زفر بقوة متدخلاً بهدوء. بخير أبي، لقد بدأت أعتاد الرؤية من عين واحدة، اشعر بالضيق احياناً وبالآلم قليلاً ولكني بدأت اعتاد آلامها. أخذ يتجرع المياه بهدوء وما أن انتهى حتى زفر بقوة صائحاً بارتياح وقد كسى العرق وجهه العريض. الجو حار اليوم عن المعتاد اليس كذلك؟. أوماً برأسه هامساً. أجل ابي إننا في نهاية الشتاء. خلع سترته الجلدية السوداء والقى بها بجانبه برفق ثم اعتدل واضعاً ساعديه على قدميه متشابك الايدي رافعاً حاجباه العريضان رامقاً اياه بتعجب وبسمة ذكاء قائلاً. لقد تحدثت مع الطبيب اليوم وأخبرني بأن عظامك في حالة تعافي جيدة جداً وبأن عينك المصابة في حالة جيدة لإجراء عملية الليزر التي ستعيدها كما كانت سابقاً ولكنها بكل الاسف لن تعيد النظر بداخلها. حرك راسه ناظرا اليه بهدوء متدخلا بكرب. ستكون سليمة ولكن عمياء. ثم بدى على ملامحه الصغيرة الحزن والأسى، فتدخل الأب بألم. أجل. زفر بضيق تابعاً بألم. عينك أصبحت امر واقعي بالنسبة لك ولا بد ان تواجه الأمر والا تتهرب نه لأنني لن اتركك تفعل ذلك نهائياً.. لا تقلق أبي لن افعل شيء هكذا بل إني على النقيض الفعلي سأواجه واقعي وبكل قوة حتى اتغلب عليه.. حسناً. تنهد بها وهو يبحث في جيوب سترته الجلدية حتى اخرج علبة سجائره الحمراء. أعلم انه ممنوع التدخين هنا ولكن أسمح لي بتدخين واحدة.. لا باس ابي ولكن من فضلك افتح النافذة قليلاً. تحرك بقميصه الرمادي

الفتاح وفتح النافذة ليستقبله نسيم الهواء البارد المنعش القادم مع أشعة الشمس الدافئة ثم عاد جالسا يشعل سيجارته نافثاً الدخان بشوق وانسجام متدخلا بهدوء وهو كذلك. انا اعرف من فعل بك هذا.. حقاً!! أجابه بلا مبالاة واضحة.. أجل. تدخل سريعاً.. ولماذا لم تقبض عليه.؟. تسائل بذكاء.. انا مستعد لفعل ذلك ولكن إن فعلتها هل ستعترف بأنه الفاعل امام الشرطة.؟ لا. تدخل مسرعاً بضيق ثم تابع بغضب. لن تشفي الشرطة غل صدري ولن تطفئ نيران غضبي ثم إن هذه المعركة لن يخوضها أحد غيري مهما كان حتى انت ابي لن تتدخل بها.. وهل تعتقد بأنك ستنتصر في مثل هذه المعركة. زفر بضجر متابعاً بضيق. إنه خصم أقوى منك. تدلى من فراشه بهدوء متحركاً برفق ليجلس بجانبه هامساً بثقة وعزيمة. وحتى إن لم أنتصر يكفي أن أموت وانا احاول. تبسم بسمة خفيفة مليئة بالإعجاب متنهذا بارتياح هامساً بسعادة. من شابه اباه فما ظلم.. حسناً.. سأدعك تواجه مصيرك بنفسك ولك اعلم دائماً بأني بجانبك في اي حال من الاحوال ستجدي دائماً بجوارك.. أعلم أبي ... أعلم. اراح ظهره على المقعد الإسفنجي الاسود بهدوء متحدثاً. أخبرني ابي!! لماذا تراقب (نبيل) حتى الان.؟. التفت اليه مندهشاً هامساً بحيرة. من أخبرك هذا.؟. ثم شهق من سيجارته متابعاً وهو ينفث الدخان بكثافة. كيف علمت.؟ هل تعتقد بأن (نبيل) هو من تعاركت معه واصابني هكذا.؟. وإن كنت كذلك وانا على يقين بأنك كذلك إذا فبنسبة كم تعتقد بأنه هو الشخص الذي الحق بي كل هذا الضرر.؟ مائة بالمائة. تدخل سريعاً وهو يريح ظهره بجانبه. لا اعتقد ذلك. تدخل بثقة جادة متابعاً بهدوء. انا اعرفك جيداً ابي واعرف بأنك لاتزال متشككاً بشأن حدسك بأن (نبيل) هو المقصود لأنك ان

كنت متيقن من ذلك ولو بنسبة تسعون بالمائة ما لبثت حتى امسكت به وألقيته بداخل السجن ولكنك لم تفعلها لأنك لست واثق تمام الثقة بأنه هو من فعل بي كل ذلك.. اليس كذلك أبي.؟. تنهد بقوة متحدثاً بداخله وهو سميح على شاربه. يا إلهي هذا الفتى يملك عقل محقق من الدرجة الأولى إنه اذكى مما توقعت. هذا صحيح انا لست واثق بانه هو ولكن حدسي لم يخيبني في قضية قط واعتقد بانه فاسد بعدة طر اخرى ولكن أخبرني لماذا تقاثلت مع من تقاثلت.؟. أي سبب كان هذا العراك الدامي.؟. سأخبرك ولكن اريد شيء بالمقابل. تدخل باسماً بتوتر. تقهقر الأخر بصخب هامساً بضحك. بتُ الان تتحدث كأملك ذات المساومة خاصتها. متابِعاً بتنهيذة قوية وهو يطفئ سيجارته. حسناً انا موافق ولك ا شيء تطلبه، هيا أخبرني ماذا تريد.؟. تتنح باضطراب مترددا في تحدّته متلعثما بكلماته لاحظ تردده فصاح به. ماذا هناك.؟. هيا أخبرني ماذا تريد ولا تخشى شيء.!! تنهد بقوة مبعداً تردده متخدلا بتوتر شديد. أي شيء أطلبه.؟. ضم حاجباه العريضان متخدلا بحيرة. أجل ولكن أي شيء هذه تشعرني بالرغبة! أريد سيجارة! الق بها مسرعا بتوتر. اعتلت ملامح الحدة وجهه العريض ناظرا اليه بغلظة. ماذا.؟. هل جُننت يا ولد.؟. تشكلت عينه ملامح البؤس والأسى متحدثاً بياس. لا ابي لم أجن ولكني اطلبها منك أفضل مما افعلها من ورائك، امامك سأدخن واحدة ولكن من ورائك سأدخن علبة كاملة. ولكنك لا تدخن يا بني. تدخل بضيق متابِعاً بغضب. إذا فلماذا السجائر؟ اشعر برغبة في التدخين منذ عدة ايام ولكني لا ازال اقاوم رغبتني بشراء علبة وفي الحقيقة لم اعد أستطيع المقاومة أكثر.. (احمد) السجائر لا تفيد حارقها بشيء بل إنها ضرر لا أكثر تُحرق المال وتُدمر الصحة لا فائدة تُرجى منها،

لذا ارجوك تجاوز هذه الأفكار الضارة من عقلك ولا تستسلم لرغباتك بسهولة هكذا، إن لم تكُ تصدقني فهيا بنا نجوب الطرقات ونساءل أي مُدخن عن التدخين لن ينفك يلعن اليوم الذي تناولها به لأنك إن استسلمت تمسك بجسدك وتقع بعقلك ولن تستطيع الاقلاع عنها إلا بمشقة بالغة.. اعلم كل ذلك ابي ولكني لن استسلم فقط أطفئ رغبتني بوحدة أفضل من أطفئها عشرون. تنهد بياس. أتعلم المثل الذي يقول ما تفعله بأبويك تجده في أبنائك. هذا المثل حقيقي للغاية لأن أبي فعل معي المستحيل لأقلع عنها ولكني لم أكن أنصت له تماما كما تفعل انت الان لا تنصت البتة... حسناً سأعطيك واحدة ولكنها ستكون الأولى الأخيرة هل تعدني بذلك؟ أعدك أبي.. أعدك. تنهد براحة. أخرج سيجارتين من علبة الحمراء بضجر ناوله واحدة ووضع الأخرى بين شفتيه السوداء من كثرة التدخين أشعلها بتأفف ثم أشعل له سيجارته، أخذي ينفثان الداخن بكثافة، بدى منسجماً بسيجارته والأخر مضجراً بفعلته. لقد حققت لك طلبك والان أخبرني لماذا تقالت مع هذا الشخص هكذا!!! اعتدل جالساً واضعاً ساعديه فوق ركبتيه وكان يهم الحديث ولكن قاطع بدئه عندما فتح الباب بعُجالة لتدخل عليهم وهي تحمل أكياس شفافة بداخلها ثمرات التفاح والعنب الأخضر النضج ولكن سرعان ما صُعقت من هول ما تراه صائحة بدهشة. يا ألهي. القت بالأكياس فوق الفراش متحركة بغضب شديد صارخة به وهي تأخذ السيجارة من يده. ما الذي تفعله بحق الجحيم (احمد).؟ هل فقدت عقلك.؟ ثم نظرت له وهو جالس بخجل وهي تدهس على السيجارة بقوة. وانت (فؤاد) كيف تجلس بجانبه هكذا بكل هدوء وهو يدمر نفسه لماذا لم تمنعه.؟ تحرك من فوق المقعد بضجر ليجلس فوق فراشه

بتأفف بينما لا تزال تصرخ بوجه أبيه. هيا أخبرني.. هل انت من عطاء
السيجارة اليس كذلك؟. تدخل بغضب. أبي لا شأن له بهذا الأمر انا من
طلبت منه هذه السيجارة أمي.. حسناً والان انتهى الأمر لم يحدث شيء..
لا. صرخت بغضب متابعة بالمزيد. لم ينتهي الأمر لأنه هو من اعطاك هذا
السم بيده وانت لا تزال مريضاً.. يا إلهي لا اعلم كيف تفكر (فؤاد) اين
ذهب عقلك؟. تدخل وهو ينفث الدخان بغضب. (عزيزة) خفزي
صوتك نحن في مكان عام ... فقط اجلسي وستناقش بهذا الأمر لاحقاً..
لا لن اجلس. صرخت بقوة غاضبة فصاح بها بقوة. لقد قلت اجلسي يا
امراً.. هيا اجلسي. ولكنها لم تلتمس لأمره بل اخذى يصيحان بوجوه
بعضهم البعض بصوت مرتفع للغاية. انت ستفسد الأطفال بأفعالك
المستهترة هذه أيها المُقدم المُربي المُعلم.. أنتِ حمقاء غير مُطيعه
وسيكون العقاب وخيماً. يصرخون ببعضهم أصواتهم متداخله بأذنه وهو
جالس يشتعل غيظا مما يراه فكم يكره تواجدهم معاً في آن واحد فكلما
أجتمع يتواجد العراك والصراخ والمشاكل، فاض به وضاق به ذراع
فصرخ بهم بقوة. كفى ... كفى. زاد من حدة صوته فصمتي ينظران اليه.
نحن ليس بالبيت لهذه المشاكل إننا في مكان عام مليء بالبشر وأنتم لا
تزالون تتعاركون معاً. بني. تدخلت بهدوء فصاح بغضب. لا اريد سماع
شيء.. أرجوكم اتركوني. اريد الجلوس وحدي.

فتحت عينيها بلهفة وشوق مرتبكة بخوف وهلع فازع لتجد نفسها لا تزال
في قلب الخلاء المُشع باللهيب المُصفر وبأن ما رآته كان مجرد أضغاث
احلام ليس اكثر, مسحت جبينها المتعرق بغزاره بهدوء متعب ثم عادت
تريح جسدها المرهق لتستلقي فوق الرمال الناعمة كما كانت ولكن هذه

التارة بجسد متعب وعقل منهك وروح ضائعة متأففة من ارتفاع درجة الحرارة و اختفاء الظل شيئاً فشيئاً حتى اصبحت قدمها تحت اشعة الشمس الحارقة , أين تذهب الان وهى في مثل هذه الحالة المرهقة , فهي قد ابتعدت كثيراً عن الفتاة لتبحث عن الشاب في اتجاهات مختلفة ولكنها لاتزال جهود بلا ثمار حتى الان فلم تعثر عليه او على اي شيء يقربها منه وكأنه اختفى من الصحراء تماماً ... بغس الحظ إن كان قد لقي حتفه ..ابتعدت بقوة متوترة تتساءل بداخلها هل تم إنقاذه وعاد للمدينة ؟. أم تم اسره من قبل رجال (عصام) ...؟ أم ذهب بغير إدراك منه باتجاه سوق الدماء وامسكوا به.؟ أم انه لقي حتفه لقلة المياه والطعام.؟. فهو شاب بسيط لا يعرف كيف يجلب طعامه هنا وايضاً لن يعرف الطريق للآبار للتزود بالمياه.؟. جذبت قدميها من شدة احتراقها الى الظل الهادئ بثنيهما بالقرب من صدرها ثم اخرجت سماعة صغيرة من الشريط المعقود حول خصرها واضعة اياها بأذنها على أمل ان تكون الفتاة قد عثرت عليه أو تنفوه بشيء ما عنه , فتحت قارورتها العسلية وتجرعت بضع رشقات من المياه الباردة لتنعش روحها مغلقة اياها حيث كانت بداخل حقيبتها السوداء ثم عادت لتستريح بتنهيدة قوية مغلقة عينيها الواسعة , مضت لحظات سكون هائلة تحملها الريح الهادئة بين كفيها الرملية الدافئة الى نسيم الهواء الدافئ الذي يتسلل من خلاله نسمة باردة منعشة أعاد لروحها الارتواء بحنان وفي ظل انسجامها ببرودة النسيمات الهائلة تسلل الصوت الصارخ عبر أذنها بقوة , فقفزت واقفة بهلع وتوتر صائحة بسعادة غامرة . إنها تتحدث مع احدهم ... قد يكون هو ... قد يكون هو ..! فأخذت تتلفف حولها بارتباك وكأنها تبحث عن شيء ضائع منها ولكنها لا تدري ما هو, ظلت تائهة بحيرة لحظات طوال متمسرة

بمكانها لا تتحرك لأي اتجاه وهي لا تزال تتلفت حولها بلهفة وشوق
وعندما استفاقت اخذت تعدو بسعادة لأعلى قمة رملية متوسطة لارتفاع
مائلة للأمام بشدة كثيفة الرمال مستطيلة القوام، اجتازت منتصفها
تصرخ بدهشة. الحقيبة. فسعادتها انستها حقيبتها التي يتواجد بها كل
مقاومات الحياة فهبطت والتقطتها ثم عادت في ثوان معدودة ولكن هذه
التارة تشعر بقليل من الإرهاق الجسدي و التدخل بعضلات اقدمها
فتوقفت تستريح لحظات تلتقط انفاسها بهدوء وارتياح ولهيباً شغوفاً
يزداد في فؤادها وهو يصرخ شوقاً , اسرعي يا فتاة إلى حبيب القلب
ينتظرك هناك فكم تتطلع لرؤياه فأخذت تصعد بإصرار قوي وعزيمة
متفانية حتى وقفت إلى اعلى القمة ضاحكة العينين باسمه الأمل فأملها
لايزال على قيد الحياة فأخذت تتطلع لأموج الرمال الصغيرة أمامها التي
تملاً لوحة الفلاة صارخة بقوة وسعادة وهي تحدد المسافة التي تفصل
بينها وبين حلمها , حلم الصبى وحلم الحياة ..

انا. قادمة اليك أخيراً. أيها الشاب ... انا قادمة..

ثم اخذت تهبط مسرعة الى الأسفل لتقترب من أملها في الحياة.

لحظة توقف فيها الزمن

الحياة غريبة بطبعها ام نحن الغرباء فيها؟ هل هي مجرد ايام تقضى خاتمها الموت ام الموت فقط البداية ايهم الصواب وايهم الخطأ لا اعلم ماذا يحدث لي ولماذا تتردد كل هذه التساؤلات بداخلي هل كل ذلك لان النوم يجافني منذ الليلة الماضية حتى الان؟ الان حين السماء الغائمة والسحاب الملون الزاهر اجمل الاوقات مقربة الى قلبي ومحبا الى نفسى ، حين الغروب حين مقربة الى انسداد ستار الظلام بذهاب القرص الدامي عن الوجود لليلة طويله الامد اخذ معه الحر الشديد جالبا اخر من جنسه ولكنه ليس بمتشابه تنهدت بقوة ساكنا جسديا ولكن عقلي منهك للغاية في بحور افكاره ولا ازال تائها بين شواطئ الذكريات من الليلة الماضية حتى الان جلست اراقب الفتاة نائمة أمامي بقلق يجافيني النوم فلا انام تنهال على الذكريات منذ ان ادركت الوعى حتى يومي هذا ببطء شديد رأيت حياتي تمر امام عيني من جديد ولكن ببطء كسلحفاة مسن سقيم اه.....ذكريات مؤلمة.....قلقة.....مشوشة....سعيدة...واخرى طبيعية ولكن يكسوها الفراغ...الفراغ كان يسود ايام حياتي كلها فراغ نفسى...عقلي...فكرى

وفراغ جوارحي ولكن اكثر ما كان يؤلمني هو فراغ القلب وهذا الفراغ كان ولا يزال يدعو صاحبه العزيز الا وهو الحزن يدعو ليسكنه بداخله. لذلك كنت طوال الوقت حزين...دائما ابكى بداخلي على حالي فكنت ارسم الابتسامة على وجهي حتى لا يشعر الناس بحزن قلبي ولا يرون دموعه الدافئة متألم النفس مكلوم واخبرهم بأنى بخير حال , يتعصر قلبي حزنا اليما فأقول لهم بأنى سعيد...سعيد جدا, لطالما اعتقدت بأنى خادعهم ولكن في حقيقة الامر لم اكن اخدع الا نفسى وهذه اكابر سيئات أعمالي واعظم عيوب نفسى بأنى دائما ما اخدع نفسى بإغلاق عيني عن رؤية حقيقة الامر البارزة كضوء الشمس الوهاج امام كل الخلق!!!يهينونني بسب وقذف والقاب غريبة فاخدع نفسى بقولي لابد وانهم حاقدين على تفوقى عليهم اضرب واسرق فأقول كن محسنا واكظم غيظك واعفو عن من اساء اليك ولكن بطبيعة الحال لم اكن كذلك البتة بل كنت اسرع لأتوارى عن الانظار لأبكى حزنا عل حالي وياسا من ضعف قوتي التي لم تمكنني من الدفاع عن نفسى ورد الاذى عنها مطلقا وهذا الامر هو ما يجعلني لست بحزين لتواجدي هنا وانحصاري بداخل هذه الصحراء لأنى اخيرا ادركت بان الله أرسلني هنا لأتعلم من أخطائي واصبح رجلا يواجه الصعاب والمخاطر ولا يكرر فعلته ويهرب من مواجهتها فهنا لا سبيل للهرب من الواقع الا بمواجهته وتحديه للنجاة لذلك لن اهرب من هذه الصحراء الا بعد ما انتقم من الساحرة اللعينة التي أهانتني وأذلتني بئس الالهانة والذلة المخزية واعتقد بان هذا هو التحدي الذى وضعه الله لي بهذه الصحراء لادرك حجم التغيير الذى سأصبح عليه. اجل انها هي. تنهدت بها بقوة وانا ممتلئ بالحماس والعزيمة ولكن سرعان ما سكنت هادئا وفي سكوني أتاني الصوت من داخلي متحدثا بهدوء.. وما يدريك بان

كل ما قمت باستنتاجه صحيح؟ فما اراه بانك لاتزال كما انت تحاول تفسير الامر كما تريد كي تريح نفسك وتشعر ببعض من الرضا بحالك!! تنهدت باضطراب اللعنة. هذا الصوت اللعين دائما ما يشككني بذاتي ولكنه في ذات الوقت لا يخطئ زفرت بقوة متسائلا بضجر يملاني الشعور بالريبة.. ان لم يكن ما قمت باستنتاجه صحيحا او اقرب للواقع فما يكون الاستنتاج الصحيح برأيك ايها المغتر؟ ضحك صاحبا بتقهقر..

حسنا...حسنا...سأخبرك ولكن لا تتحدث معي بغضب هكذا...ما اود اخبارك به هو لربما انت هنا لسبب أكبر وأعظم مما فكرت به بكثير!! يا للهول! هل اصبت بالجنون ام ماذا يحدث لي؟ هذا الصوت اللعين يحدثني وكأنه شخص اخر؟ انا ارى بانك لا تفك تقول انت وكأنني شخص اخر...الا تدرك باننا ذات الشخص، فانا هو انت؟ فأجاني بهدء..

اجل اننا ذات الشخص ولكننا مختلفون!! كيف ذلك؟ تساءلت بحيرة. جميع البشر يتحدثون بداخلهم طوال الوقت ولكن قليلون منهم ما يدركون طبيعة الاصوات المجيبة لهم...لا داعى للخوض في هذا النقاش الطويل لأنك لن تدرك الكثير منه ولكن اقرب مثال الجميع يعلم بأمره حتى انت بان ربنا سبحانه وتعالى اخبرنا في كتابه الكريم بان النفس على ثلاثة اشكال لوامة، امارة بالسوء و مطمئنة وهناك الكثير بجانبهم بعضهم خارجيا وبرزهم القرين الملعون الذى يوسوس لصاحبه طوال الوقت بارتكاب المحرمات وفعل المعاصي هذه نبذة عن هذا الامر الذى يطال فيه الشرح لأيام اما بأمرنا انا وانت فانت العقل الواعي المدرك لما تراه وما تلامسه خلال ايام حياتك وما يحفظ في ذاكرتك الواعية اما انا الاذكى والاكثر ادراكا والاعظم عمقا انا احفظ ما تنساه واتذكر ما قد غاب عن ادراكك انا عقلك الباطن صاحب القرار السليم والرأي الحكيم

الصواب ما اقول والنصر دائما حليفا لي انا اذكى ما فيك وابرع ما بك
بداخلي كل طاقتك وبيدي كامل ارادتك...انا المخزون بداخلي سيرة
حياتك المتحكم بطرف العين حين الشعور بالخطر وردة فعل الجسد
عن الاحساس بالضرر حتى قبل ان يدركها عقلك الواعي هل علمت من
انا .؟. اللعنة لقد أصابني بالصداع الشديد وبت الحظ انهماك قوتي من
قلة النوم ولم اعد ارغب بالحديث مع نفسي مجددا...ولم اعد أفكر في
شيء سوى النوم ...النوم فقط...اريد الغرق بداخله ولكنه يجافيني
فصدق من قال إذا طلبته رفضك وإذا طلبك غلبك...لن تستطيع النوم
وانت تفكر بحيرة فالفكر عدو النوم وانت تفكر كثيرا. اللعنة!!هذا الصوت
للعين لا يتوقف.. توقف ارجوك.. لا لن اتوقف حتى اخبرك بكل ما اريد
قبل ذهابي ثم انت من يطلب منى الخروج. كيف ذلك.؟. تساءلت بكلل.
عندما ينهك عقلك الواعي من كثرة الأفكار و قلة النوم يبدئ في طلبني
حتى لا يتوقف وتموت لا يهم ...ودعك من هذا الامر وتعال معي اريك
شيئا هاما...فأخذتني الذكرى لهنالك في الظلام بجانب البئر عندما وضعت
الساحرة قدمها القذرة فوق وجهي تدهس راسي بالرمال وعاودني
الصوت هامسا بداخلي. هل تتذكر هذه الليلة؟...بالتأكيد فهناك بدأت
تشعر بالغضب وهناك اقسمت بالانتقام!!بالتأكيد لم تنسى هذه الليلة
حتى تنتقم لنفسك ولكني اريك اياها مجددا لأجعلك تدرك شيئا هاما
لللغاية لم يدركه عقلك حتى الان وهو ما تريده منك هذه الساحرة
؟!!هل تفكرت في ذلك الامر من قبل .؟. لربما ما تريده منك شيء أكبر
من انتقامك: اليس كذلك؟ ولكن ليس هذا هو كل الامر بل هناك عدة
ذكريات لابد ان اخبرك بها بجانب هذا واولها هو سؤال طرحته على
نفسك من قبل ...لماذا الشخص الذي انقذك من لدغة الثعبان قام

بتعليقك من قدمك هكذا؟ وعن اي شي كانوا يستجوبونك عن ماذا يبحثون؟ ومن اجل اي شيء قطعت اوتارك المضمدة حتى الان بالم؟ وايضا السؤال الذي كنت تريد سؤاله للعجوز (فرانك)؟ وما الذي يخيفه هكذا ليظل مترددا في اخبارك بما حدث معه طوال الوقت الذي قطعتموه معا؟. وما يا ترى الذي حدث له ولايته؟ لذا فانا متيقن بان الامر اكبر من انتقامك الشخصي بل هناك شيء خطير يحدث بداخل هذه الصحراء!! لذلك اعتقد بانك هنا لأمر عظيم سيغير مجرى حياتك الى الابد... تنهدت بقوة متحمسا من هول شعوري بالقوة بداخلي التي تتزايد مع دقات قلبي العالية المتزايدة. هذا صحيح!!.. انه محق كعادته ربما انا هنا لشيء اعظم من انتقامي الشخصي او التكفير عن سيئات اعمالى وياس افعالي... كيف لم انتبه لهذا الامر من قبل... كيف؟... كيف!! تنهدت بها ناطقا اياها بحيرة وانا اراقب ترفرف الرمال مع الريح الهادئة امامي لم تمضي لحظات حتى فزعت مرتجفا من صرخة الفتاه عن يساري .. لماذا تتحدث مع ذاتك؟. زفرت بهلع وانا انظر اليها هامسا بارتباك. لقد أفرغتني جدا انسة. ضحكت بسعادة اسفه لم اقصد... لقد ظننت بانك رأيتني وانا قادمه. لا... لم انتبه البتة. تحدثت بضجر من هول فزعتي. انا اعتذار منك كثيرا ايها الشاب. فتمثلت الضجر فأخرجت شيئا من حقيبتها واخفته خلف ظهرها هامسة بسعادة وهي تنظري هيا أخبرني ما الذي اخبئه خلف ظهري؟ فتبسمت رافعا حاجبائي الغليظان محركا يدي بحيرة وما أدراي؟. خمن ذلك. تدخلت بهدوء وهي تحرك راسها بحيرة حسنا انت كنت ذاهبة للصيد وبما أنك أخرجته من حقيبتك فلن يكون شيئا ضخما إذا فهو صغير الحجم إذا فماذا قد يكون؟ فتوقفت حائرا بداخلي وانا انظر اليها حتى وقعت عيني بداخل عينيها رباها انها

فاتقة الجمال ولكن تأثير هذه العين البنية في نفسي ليس كتأثير عين الفتاه الزرقاء التي مزقت أوتاري فرفعت يدي ناظرا الى ضمادها الذي أصبح اسود اللون من كثرة الاتربة عليه وهي لاتزال تؤلمني من حين لحين اشعر بوزغة مؤلمة جدا بها قاطعت الفتاة أفكارى متسائلة بحيرة وهي تشير الى يدي ما هذا؟ قد يكون الذي خلف ظهرها ارنب بري فصحت بها هاربا من سؤالها فانا لم اعرف هذه الفتاه حتى الان تمام المعرفة وبكل حال لن تصدق قصتي ولن الومها فانا حتى الان لم أستطيع تصديقها قد يكون ارنب بري. ارنب؟ ضمت حاجبيها الرفيعان مستغربة فتدخلت مسرعا وانا ارخى يدي تحت قدمي المثنية - اجل الذي خلف ظهرك. رفعت حاجبها بتعجب. وهل يعيش الارنب بالصحراء.؟ فحركت رأسي ويدي دليلا على عدم معرفتي فصاحت بتعجب كبير. هل حقا لا تدري.؟ بكل الاسف لا اعرف شيئا عن الصحراء تامة. هل هذا صحيح.؟ تساءلت بحيرة فحركت رأسي للأعلى وأسفل بهدوء. إذا كان ذلك صحيح فما الذي تفعله هنا.؟ تساءلت بمرح. ما الذي تفعله انت هنا.؟ تساءلت بذكاء فبدى على ملامحها التوتر والحيرة تهمس بارتباك. انا.. انا... انا هنا من اجل بحث علمي عن الصحراء. ثم صمتت ناظره للأسفل بحيرة كبيرة، بالتأكيد لم اصدق ذلك ولكنى تماشيت مع الامر فضمامت حاجباي هامسا بحيرة. بحث علمي.؟ من أي جامعة.؟ رغم عدم معرفتك شيئا عن الصحراء الا ان تخمينك كان صحيحا انه ارنب بري. تحدثت بلهجة سريعة الارتباك والحيرة بجانب القلق يتصدران نبرة صوتها الناعم ثم رفعت يدها وهي تحمل الارنب الرمادي اللون صغير الحجم سمين الجسد. لقد فعلت مثلي هاربة من موقفها الحرج، زفرت بقوة حائر بداخلي ما بين اخبارها بما حدث معي أم

لا، ظللت حائراً لحظات طوال ثم قررت إخبارها ولكن قبل نطقي جاءني الصوت بداخلي. لا تخبرها بالحقيقة ولكن أخبرها بشيء قريب منها. ولماذا الكذب إذا؟. تساءلت بقلق. لأنك لاتزال حائراً في امرها وهذا لأنك لم تثق بها حتى الان وإلا لكنت أخبرتها بكل شيء في الليلة التي أنقذتك فيها، الليلة البارحة. وبماذا أخبرها إذا؟. تساءلت بحيرة. أي شيء!.. - وماذا يكون أي شيء هذا؟. أخبرها بأنك كنت ذاهب في عطلة ... ثم توقف صائحاً. تحدث معها وانا سأخبرك بما تقول حتى لا تنسى شيئاً فإن الكذب يُنسى سريعاً ولكن حاول الهدوء حتى لا تعلم بأنك تكذب. حسناً سأتحدث معها. فتمثلت الحزن في قراره صوتي قائلاً بهدوء. أعلم بأنك لا تزالين حائرة في وضع ثقك بي لأنك لم تعرفين من اكون أو من اين أتيت وماذا أفعل هنا ولكني سأخبرك بكل شيء حتى تطمئني ولا تفزعني ... كنت أهم المتابعة ولكنها قاطعتني قائلة. ليس عليك فعل ذلك إن لم تكن ترغب به، لا بأس معي إن حفظت سرک لنفسك.. - لا بأس. تدخلت سريعاً متابعاً بهدوء. فليس في الامر اسرار وايضاً لربما ساعد أحدنا الآخر في محتته.. انا (هادي عبد العزيز) كنت ذاهب في نزهة انا وأصدقائي بسيارة أحدهم ... فتوقفت متسائلاً بداخلي ما لون السيارة؟. فصاح في بغضب لا داعي لذكر لونها ايها الأحمق هيا تابع حتى لا نخطئ في شيء ، تبسمت لغضبه متابعاً كنا نمرح سعداء فتحركنا بجانب الصحراء على الطريق الأسفلتي السريع ولكن المرح انقطع سريعاً عندما وجدنا حاجز أمامنا من الصخور يقطع الطريق وامامنا أناس ملثمين يشهرون اسلحتهم في وجوهنا حاول صديقي التوقف ولكنه كان مسرعاً بقوة فاصطدنا بالصخور ثم عم الظلام وشعرنا بأننا أموات لا مفر ولكن سرعان ما عاد لي الوعي لأجد السيارة على رأسها تحركت

للخارج مسرعاً وفي حين خروجي علقت يدي اليسرى بالداخل تحت
جسد احد اصدقائي فنظرت حولي فرأيت احد المثلثين يقترب مني
فأخذت أجذب يدي بفزع وهلع شديد حتى استطعت ولكن مجروحة
بشدة ثم أخذت أهرع هارباً الى الداخل وخلفي أحدهم يتقهقر بصوت
أجش غليظ مخيف بداخلي يقرع قلبي بقوة , ظلت أعدو و أعدو حتى
استطعت الهروب منه ولكني أدركت بعد فوات الأوان بأني أهلكت
جهازي التنفسي وأخذت اعاني من نوبة ربو حادة حتى اغشى علي ..
استيقظت في المساء لأجد أمام عيني ساحرة مخيفة تحملني على
اكتافها لتلقي بي بجانب البئر بعدما ركلتني بقوة في وجهي واخبرتني بان
الفتاة ستاتي لإنقاذك بعد ثلاثة ليال في المساء فلا تبتعد عن هذا المكان
وها انا ذا، فقط لو كنت أستطيع القتال لواجهت هذا المثلث وأنقذت
أصدقائي.. يا للهول.. هذا مرعب جداً. تحدثت الفتاة بارتباك ملحوظ.
تنهدت بقوة مفرغاً ما بداخلي من خوف فلقد أخافتني هذه الكذبة كثيراً،
اللعنة على ذلك الصوت اللعين إنه يعتمد إخافتي بسرده السريع
المربك لقد أفزعني حقاً ولكن ما أوقع قلبي بقدمي هو صرخة الفتاة
المفاجئة صائحة بعجالة. أجل.. أجل. لقد هاجمني شخص ملثم وكان
يبحث عن شاب بأعين زرقاء لابد وأنه كان يبحث عنك. ثم نظرت لي
تتمعن بداخل عيني. أرني عينيك إنه أنت بالفعل، إنهم زرقاوان جداً.
اللعنة.. ما الذي يحدث؟. هل تخدعني هذه الفتاة أم ماذا؟. فكل ما
اخبرتها به محض كذب لا أكثر!. ضمنت حاجبائي متسائلاً باستغراب
شديد. حقاً! أقسم لك بذلك. تدخلت بثقة مسرعة بقوة أقلقتني كثيراً،
يا لحظي الأسود اللعين، لقد انقلبت الكذبة على صاحبها كما تفعل
دائماً.. ربما لم يكن انا من يبحث عنه، ربما كان يقصد شخص اخر.

تحدثت مهدي لروعي قليلاً.. ربما معك حق. تدخلت بهدوء متابعة بحماس. ولكن لا تقلق يمكنني مساعدتك بخصوص امرهام.. وما هو..؟ تساءلت بقلق.. أستطيع تعليمك القتال، حتى تتمكن من حماية نفسك.. حقاً! بالتأكيد ولكن مقابل شيئاً ما.. وما هو..؟ تساءلت بهدوء.. سأعلمك القتال في مقابل أن تحدثني عن الحب.. الحب..؟ تساءلت بحيرة واضحة فلم اتوقع ذلك البتة. فأجابتنى بخفوت هامس. أجل!!! تبسمتُ ضاحكاً. أنتِ تسألين الشخص الخاطيء عن الحب سيدي.. أتذكر بأنك اخبرتنى ليلة أمس بأن عطر الياسمين خاصتي يذكرك بحبيبتك في المدينة أليس كذلك..؟ هل قلتُ ذلك حقاً..؟ تساءلت باستغراب فانا لا اتذكر.. أجل. أجابتنى بضجر. ربما فعلت ولكني لا اتذكر ذلك.. على أي حال انا موافق ولكن متى نبدئ بذلك..؟ تستطيع الحصول على قسط من الراحة حتى أنتهي من طهي الطعام ثم نتابع اتفاقنا.. حسناً. فهمت التحرك فتساءلت بعدما وقفت. أنتِ لم تخبريني أسمك حتى الان آنسة...؟ أسمي ك... نطقت حرف الكاف ثم توقفت لحظات متابعة بتوتر غير ملحوظ. (كريمة).. أسمي (كريمة). فتبسمتُ بهدوء وانا أمد يدي لمصافحتها. اتفقنا آنسة (كريمة) علميني القتال وسأخبرك عن الحب كما تشائين. فحركت يدها ممسكة بيدي تصافحني بسرعة وسعادة. أجل...اتفقنا.

في لحظات الشمس الأخيرة قبل أن تتراخي بعيداً في غروبها جالسة فوق عرش السحاب تعطى العالم بريق أرجواني مائل للاحمرار هادئ للنفس منعش للروح وملهم لكثير من الأرواح ليس فقط البشرية ولكن لجميع الكائنات تذهب بلطف ودفي مريح بعد لهيب دام لساعات طوال , تترنح

الرياح بسعادة ما بين الوان السماء الهادئة الآخذة للعيون والآسرة للرقاب تتطلع اليها رغما عن صاحبها جمال أخذ ونسيم بارد جميل يروي الوجوه نضارة ونذير بقدوم ليلة باردة تتحرك الرياح عالياً تحمل بين كفيها الطيور في كون متناغم الأوتار متلائم الخيوط في تواصل الجميع ينبع الكمال فهو خلق الله مُبدع الوجود سبحانه وتعالى عن كل شيء سواه، في قلب الخلاء بين امواج الرمال الناضرة الجذابة بلونها البديع رفعت يدها بمستوى أكتافها تصرخ وتصيح سعادة في مواجهه الريح المتجاوبة لسعادتها فقد عثرت على مبتغاها ولا يفصل بينهما إلا خطوات , لا يهم مقدار الشقاء , لا يهم بُعد المسافة وإن كانت أميال طويلة فكل ما يهم هو روعة اللقاء وتقابل الانتقاء لتكشف له الغطاء , أسدلت يديها برخاء تتساءل هامسة وسط الرياح ترفرف رداؤها الأبيض الفضفاض , أكل هذا حدث فقط من لقاء .؟ وأي لقاء يفعل كل ذلك بقلب قد أسكنه الرخاء؟ قلب قد انغمر في لذة الدماء وحب الصراخ وعشق الألم قلب انبعث من جديد يقرع بأجمل الأوتار وأعذب الألحان فقط من لقاء ... فقط من نظرة واحدة في قلب عينيه التي أذاقتها في صعودها كل أنواع الشقاء ولكن لا يهم فقد اقترب موعد اللقاء بالحبيب الغائب , أخرجت صديقتها لتسرد لها كل جديد وتقص لها عن رؤياه وتبث همومها بداخل صفحاتها البيضاء ... مذكرتي العزيزة كيف أحوالك عزيزتي , لقد جلست اكتب لك شيئاً حديث عهد على قلبي , مشاعر لم أذوق طعمها العذب من قبل فأنا جِدُّ سعيدة من هول سعادي أريد الصراخ والصياح في كل العالم ... أريد الرقص مع الذئاب و النوم بأحضان الثعابين فوق فراش من عقارب ..أريد.. أريد السباحة فوق الرمال والان أستطيع القتال وإن كان ضد جيش كامل مكون من آلاف الرجال ومع

كل هذا الجمال في روعة الدلال، دلال المشاعر إلا إني خائفة! خائفة ألا يعرفني وأن ينكرني وقد اكون واثقة من حقيقة مشاعري ولكن كيف أثق من مشاعره فهو حتى الان لا يدري بأني من أبحث عنه كما اخبرته هذه الفتاة الحمقاء كم أريد تمزيقها الان بشدة كي اكون انا من يُعلمه القتال... فأنا من يُريد!.. فلقد تمنى رؤية وجهي كفتاة.. وانا هنا لتحقيق هذه الأمنية الغالية على قلبي ولكن مع شدة رغبتني للقاءه إلا إني جِدّ خائفة من هذا اللقاء ولا أدري ماذا افعل..؟. حقاً لا أدري ولكنني سأنتظر الفرصة المناسبة للقاءه في خصوصية تامة وانفراد خالص كي أخبره بكل ما في قلبي حتى أستريح من هذا الهمّ المثقل على كاهلي الشاعل بفؤادي ليل نهار.. أجل سأنتظر. أغلقت دفترها واضعة إياه بداخل حقيبتها ثم تحركت تهبط بسرعة كبيرة لأسفل القمة الرملية المرتفعة بخطوات ثابتة واسعة المجال كي لا تسقط، هبطت بسلام وهدوء أخذت تتحرك صاعدة اخرى بعيدة بخطوات حتى وصلت لقمته تستلقي على وجهها تراقبهم من بعيد وهو نائم والأخرى توقد النيران، زفرت بقوة هامسة بهدوء وحماس. سأنتظر اللحظة المناسبة.

مستلقٍ فوق فراشه واضعا يديه متشابكة الاصابع خلف راسه يتطلع للتلفاز بوجه بائس وملامح مستسلمة يراقب الحيوانات المفترسة كيف تمزق فرائسها بعد ان تنقض عليها بعين بارده ولكنه لا يشعر بالإثارة ولا بالتشويق القديم , إنه لا يشعر بشيء إطلاقا ... لا شيء فقط سكون داخلي قاتل يُثير غضبه بشدة فقد تولد هذا الشعور بداخله من الفراغ الطويل الذي يمضي معه أيامه بصعوبة بالغة , فهو غير معتاد على هذا الانغلاق على نفسه بداخل غرفه واحدة لأيام طويلة , زفر بغضب وهو

يعتدل جالساً ينظر حوله بقنوط متعاطم فاستقرت عينه على كتب
دراسته متسائلاً بداخله , يتطلع عليها لإبعاد هذا الفراغ القاتل ولكنه
أبعد ناظره بغير رغبة في قراءة شيء يزيد من ضيقه الكبير , التقط
الريموت من فوق الطاولة الصغيرة بجانب الفراش وأغلق التلفاز سريعاً
ثم وضعه بين فخذه جالساً حائراً بداخله أي شيء يفعل يضيع عنه هذا
الفراغ , فأرعى جسده فوق الفراش واضعاً يده أسفل خدادتيه الريشية
البيضاء وأخرج هاتفه الحديث واخذ يبحث بداخله في قائمة الاسماء ظل
يحرك قائمة الأسماء حتى وضع إصبعه فوق (نبيل) ..! ثم نقر نقرة
أخرى واخذ الهاتف يُجري عملية الاتصال لم تمض لحظات حتى نقر
فوق إنهاء الاتصال فلا فائدة من الاتصال بعدوه في لحظات الاستسلام
وبلا شك سيترك انطباع خاطئ عند الآخر, عاد محرراً القائمة حتى
استقرت عينه امام (هادي عبد العزيز) فهمس بداخله أين انت صديقي
العزيز.؟! ظلت عينه فوق الاسم حتى اخذته الذكرى فتبسم متنهداً بقوة
عندما أخذ قلبه بضخ مشاعر الاشتياق والحنين بداخله ثم اتسعت
الابتسامة على وجهه أكبر مما كانت وأكثر اتساعاً حتى كشف عن
نواجذه البيضاء عندما كانوا يتحركون في طريق إسفلة نظيف بجانب
الجامعة وهم ذاهبون إلى منازلهم بعد انتهاء يوم دراسي طويل وشاق
يحملون دفاترهم بين أيديهم يراقبون الشباب وهم يتحركون بجانب
الفتيات متشابكين الايدي ينضر على وجوههم السعادة.. سعادة الحب
والهيام ضغط على نظارته الرفيعة بإصبعيه هامساً بهدوء. كلما رأيت
مشهد مثل هذا ينتابني سؤال بداخلي ذات السؤال يتكرر كل تارة.. وهو
ما الذي فعله هذا الشاب ليصادق هذه الفتاة ويقعون في حب بعضهم
البعض.؟! التفت اليه متبسم الوجه مُجيباً بضحك. لقد أخذت الكلام من

فوق شفتاي ... لقد كنت أهم سؤالك ذات السؤال!! ولكن ماذا تعتقد (هادي).؟. ما الذي فعله هذا الشاب.؟. تنهد بضجر صائحاً بكل. لا أدري.. حقاً لا أدري ربما هي طريقة في الحديث جذابة او ملابس راقية وربما تسريحه شعره.. لا أدري.. ولكن الذي يثير غضبي أنك إن نظرت الى الشاب ثم نظرت الينا قد تجدنا أوسم منه بمراحل كثيرة إذناً فالأمر لا يتعلق بالوسامة ربما الأمر متعلق بالتوافق الروحي بين الشاب والفتاة. كيف ذلك.؟. تساءل بحيرة. التوافق!! أجاب سريعاً وهو يحرك يديه تجاه بعضهم البعض. اجل سمعتك التوافق ولكني لم افهم مقصدك حتى الان.؟. رفع حاجبه من فوق نظارته رامقاً إياه بنظرات التعجب الغاضبة مما جعل الاخر يقهقر ضاحكا بسعادة. أنت تقصد الانسجام بينهم اليس كذلك.؟. أجل. أجابه بضجر ثم تابع بحق. ثم انت لا تتحدث بهذا الشأن إطلاقاً لأنك تحب أحدهم وقلبك ينبض بهذه المشاعر الراقية أما انا فلم اقم بتذوقها حتى الان بكل الاسف مع أني طواق لذلك وقد دفعني هذا الهيام لأغير مظهري كل يوم وكل أسبوع أمشط شعري بطريقة مختلفة كي أجدب انتباه إحداهن ولكن يبدو بأن الحظ الأسود يلاحقني حتى في الحب.. ضحك (أحمد) صاخباً هامساً بسخرية. أنت عدو المرأة يا صديقي. أنت عدو المرأة.. أعادته طرقات الباب حيث هو مستلقٍ فاعتدل جالساً صائحاً بقوة.. - تفضل. فُتح الباب بهدوء يكشف عن رجل يرتدي رداء أبيض نضر يرتدي نظارة طبية رقيقة يحمل في يده عدة ورقات بيضاء وقلم، المريض (احمد فؤاد) ...؟ تساءل بهدوء. أجل. أجابه مسرعاً بينما تحرك الاخر للداخل وهو يمد يده ليصافحه هامساً بابتسامه عندما أمسك يده. الطبيب (سامح السعيد) المسئول عن إجراء عملية الليزر لعينك. مرحباً بك سيدي. تدخل وهو يرخي يده من قبضة يده

الرفيعة. تراجع للخلف قليلاً وهو يتطلع بالأوراق قائلاً. هذه الإجراءات التي تم اتخاذها بشأن عينك تقول بأنها عين عمياء. هل هذا صحيح.؟. أجل. اجاب بهدوء. رفع عينه فوق نظارته رامقاً إياه بتعجب. كيف حدث هذا.؟. كاد أن يجيب ولكن قاطعه الآخر مسرعاً وهو يقترب منه. أسف لا أقصد التدخل في شؤونك الخاصة ولكن لابد أن تكون المعلومات دقيقة حتى يتم الأمر بالطريقة الصحيحة المناسبة لحالة عينك ... وما اقصده هو كيف فقدت عينك الرؤية.؟. لا باس دكتور ... لقد فقدت عيني في عراق خاسر. اسف لسماع ذلك.. ولكن هل تسمح لي برؤيتها.؟. تسائل برفق. خذ راحتك دكتور. فاخذ الطبيب يزيل ضماد العين بهدوء حتى كشف عنها وهي مغلقة فوضع إصبعيه على جفنيه محركاً إياهم لفتحها بهدوء ثم اخذ يتفحصها بتمعن وهي لاتزال داميه بشدة. تنحنح مبتعداً وتعلوا ملامحه نظرات الأسي مما رآه متنهداً بهدوء لابد وأنت كنت في عراق مميت (احمد) ولكن لا تقلق بفضل الله ستعود عينك كما كانت سالمة بعد إجراء العملية سأكتب لك قطرات خاصة ستزيل تجمع الدماء في عينك لتعود الحدقة بيضاء كما كانت.. إذا هل أنت مستعد للعملية ...؟ متى ستتم.. - الان.؟. تدخل مسرعاً. رفع جفنيه ناظراً اليه بعينه المبصرة والمظلمة متنهدا بقوة

استيقظ معتدلاً جالساً بعجالة فمن أمره فوق فراشه الحريري الواسع الكبير بجمول , أخذ يتطلع لساعة الحائط المربعة الأنيقة ليتفقد الوقت فأعاق رؤيته الضوء الأزرق الوهاج النابع من شاشة التلفاز الضخمة العريضة وهي تبث فيلم قتالي ساخن بالمعارك , يتوهج الضوء مشعاً بداخل الظلام الساكن بالغرفة الواسعة , حرك يده مسرعاً ليمنع الضوء

عن عينيه الخاملتين بالنعاس , تدلى من الفراش ذو القوائم المستطيلة وحافة دائرية أنيقة بملابسه الداخلية السفلية فقط وصدر عار مفتول بالعضلات الغلاظ في شتى أنحاء صدره وظهره وبطنه وزراعاه وحتى رقبته وقف بترنح بطيء أمام شاشة العرض الكبيرة مدقق النظر بداخل ساعة الحائط ليجدها السابعة والنصف , تحرك عن يمينه بترنح سكير قوى متوجهاً الى ثلاثه الفضية الكبيرة , جذب مقبضها بقوة وتمائل قليلاً يتطلع بداخلها فأخذت عينيه تبحث في خيرتها وملذاتها الكثيرة من خمور ومياه غازية ولحوم والكثير غيرهما ممتلئة عن اخرها , جذب زجاجة خمر حمراء وأخذ يتجرع منها بنهم شديد حتى أرتوى وما أن انتهى منها حتى وضعها فوق الثلجة متحركاً لخزينة ملابسه الموضوعة بنهاية الغرفة بطريقة الغرب بداخل الحائط , جذب منشفة سوداء واضعاً اياها فوق كتفه عائداً الى الجهة الاخرى متوجها الى مرحاضه الملوكي التنظيف والجدران السيراميكية العسلية ذات النقوش الزيتية المتشعبة بجانب بعضها البعض كأغصان شجر الجوز الصغير الناضج وحوض اسود داكن بجانب سماعات المياه المربعة الضخمة ومزيج كبير من مختلف انواع سوائل الاغتسال , اغتسل سريعاً ثم خرج يتقاطر من جسده المياه بغزاره فوق السجاد الأحمر الناعم , أخذ يرتدى ملابسه بهدوء , قميص قطني أسود ضيق مشدود يظهر عضلات جسده وضخامة زراعاه وبنطال قماشي ثقيل أسود اللون مخلوط بالبياض الداكن وحذاء بنى لامع ثم توجه للأسفل بعدما انتهى من إغراق ملابسه بالعطر , يتحرك في رواق واسع مفترش بسجاد أحمر رفيع مستطيل يكسو منتصفه وفي كل جانب يتواجد كم كبير من التحف الفنية والأثار القديمة من تماثيل حجرية والواح فنيه قديمة , أخذ يهبط بهدوء وشموخ

لأسفل الدرجات المستطيلة الواسعة وهو يراقب اللوحات الفنية عن يساره بضجر واضح الى أن وصل لساحة القصر الواسعة الذى يتواجد بمنتصفها خيل حجري متوسط الحجم , لمح أبويه جالسون على أريكه خشبية قديمة الطراز يشاهدون التلفاز في سكون , فتحرك متجاوز لهم في صمت الى بوابه القصر الواسعة , لمح أباه وهو يتحرك للخارج فصاح به وهو يدخل سيجارته الضخمة الفاخرة. ولد !! فتوقف بلامح التأفف وهو يلتفت ملتزم الصمت والهدوء فصاح فيه بحزم. الى أين أنت ذاهب الان.؟. التفت بشموخ وتعالٍ مجيئاً بكبر يظهر في ملامحه وحدة حديثه. لماذا تساءل إذ لم يكن يعينك الأمر.؟. تدخلت الأم باستياء حازم في نبرتها. (نبيل)!!! لا تتحدث مع والدك بهذه الطريقة الفذة. تنحنح رامقاً اياها بنظرات حادة وهو يتحرك مقترباً منه نافثاً الدخان بكثافة حتى وقف أمامه في مقربه قوية. عندما أسئلك سؤالاً تجيب مسرعاً أيها الولد!!! ثم إن تحدثت معي بهذه الطريقة الغير لائقة مرة اخرى ستعاقب بشدة لوقاحتك. تبسم ابتسامة ساخرة. وكيف ستعاقبني إن فعلتها مجدداً أبى.؟. هل ستقطع عنى الأموال.؟. أم ستأخذ السيارة.؟. تبسم ماسحاً على شاربه الأشقر العريض ناظراً بداخل عينيه السوداء بذات الابتسامة في صمت ثم قاطع الصمت متدخللاً بهدوء. هل تظن بأنك كبرت بما يكفي حتى لا أستطيع معاقبتك.؟. بالطبع لا وبكل تأكيد لن أمنع عنك شيء.. تدخل مقاطعاً له بغضب. انا لا أخذ منك شيء السيارة بالخارج ابتعتها من مالي الخاص كما ابتعت كل شيء ملك لي ولم أخذ منك قرشاً واحداً ولن أفعل. شهق من سيجارته الضخمة صائحاً بهدوء. هذا لا يضرني في شيء أيها الأحمق تأخذ أم لا لأهتم طالما أنت جالس معي في هذا القصر فأنت تحت طواعيتي وتحت إمرتي فأنت ملك

لي، انا أدعك تفعل ما تشاء لأيي أريد ذلك ليس أكثر لا تظن بأن الان منوط بإرادتك الشخصية.. لا.. إن الأمر منوط برغبتني في ذلك والسماح لك بفعل ما تفعله هنا أو حتى خارج هذا القصر فأنت في النهاية تحمل أسمى، أنا ادعك تتحرك وتتجول في البلد كما تشاء مستمتعاً بحمايتني لك ومختبئ تحت ظل اسمي في البلد فأنت وحدك نكرة لا تساوى شيء الكثير من الإناث بالخارج أفضل من عشرات مثلك لا يفعلون شيء في حياتهم غير التسكع واللهو بدون أي جدوى ولا منفعة ترجى منك لذا استيقظ جيداً واحذر عندما تخاطبني في المرة القادمة لأنك تعلم ما أنا قادر على فعله وتعلم بأن آلاف الرجال يرتعدون فقط من نطق أسم (سامر المغربي). اشتغل غيظاً غاضباً واراد أن يتحدث فصاح فيه بغضب. هيا اذهب حيث تريد ... هيا اغرب عن وجهي أيها الفاشل اللعين. تحرك للخارج مسرعاً والغضب ينضر من عينيه المتحجرتان كالصخور الجافية وصعد سيارته السوداء منطلقاً بسرعة وقوة شديدة بينما ظل واقفاً بجامته الحريية يتطلع للخارج بأسى وإحباط، اقتربت منه بحلته الحمراء هامسه بخفوت. لماذا تحدثت معي بهذه القسوة (سامر).؟. التفت اليها غاضباً. أصمتي أنت ولا تتحدثي معي بشأنه مجدداً فأنت من فعلت به هكذا، كثرة دلائك قد جعلت منه فاشلاً وفي المرة القادمة التي تتحدثي معي في تواجدي بهذه الطريقة المهينة لي سيكون هناك عواقب وخيمة. أرخت رأسها بخضوع وذلل. أمرك عزيزي. ثم جذبته من يده هامسه بحنان. هيا بنا دعنا نجلس ونتحدث بهدوء.

تنهال عليه الذكريات وهو جالس أمام الكوخ بألم يراقب ذهاب الشمس خلف ستار الرمال الواسع أمام عينيه السوداء الحائرة , يتلاشى الضوء شيئاً فشيئاً بقدوم الظلام يكسوا لوحة السماء ببطيء شديد معلن بداية ليلة جديدة وهو لا يزال حبيس بداخل هذه الفلاة الجامحة يُروح عن نفسه بعد نهار طويل حارق بداخل الكوخ المشتعل بالهواء الساخن والرمال المشتعلة , لا يزال حائر في حديثه الأخير مع المشعوذة التي باغتته بقدومها اليه فما سمعه عنها بداخل السوق الدامي يجعله متطلع بنذير شؤم وسوء بجانب أنه يركن لتصديقها بكل ما قالت لما قد سمعه عن أنها ذات قوة سحرية كبيرة بجانب نفوذها وسطوتها على هذه الصحراء ولكن ما الذى كانت تعنيه بأن ابنته ستبقى في أمان طالما هي مع الفتى .؟. سؤال يتردد بداخله كثيراً ما يزيد من حيرته بعلمه أن الفتى لا يزال عاجزاً عن الحركة حين تركه وذهب وقد لا يكون استعاد عافيته في هذه الفترة القصيرة بجانب أنه قد أخبره سابقاً بأنه لا يستطيع القتال فأين هو الأمان في كل ذلك.؟. تنهد ماسحاً بيده على خصلات لحيته البيضاء الصغيرة هامساً ببعض من الاطمئنان. حمداً للرب بأنها لاتزال بخير ثم أن الفتى طيباً ولن يؤذيها وفي حال معرفته بأنها ابنتي سيخبرها بكل شيء وستأتي معه بكل تأكيد إن لم تواجههم أي عقوبات أخرى ولكنه يعلم يقيناً بأنها لن تخبره باسمها الحقيقي. تنهد بقوة حينما غمره الهواء البارد المنعش متحدث بهدوء. (هادى) يا بنى أرجوك اكتشف الأمر سريعاً واجلبها لي بأمان حتى يطمئن قلبي بسلامتكم. جاءه الصوت بداخله يهمس بمكر. (فرانك).. أراك الان تثق بمن حذرتك منهم كثيراً يا بنى ... يا إلهي ... هل بُتُ تعتمد على شاب عربي همجي غادر كطبيعة العرب الغادرة لإنقاذ ابنتك.؟. يا للهول..! ضاق صدره من صوتها الكهل

المزعج بداخل أذنيه فصاح مغاضباً. أجل أمي.. أجل أثق به كثيراً فإنه مختلف عن تتحدثين عنهم ثم لا تتحدثي معي كأنك تخشين على أو على ابنتي لأنكى السبب في وجودها هنا معي. انا (فرانك).؟. انا السبب الان في محتكم بنى.؟. تدخل باستياء. أجل أنت السبب أيتها العجوز اللعينة لو أنك فقط قبلتي مكوثها معك كما رجوتك لما كان كل ذلك حدث لها وما عانت ولكانت استمتعت بطفولتها واحتفظت ببراءتها في المدينة ... وكل ذلك حدث لأنكى كأبرتي ورفضتي مكوثها معكى أيتها اللعينة، صاحبه القلب الغليظ. انقطع الصوت بداخله جالباً معه السكون المريب والهدوء المقلق وهو يزفر بقوة شديدة ليهدئ من روعه الغاضب، هدئ واضعاً يده على ركبته اليسرى يستند برأسه على كفه النحيل وقد تثاقل الهم بداخله يمزق أجفانه حزناً وقد تبدل الحزن بدموع تسيل نحيب قوياً مصحوباً بشهيق مكلوم وهو يتذكر لحظات خطئه التي لاتزال تنحر قلبه كل يوم وكل ليلة مدة اللوم والعتاب على ذاته. في ظهيره يوم ... اليوم الذى لا ينفك عن التكرار على عقله مهما حاول نسيانه ومهما حاول إبعاده عن ذاكرته , يتكرر بكل لحظاته ويتذكر عدد خطواته فوق الثلج الهائش وهو يقترب من مبنى مدرستها الواسعة وقد اختبأت الشمس فوق غمام السحاب الكثيف المنذر بليلة ممطرة بالثلوج حتى وقف خلف سياج المبنى الحديدي الواسع يراقبها وهى واقفة مع أصدقائها يتحدثون بهدوء مع بعضهم , يراقب ملامحها البريئة الحزينة مبتسماً وهو يهمس بداخله عن كونها تشبه والدتها كثيراً , حتى لمحتة إحداهن فأشارت اليه , فنظروا اليه بحيرة فتحركت خطواتها هادئة خطوة تتقدم وأخرى تتراجع فهي لاتزال غاضبة منه بعد أن أخبرها برغبته في تركها هنا وحيدة , وقفت امامه تتطلع اليه بلامح الاستياء وهى تمسك

السياج الواسع برفق هامسة بهدوء. هل حان وقت ذهابك أبي؟. قابل نظراتها المستاءة بابتسامه يملؤها الحنان هامساً بهدوء. الطائرة ستقلع في الخامسة مساءً. هل مازلت مصرراً على الذهاب يا أبي وتركي هنا وحدي؟. تدخلت بصوت دافئ أفرغ قلبه الشجون بحبها وتغرغرت عينيها السوداء الواسعة أشعلت بفؤاده الحزن الساكن منذ أن فقد زوجته متدخلاً بأسى. ولكن عزيزتي أنا أخشى عليك أن تضيعي عامك الدراسي وما هي إلا بضعة أشهر وسأكون بين يديك من جديد. إذأ فأنت مازلت مصرراً على ذلك. تدخلت بحزن متابعة بكاء. حسناً افعل ما يحلو لك واتركني كما تشاء فكل ما يهمك هو عملك اليس كذلك؟. تنهد بقوة متدخلاً بهدوء. انت لا تفهمين شيء ولا أعرف ماذا اقول لكي كي أقنعك بالصواب. متابعاً وهو يخرج ظرف أبيض من جيب حُلته الرمادية. ولكن أعتقد بأن هذه الرسالة ستخبرك بما في قلبي أتمنى أن تقرأها بعناية وستفهمين موقفي جيداً. تناولتها منه بتنهيذة قوية وهي تمسح دموع عينيها متابعاً بهدوء. أَلن تفتحيها؟. تحركت مغادرة بحزن عميق ودموع منهمة بعيداً بينما تحرك هو مغادراً، توقفت خطاها بداخل الحديقة الواسعة بانهمار حزن عميق وما أن هدأت حتى فتحت الظرف لتتفاجئي بما بداخله لتعلو البسمة محيها وهي تعدو مسرعة، كان واقفاً أمام المبنى بعيداً عن المدرسة قليلاً يتطلع إليها وهي تعدو اليه بابتسامه سعادة غامرة وارتمت بداخل أحضانه بقوة، وضع يديه الدافئتان فوق يديها الشاحبتان الباردتان برفق هامساً بصدق وحنان. أستطيع أن أهجر الدنيا كافة ولا أستطيع أن أهجرك ولو لثانية واحدة. تدخلت بضحك وسعادة غامرة. أنت ممثل بارع يا أبي لقد اقتنعت بانك هجرتني بالفعل. وضع يده بداخل جيب جاكته الرمادي مخرجاً تذكرتان صائحاً بسعادة

وهو يلوح بهما أمام عينيها. الطائرة ستقلع في الخامسة هل تعتقدان
بأنك ستستطيعين تجهيز حقائبك في الوقت المناسب.؟. جذبت من يده
التذاكر بلهفه تتطلع بهم ثم أخذت تقفز من السعادة بالطريق وهي
تصيح - أنا ذاهبة مع أبي ... أنا ذاهبة.. سقطت الدمعة من منتصف
عينية وهو يراقب الظلام الدامس الذي كسى الصحراء من جميع جوانبها
هامساً بعتاب أليم لنفسه. يا ليتنى لم أفعلها (كريستين) ... يا ليتنى لم
أفعلها.

جالسه بهدوء تراقب النيران المتوهجة بعينين مرهقتان بعد أن جمعت
الكثير من الحطب لإبقاء النار حيه متوهجة حتى تجهز الأرنب الصغير
الموضع بداخل عصى فوق النيران فارغاً من الداخل حركت يدها
بسكينها الصغير وقطعت قطعة لحم صغيرة ثم تذوقتها فوجدتها قد
طابت فأخذت توقظ الفتى المستلقي بجانبها يصدر شخيراً عالياً قد
أصابها بالألم الرأسي الشديد ولاسيما بأن صوته لا ينفك عن التزايد
وسط ذلك السكون الدائم فأخذت تصيح به وهي تراقب فمه المفتوح
على مصراعيه وكيف يصدر شخيراً عالياً هكذا. أنت أيها الرجل ... (هادى)
...! لا يدري بشي ولا يسمع شيء على الإطلاق فهو نائم كالقتيل
فصاحت بقوة.. أنت.. (هادى).. أنت يا صاحب الشخير المزعج. ولكنه
ايضاً لم يحرك ساكناً فتحركت هامسه بيأس. يا إلهي هذا الرجل ينام
كالقتيل. فجذبت سترتها التي قد وضعتها فوقه عندما بدء بالارتجاف من
شدة الصقيع بقوة صائحة. هيا.. أنت أستيقظ الطعام جاهز.. هيا أفق..
أنت أيها القاتيل عُد للحياة لتتناول الطعام.. هيا. بينما هي تعاني في
إيقاظه بصياح بصوتها العالي المزعج كانت الأخرى جالسه تراقبهم من

خلف القمة القصيرة يشتعل صدرها غيظاً من طريقة إيقاظه هامسه بضيق. لا تعامله هكذا ايتها الحمقاء اللعينة.. أقسم بأني سأقتلع عينيك في القريب العاجل. وتعظم غضبها يشعل نيران الغيرة بداخل فؤادها الملتهب بحبه عندما أخذت تدفعه بيدها يميناً ويساراً ولا تزال تصيح بقوة فيه حتى يدرك وعيه ويعود للحياة , التفتت جالسه بحيرة شديدة في أمرها تريد الذهاب اليه حتى تتمكن من بلوغ منوالها في التمتع بصحبته وإنقاذه وأيضاً ليأخذها معه الى المدينة فهو لا يثق بهذه الفتاة لأنه لم يخبرها حقيقة ما حدث له ولكن في الوقت ذاته ستسوء الأمور إن ذهب لأن القصة التي رواها لها قد تصادفت مع مواجهتها مع الفتاة وهذا سيجعل الأمور تحتد عن الهدوء ولاشك بأن الأمر سينتهي بقتال قد يصاب فيه بأي ضرر لأنه لن يتمكن من معرفتها في هذا الظلام بسبب ضعف نظره إذاً فهي لا تملك خيار اخر غير المكوث بهدوء في مراقبتهم حتى تسنح لها فرصة جيدة في مقابلته وحده بسلام جلست بجانبه بيأس فهي لم تعد تعرف ماذا تفعل أكثر مما فعلته في إيقاظه فهو ليس بنائم بل هو ميت لا محال , تحركت لتبعد العصى المعلق به اللحم عن النيران الباعثة بالدفيء حتى لا تحترق ثم جلست تتطلع اليه بشهوة في تناوله وقد سال لعابها جوعاً فاستسلمت لرغبتها الجامحة ولم تعد تتحمل النظر اليه بحرمان هكذا وأخذت تقربه تجاه فمها ببطية لتناوله ولكنها سرعان ما أبعدته قبل أن تتناول منه شيء مبتسمة بسخريه وقد سألت من عينيها الدموع عندما تذكرت كيف كانت تعترض على أنواع الطعام التي كان يقدمها لها والدها في المدينة وكيف كان يذهب بسيارته لجلب ما ترغب به بخنان , حركت يداها ماسحة دموع عينيها هامسة بهدوء. أسفة ابي لقد كنت حمقاء معك حقاً. ثم وضعت اللحم بمقربه

من النيران حتى يحافظ على دفئه ولا يتبلد من البرودة القارصة لحين أن يستيقظ الرجل من نومه، ارخت بظهرها على الرمال بجانبه بهدوء ورفق تستند برأسها فوق يديها متشابكتان الأصابع لحماية شعرها من الرمال، زفرت بقوة يملئها الغضب وفراغ الصبر من صوت شخيره العالي المزعج فاعتدت مسرعة وقد فاض بها وضاق بها ذراعاً لتشبك أصابعها بين خصلات لحيته الكثيفة لتجذبه منها بقوة، استطاعت رفع رأسه بصدرة ليعتدل جالساً صائحة فيه بقوة غشماء. أنت أستيقظ أيها اللعين.. أنا لم أعد أحتمل الجوع أكثر من ذلك.. هيا.. افتح عينيك. فأخذ يحرك جفنيه بتجاعيد وجهه لحمايتها من وهج النيران الشديدة ثم حرك يده واضعاً اياها امام عينيه ليمنع عنها الضوء الوهاج هامساً بخمول. ماذا.. هناك سيدتي..؟ لماذا تصرخي بي هكذا..؟ وماذا تفعلي بلحيتي..؟ ما الذي يحدث..؟ صرخت فيه باستياء. انا اوقظك منذ ساعات وأنت لم تشعر بشيء إطلاقاً.. يا الله أنت تموت أم تنام.. نومك متعب للغاية وشخيرك مزعج جداً أيها الرجل.. عندما تعود لموطنك اذهب لطبيب لمعالجتك من هذه الأمور المزعجة. أنا جائع حقاً. همس بخمول ونعاس متابعاً وهو يتشاءب. ولكنى أحتاج للنوم أكثر. فأخذ في إلقاء جسده للخلف فأوقفته صائحة بضيق. لا.. جسدك في حاجة للطعام أكثر من النوم لذا اعتدل وتناول شيء ثم استلق كما تشاء. أنت محقة سيدتي.. أنت محقة..! أجابها وهو يتحرك واقفاً ببطيء ثم أخذ يتحرك للأمام بترنح وخمول وهو شبه نائم فصاحت به وهو يتحرك متسائلة بحيرة. الى أين أنت ذاهب..؟ انا.. انا.. انا ذاهب لأرطم وجهي بالمياه حتى أستفيق وإلا نمت مرة اخرى في لحظات. حسناً توخى الحذر حتى لا تسقط بالبئر مرة اخرى. أسقط الدلو بداخل البئر حتى امتلئ بالمياه الباردة وأخذ يرطم

وجهه بالمياه حتى استفاق ثم أخذ يتجرع المياه بنهم ... تنهدت بقوة وانا عائد الى الفتاة بعدما استقبلتني الرياح الباردة المنعشة الان بثُ أنحرك جيداً بدون شعور بأي ألم والان أستطيع فعل ما اشاء وبكل تأكيد سأصبح شخص اخر عما كنت ولن اعانى مرة اخرى من ضعف قوتي وضعف شخصيتي، جلست بجانب الفتاة متوارى خلف ستار النار الدافئة هامساً. هيا لنتناول الطعام. بالتأكيد. تدخلت وهي تجذب اللحم بعيداً عن النيران ثم أخرجت خنجر وقامت بتمزيق الأرنب لنصفين من المنتصف ناولتني الجزء الأعلى وأخذت الجزء الأسفل متدخلة بهدوء. اسفة ولكنى اتناول الأجزاء السفلية كثيراً لأنها مليئة باللحم وانا جائعه بحق. تبسمتُ ضاحكاً هامساً بلطف. لا بأس سيدي. متابعاً وانا امد يدي باللحم اليها. يمكنك تناولها كلها إن شئت!!.. أووه ... هذا فعل نبيل جيداً ولكن بالتأكيد لن أخذها فأنت جائع ايضاً وتحتاج للطاقة أكثر منى. تنهدت بقوة وانا أقضم قضمه منه فوجدته لذيذاً جداً فأخذت أتساءل بداخلي عن سر ذلك الطعم الشهى وانا لا انفك ان التهام اللحم بنهم شديد من روعه مذاقه!!.. أهو لأني جائع أم لأني لم أتناول شيء منذ مدة طويلة غير فتات الخبز المتحجر.؟. تبسمت وانا احاول تذكر كيف كانت مائدة العشاء مع أمي وإخوتي ففي كل الاحوال لم ارى الصورة واضحة كما كنت بل أصبحت الذكريات الان مجرد خيالات لأشخاص جالسون حولي وكأن ذكريات الماضي تُمحي من داخلي شيئاً فشيئاً، الماضي البعيد.. الماضي الزهيد وهذا هو الحاضر القاسي ولكن لا بأس فيإمكانى تغييره بعقلي بإمكانى التخيل بأني أجلس على مائدة فاخرة يحيطها المزيد من الضوء عن كوني جالس أمام النيران الوهاجة في قلب الظلام وإمكانى استبدال وسادات الرمل بأخرى من الريش الهائش الناعم ... ولكن يكفي

تخيالات لا جدوى منها فلقد كنت أحيا حياة رغيدة مليئة بالخيرات وكنت اتخيل أفضل منها ولكن اليوم سأرضى بواقعي مهما كان.. سأقبله كما هو.. اخبريني (كريمة) متى سنبدأ بالقتالات التدريبية.؟ مع أول ضوء للشمس. أجايتني وهي تمضغ الطعام بقوة بين اسنانها متابعه بعد أن ابتلغته. لذا تناول الطعام واحرص على راحة جسدك لأنه سيكون يوم شاق بالنسبة لك. شاق.؟ تدخلت مسرعاً بحيرة. أجل. أجايتني مسرعة. لا بأس ولكن هناك معضلة قد تواجهنا أثناء التدريب. تحدثت بتوتر ملحوظ. معضلة من أي نوع.؟ تساءلت بحيرة. لقد كنت امارس الرياضة القتالية في المدينة عندما كنت صغيراً ولكنى لم أكمل بها أو باي رياضة اخرى بسبب المرض المزمن الذي يلازمني منذ الصغر، مرض الربو، إن أجهدت جسدي بالأعمال الشاقة فيبدأ بالتصاعد مع أنفاسي وينتهي الامر بصعقات النوبة المؤلمة. لا تقلق سنجد حلاً للأمر ولن يكون عائق كبير وستتمكن من إتقان الفنون القتالية لتستطيع إنقاذ نفسك ومن تهتم لأجله. تدخلت بثقة جامه وهي تلعق أصابعها بعد أن انتهت من تناول الطعام فجلست ساكنا اتناول ما تبقى معي من اللحم الشهي ولم أتساءل عن هذا الحل مع شدة رغبتني لمعرفته ولكنى لا اريد أن اكون مزعجاً بالنسبة لها، عم الصمت الأرجاء للحظات طوال تتطلع أعيننا لوهج النيران التي تمدنا بالدفء وبعض الاطمئنان ثم تدخلت متسائلة تمزق اوتار الصمت وهي تستلقي بظهرها فوق فراش الرمل البارد. أخبرني (هادي).!! فحركت رأسي تجاهها فتابعت بحيرة ومزيد من الاستفهام. لماذا أخبرتني سابقاً بأني اسأل الشخص الخاطيء كي يحدثني عن الحب.؟ تبسمت مجيباً بهدوء وانا افرك يدي ببعضها البعض. هذا يا سيدتي لأنني لم أكن لي تجارب كثيرة مع الفتيات بل هي

تجربة واحدة ولم تنتهي كما تخيلت دائماً. توقفت متنهداً بقوة. بجانب أن صديقي العزيز (أحمد) كان دائماً ما يلقبني بعدو المرأة. عدو المرأة؟. تدخلت بحيرة. أجل. أجبته ضاحكاً. لماذا؟. تساءلت باستغراب. هذه قصة طويلة سيدي إن بدأت في سردها الان ستأخذ الليلة بأكملها لذا سنؤجل الحديث للغد وسأخبرك بها على مكث. تحدثت سريعاً مفترشاً الرمال بهدوء وقد عاودني النعاس يقذفني ثائب متتالي، تدخلت هامساً وأنا اعتدل على جانبي الأيمن. تصبحين على خير سيدي. زفرت بحيرة هامسه بهدوء. تصبح على خير سيدي الشاب.. في هذه الأثناء كانت تتطلع إليهم بهدوء وقد كانت مستمتعة بنبرات صوته الهادئة وهي تتسلل الى قلبها المتوهج بنيران محبته، تنهدت بقوة مشتاق. تصبح على خير يا عزيزي. يتصاعد لهيب فؤادها ليتلألأ بداخل عينيها الزرقاء الواسعة التي ترتقب الفرصة المثالية للتحرك.

.. وفي ذات الوقت هناك بعيداً عن يمينها كانت واقفة تتطلع إليهم بعينيها الحمراء المتوهجة كاللهيب تراقبهم بحذر من أسفل قلنسوتها وردائها الأسود الواسع وهي تمسك بعصاها الأسود المريب عالياً فوق القمة الرملية القصيرة، جاءها الصوت الأثوي الناعم عن يمينها. إلام تنظرين سيدي؟. حركت عينيها يمينها بدون حراك هامسة بحماس ينصر في ترهلات صوتها الكهل. أووه أنتِ هنا صغيرتي!!! ثم أشاحت بنظرها الى ثلاثتهم، الاثنان المفترشان الرمال والثالثة تتطلع إليهم في سكون هامسة بحذر. ماذا تعتقدين بأنه يحدث هناك صغيرتي؟. حقاً لا أدري سيدي هذا الشاب أمره مريب بالنسبة لي ولا أعلم لماذا يكتنفون حول ضعيف مثله هكذا؟. التفقت متحركة لأسفل القمة تتكئ على

عصاها المريب متدخلة بجديه. هذا الضعيف أقوى مما تعتقدن عزيزتي إنه الشاب الذي سيغير كل شيء بيديه العاريتان، الشاب الذي سيطفئ نيران الجحيم الحارقة ويكشف السر العظيم، السر الذي لطالما سالت بشأنه الدماء. هبطت القمة وأخذت تتحرك بعزيمة جامه وخطوات ثابتة. هل تعلمين عزيزتي ما هو سر قوة هذا الشاب.؟. تدخلت مجيبه وهي تتحرك بجانبها ترتدى ذات الرداء الأسود وكأنهم صورة واحدة تتحرك على جانبيين غير أن الاختلاف الوحيد هو العينان المتوهجتان لصاحبه الصوت الكهل. ما هو سيدتي.؟. إنه الوهج المنبعث من عينيه الزرقاء، هذا الوهج هو سر طاقته ومنبع قوته هو الفاصل الذي يحتجز قوة الوحش الجامحة وعندما تنطفئ هذه الأعين ستدركين قوته وخطورته القاتلة. تنهدت بقوة صائحة بحيرة وغضب. أكثر ما يغضبني هو أنه منذ ظهوره في هذه الصحراء ومنذ أن خطى بأقدامه العارية فوق رمالها الساخنة وقد أصابني الارتباك والارتباك يجعلني غاضبه لأنه يفقدني صوابي ويجعل الرؤية غير كاملة تنهال على عقلي بلا ترتيب وينزع منها الحكمة والبصيرة وأصبح غير واثقه مما سيحدث لاحقاً وهذا أكثر ما يغضبني الان جداً.. جداً جداً.. يغضبني بحق. يتحركون تحت ضوء القمر الأبيض الباهت مستدلين بالنجوم المنتشرة في السماء بقوة تدخلت بصوتها الناعم. لقد لاحظت هذا الأمر سيدتي وأكثر ما نبهني لذلك هو أنكِ تتحركين بنفسك وهذا أمر نادر الحدوث وكان تحركك لا يكون إلا لأمر في غاية الأهمية ولن أتمكن من تنفيذه وحدي وايضاً هذه الأعين لا تظهر إلا عندما تكونين في غاية الغضب سيدتي وهذا يجعلني قلقه عليك لأننا بعيدون عن مساكننا ولم أجلب الدواء معي. لا تقلقي عزيزتي. زفرت بها بقوة متابعه بضيق حانق. هذا الشاب يفقدني صوابي.. ألم

تلاحظي كيف بعد أعوام طويلة من الثبات العميق في تحركات الجميع هنا اختلف كل شيء بعد ظهوره الكل بدء يتحرك بطريقة مريبة والصراع احتد وقارب على الاشتعال حتى الأفكار تغيرت لدى الكثيرون والمعتقدات تبدلت وكل هذا لأنه ظهر ... صدقين عزيزتي إنه أقوى مما تعتقدين فقد رأيت الجبابرة يهابون مجيئه وأغلظ الرجال يخضعون له إنه الشاب الذي سيكشف له الغطاء ويرى ما لم يتمكن سادة الملوك من رؤيته. أخذت خطواتها في الإسراع تهمس بارتباك. دعينا نسرع لأثبت لك حقيقة ما أقول.

متكى بعظمة شامخة فوق أريكته الواسعة المرصعة بالذهب من كل أطرافها وحوافها اللؤلؤية البراقة، اعتدل جالساً هو يمسح على ثوبه الحريري الواسع والخادمون يحملون ريشات النعام الكبيرة محركين إياها جالبين اليه الهواء المنعش، أشعل سيجاره الضخم وقد وقف أمامه في خشوع خادمه بجسده المترهل وخصره الممتلى، صاح وهو ينفث دخانه بكثافة. ماذا فعلت (رفيع) بشأن صديقنا المثلثم.؟. تحدث بابتسامه واسعه وهو ينحني بخشوع. مولاي المُبجل.. لقد فعلت كل ما أمرت جلاتك وبعثت خلفه رجالاً لمراقبته ولكنه توغل في أرض الهلاك بحيث لا نستطيع التحرك هناك إلا من هو على دراية تامه بها فعاد بعض الرجال لإخبارنا وظل الآخرون يختبئون في الظلام لحين عودته. تقهقر صاحباً وهو يمسح على شاربه العريض. كم أنت غبي يا (رفيع) وهل تعتقد بأنه سيعود من حيث ذهب.؟. إنه أذكى من ذلك أيها الأحمق.. هل نرسل خلفه بعض الرجال مولاي.؟. تدخل بمكر. لا.. لا دعه ينعم بجائزته في هذا الوقت حتى يحين وقت التخلص منه. أمرك

مولاي. شهق من سيجاره الضخم متدخلًا بحذر وجدية. الان استمع لي جيداً (رفيع). انحنى برفق هامساً بهدوء - أمر مولاي المبجل. جهاز قوة من أفضل الرجال المقاتلين لدينا ثم مُر بأمين المخازن وخذ منه جهاز المراقبة الخاص بالفتى وأعطيه لهم وأخبرهم أن يتخلصوا من الفتى ومن معه مهما كان عددهم ومهما كان من هو وتأكدوا من جلب رأس الفتى والأجنبي إن كان معه. رفع رأسه ناظراً اليه بهلع وحذر هامساً بارتجاف. أمرك مولاي.

البائس X الفاشل

تحرك للخارج يجرجر في أفدامه المترهلة مصدراً غباراً هادئاً من نعله الضخم ووسوسة قلائده وهي تتصادم ببعضها فوق صدره المتدلي بترهل حتى توارى من أمام عينيه، تحركت بردائها الأسود الفضفاض النفيث عاربه الذراعان الناعمان وشعرها الأسود الداكن شديد اللمعان متدلي خلف رأسها بانسجام وأناقة كالحرير في ملمسه، بهدوء شديد جلست بجانبه هامسة في أذنيه بمكر. هذه ستكون ضربة قاتلة لهذه العجوز اللعينة.. اليس كذلك عزيزي!!.. تهمس بنعومة واستضعاف رقيق وكأنها حيه تبث السم بتروي في جسد فريستها، لمعت عينيه شارة بالشر يملئها الغرور بالقوة مع حركات جسده الدالة على التعالي الشامخ يُعرض أكتافه بامتعاض وكبر هامساً وهو ينفث الدخان. بالتأكيد عزيزتي.. بكل تأكيد ستكون قاتلة. دنت منه أكثر حتى كادت شفقتها الحمراء اللامعة أن تلامس جلد أذنه الصغيرة تهمس بنعومة فارطه الإحساس. دعها تعلم وتتعلم بأنها مهما حاولت لن يكون لها نصيب في الانتصار في مواجهة سيدها.. زوجي وعزيزي.. ملك الملوك.. المُبجل فوق

عرشٍ من الثراء.. صاحب القرار الرشيد والفعل الرزين والمستقبل
 الرغيد. تزايد لمعان عينيه بالشر والتفاخر وهي لاتزال تهمس بصوتها
 الذي يحفز رغباته الدامية وتعاليه المتفاني عن كل متكبر متفاخر. دعها
 تعاني حتى تأتي راحته أمام مولاها المبجل تتوسل إليه ليبقيها على قيد
 الحياة مرتدية ثوب المذلة والهوان. زفر بقوة متنهداً براحة كبيرة هامساً
 بشوق.. أه.. سوف تتوسل بلا شك ولكن ما يمنعني عنها انها لاتزال
 شقيقتك بعد كل شيء عزيزتي وأنا لا أستطيع قتلها لهذا السبب.
 وضعت كفها الناعم فوق خده محركه رأسه لتقع عينها الدافئة وهي
 تحرك أجفانها المكحلة ببرة ونعومة رموشها الجذابة هامسة بأنوثه
 شفافة. أووه عزيزي كم أنت رقيق القلب معي دائماً.. لا تريد مساس
 عدوك خوفاً على مشاعري. تحولت العين الجاحدة المليئة بالقوة منذرة
 بالشر إلى أعين مليئة بالضعف خاضعة باستسلام والصوت تحدث من
 كونه أمر جاد إلى هامس بخضوع. بالطبع حبيبتي وهل عندي أعلى منك.
 ثم تحرك رغباً عنه ليُقبلها من شفيتها ليطفئ نيران قلبه المشتعلة
 بلهيب شهوة محبتها ولكنها لم تمكنه من نفسها وتراجعت للخلف قليلاً
 واضعة سبابتها اليمنى فوق شفاته مما زاد لهيب شهوته تهمس بمكر.
 فقط اجلبها لي عزيزي وسوف أهتم أنا بأمرها وأنهى ما لم أتمكن من
 إنهاءه سابقاً. أبعد يدها بقوة أسير شهوته الحارقة بصدرة وأخذ ينهال
 عليها بالقبلات الحارة من لهيب شهوته وكأنما ظمآن قد وجد الماء ولكن
 سرعان ما أبعدته دافعه صدره بمجامع يدها صائحة بضيق واستحياء.
 (عصام).. ماذا تفعل؟! الخدم هنا!!! نحن لسنا وحدنا عزيزي. ولكنه لم
 يستوعب الأمر بعد فهو منغمس بلذاته فصاح غاضباً من منعها له. تباً
 لهم.. أنت زوجتي.

أجل عزيزي أعلم ولكن ليس امامهم. فصاح فيهم بغضب حائق.
انصرفوا أيها الحمقى ماذا تنتظرون...وأخبروا جميع منّ بالخارج بالألا
يزعجني أحد حتى الصباح وإلا علقت رأسه بين الصخور. فتحركوا فازعين
خاضعين هامسين بارتباك في هرعهم للخارج. أمرك.. أمرك مولاي. وقع
عليها حينما انصرفوا باستضعاف يغذو ذراعيها بالقبلات الهائمة بينما
تركت له جسدها يلتهم منه ما يشتهي ناضرة عينيها السوداء بالقوة
والسيطرة المُحكمة.

وفي ذات الوقت.

بقلب الصحراء وسط المباني الحمراء القصيرة جالسة فوق كرسيها بأعين
جامدة، جادة مليئة بالوعيد ورغبات الانتقام الحانقة تتطلع إلى الجمع
الهائل أمامها واقفين بثبات وانتظام شديد لا يكاد يتحرك منهم أحد إلا
ملابسهم السوداء الواسعة التي ترفرف في الأنحاء تعانق نسيمات الريح
الهائجة بقوة، متلاصقين الأيدي إلى جوانبهم، متلامسة أقدامهم بعضها
يعانق بعض، يغبطهم السواد من كل جانب ولا يُرى منهم إلا أعينهم
المتناغمة النظرات فمنها الحذرة، الحائرة، القلقة، الخائفة وأيضاً المضجرة
بتأفف. صاحت بقوة صوت هائل - ايها الرجال وايها النساء ... يا افراد
عائلتي الغالية ... أعتذر لكم على كثر الاستدعاءات المتتالية بغير سابق

انذار هذه الايام ولكن أرجوكم تفهموا موضعي وتقبلوا قراراتي لأن الجميع يعلم بأنها أيام عصيبة ولا بد لنا من الحذر جيداً والتحرك بسرعة الريح لمواكبه عدونا المختبئ بأعماق الجبال خلفنا، عدونا الذي ينتظر غفلتنا ليقضي علينا في آن واحد...لا.. بل إنه يهجم علينا الان من حين لآخر ليسرق اغراضنا النفيسة وليبث الخوف في قلوبنا ويخبرنا بان دفاعاتنا واهيه وبأنه قريب يستطيع ذبحنا في لحظة واحدة قبل أن ندرك الأمر... هل أصبحنا بهذا الوهن يا رجال..؟! هيا أخبروني.. هل أصبحنا منغمسين في غفلتنا عميقاً هكذا..؟! تفاعلوا مُجيبين في آن واحد. لا أيتها الزعيمة.

لا. تدخلت مسرعة بضيق. لا بكل الأسى لقد أصبحنا كذلك.. لقد غفلنا عن هدفنا من بقائنا هنا بعد موت زعيمنا السابق (الكبير).. لقد تناسينا انتقامنا وتجاهلنا رغباتنا في الثأر لأحبابنا وهذه الغفلة هي التي أنشأت مكان للخونة بيننا.

بدء الجمع يهمس بالتمتمة المريبة بينهم. فصاحت بقوة. أجل ... بيننا خائن..! خائن يعمل لدى أعدائنا في الخفاء يُطلعه على أخبارنا ويكشف سترنا ليفرق به جمعنا ويمزق العائلة ويجعلنا نشكك في بعضنا البعض ولكني لن أسمح بحدوث شيء كهذا ما دمت على قيد الحياة فأنتم عائلتي.. أنتم من أنقذني من الموت سابقاً وأنتم من أجلسوني على هذا المقعد كزعيمة للعائلة.. لذلك هل مازلتم تثقون بي كزعيمة لهذه العائلة..؟! عم الصمت المكان يكسره صرخات متتالية بتتابع لأفراد قليلون. بالتأكيد.. أجل... بلا شك. ولكنها لم تستمع لما تبغي سماعه منهم فكررت سؤالها ولكن هذه التارة نالت مبتغاها حيث أجابوها جميعاً

على قلب رجل واحد وصوت ينبع منه الصدق فتدخلت حاذرة يجتابها
القلق من هذه الخطوة التي لا تزال مترددة في خطوها. حسناً.. سأعمل
جاهدة على استحقاق هذه الثقة.. لذلك منذ هذه اللحظة وما يليها
سنتبع درب جديد في إدارة أمورنا الداخلية والخارجية أيضاً. ثم صمتت
قليلاً متنهدة بحيرة وقلق حتى كسرت الحيرة بصياحها القوي الفزع. لقد
حان الوقت لإتباع منهج اسلافنا القديم لتغلب مثلهم على ما واجههم
من صعاب كالتي نمر بها الان وليعلم المتهاون بانه لن يُتساهل أحد في
أمره بعد اليوم فمن اليوم وصاعداً سنتبع درب العهد القديم.
اتسعت العيون دهشة وصمتت الأفواه الهامسة عن همسها حتى سكن
الصمت المكان بأنيته الهادئ ولم يعد يسمع إلا هزيز الريح الهائج، بلعت
لعابها بقوة صائحة بهدوء يخبئ التوتر الساكن بجسدها. (منذر). تحرك
مسرعاً من أول صف ليقف أمامها مُجيباً بحماس شديد. أمرك سيدتي.
أطلعهم على القوانين الجديدة.

أمرك سيدتي. أجاب بحماس ثم التفت إليهم بهدوء متنهداً بقوة ثم أخذ
يتلو عليهم القوانين ... أخذ طويلاً حتى اتى لآخر قانون وصاح به قوياً.
القرار الأخير بأنه من هذه اللحظة سيكشف الغطاء عن الوجه ولن يرتدي
أحد شيئاً يخفي به ملامح وجهه حتى النساء ومن سيفعل ذلك سيكون
عقابه وخيما وسيهاجم كأنه عدو وهذا القرار سيتم تنفيذه الان. ما أن
انتهى حتى قام بكشف وجهه سريعاً ثم أتبعه الجميع يسقطون لثامهم
واحداً تلو الآخر، تنهدت بقوة حائرة وقد عادت لعينيها الكهلة نظرات
الوعيد بالانتقام .

في ذات اللحظة. بعيداً خلف قمة رملية تراقبهم بعينيها الملتهبة بتوهج النيران وبجانبها الأخرى ساكنه بقلق، التفتت إليها وهي تهبط يملئها الغضب صائحة بصوتها الكهل المخيف. رايتي عزيزتي.. هذا ما اتحدث عنه ... الكل يتحرك بعد ركوض أعوام.. الكل يتوعد.. الحرب الكبرى ستبدأ.. الدماء ستسيل حتى تغرق الرمال! فكل شيء تغير منذ أن جاء. كل شيء تغير. كانت تتحرك بجانبها بخوف يتصاعد في صدرها من حدة صوتها وتوهج عينيها الحمراء المرعبة حتى توقفت فصاحت بها بارتباك. ماذا.. ماذا هناك سيدتي..؟. ماذا هناك ...؟ لماذا توقفت..؟. فحركت العجوز يدها اليمنى حتى أمسكت يد الفتاة ثم سقطت جاثيه على ركبتيها تُتمتم بترانيم غريبة المعنى مُبهمة اللغة بصوت أجش مرعب فصرخت الفتاة فزعاً تحاول تحرير يدها من قبضتها المؤلمة ولكنها لم تستطع. نظرت إليها بعينيها الحمراء وقد ازداد لهيبها واشتعل توهجها بشدة تكاد تضىء عينيها الصحراء من حولهم فارتجفت الفتاة ذعراً وقد هاجت الرياح الشديدة حولهم التي من قوتها نزعت القلنسوة من فوق رأسها وقد كشفت عن وجهها وظهر شعرها الأصفر الوهاج الذي يكاد يكون منيراً من شدة لمعانه في الظلام تصرخ فيها بصوت يُزيدها خوفاً منها.. إنها.. إنها قادمة ... إنها قادمة!! فتساءلت مسرعة بخوف وفزع. - ما هي سيدتي.. ماهي..؟.

العاصفة ... إنها قادمة ... العاصفة التي ستدمر كل شيء.. مُغرقة القلوب.. مقتلعة الرقاب.. إنها قادمة. ثم تركت يدها صارخة فيها بقوة

وقد ازدادت عينيها حدة ورعباً. ابعدي عني الان أيتها الحمقاء ... ابعدي.
فأخذت الفتاة تعدو بهلع وفزع شديد مما رأتها عينيها ولكنها لم تعدو
كثيراً حتى سقطت على وجهها من شدة خوفها وهلعها الفازع ثم تحركت
وتالت السقطات حي توارت عنها بينما ظلت العجوز تتمتم وسط
الرياح الشديدة والعاصفة التي تتحرك حولها وكلما على صوتها ازدادت
الرياح شدة.

يتحرك بسيارته سريعاً متجاوزاً حدود سرعة الطريق بكل المعاني
والاشكال، لا يهم ولا يابه لشيء فهو غاضب شديد الغضب حتى دهسه
للعجوز والشاب لم يطفئ نيران غضبه ولو قليلاً، لا يزال يضغط على
قدميه ليزيد من حدة سرعته أكثر فأكثر متجاوزاً الجميع بجانبه في
لحظات، لا يكاد يُرى بالنسبة إليهم من سرعته الفائقة وبلا شك أن
سيارته الحديثة تساعده على ذلك كثيراً فهو لا يكاد يشعر بأنه مسرع
البتة وهو جالس خلف المقود ينفث دخان سيجارته بغضب يلتهمها
التهاماً بأنفاسه الملهبة والكلمات لا تزال تتردد بداخله - أنت فاشل لا
قيمة لك ... كثير من الفتيات بالخارج أفضل من مائة رجل مثلك.
راجمات لجامه تؤلم قلبه المشتعل بنيران الغضب والحقد المتأجج
ببرائن التمرد عازماً على أن يثبت للجميع بأنه ليس بذلك الفاشل
الخاسر وبأنه رجلٌ يُعتمد عليه ولكنه هذه الليلة سيفعل غير ذلك تماماً
فقد سئم إقناع والده بأنه رجل يستطيع الاعتماد عليه ويستطيع تحمل
مسئولية نفسه بنفسه وهو لا يقتنع بذلك مهما فعل لذا سيثبت له
كيف يكون تصرف الفاشل الخاسر هذه الليلة فأخذ ينطلق سريعاً ... في
الخلف بعيداً كان (فؤاد) يتحرك بسيارته المتوسطة التي لا تساعده في

اللاحق به ومواكبه سرعته الفائقة يتحرك مراقباً له بالكاد يلمح السيارة وهي تنطلق باذلاً جهداً كبيراً على ألا يفقد أثره وهو مجتاح بالارتباك فهو غير معتاد على مثل هذه السرعة المفرطة في القيادة ويخشى أن يفقد تحكمه وينتهي به الأمر مصروعاً بحادث مريع ولكنه لا يزال يُحفز نفسه بتذكر العجوز والشاب وهم يتطايرون في الهواء وكيف صدمهم ذلك المتوحش بلا أي لحظة تردد واحدة.. لذا هو شديد العزم على اللاحق به مهما كانت العواقب والصعاب التي ستقف في طريقه.. لن يترك مجرم مثله ينجو بفعلته مادام هو على قيد الحياة. فأخذ ينطلق خلفه بلا تردد.

لا أستطيع النوم في هذه الليلة الغبراء، أتقلب منذ ساعات وساعات محاولاً بجهد الحصول على قسط من الراحة ولكن الأفكار تنهال على عقلي بغزارة.. أفكار كثيرة.. بعضها مريب والبعض الآخر طبيعياً في مثل هذه الظروف الصعبة التي أمر بها حالياً وأكثر هذه الأفكار هو تساؤل واحد متعدد الزوايا غزير المعطيات. هل حقاً هذه ظروف صعبة.؟. كوني نائم وسط الخلاء في صحراء واسعة المدى مفترش الرمال وغطائي السحاب وبجانبي فتاة لا أعلم من تكون وحتى الان لا أستطيع وضع كامل ثقتي بها والله وحده أعلى وأعلم ما يقبع خلفي في هذا الظلام المرعب وما الذي يحدث حولي الان.. اتساءل!!! أين هذه الساحرة اللعينة وماذا تفعل.؟. بلا شك بانها تخطط فيما ستفعله معي عندما تتقابل مرة أخرى وأتساءل.. كيف سيكون وقع هذا اللقاء.؟. وأين مستر (فرانك) الان بعدما تركني وذهب وماذا حدث له.؟. وهل وجد ابنته أم لا يزال يبحث عنها.؟. وماذا إن كان قد عاد يبحث عني.؟. وكيف أحوال الفتاة التي مزقت أوتاري وهل لاتزال تتذكرني أم وجدت آخر تتلذذ بتمزيقه.؟.

لقد تمنيت حقاً رؤية وجهها ولو للحظات معدودة!!.. وأين هي العجوز المقعد التي أنقذتني وأمرت رجالها بمعالجتي وإلقائي بعيداً، أتساءل لماذا لم تأمرهم بإخراجي من الصحراء عوضاً عن إلقائي بها مره أخرى.. لماذا؟. ويا ترى كيف هي أمي الان وماذا تفعل وكيف تصمد هي وإخوتي الصغار.. لابد وانهم يفتقدونني كثيراً كما أفتقدهم!. وكيف هو صديقي (أحمد)!!.. كيف يواجه الحياة وحدة بدوني بجانبه.. وهل وجد (نبيل) شخص آخر يسرق منه الأغراض وينهال عليه ضرباً كما كان يفعل معي دائماً؟ أتساءل كثيراً وأتوق لمعرفة الجواب بشدة هل افتقدني ولو للحظات قليلة؟. وهل يفتقد المفترس فريسته؟. أتساءل أيضاً عن أحوال (ميساء) و (أسماء)! كيف يتواجهون بعدما حدث بينهم؟. أتمنى أن يكون الجميع بخير و امان ولكن التساؤل الكبير الذي يطاردني دائماً هو أبي!!.. كيف هو الان؟. طوال الوقت أتساءل لماذا تركنا وحدنا نواجه الحياة المريرة بدونه.. لماذا؟. وأيضاً دائماً ما أجلس لمواجهة نفسي بأمر اعتقادي بأنه لايزال حياً و يقين أمي بأنه ميت منذ سنوات طويلة.. اجلس في حيرة ببادئة الأمر ثم أنكر موته بشده فأنا متيقن عين اليقين بأنه لايزال حياً ولكني فقط لا أستطيع إثبات ذلك وبمضمون المنطق العقلي والإثبات المادي تنتصر أمي في جميع القضايا الخاصة بذلك الأمر، فلطالما تشاجرنا بهذا الأمر، مشاجرات عنيفة الصيحات، مؤلمة الكلمات ودائماً ما تكون حزينة النهايات، يحضرنى الان آخر شجار بيننا، عندما عدت من العمل مُنهك القوى بعد شقاء يوم طويل بالجامعة ثم الذهاب للعمل بشركة قطن يُحول الى نسيج، كنت أمضي فيه أربع ساعات يومية ادفع عربات الأقمشة المتحركة طوال ساعات العمل وفي هذا اليوم عدت لأجد أمي جالسة مع أختها (نبيلة)

يتحدثون ويتناقشون في شتى الأمور وحانت اللحظة الحاسمة ونحن جالسون فوق مائدة العشاء , بدأت أُمي بالثرثرة مع أختها مرة أخرى و أنا جالس أتناول الطعام في صمت متعب الجسد وكنت في هذه اللحظات أتمنى من كل قلبي أن يتوقفوا عن الحديث الذي بات يزعجني كثيراً ولكنهم لم يتوقفوا وظلوا يخوضون في حديثهم الذي أصبح ضوضاء شديدة , كانت اصواتهم تدور في حلقات بداخل عقلي مربية تُخيفني لا أدري هل كانت هكذا حقاً أم فقط كنت متعب و أريد الجلوس في سكون ولكني لم أكن منتبه عما يدور حديثهم وكنت أشعر بأني وسط زحام شديد مكتظ بالأصوات المتداخلة غير مدرك لأي كلمة وسرعان ما عدت للمائدة حين قالت أُمي بحزن. يرحمه الله (عبد العزيز) لو كان حياً لما آلت الامور الى ما هي عليه الان. لا اعلم فيما كنت أفكر في تلك اللحظات ولكنني تدخلت بغضب واضح وجدية مبالغ فيها. أُمي مازال حياً.. لا أدري لماذا أنتِ مُصرّة على موته هكذا!! توقفت الأشواك قرب فاههم يحدقون فيّ في ذهول وكانت ملامح الصدمة تحتل وجوههم وكنت أرى الحيرة في اعينهم وكأنهم لا يعلمون بماذا يُجيبونني وبان كلماتي أتت على غير المتوقع نهائياً. تراخت يد أُمي صائحة بيأس. يا إلهي.. يا إلهي. (هادي) اعتقد باننا تحدثنا في هذا الأمر بما يكفي وأرجوك لا تبدأ الأمر من جديد.. أرجوك لا تفعل ذلك الليلة.

انا لم ابدأ شيء أُمي ... انتِ من يبدأ الأمر طوال الوقت بهذه المقولات الغريبة وبععتقداك أنه ميت طوال الوقت بدون أي مراعاة لمشاعري وأنا اعلم بأنه لايزال حياً وسأثبت لك الأمر في يوم من الأيام. تحدثتُ حينها بانفعال شديد وبدأت أجد صعوبة في التنفس بينما صرخت خالتي

بغضب. (هادي) لا تحدث أمك هكذا!!! فصحت فيها بغضب وعيني مليئة بالجدّ والحذر من أسفل نظارتي. خالتي ارجوك لا تتدخل في ما لا يعينك. أخرجتها جداً في ذلك الوقت وحتى الان لازلت أشعر بالندم كلما اتذكر هذه الليلة وما يجعلني أندم كثيراً هو ما رأيته على وجهها من آثار الحرج والحزن العميق ...حزن قد استشعرت بداخل عينيها المليئة بالدموع ولكن أمي قد تأرت لها مني في أنها بصرخاتها الغاضبة في. لا تحدث خالتك هكذا أيها الأحمق البائس المريض ... إن الامر يعينها كما يعينني تماماً وإياك ان تحدثها بهذه الطريقة مرة أخرى. أتذكر في ذلك الوقت بأني شعرت بغضب شديد وحزن عميق من كلماتها ولكن أكثر هذه الكلمات ألماً عندما نعتتني بالبأس المريض حتى أن الحزن من شدته عليّ كاد يُيكنيني نحيب ولكني لم أصمت وقد تماديت كثيراً بصراخي في وجه أمي وقولي كلمات ندمت عليها أشد الندم ولا أزال. للأسف أمي لست أنا البائس المريض بل أنتِ المريضة.. أنتِ دائماً ما يُنكر حياة أبي.. لماذا!!! لماذا تُنكر حياة زوجك.؟. ولكني أعلم لماذا تفعلين ذلك!!! أجل أعلم أمي أنتِ تفعلين ذلك انتقاماً منه لأنه تركك وذهب لابد وأنه سئم العيش معك. تحركت إلى مسرعة وشفعتني بقوة، صفة ألمتني حقاً ولكنها أغضبتني أكثر وكدتُ أحرك يدي لأصفعها ولكني تمالكت نفسي بقوة، لمحت يدي ثم نظرت لي بذهول. ماذا!!! لماذا توقفت.؟. هيا اضربي بُني.. هيا افعل طالما تريد فعل ذلك!!! للأسف يا بني أنا لست المريضة بل أنت، أبيك لم يرحل بعيداً عني كما تظن بل كان ذاهب لرحلة عمل في الخارج وقد وقعت حادثة وانفجرت السيارة ومات محروقاً بداخلها كما مات آخرون وقد قُمت بدفنه بيدي هاتين، موته أثر في نفسي وفي قلبي أكثر منك ولكن الفارق بيننا أني مؤمنة وقد

تقبلت موته واحتويت حزني بداخلي من أجلكم.. من أجلك أنت يا بني
ولكن يبدو بأنك لم تتقبل وفاته او أنك فقط لا تريد تصديق ذلك.. هل
تعلم لماذا لا تريد ذلك (هادي).؟. لأنك تحب أبيك أكثر مني ولا شك
بانك تتمنى موتي عوضاً عنه أليس كذلك.؟. الكلمات أوجعتني حقاً
واشعلت فتيل عاطفتي تجاه أُمي لتوقد فؤادي لهيباً مُحزناً وتعاضم
حزني بكاءً عندما أخذت ترطم صدري بمجامع يدها هامسةً ببكاء ونحيب.
أنت تحب أباك أكثر مني ... أنت تحبه كثيراً وتفتقده كثيراً ولكني أفقده
أكثر منك ... أفقده أكثر منك!! يا إلهي ما الذي فعلته.؟. كم كنت أحمقاً
بما يكفي، لقد شعرت بالذنب تجاه أُمي حينها كثيراً وسرعان ما فاضت
عيناها دمعاً حارقاً مليءً بالعاطفة وانا أضمها لصدري أهمس إليها ببكاء.
أسف أُمي.. أنا أسف. ولكنها لم تتقبل وسرعان ما ابتعدت لترتمي
بأحضان خالتي وهي لاتزال في انهيار تام حينها نظرت لي خالتي نظرات
لوم لا أستطيع نسيانها حتى الان، نظرة واحدة تحمل معها ملايين
الكلمات. تنهدت بقوة معتدلاً لأجلس بمقربة من النيران هامساً بألم.
أسف أُمي حقاً أنا أسف. ولكن الطامة الكبرى هي أنني لا زلت أشعر
بمشاعر قوية وكأنها اليقين بداخلي يخبرني ويطمئنني بان أبي لا يزال حياً،
لا أعرف لماذا ولكنه يخبرني بذلك وصدقاً أتمنى أن يكون صحيحاً من كل
قلبي.

واقفة أمام برجها السكني الفاخر صاحب الإطلالة الأنيقة المبهرة وتلألأت
أسواءه الجذابة بألوانها الشتى التي تجذب الأعين إليه , تحمل حقيبتها
فوق معصمها الأيمن بضجر يعلو ملامح وجهها البراقة واقفة بانتظار قد
طال تتطلع للوجوه الجالسة خلف موقد سيارتهم بلهفة في ترقب

لمبتغها المنتظر ولكن ما يزيد غضبها هو انطلاق السيارات سريعاً وعدم إدراكها ملامح السائق و أكثرها يُضئ الكشافات الأمامية عالية الوهج المؤلم للعيون الذي يتساقط فوق أذرة عباؤها لتتلاها بلمعان جذاب , زفرت بغضب يحرق صبرها ويلاشي رباطة جأشها تتوعد لها بالعقاب عندما تصل على كل هذا التأخير الطويل , دقائق مرت كأنها ساعات طويلة , للحظات أخذت فكرة ذهابها تترصد قمة ارتباك عقلها ولكن ما يمنعها هو لربما تأتي بعد عودنها ولكنها قلقة على أطفالها النائمون وحدهم بالشقة الواسعة , ماذا إن استيقظت إحدهن ولم تجدها هناك .؟! بالتأكيد ستصاب بالهلع وربما يدفعها ذلك الهلع بالذهاب خارجاً بحثاً عنها، تقدمت إلى الرصيف بحذائها الأسود اللامع صاحب الكعب الطويل الذي يصدر طرقات تملأ فراغ السكون بهدوء متلاعب الأصابع بفراغ صبر قاتل وقفت لحظات فوق الرصيف ترتقب السيارة المنشودة بمشاعر جامحة قوية مزيجاً مريباً ما بين الخوف، القلق والغضب الحارق طرقات قلبها عالية المدى تتصاعد بقوة مع تخيلاتها المقلقة على صغيراتها، زفرت بقوة هامسة بضجر مستاء. ما الذي يرغمني على تحمل ذلك الشعور.. أنا ذاهبة. فأخذت تتحرك عائدة للبرج وفي حين تحركها توقفت سيارة حديثة فاخرة ذات زجاج أسود داكن، هبط زجاج النافذة ليكشف عن أختها (نبيلة) تصيح بها من خلف مقودها. (فاطمة).. (فاطمة). تنهدت براحة كبيرة لسماع صوتها متحركة بقوة صارخة فيها بغضب. اللعنة (نبيلة). ما كل هذا التأخير بحق الجحيم!!! ثم جذبت الباب وولجت للداخل تجلس بجانبها. المعذرة عزيزتي.. إنه الزحام اللعين.. أنا أسفه حقاً.

حسناً.. لا بأس. زفرت بها بهدوء وهي تتلفت حولها بداخل السيارة
هامسة بحيرة - أين (ريم).؟.

لا تقلقي عزيزتي.. لا بد وأنها في الطريق ولكن لا تقلقي ستأتي سريعاً
للاهتمام بالأطفال. تدخلت بهدوء وهي تنطلق سريعاً في الطريق ثم
تابعت بهدوء وهي تقود. إلى أين كنتِ ذاهبة منذ لحظات.؟.

كنت عائدة لقد مللت الانتظار. اجابت بهدوء ثم تدخلت بسعادة. ولكن
أخبريني ما هذه السيارة الجميلة.؟.

حقاً.. هل أعجبتكِ.؟. تدخلت بسعادة حارة. بسم الله ما شاء الله..
جميلة جداً. إنها سيارة (ناصر) الجديدة.. لقد ارتقى في عمله كثيراً هذه
الأيام ولكني لم أهدئ حتى أخذتها لتجربتها والتنزه بها قليلاً.

تنهدت بهدوء متدخلة باطمئنان حين غمرها الهواء المنعش المتسلل
إليها من النافذة المفتوحة. انا سعيدة من أجلك كثيراً عزيزتي (نبيلة)
وأتمنى لكم السعادة دائماً من كل قلبي. حركت يدها اليمنى لتمسك
بيدها هامسة بحنان. لا تقلقي صغيرتي كل شيء سيكون على ما يرام إن
شاء الله. تنهدت براحة هامسة بثقة. بإذن الله. ثم تنحنت بهدوء
هامسة بحيرة. إلى أين نحن ذاهبون عزيزتي.؟.

هذه النزهة ملكٍ انا وحدي لذا لا تتسألٍ ولا تقلقي.. فقط استمتع
بوقتكِ معي صغيرتي.

تبسمت بضحك. حاضر سيدتي.

ضحكت الأخرى بسعادة وهي تراقب ابتسامة اختها الغائبة عنها منذ مدة طويلة تنهدت براحة منطلقة بهدوء.

مستند بمعصميه على حائط النافذة الكبيرة يتطلع لسكون الليل الهادئ من خلال عينه اليمنى بعدما أعاد الضماد فوق عينه المصابة , لم يعد يشعر بالألم في عينه اليمنى من خلال رؤيته بها بحيث أنه لم يكن معتاد على الأمر في السابق أما الان فأصبح معتاد عليها بعدما تقبل الأمر بداخله , يراقب الاضواء الأرجوانية المنبعثة من اعمدة النارة المليء بها الطريق الأسفلتي النظيف ينتابه شعور بداخله بأنه لايزال سجيناً بهذه المشفى , حبيس أربعة جدران رمادية اللون بعيداً عن أضواء المدينة المبهرة و ضجيج الزحام البشري عن هذا السكون الدائم , حتى الهواء هنا مختلف تماماً عن الهواء خارج هذه الجدران , تنهد بقوة وهو يتحرك ليجلس فوق الأريكة السوداء المريحة و أمامه طاولة زجاجية موضوع عليها زجاجة مياه مثلجة يتجمع عليها الماء بكثافة وهاتفه الحديث وعدة مجلدات وجريدة وعلبة سكاثر حمراء فوقها قداحة لها ذات اللون وطفاية زجاجية ثقيلة دائرية الشكل بها عدة أعقاب , بدت عينه ثابتة النظر فوق علبة السكاثر وهاتف داخلي يهمس بأن يدخن واحدة وهاتف آخر يمنعه من تدخينها , الأول يخبره عن عزمته عندما بدى متخوفاً منها ومن عدم المقدرة على الإقلاع عنها وبأنه قد دخن أربعة فقط خلال اسبوع كامل اي انها كمية لا قلق منها نهائياً ولا يوجد منها ضرر و الآخر يطلعه على آلام صدره ورتتيه و أضرارها الحارقة بالجسد و بأنه ما كان عليه أن يبتاع

علبة أبدأً ويذكره بما أخبر والده به وبأنه لن يكررها مرة أخرى , ظل الصراع قائماً بداخله إلى أن انتهى بإشعاله سيجارة وبدى مستمتعاً بها كثيراً وتحولت المشاعر لتتعلق بها كونها تهدئ من روعه وتمنحه شعوراً خاصاً بالسعادة , يشهق الدخان بقوة ويزفره ببطء و انسجام شديد , قاطعت طرقات الباب انسجامه طرقتان متقاربتان فصاح معتدلاً من اتكاء إلى جلوس. تفضل. فتح الباب قليلا وكشف عن الطبيب متحدثاً بهدوء وهو ممسك بمقبض الباب الفضي. (احمد).. هل تسمح لي بالدخول.؟.

بالتأكيد دكتور (سامح) تفضل. تدخل سريعاً.

توجه للداخل جالساً بجانبه هامساً بخجل وهو يضغط على نظارته للخلف. لم تخبرني بانك مُدخن (احمد).؟.

أنا ليس كذلك دكتور ... فقط عندما أرغب بذلك ليس أكثر.

رغبة سيئة ... صدقني (احمد). تدخل بهدوء ثم تابع بحيرة. على كلٍ لقد عبرت عليك قبل ذهابي لأخبرك بأني ذاهب ثم لأعلم ماذا فعلت بشأن تكاليف العملية!!؟.

لقد هاتفت أبي وقال بأنه سيهتم بها الليلة ولكن يبدو بان شيء ما أعاق وصوله حتى الان وقد أخبرني شيئاً عن الزحام امام ماكينة الصرف الآلي.

لا بأس إطلاقاً. تدخل بهدوء ثم تابع بمزاح. أنا متواجد كل ليلة تقريباً
ويمكن إجرائها في أي وقت ليس من الضروري فعلها الليلة ولكن الأهمية
القوى للقطرات التي أمرت بها لتلاشي تجمع الدماء بداخل الحديقة.

سأهتم بهذا الأمر بالتأكيد لا تقلق دكتور. تدخل وهو ينفث الدخان
بكثافة مما أثار رغبة الطبيب في التدخين فحرك يده لعبلة السكائر
ممسكاً بها هامساً بإحراج. هل تسمح لي.؟.

نظر إليه بحيرة واستغراب كبير متحدثاً بتعجب. هل أنت مدخن دكتور.؟.

أخرج الطبيب واحدة وأشعلها مجيئاً بتوتر. لا ولكني مثلك تماماً عندما
أرغب بذلك ولكن أهم ما في الأمر هو أن تتحكم بتلك الرغبة لأنك إن لم
تفعل ستصبح مدخن مفرط مع أنني أعتبر أن الرغبة المحكمة أيضاً
خاطئة لأنها في كل الجوانب لا تفيد الجسد ولا حتى الروح بشيء بل إنها
تحرق الأعضاء الداخلية وتدمر القلب والرئتين والعجيب في الأمر بان
جميع المدخنين يعلمون مخاطرها جيداً ولكنهم لا يقلعون عنها هل
تعرف لماذا (احمد).؟.

ربما أملك أفكار لذلك ولكن لست أكيداً من الجواب الحقيقي. تدخل
بارتياح فهو سعيد لخروجه من حالة الملل الدائم والفراغ القاتل. ضغط
على نظارته متحدثاً بهدوء وهو ينفث الدخان. أطلعني على أفكارك إذا
وسأخبرك السبب الحقيقي.

تدخل مبتسماً. حسناً... أول نقطة هامة هو الخطاء الذي يقع فيه الكثير من المدخنين بل معظمهم هو أنهم يعتقدون بانها ليست إدمان وهي إدمان بلا أدنى شك لذا فالمدخن دائماً ما يبقى على يقين بانه يستطيع الإقلاع عنها وقت ما شاء.

وثانياً. تدخل الطبيب متعجباً.

ثانياً بانها لا تفيد الجسد بأي مادة يحتاجها إطلاقاً ولكنها تتعلق بالحالة النفسية للمدخن لأنه يربط السيارة مع حالات نفسية تأتيه مثل حالات الغضب والحزن وربما الشعور بالسعادة المؤقتة لذلك يكون الإقلاع عنها غاية في الصعوبة حتى يغير العادات من سيجارة في حالة الغضب إلى شيء آخر يفيد الجسد.

اتسعت عين الطبيب إعجاباً وذهولاً ولم يكف عن الابتسام من شدة إعجابه فحرك يده لا إرادياً هامساً بحماس وهو يضافحه

انا سعيد بمعرفتك حقاً (أحمد).

شكراً لك دكتور الشرف لي.

هذا هو السبب الرئيسي (احمد) الحالة النفسية. تدخل وهو يطفئ سيجارته بداخل الطفاية الزجاجية ثم تابع بإحراج. هناك شيء أرغب في معرفته منك كثيراً (احمد) إن لم يكن هناك حرج في ذلك.!

إبراهيم سيد كرم

تفضل دكتور اسأل ما تشاء. تدخل بهدوء.

المعركة التي خسرت بها عينك في خوضها ما هو الدافع الرئيسي بها.؟
ومقصدي هو ما السبب او الشيء الذي من أجله قام العراك.؟.

زفر بقوة هامساً بإحباط. حسناً ... سأخبرك بكل شيء.

أيام تمضي تتبعها شهور تتبعها أعوام وأنا لا أزال كما أنا حبيس دائرة
الخوف والهلع مكبل بقيود الحزن. ماذا أفعل الان.؟! وما الذي فعلته
البارحة! وماذا سأفعل غداً.؟. اللعنة عليك (فرانك) الأحمق! كل ما كنت
أفعله هو مواصلة الهروب ولم أواجه واقعي البتة.. بئس ما فعلت.!! لقد
غرست الخوف بداخل صغيرتي وأنا لا أعلم.. لم أنتبه باني قداوتها وبأني
العامل الأساسي في تكوين شخصيتها المستقلة... لقد خذلت نفسي
وخذلتها معي. آه. لو الزمان يعود لكنت واجهت مصيري أفضل من
الهروب كالجرذ المبلل يرتعد من الخوف والهلع. تنهد بقوة مستاء وهو
يحدق باللهيب المتوهج من النيران المشتعلة أمامه خارج الكوخ. لا يهم
كل ذلك الان ولا يفيد بشيء النحيب على الماضي لا شيء سيتغير مما
قد حدث.. المستقبل هو كل ما يهم الان وبلا شك لن أكرر أخطاء
الماضي الأسود اللعين. مرت أمام عينيه المتوهجة بانعكاس اللهب
بداخلها ذكرى فطوره مع أمه في المدينة حين كانت تحذره وتحاول إقناعه
بعدم قبول هذه البعثة. تنهد بقوة هامساً بملامح من أسى وخيبة أمل.

للأسف وبكل الأسى أعترف بأني اخطأت وبأن أمي كانت محقة في كل ما قالت بان العرب كلهم همج غادرون.. يا ليتني استمعت لك أمي...يا ليتني فعلت. مرت صورة الفتى أمام عينيه وهو مبتسم يصيح بسعادة. مستر (فرانك)! ثم تلاشت الصورة جالبه أخرى لعدة أشخاص ملثمون حادة أعينهم تنذر بالشر مليئة بالحقد نظرات قاسية تخلع القلوب من صدورها. كان جالس متكأ بمعصميه فوق ركبتيه فاعتدل متمائلاً للخلف مستند بظهره على أحد جوانب الكوخ الخشبية العريضة وهو يفرد قدمه المصابة بجانب النيران هامساً بحيرة من أمره. هؤلاء الملثمون يؤيدون ويعززون صدق أمي في حديثها وروايات أبي المليئة بالحقد تجاههم وهذا الفتى ينفي كل ما يقولون عن العرب , أيهم أقرب لطبيعة هؤلاء البشر , يبدو بأني أشغل أفكارى بجدال لا فائدة منه فجميع البشر ليسوا سواسيه في كل شيء فهم كئثر الناس منهم من هو مثل الفتى ومنهم من هم مثل الملثمون , لذا لن يكون الحكم عادل بما يكفي إن آثرت شخص بئثر البشر من جنسه . إن الأمر يبدو غريباً بعض الشيء عندما أنظر لحالي وحال الفتى فأجد اننا نتحرك في اتجاهين مختلفين عن بعضهم البعض، فأنا كنت ذو مكانه مرموقة في المدينة وحياتي مليئة بالنشاط وهو كان يعيش في دائرة من الانطواء والعزلة الشخصية كما أخبرني سابقاً. أما هنا أصبحت في حالة يرثى لها انحدر كل يوم عن سابقه، اهرب من مواجهة الواقع خائف مختبئ تحت ستار الظلام الدامس ولكنه أصبح يرتقي عن سابق عهده ويواصل الارتقاء عما كان وقد بدء بإدراك واقعه وينوي مواجهته بكل مخاطرة وعنده ما يكفي من المعوقات كضعف نظره وضيق أنفاسه...بئس حالي انا.. بئس ما جنته يداي. زفر بقوة حائر النفس تائه الملامح مكبل بقيود الملامة النفسية الأليمة،

ساعات وهو جالس محاولاً بجهد إطفاء نيران الحسرة بداخله ولكنه غير قادر فلا يزال بداخله صرخة ألم مريرة تضخ انهار من الافكار السلبية بعقله كقتل نفسه لحصوله على الراحة الأبدية، فاقد الذات خريز القوى تائه بين هزيز الريح المتقلب ما بين هادئ وغادر ولا يزال ذات السؤال يتكرر بداخل عقله الواهن.. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل.؟. أخرج مدخنته الخشبية مستسلماً لآس حاله وأخذ يشعلها من فوهتها الدائرية المليئة بالعشب الأخضر من نبتته الخاصة الموضوعه بداخلها بإحكام , النبتة التي تأخذه بعيداً عن واقعه المرير و تنسيه آلامه المتوغلة بروحه , أخذ يشهق الدخان بقوة مرة تلو الأخرى وينفث بكثافة كبيرة حتى تجمع الدخان حوله ومن فوق راسه كغمامة تكسوا السماء الصافية تخبئ وهج الشمس الدافئ , لا يزال الحزن ساكناً عينيه السوداء متربعاً فوق عرش فؤاده , بدء وعيه يتلاشى شيئاً فشيئاً و إدراكه يزول كل لحظة حتى انغمس في ذكراه متوقفاً عقله ما بين ذكرتان يمران أمام عينه كأنهما رأي عين متشكلة كطريق له حاجز في منتصفه واحدة تذهب و الأخرى تعود , الأولى وهو يتحرك بسيارته المكشوفة تحت ضوء الشمس الدافئ بين الحقول الواسعة ماراً بالجبال الشاسعة المكسوة بالثلج الأبيض الوهاج مرتدياً حلته السوداء الأنيقة ..كم كان سعيداً في هذه اللحظات وهو يتطلع لجمال الطبيعة الخلافة من أسفل نظارته البنية التي تحمي عينه من وهج الشمس و الهواء يقابله بلهفه معانقاً له بحنان , مستنشقاً نسيمه النقي . والأخرى وهو يهرع هارباً ممسكاً بيد ابنته التي لاتزال ابنه الثانية عشر حينها، يعدو في الظلام مرتعداً من الخوف تائه من الهلع غير مدرك للواقع من فزعه المमित يلهث ويلهث مستنشقاً الغبار الذي يصدره هروبه وهو يتلفت حوله برعب وبكاء

طفلته وهي تصرخ من قبضة يده المحكمة على يدها الضعيفة..
متساءل وهو يرى الذكرتان أمام عينيه.. ما الذي حدث.؟. تلاشت
الذكريات وهو يرفع عينيه ببطء شديد وخمول ثقيل أعلى النيران
الموقدة بعد أن أصبح ضوءها ضعيف متلاشياً إلى جمرات حمراء ملتهبة
ليرى نفسه جالس امامه مرتدياً حلته البيضاء النظيفة وهو لا يزال في
شبابه قبل أن تطأ قدمه هنا وتلامس الرمال، تمايل للخلف قليلاً ببطء
هامساً بخمول وهو يتطلع بوجهه المُبتسم. أنت هو أنا عندما كنت
بالمدينة في موطني أليس كذلك.؟.

أجل.. أنا ماضيك الهائئ الرغيد. أجابه ببسمة أمل تملأ عينيه وتغطي
ملامح وجهه الهادئ.

هل تستطيع إخباري ما الذي حدث.؟. تدخل ببطيء وهو يمسح على
لحيته البيضاء بغير إدراك ثم تابع بتقطع نطق ببطيء.. أقصد... كيف..
أصبحت. منك إلي.؟. من شجاع.. إلى.. جبان.. ومن.. من قادر على مواجهة
واقعي.. إلى متخاذل.. بأئس هكذا.؟.

(فرانك) عزيزي.. أنت لاتزال كما أنت لا شيء تغير.. أنت لم تتغير بل
الواقع هو الذي تغير ... ما فعلته هو الصواب فالأمر لم يكن بمقدورك..
غريزتك في البقاء وخوفك على طفلتك هم العاملان الرئيسان في هذه
التصرفات.. أي أب كان ليفعل مثل ما فعلت ليحامي حياة ابنته من
الخطر ثم أنت لم تخذل ابنتك إطلاقاً وهي تعلم ذلك يقيناً.. تعلم بأنك

تفعل ذلك لحمايتها.. لذا لا تقسوا على نفسك كثيراً فلم تعد تملك الوقت لذلك..!

تدخل بحيرة - كيف ...ذلك..؟.

لم تعد تملك الكثير من الوقت (فرانك) أنت في لحظاتك الأخيرة منذ أن عثرت عليك المشعوذة وبكل تأكيد انت مُدرك بانك لن تستطيع الهرب وأنت مصاب هكذا حتى وإن أردت ذلك فما هي إلا خطوات قليلة وستسقط عاجزاً عن الحراك ...أنت لم تعد مدرك لما يحدث من حولك لأنك حاصرت نفسك في برائن الالم والنقد الذاتي الهادم والمحطم للعزيمة.

ما الذي عليّ فعله الان برأيك يا صديقي القديم..؟. تساءل بحيرة من أمره.

ألا تعتقد بان الوقت قد حان للبوح بالحقيقة لابنتك والفتى..؟ ليعلموا ماذا يواجهون في هذه الصحراء وأيضاً ليدركوا مقدار الخطر المحيط بهم من كل جانب..؟.

لا ... تدخل مسرعاً ثم تابع بشيء من الخوف. لن أخطر بحياة ابنتي بعد كل هذا الوقت والعناء وأيضاً الفتى لا ذنب له لإقحامه بهذا الأمر الخطير إنها معركتي الخاصة وليست معركتهم، إنه جِملٌ لن يستطيعوا تحمله أو مواجهة مخاطره العديدة.

أمسك بعصى صغيرة وأخذ يضغط بها فوق الجمرات بهدوء لمساواتها بجانب بعضها البعض بينما الآخر أخذ يُدخن بشراهة جامه، انتبه لذلك الامر فصاح فيه بغضب. كفى (فرانك).. يكفي ما دخنته حتى الان وإلا أغرقت نفسك في وادي من التيه ولن تعود منه إلا بعد شقاء طويل مرير. ثم مد يده صائحاً بضيق. أعطني هذه المدخنة. فبدى الآخر متردداً فصاح به قوياً. هيا ناولني إياها. فحرك يده بها ببطء شديد ثم قذف بها تجاهه فانزلقت من يد الآخر وهو يستقبلها ساقطه على الرمال ينسكب منها العشب المحترق وهو لا يزال يصدر دخاناً كثيفاً فحرك حذائه الأسود اللامع وقام بغرسها عميقاً في الرمال رافعاً راسه كثيفه الشعر الأسود اللامع ونضاره بشرته الملساء التي تتوهج بلمعان في الظلام هامساً بهدوء. السر العظيم.. ماذا تعتقد إن لم تك تملك شيئاً كهذا ماذا كانوا سيفعلون بك وبابنتك حينها (فرانك).؟.

كانوا سيمزقوننا إرباً كما فعلوا ببعضهم في ذلك الوقت.

إذاً هو الذي أبقاك حياً طوال هذه المدة.؟. تساءل بذكاء.

آه.. هو وخطة هروبي المتجددة. أجب بهدوء وهو يشعر بان الكلمات تتساقط من فوق شفتيه بغير إدراك منه.

إذاً بماذا سيفيدك هذا السر بعد الموت (فرانك).؟. تساءل بحيرة تلمع في عينيه السوداء.

لا شيء.. على ما أعتقد! سيُدفن معي ولن يكشفه أحد آخر.. وربما
يكتشفه أحدهم يوماً ما وربما لا!

لماذا؟ أهو بهذه الصعوبة؟. تسأل بحيرة.

اجل.. لأن تركيبة اللغز في غاية التعقيد طالما لا تملك مفاتيحها.. لا بد
وانهم استعانوا بالكثير لفكها وأعتقد بأنهم عجزوا عن الأمر وإلا لكانوا
تركوني وشأني منذ زمن طويل وما أجهدوا أنفسهم في البحث عني طوال
هذا الوقت.

أطلعهم (فرانك).. أطلعهم على هذا السر لربما يُفيدهم في يوم من الايام
وربما يستخدمونه كوسيلة لخروجهم من هذه الصحراء اللعينة أحياء..
أطلعهم ولا تتردد.. لا تكرر أخطاء الماضي (فرانك).. لا تكرر أخطاء
الماضي. ظلت الكلمات تتردد بداخل عقله حتى استفاق شاهقاً بقوة
ليجد نفسه منطرح على وجهه بداخل الكوخ يتلفت حوله بحيرة غير
مدرك لما كان يحدث باحثاً بعينه عن من كان يُحدثه الان ولكنه لم يدرك
شيئاً فظل منطرحاً حتى غاط في ثبات عميق.

جلست بهدوء على المقاعد الإسفنجية الناعمة وأمامهم طاولة بلاستيكية
دائرية بيضاء بداخل حديقة خلاصة الأشجار ذات إطلالة بديعة المشهد
للنهر الواسع صاحب المياه المتلألئة بانعكاسات الاضواء المختلفة، تقدم
إليهم العامل بحلته البيضاء متميلاً برفق هامساً بأدب بالغ. مرحباً بكم
سيداتي ... ماذا تطلبون؟. وضعت هاتفها الحديث ومفاتيح السيارة

أمامها هامسة باستغراب. أووه.. هذا سريع للغاية!! تدخل العامل بقليل من الإحراج. أسف سيدي أستطيع العودة متى تشاؤون! تدخلت (فاطمة) بهدوء وهي تضع حقيبتها الكبيرة أمامها. لا بأس.. أنا أريد قهوة مُحلاه باللبن. تدخلت الأخرى مسرعة - وأنا أريد عصير برتقال.

حسناً سيداتي لحظات وكل شيء سيكون جاهزاً. تحدث بابتسامه خفيفة ثم تحرك مبتعدا

كيف أحوالكِ عزيزتي (فاطمة) وكيف أحوال احبابي الصغار الان.؟. تدخلت بابتسامه مليئة بالحنان.

بخير حال و الحمد لله ... أعتقد بأن الصغار بدأوا الاعتقاد على غيابه قليلاً. تحدثت بقليل من الحزن ساكناً بعينيها الزرقاء. ثم تابعت بابتسامه خفيفة. - ولكن أخبريني ما السر خلف هذه النزهة الجذابة.؟.

تنهدت بهدوء. السر عزيزتي أننا نحتفل بارتقاء (ناصر) في عمله كما أخبرتك سابقاً وهذا الارتقاء أتى بنزهة لمدة أسبوع بأرقى المنتجعات السياحية بالبلاد وهي خاصة بأفراد العائلة وبالتأكيد لك مكان معنا ولن أقبل بأي اعتذارات مسبقاً.

ترددت للحظات في إجابتها ولكنها لاتزال حائرة بأي عقل وحالة نفسية ستذهب للتنزه وولدها مفقود حتى الان فتحدثت بحيرة من أمرها. (نبيلة) عزيزتي، هذا عرض مغربي للغاية ولكن...قاطعتها مسرعة. لقد

أخبرتكَ لن أقبل بأيّ اعتذارات عن ذلك الامر ثمّ أُنِي بالفعل قد حجزت لك مقعد بالطائرة انتِ والأطفال والشركة ستتكلّف بكافة التكاليف وبخلاف ذلك هي فرصة رائعة لتنقيه الذهن وصفاء العقل ورخاء الجسد وللأطفال ستكون ذات تأثير إيجابي كبير وملحوظ. صممت حائرة تبحث في معاجم الكلمات عما تريد قوله ولكنها عاجزة أمام إصرار أختها وأيضاً بالتفكير في الامر فكلّامها مقنع للغاية.. قد تكون هذه النزهة بالنسبة لها لا تعني شيئاً ولكنها ستعني الكثير لأطفالها وهذا ما يجعلها في حيرة من الامر صامتة ساكنة لا تجادل وعندما أرادت التحدث قاطعها وصول النادل بالمشروبات. سيداتي. همس بأدب وهو يضع القهوة والعصير وسط الطاولة ثم تابع بهدوء. أي شيء آخر سيداتي.؟

لا شكراً جزيلاً. تدخلت بهدوء وهي تقرب زجاجة العصير إليها بينما أمسكت (فاطمة) فنجان قهوتها ترتشف منه ببطء قائلة باطمئنان. حسناً.. أنا موافقة.!

وضعت كوب عصيرها بسعادة صائحة بحماس. أجل.. هذا ما أتحدث عنه عزيزتي.. قضاء عطلة عائلية مميزة.. أعتقد باننا سنستمتع كثيراً.. هيا دعينا نستمع بالمشروبات ثم نتحرك لنبهج الصغار.

يتحرك وسط الظلام الدامس و الرياح الهائجة بصرخات هزيبها المتصاعد متمسكاً بقوة بلجام جملة المتحرك خلفه واضعاً يده بإحكام فوق حاوية رأسه السوداء كي لا تتطاير بعيداً في الفضاء بين أجفان السحاب المظلم , يتصارع جسده المتحرك بتصلب كالحجارة ببطء فوق

الرمال تجذبه الرياح للخلف وهو يُصارعها للتقدم , ظل هكذا لحظات طويلة حتى توارى عن الرياح الهائجة خلف صخرة ضخمة متوسطة الارتفاع بها فراغات صغيرة بارزة عن كل جوانبها , أحكم رباط جملة بإحداها ثم أخذ يحمل حقائبه القماشية السوداء ثلاث حقائب ثقيلة جداً كأنها مليئة بالمعدن فوق ظهره بهدوء ثم تحرك صاعداً لقمّة جبلية صخرية عالية ظل يصعد ببطء وعناء حتى توقف أمام كهف مظلم وسط الجبل متلفتاً حوله بقلق يعلو ملامح عينيه الظاهرة من لثام وجهه الأسود ظل هكذا لحظات حتى اطمئن بعدم وجود أحد يراقبه فجثى على ركبتيه يُخرج شعلة من أحد حقائبه الثلاث وسرعان ما أشعها بقداحته البيضاء لتنير الآفاق من حوله بوهج نيرانها المتراقصة على أنغام الرياح متحركاً للدخل حاملاً حقائبه خلف ظهره تصدر وساوس حين تحريكها كلما خطى خطوة للدخل , أخذ يتحرك حتى توقف أمام جدار صخري وسط الكهف أقصى اليسار ثم علق الشعلة بفراغ في منتصف الجدار جاثياً على ركبتيه ماسحاً الجدار ببطء حتى ظهر باب حديدي صغير له قفل سميك , أخرج المفتاح وقام بفتحه سريعاً متلهفاً بازدياد طرقات قلبه الشجون , جذب الباب بقوة حتى كُشف عما بداخله من مجوهرات ذهبية كثيرة براقّة المنظر متلاثلة بثناء شديد تتوهج في الظلام كضوء الشمس وقت الضحى ولكن عينيه السوداء الواسعة كانت أشد بهجة و أكثر إشراقاً بشهوة الثراء ورغبة الارتقاء هامساً بحماس تام خالص العزيمة. لقد اقترب الوقت كثيراً أحبابي ...لقد اقترب كثيراً .. يا قره عيني ونبض قلبي. ثم أخذ يفرغ محتويات الحقائب بلهفة وجنون يُسكب منها الكثير من الذهب المخلوط باللؤلؤ والمرجان يسكب بلهفة وسعادة غامرة ثم ألقى بجسده فوقهم يحتضنهم بجنون هامساً بقوة. أنتم ملكي

وحدي ... أنتم لي وحدي ... لن يستطيع أحد مهما كان سلبكم مني.. أنتم حياتي ونبض قلبي فمعكم عقلي وأنتم أسرون روحي يا كنزي الثمين. ظل مستمتعاً بثروته الكبيرة وكنوزه المتعددة ولكن سرعان ما أوجس في نفسه خيفة من كونه كان مراقباً فاعتدل مسرعاً وأفرغ ما تبقى من حقايبه ثم أحكم إغلاق الباب وأخذ يجلب الرمال السوداء ويمسح بها فوق الباب الصغير حتى توارى عن الانظار وما عاد له ملامح حيث أصبح كباقي الجدار، وقف يتطلع إليه باحثاً بعينه الحاذرة عن أي ثغره قد يكشفها من يدخل هنا عن طريق الخطأ أو الاحتماء فلم يجد، تنهدت بارتياح وهو يلتقط حقايبه الفارغة متناولاً الشعلة متوجهاً للخارج بأعين مليئة بالمكر متلألئة بالدهاء.

.....

وضع زجاجة المياه فوق الطاولة الزجاجية المستطيلة هامساً بدهشة. هذه قصة مؤثرة جداً (أحمد).. ولكنني لست متفق معك بأمر الانتقام هذا.

لماذا دكتور.؟. تساءل بحيرة وهو يفرك بشعره القصير.

لأنك من بدء بالقتال وليس هو! ولكن إن كان هو من اعتدى عليك أولاً لكان أمر مختلف.

أنا لا أعتقد ذلك دكتور مع احترامي الشديد.. لأني إن توقفت عن التصدي له سيحسب ذلك ضعفاً مني وسيستمر بكبره في إغضابي وحينها قد أقتله!!.. لأني أعلم جيداً طبيعة الشخص الذي أواجه.

يا إلهي ... أنت عنيد كأخي. تدخل باستياء وهو يضغط على نظارته الرفيعة ثم تابع بحزن - وأخي هذا يؤكد العنصر الثالث بأمر التدخين.. بأن هناك أشخاص يريدون قتل أنفسهم عن طريقه.. فهو يُدخن بشراهة كبيرة جداً.. إنه طيب القلب ومسالماً ولكنه متخاذل بعض الشيء لأنه يُمّر بضيق مادي كبير، فوق كاهله دين كبير يعجز عن سداه وهذا يؤثر في حالته النفسية مما يجعله غير مستقر في عمله، كل يوم وآخر يترك العمل ويبحث عن آخر وإن سأله أحدهم لماذا.؟. يخبرنا بأنه ليس المناسب له.

أعتقد بان هذا حال جميع الشباب هذه الأيام دكتور. تدخل بضجر ملحوظ.

آه.. معك حق.. لفظها بحزن ثم تابع بحيرة وهو يتحرك تجاه الباب - حسناً (أحمد).. انا سعيد بحديثنا معاً وسنلتقي مجدداً قبل ذهابك إن شاء الله.

بالتأكيد دكتور أنتشوق لذلك. أجاب بابتسامه وهو يتحرك معه للباب، وقف أمام الباب صائحاً بهدوء - إلى اللقاء (أحمد) اتمنى لك الشفاء العاجل.

إلى اللقاء دكتور ... شكراً جزيلاً. تنهد براحه وهو يراقب سيره بداخل الرواق الضيق للخارج ثم توجه للدخل بهدوء يهمس بداخله متفكراً عن سبب تأخير أبيه حتى الان.. يا ترى ما الذي حدث معك أبي.؟.

في هذه اللحظات

كان أبيه لا يزال يطارد السيارة السوداء الفاخرة التي تجوب الطرقات بسرعة كبيرة متفاديه طرقات الزحام للطرقات الخالية حيث ينطلق بدون أي معوقات تقابله وقد تعالت ملامحه الإرهاق من طول مسافة السير المتواصل بأعصابه المشدودة بتوتر وقلق وعقل منهك يضعف مع مرور الوقت فهو غير معتاد على التحرك بسيارته هذه المسافات الطويلة هكذا بجانب أن توتره الزائد عن حده يجعله شرهاً لحرق السكائر ولا شك بان السيجارة لم تفارق إصبعيه الفترة الماضية مما جعله أحرق الكثير والكثير وقد لاحظ ضيق انفاسه وصرخات آلام صدره ورثتيه و أيضاً عيناه أصبحت زائغة الإبصار من كثرة تعرضها للإضاءة الشديدة من السيارات المعاكسة لهم ..كل شيء تعقد في عقله ولا شك بانه يفكر بالاستسلام و التوقف عند هذا الحد ويقف باي جانب للحصول على قسط من الراحة و يتابع سيره للعودة سالماً إلى منزله ولكنه عاجز عن فعل ذلك فكلما أراد ذلك وعزم عليه تأتيه صورة العجوز و الشاب وهم متطايرون في الهواء

وعدم تردد السائق ولو للحظات للتوقف وتفقد حالهم ناهيك عن انه لم يتوقف لمفاداتهم ودهسهم بدون لحظة تردد واحدة..زفر بقوة غاضباً وهو يفتح عينيه بقوة. لن أتركه ينعم بهذه الليلة ولن أغفل عنه حتى القي به في السجن ليعاقب على سوء افعاله. ولكن سرعان ما تشتت أفكاره تائهة منه الكلمات عندما رأى السيارة تسلك طريقاً جانبياً متوجه إلى وسط المدينة فظل يتبعها بهدوء لعدم جذب انتباه سائقها وينتهي الامر بعد كل هذا العناء و الشقاء المتعب بهروبه بعيداً و الإفلات من العقاب المستحق وبالفعل توجهت السيارة إلى قلب المدينة حيث الأضواء المبهرة و المتاجر الفاخرة و الطرقات النظيفة و الزحام البشري البهيج , ظلت السيارة تتحرك بداخل هذا الصخب المليء بالحياة حتى توجهت لجانب المدينة الهادئ فتوترت يداها من ارتفاع نبضات قلبه القلقة وهو يدرك بان المواجهة قد اقتربت كثيراً أملاً حسن التصرف في اللحظة المناسبة ففتح درج سيارته يتفقد حال مسدسه الصغير متنهداً بتوتر قلق .. بينما توقف (نبيل) على جانب طريق ملئ بالسكون شبه فارغ من السيارات و البشر ذو إضاءة خافتة قادمة من أعمدة الإنارة الموضوعة على جانب الطريق عن يساره ,حائراً لا يعرف ماذا يفعل و لا يدرك لماذا توقف هنا تاركاً خلفه كل الاضواء اللامعة و الأماكن المليئة بمعالم الحياة , للحظات أحكم يداها على المقبض الدائري الفاخر و آزاد تفعيل السيارة ليتوجه لمكان آخر به بعض البشر ولكنه لمح شاب قادم من آخر الطريق الخافت فتصارعت الأفكار إلى عقله المضطرب ولمعت عينيه بالشر فأرعى قبضته مشعللاً سيجارة حمراء هابطاً من السيارة وعينيه مليئة بالشر متوجهاً حيث يتقدم الشاب ..كان (فؤاد) قد توقف بعيداً قليلاً عنه يراقب جلوسه في السيارة ولكن عندما هبط منها صُقع

صعقة شديدة أصابته بالذهول صارخاً بدهشة باغته ..يا إلهي ..إنه ..إنه
... (نبيل) !!!

جلس ساكناً مصعوقاً يتساءل بداخله كونه فقد أثر السيارة الحقيقية التي صدمت العجوز والشاب أم أنه هو الذي صدمهم طوال هذا الوقت قلبه يضخ الدم بعقله بقوة غير مسيطر على فيضان مشاعرة الجازمة.. ماذا يفعل الان.؟! بلا شك إنها اللحظة التي كان ينتظرها منذ مدة ومن العجيب أنها اتت سريعاً على غير المتوقع له نهائياً بلا حساب ولا سابقه تخطيط لقد وقع في شر أعماله، زفر بقوة مدركاً اختفائه من أمام عينيه فأخذ مسدسه هابطاً من السيارة سريعاً وبينما يتحرك سمع رنين هاتفه بداخل السيارة ألقى نظرة خافته من خلف الزجاج على أسم المتصل فوجده (أحمد) وقف حائراً للحظات متفكراً بماذا يُجيب وماذا يقول له في مثل هذه اللحظة المليئة بالتوتر والحماس فقرر عدم الرد وتحرك هامساً بتوتر. ليس الان ...ليس الان. رافعاً عينيه للطريق يبحث عن أثر (نبيل) فوجده يتحرك بجانب حائط لمبنى عريض يمتد من اول الطريق لآخره تحت الضوء الخافت فتحرك خلفه بهدوء غير ملحوظ فلمح اثنان يهمسون بأذن بعضهم البعض ملابسهم مربية بعض الشيء يرتدون جاكيت أسود لامع وبنطال أسود ملئ بالخرز الفضي مظهرهما متشابهاً بعض الشيء يحدقون له بينما يهمسون فتجاهلهم بحذر فلمحهم يتحركون تجاه سيارته فتوقف مشعلاً سيجارة مراقباً لهم بتواري أنظار وقد امتلئ قلبه بالريبة من أمرهم عندما أخذوا يلتفون حول سيارته

قرر حينها التصرف بذكاء وتجاهلهم متحرراً تجاه (نبيل) ليرى ماذا سيفعلون ولكن سرعان ما حطموا زجاج سيارته أخذين منها شيئاً فتحرك خلفهم يعدو سريعاً فلمحوه وهو يقترب فأخذوا يعدون هاربين بما أخذوه فقرر التصدي لهم و القبض عليهم بينما يتحرك (نبيل) مقترباً من وجهته إلى الشاب القادم إليه يتحرك بحيره من أمره متلفتاً حوله كل بضع خطوات وكأنه يبحث عن شيء ما حتى اقتربوا كثيراً وبينما يمر الشاب من جانبه صدمه (نبيل) بكتفه صدمة قوية أسفرت عن تساقط الشاب بعيداً فوق الرصيف مرتطمأ بقوة غاشمة فاعتدل الشاب صائحاً بغضب وهو ينظف قميصه الأبيض وبنطله الأسود الذي أمتلى بالأتربة

ماذا هناك أيها الاحمق ألا تراني.؟.

وقف (نبيل) أمامه بجسده المفتول رامقاً إياه نظرات الغضب. من هو الأحمق أيها اللعين.؟.

وقف أمامه رامقاً إياه نظرات الاستغراب الشديد صائحاً بهدوء. آه.. أعتقد بانك تريد افتعال للشجار أليس كذلك.؟.

شجار.؟. تدخل مستغرباً ثم تابع ساخراً وهو يستعرض عضلات ذراعاه - ما هذه الأفعال الطفولية! أنت لست نِدأً لي.!

وما أدراك.؟. تساعل بذكاء ثم تابع وهو يخرج علبة سكاثر ورقيه مشعلًا
سيجارة بيضاء. لا تغتر بجسدك المفتول فهو بلا فائدة في معارك الرجال.

العكس هو الصحيح. تدخل بثقة ثم تابع بحماس وهو يضغط على
قبضاته. جسدي عامل أساسي وقبضتي محطة العظام.

تدخل سريعاً ساخراً.. يا إلهي.. هل الأمر سيصل لتحطيم العظام!! هذا
يبدو خطيراً للغاية. ولكن إن كنتُ مُصرّاً على القتال فأنا مستعد لقتالك
ولكن بشرط.

ما هو.؟. تدخل بحيرة.

تتقاتل حتى الموت. تحدث بثقة قوية تلمع في عينيه العسلية الواسعة.

حتى الموت.؟. تدخل بقلق يعلوا ملامحه العريضة.

آه. تدخل سريعاً ثم تابع بسخرية. فانا لا شيء لدي لأخسره فحياتي
محطمة رأساً على عقب.. أنا البائس المُحطم.. الفاشل في كل شيء حتى
في حياتي الزوجية فاشل.

بلع لعابه بقلق يرمقه بنظرات الاستغراب يهمس بداخله مع أي
الأشخاص قد وقع فالشخص الواقف أمامه لا يبدو خائفاً البتة بل وكأنه
كان ينتظر الأمر أو كان متوقفاً له هذه الليلة ولكن هذا لا يمنع من القتال

معه وتفريغ بعض الغضب لدي فهي فرصة جيدة للاسترخاء فأجاب بحماس. موافق.

أعلم بانك ستوافق ولكني أريد تنبيهك لشيء في غاية الأهمية قبل الشروع في الأمر.

ما هو.؟. تدخل بحيرة وضجر.

نفث الدخان بقوة متحدثاً بثقة. أريد تنبيهك بأنه سيتحتم عليك قتلي إن هزمتني لأنك إن لم تقتلني سأنهض من جديد وأبحث عنك في شتى بقاع الأرض حتى أجذك وأقتلك أو تقتلني وصدقني حين أقول لك بأني لن أهدى حتى أجذك وسأجذك لذا فكر في الأمر قليلاً لأنني كما أخبرتك لا شيء معي لأخسره فأنا بائس بما يكفي.

أقلقته الكلمات كثيراً حيث انه يستشعر الثقة في صوته الضعيف ونظراته الجادة التي لا ترتجف ورغب في إشعال سيجارة لتهدئ من روعه المتوتر وبالفعل أشعلها وأخذ ينفث الدخان بقوة هامساً بابتسامة مبلده اعلى محياه. إن كنت فاشل بما يكفي فماذا أكون أنا.؟. إن كنت أنت بائس قليلاً فانا دائم البؤس وسأقبل تحديك الليلة على أن يقتل أحدنا الآخر بلا هوادة.

مسح على لحيته القصيرة ناظراً إليه بجدية صارمة متنهداً بداخله عن هذا الشخص الضخم أمامه كونه عنيداً حتى بعد كل المحاولات لإخافته

ولتراجعه عن القتال ولكنه عازم عليه بشدة مع كل ما قاله له.. اللعنة.
صرخ بها بداخله فهو بالفعل قد تورط في قتاله مع هذا الضخم العنيد،
يرى فرصته في الانتصار ضعيفة لضعف جسده من قله الطعام الذي كان
يتناوله في الأيام السابقة وإن فاز فيلا شك سيكون مع أضرار جسديه
عظيمة ولكنها قد تكون طريقة جيدة للموت فهو كان يفكر بذلك سابقاً
بالفعل ولكنها ستكون مיתה مؤلمة بعض الشيء.. زفر بحيرة. حسناً..
فاشل x بائس سيكون قتال من أجل المتعة فكلانا لا رغبة لنا في الحياة.
آه.. فلنجعله قتالاً دمويًا. تدخل بنشوة عارمة.

ألقوا بسكائرهم بعيداً وأخذوا يرمقون بعضهم بالنظرات الجادة كل واحدٍ
منهم متردد في الهجوم مرت لحظات سكون يتسللها الريح القوية بينهم
ثم بدء القتال.. ركلات ولكمات قوية متطايرة الدماء فوق الرصيف
الأسمنتي النظيف قتالاً هادئاً فيما بينهم حتى احتاجت النفوس وصار
قتالاً ضارياً. وقع عليه (نبيل) جالساً فوق صدره ينهال عليه باللكمات
الضارية وهو يرى صورة أبيه امامه وهو يصيح فيه. أنت فاشل حقير... لا
قيمة لك في المجتمع.. بدوني لا تساوي شيئاً.. بدون اسمي لا أسم لك.

بينما الآخر منطرح دامياً يتلقى اللكمات باستسلام مغررة عيناه مليئة
بالدموع وهو يرى صورة أبيه وهو جالس معه بداخل غرفته يهمس إليه
بصوت حزين. (آدم) يا بني إلى متى ستظل حزينا هكذا..؟ فقد قاربت
زوجتك على إنجاب طفلك الاول الست سعيداً بذلك..؟ أقسم لك بان
حبه قد انغرس بقلبك من الان!!! الا تريد تربيته في مستوى مادي مقبول

تأتي له بأفضل الملابس وتلبي احتياجاته. فأوماً راسه دليلاً على الموافقة. إذا فلماذا لا تعمل من أجل ذلك. لماذا لا تكافح من أجل طفلك القادم. لا اقول لك من أجل نفسك أو من أجل أمك ولا زوجتك بل من أجل ابنك يا بني. أعادته اللكمات القوية حيث هو طريحاً تتسلل الدموع من بين الدماء المنهمرة على وجهه يصرخ بقوة. هيا اقتلني.. هيا الكمني أقوى أيها اللعين فانا أستحق ذلك.

بينما الآخر يصرخ هو يلكم بقوة. أنا لستُ فاشلاً أبي.. أنا لستُ فاشلاً. وسأثبت لك ذلك عما قريب... سأثبت لك ذلك أيها اللعين.

في هذه اللحظات كانت (فاطمة) وأختها(نبيلة) يتحركان في هذا الطريق صائحة (نبيلة) بغضب. هذا اللعين لم يريد جلب السيارة لنا من المغسلة ولا اعلم لماذا يتحتم على الذهاب للمغسلة الان.؟.

أنتِ من أخطاء عزيزتي. تدخلت بهدوء ثم تابعت بلوم. أنتِ من صرختي بوجهه فالرجل كان ذاهب ليحضرها ولكن صراخك به أغضبه وهذا أقل ما يمكنه فعله هو الامتناع عن جلبها وها نحن نسير منذ مدة وتقريباً نحن في الشارع المطلوب.

(فاطمة) لا تلقي باللوم على. صاحت بغضب ثم تابعت بجدة. إنه عامل حقير لم يرغب في الأمر منذ البداية وقد تناول على بالألفاظ النابية وتريدين أن أصمت له بالتأكيد لا.. اللعين قد أفسد الليلة علينا وأغضبني

كثيراً أفكر في العودة وانها ل عليه باللكمات لأفزع بعض الغضب في وجهه القبيح.

كانوا يتحركون مقتربين من القتال وهم لا يشعرون بذلك وقد ارتمى (نبيل) بجانبه وهو يسيل في دماؤه متعباً من كثرة اللكمات التي لكمها لذلك الشاب وقد بدء الشاب في التحرك زاحفاً على معصميه مبتعداً عنه يهمس بألم والدماء تتقاطر من وجهه المختبئ أسفلها. كفى... كفى. فالتقت الفتتان فصرخت (نبيلة) بفرح من هول ما تراه عينيها السوداء من دماء تنهمر كالفيضان من وجه الشاب وهو يهمس بهم ماداً يده. والدماء... النجد...ة. بينما توقف (نبيل) يُجرجه من قدميه لينها ل عليه بالمزيد من اللكمات المتعبة، ظلوا واقفين مرتجفة أجسادهم بفرح وهلع واعينهم ثابتة على الدماء الغارق بها الرصيف لا يقدرّون على التحرك أو التفوة بشيء وسرعان ما أمسكت (فاطمة) يدها تهرع بها هاربة من هذا المشهد المؤلم وقعه على قلوبهما، يهرعون بفرح مرتجفة أجسادهم خافتة خطواتهم يبحثون عن شخص ما يساعد ذلك الشاب وفي حين هرعهم الفازع اصطدموا ب(فؤاد) وهو عائد تجاه سيارته فتدخل بحيرة وهو يرى ملامح الفزع على وجوههم. ماذا هناك سيداتي. ...

كان (نبيل) لا يزال ينها ل عليه باللكمات حتى أفقده الوعي وظن بانه فارق الحياة فتوقف واقفاً بترنح مخمول متعب الجسد مشعلاً سيجارة ينفث دخانها بقوة شديدة وما أن التفت حتى وجد أمامه (فؤاد) موجهاً لرأسه فوهة مسدسه صائحاً بغلظه. مكانك أيها اللعين. بلع لعبابه مرتجفاً هامساً بداخله.. اللعنة.

١٤

حياة آدم

مكانك أيها اللعين!!! همس فازعاً بداخله والدماء تتقاطر من رأسه..
اللعنة. ولكن سرعان ما علت الابتسامة محياه العريض ساخراً بضحك.

ماذا تعتقد نفسك فاعلاً أيها الشرطي.؟.

تراجع خطوة للخلف وهو يوجه المسدس لصدره صائحاً بقوة تنضر في
عيناه يديك خلف ظهرك أيها المجرم والتف ببطء.. ثم إن أسمى ليس
الشرطي بل أسمى هو الرائد (فؤاد) أيها المجرم. ظل واقفاً كما هو ينظر
إليه ببسمة حارقة يملئها الكيد. - أنا لست مجرمًا ولن ألتف لأنك لن
تستطيع القبض عليّ.. ألا تعلم من أنا.؟. التف ببطء وضع يديك خلف
ظهرك بأدب وإلا استعملت معك العنف وايضاً أنا لا اهتم كائن من
تكون.

بدى منه الاعتراض يجز على شفته بأسنانه صائحاً بتهجم. تراجع عما
تفعله وإلا ستندم كثيراً على ذلك!!! أرخى يده واضعاً المسدس خلف
ظهره برباط وسطه الأسود صائحاً وهو يركله بقوة بين قدميه. لقد
استعملت معك الأدب ولكنه لا ينفع. فسقط الآخر صارخاً بألم شديد

يصيح والأخر مرتكز فوق ظهره يُكبل يديه. أقسم لك بأنك ستندم كثيراً على ذلك.

جذبه من معصمه وأخذه إلى سيارته متحدثاً بثقة. سنرى من سيندم كثيراً على أفعاله... (نبيل) أنت ملقى القبض عليك بتهمة دهس رجل وعجوز في الطريق والتهجم على شاب بغرض قتله مع سبق الإصرار والترصد لك الحق في الالتزام بالصمت وأي كلمة تقولها قد توضع ضدك في المحكمة. ظل يتلو عليه حقوقه حتى ألقى به بداخل سيارته بجانب الشبان اللذان حطموا زجاج سيارته ثم عاد مسرعاً يهاتف الاسعاف لنقل الشاب المصاب.. وما أن انتهى حتى تحرك سريعاً إليهن وهن جالسون ببداية الطريق وأمامهم أكواب من عصير الليمون لتهدئ من روعهن الفازع وقف امامهن متحدثاً بهدوء. شكراً جزيلاً لكن سيداتي ولا تقلقوا فقد ألقينا القبض على المجرم والمجني عليه مازال حياً.

شكراً لك أيها المحقق.. تدخلت (فاطمة) بإرهاق وهي تحتضن اختها التي لاتزال تحت تأثير الصدمة.

أخرج دفتر صغير من جيب جاكته السوداء وقلم هامساً بهدوء. أعتذر كثيراً على ذلك ولكن يأخذ بيناتكم من أجل الشهادة في المحكمة إن استدعى الأمر لذلك.

حسناً.. لا بأس. تدخلت بهدوء.

فأخذ يُدون البيانات وفي هذه الأثناء وصلت سيارة الإسعاف وتم نقل الشاب بداخلها برفق.

حسناً سيداتي.. شكراً جزيلاً على حسن تعاونكم. تدخل بهدوء ثم تحرك للسيارة، صعد السيارة جالساً بهدوء، أشعل سيجارة وأخذ ينفث الدخان بقوة منطلقاً لقسم الشرطة. وقفت سيارة أجرة بيضاء أمامهن وهبط منها رجل له لحية مشذبه عند ذقنه حاسب السائق وتوجه إليهن بفزع صائحاً. ما الذي حدث (فاطمة)؟.

(ناصر). تنهدت براحة ثم تابعت بتوتر. لا تقلق فقط شاهدنا مشهد مربع ولكنها لم تتحمل رؤية الدماء وأنا لا أجيد القيادة فهاتفتك لتخرجنا من هذه المنطقة المرعبة.

صاح متلفتاً حوله بحيرة. أين السيارة؟.

إنها لاتزال في المغسلة.. أعتقد بانها في نهاية هذا الشارع.

حسناً.. سأجلبها وأتي سريعاً.. لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله.

تنهدت بقوة هامسة براحة. - إن شاء الله.

عبر بالسيارة بوابة القسم الواسعة وتوقف أمام درجات الباب العريضة، هبط سريعاً وهو ينفث الدخان بقوة وسرعان ما تحرك إليه شرطيان صاح بهم وهو يتحرك لداخل المبنى الكبير. احضروا المجرمين للداخل حالاً. صاحواً مُجيبين بعد اداة التحية له. أمرك سيدي. ثم أخذوا يُنزلونهم من داخل السيارة صائحين فيهم بقوة. هيا اهبط أيها المجرم أنت وهو.

فبدء الجميع بالهبوط مع تغيرات الملامح والمشاعر فكان يعلوا وجه الشابان أصحاب الملابس ذاتها والهيئة المتقاربة الفزع والهلع بتورطهم في هذه المصيبة السوداء بينما كان (نبيل) مُفعم بالغضب الشديد صائحاً بالشرطي بغضب. ستندمون كثيراً على ذلك ...أتمت تتعاملون مع الشخص الخاطيء تماماً وستندمون كثيراً على ذلك. صاح فيه أحدهم بقوة وهو يدفع بهم للداخل. تحرك أيها اللعين ولا تتحدث.. لن ينفعل شيء طالما وقعت في يد الرائد (فؤاد).. لان المجرم الذي يمسك به ينال عقابه جيداً ولا يفلت منه مهما كان من هو. لم تجعله كلمات الشرطي يتنازل عن صرخاته الغاضبة بالوعيد بينما يتحركون بداخل الرواق الأبيض الواسع المليء بالغرف عن اليسار واليمين بينما الشابان يعلو ملامحهم الخوف والندم بجانب استغرابهم لأمره وهو يصيح بلا هوادة بداخل قسم الشرطة ولا يبالي لأحد فصاح أولهم للأخر بهمس. هذا الشاب يبدو واثقاً مما يفعله كثيراً ولا يبدو عليه الخوف نهائياً.. أتساءل من يكون.؟ أجابه الأخر بتوتر. لابد وانه غني صاحب نفوذ كبير طالما يتحدث بلا خشية هكذا. لمعت عين صاحبه بمكر هامساً بهدوء. ربما نستفيد من ذلك الأمر في الداخل. كيف ذلك.؟. تساءل بحيرة. - فقط

جاريني بما سأقوله حين الاستجواب ولا تقلق.. أتمنى أن يكون شيئاً
يستطيع إخراجنا من هذه الورطة السوداء. تدخل بيأس. آه.. لا تقلق
سنتمكن من ذلك فقط تحدث بثقة. أوقفهم الشرطي أمام غرفة معلق
عليها يافطة صغيرة مدون عليها بخط عريض. المأمور. الرائد (فؤاد
هاشم). ارتكوا بجانب الحائط الأبيض وأمامهم الشرطي ببندقيته واقفاً
بثبات بينما تحرك الأخر وطرق الباب ثم وقف لحظات وولج بالداخل
مغلقاً الباب خلفه متوقفاً أمامه وهو جالس خلف مكتبه الخشبي
المتوسط صائحاً وهو يلقي عليه التحية. المجرمين بالخارج سيدي. نظر
للشرطي الجالس عن يمينه متحدثاً بهدوء وهو يشعل سيجارته. هل كل
شيء جاهز (سمير).؟ أجل سيدي. أجابه بهدوء وهو يجهز دفتره الكبيرة.
نفث الدخان بقوة صائحاً. أدخل الشابان متشابهي الملابس أولاً وعندما
يخرجوا أدخل مفتول العضلات بعدهم.. أمرك سيدي. صاح بها وهو
يتحرك للخارج منفذاً ما قاله بدخول الشابان وخروجه سريعاً. بينما كان
(نبيل) متكأ على قدميه مستند بظهره على الحائط يزفر بالغضب.
...شهق الدخان بقوة صائحاً فيهم وهم مذعورين أمامه واقفين بخوف.
بيناتكم الشخصية بهدوء ووضوح!!! تدخل أولهم عن يساره بصوت رفيع
حاد. لو سمحت سيدي سأخبرك بكل شيء ولنثبت لك برأتنا من ذلك
الأمر فقط استمع لي أرجوك.

نظر إليه بحذر نافثاً الدخان بهدوء. لا تقلق سأسمعك حتى النهاية ولكن
اطلعا على بيناتك.. أسمك وعمرك لأن المحضر يكتب وبعد ذلك
سنحدث كما نشاء وسأتركك تثبت برأتك كما نشاء.

تدخل بقلق وهو ينظر للشرطي الذي يُدون بدفتره. (منير محمد أحمد)
العمر واحد وثلاثون عاماً. أتبعه الآخر بصوته الغليظ. (محمد سعيد فواز)
العمر ثلاثة وثلاثين عاماً. تدخل (فؤاد) سريعاً. س. لماذا حطمتم زجاج
سيارتي..؟ ... ج.؟

لنشئت انتباهك سيدي. تدخل بتوتر يملأ صوته الرفيع.

عن أي شيء..؟. تدخل بحيرة مسرعاً.

عن لحاقتك بالشاب الجالس في الخارج. نظر الآخر إليه بريبة غير مدرك
لما يحاول صديقه فعله يملئه الخوف عن كونه يلعب لعبة خطيرة قد
تزيد مدة عقوبتهم. بينما تابع صديقه بقلق. فقط دعني أوضح الصورة
كامله لك سيدي.

يمكنك المتابعة. تدخل بهدوء وهو يمنع النظر بداخل عينيه المتحركتان
بغير ثبات وهو واقف بقلق أمامه.

الأمر من البداية سيدي أننا كنا نتحرك للملهى الليلي لنتنزه قليلاً حيث
قابلنا هذا الشاب وأخبرنا بأن نحاول تشتيت انتباهك في مقابل مبلغ
مادي.. قاطعه سريعاً. كم المبلغ..؟. خمسة آلاف جنيهه، وقد أغرانا المبلغ
كثيراً فوافقنا على ذلك عندما أخبرنا بأنك تضايقه منذ مدة ولا يعرف
كيف يتخلص منك وقد فعلنا ما فعلنا من أجل ذلك وأقسم لك سيدي

لم نكن ندرك بانك شرطي حتى اللحظة التي أمسكتنا بها بإشهارك
المسدس في وجوهنا.

تنهد بحيرة صائحاً بصديقه القلق بجانبه. هل ما يقوله صديقك صحيح.؟

تدخل سريعاً متقلقلًا. أجد. أجل سيدي هذا ما حدث!!

نفث الدخان بقوة وهو يطفئ سيجارته بداخل طفئاه سجائر بلاستيكية
سوداء. حسناً... دعنا نُعيد صياغة الامر من البداية ... ثم تحرك يخطوا
أمامهم ذهباً وإياباً مُشبكاً يديه ببعضهما خلف ظهره. غريب الثقتيم به
في أثناء ذهابكم للملهى وقف يتحدث معكم عن تشتيت انتباه غريب
آخر في مقابل مبلغ مادي فوافقتم على ذلك! ولكن كيف يُعقل هذا؟
ربما يُعقل قليلاً ولكن يا تُرى هل ذلك صحيح.؟ هل هذه هي الحقيقة.؟
أم الحقيقة شيء آخر تماماً!؟. همس بها متعجباً وهو يرمقهم بنظرات
التعجب مائلاً بوجهه تجاه صاحب الصوت الرفيع. بلع لعابه متضرعاً
الخوف صائحاً بارتباك. أقسم لك سيدي ... قاطعه بصياح قوى أفزعهم
أشد الفزع. لا تمازحني.. أي أحمق سيصدق هذه الترهات.. انطق أيها
اللعين وأخبرني لماذا حطمت زجاج سيارتي.؟

صاح وفي لحن قوله الثقة بارعاً في إظهار الصدق بين كلماته. هذه هي
الحقيقة ولا نملك شيئاً آخر لقوله سيدي.

تنهد بقوة مستنداً على مكتبه الخشبي. حسناً إذا. وقعوا على أقوالكم وتذكروها جيداً لأنكم ستحتاجونها في المحكمة.

محكمة.؟. تدخل بفرع بصوته الغليظ متفاجئاً بخوف.

اجل.. المحكمة.. ألا تعرفون ماذا فعل صاحبكم الثالث.؟ ... لقد قتل شخصان والثالث في طريقه للمشفى بين الحياة والموت.. لذا لا يسعني القول غير أنكم أقيتم بأنفسكم في التهلكة.

اللعنة.. همس بها بداخله وهو حائراً متوجس الخوف من قلبه لربما أوقع بنفسه في مصيبة سوداء بالفعل وهو لا يدري وربما أيضاً هذا الشرطي يتلاعب بهم ليغيروا أقوالهم ويعترفوا بجرمهم الأصلي.. إذا فما العمل حالياً.. حائر متردد متوتر ونظرات صديقه المتواصلة له المليئة بالخوف قد تثير الشك بهم فهو غير متمالك لنفسه نهائياً وأصبح عليه التصرف سريعاً حتى لا ينهار صديقه ويفضح امرهم فتدخل مصطنعاً الثقة في لحن كلماته. خطأ نندم عليه كثيراً الان ولكن إن توصل الأمر للمحكمة سنعتزف بالأمر أمام القاضي ونقول الحقيقة.

والتي هي.؟. تدخل سريعاً بقصد إرباكه فهو حتى الان غير مقتنع بهذه القصة.

ما سبق واخبرتك به سيدي. تدخل بقليل من الاستياء.

تحرك ببطء ليجلس على مقعده الإسفنجي الكبير وأخذ يحدق لهم بتمعن وهو يشعل سيجارته، نفث الدخان وهو يلعب خلاصات شاربه بإبهامه وسبابته اليمنى ماراً بهم من أعلى لأسفل الذقن مراراً وتكراراً وعينيه لا تزال تتفقد تعابير وجوههم ما بين خائف متوتر وقلق مرتبك. حسناً.. زفر بها بهدوء ثم تابع وهو يشير بيده لصاحب الصوت الرفيع. تنح أنت جانباً لقد انتهيت منك. ثم وجه نظراته لصاحب الصوت الغليظ كجسده. ما قولك في كل ما قاله صديقك.؟.

كل ما قاله صحيحاً سيدي. تدخل بقليل من الثقة ثم تابع بثقة أكبر. لقد قال الحقيقة ولكنني فقط خائف من أن أكون كما قلت سابقاً ألقيت بنفسي في التهلكة من أجل فعل طائش وأتمنى لو يعود الزمان بي لامتنع عن هذه الفعلة المتهورة.

حسناً وقعوا على أقولكم. فتحركوا تجاه الشرطي وأمسك أولهم بالقلم ولكن قبل أن يخطوا به بالدفتري الكبير صاح به سريعاً. انتظر.. قبل أن توقع هناك سؤال أخير.

رفع عينيه بارتباك شديد هامساً بتوتر. ما هو سيدي.؟.

لا تقلق إنه سؤال روتيني في مثل هذه الأيام.. هل أجبركم أحد على قول ما سبق واعترفتم به.؟.

أجابوا في آن واحد. لا. فتابع سريعاً. هل تلاقيتهم من أفراد الشرطة أي معاملة سيئة لا تليق بالتعامل الأدمي مثل التعذيب والترهيب وما إلى ذلك.. فأنتم تعلمون جيداً هذه الأيام وبرغم كل ما يحدث في البلاد من فوضى عارمة الشرطة هي التي تتلقى اللوم دائماً وأبداً وكما سبق ونبهت إنه سؤال روتيني هذه الأيام.. يمكنكم التوقيع الان.

فوقعوا على أقوالهم واحد تلو الآخر بينما ضغط (فؤاد) على زر معدني مثبت بالمقعد ففتح الباب سريعاً صائحاً الشرطي بقوة. امرك سيدي.

خذ هؤلاء وألقوهم في الحجز ثم احضري كوب قهوة وأدخل المجرم التالي وأنت قادم بالقهوة فيبدو بأنها ستكون ليلة طويلة. أمرك سيدي.

الحمد لله أننا لم نتعرض للأذى. تنهدت بها وهي تضع أكواب العصير فوق الطاولة الزجاجية المتوسطة أمامهم وهم جالسون فوق الأريكة البرتقالية الفاخرة.

آه.. الحمد لله. تنهدت بها وهو يمسك بكوب عصير البرتقال ثم تابع بعد أن ارتشف منه عدة رشقات. إنها ترتعب من رؤية الدماء على التلفاز ولا بد أن الامر كان صعباً للغاية وهي تراه أمام عينيها هكذا لأنها تعاني من فوبيا الدم والحمد لله أن الأمر مر هكذا.

تدخلت بإرهاق وهي ترتشف من كوب عصير الفراولة بهدوء. الحمد لله على كل حال.. لقد كان مشهد مؤلم للغاية وحتى الان صورة الرجل وهو

يمد يده طالباً النجدة والدماء تسيل من رأسه كالشلال لا تنفك تتردد على عقلي ولا أستطيع نسيانها.

أمسك يدها صائحاً بمزاح. لا تقلقي عزيزتي غداً عندما تجلسين على الشاطئ ستنسين كل شيء حتى أنا. فضحكوا جميعاً بسعادة. تدخلت (ريم) وهي تمسح نظارتها بمنديلها الخاص. معك حق أبي إن أمي تعشق البحر كثيراً وتنسى كل شيء أمامه.

فتدخل سريعاً. وبلا شك هذه التارة ستكون أكثر سعادة لها لأن حبيبته ستكون معها ولطالما كانت تُعد لمثل هذه الرحلة.

تدخلت ببعض من الغيرة وهي تضع الكوب على الطاولة. أجل.. إن (فاطمة) حبيبتني ولطالما تمنيت أن تأتي معي في أحد هذه الرحلات كما كان يأخذنا أبينا فيما مضى لقد كانت أجمل لحظات حياتي.. رحمة الله على أبي وأمي.

تبسمت (فاطمة) تبسم الحنين هامسة بحنان. أجل.. لقد كانت أجمل اللحظات بحق.. رحمه الله على الجميع.

تنحني متدخلاً بحيرة. ألا يوجد اخبار جديدة (فاطمة)..؟.

حركت رأسها بإحباط علامة النفي.. فتدخل متسائلاً. لماذا لم تبلغني الشرطة حتى الان إذاً..؟. ما الذي يمنعك..!!..؟.

زفرت بقوة حائرة متحدثة بتوتر. لا أدري.. لأزال حائرة.. مترددة في اتخاذ هذه الخطوة. ولا أنفك إخبار نفسي بماذا ستفيد الشرطة وخاصة في هذه المرحلة فكما تعلمون جميعاً إنهم يرفضون العمل والشعب كله تآثر عليهم.

تدخل سريعاً.. لا.. لا.. هذا حكم خاطئ (فاطمة) إنهم يعملون وبكد ولكن الإعلام هو الذي يشوه هذه الصورة ليكسب رضى الجمهور ولزيادة المشاهدين بعدما فضحوا أنفسهم كما رأينا جميعاً ولكن من رأيي أن تبليغي الشرطة فإن لم تفيد بشيء لن تضري.. فقط قرر أنتِ وسأذهب معك لتقديم البلاغ وكل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله.

تنهدت بقوة. أتمنى ذلك حقاً.. أتمنى ذلك.

مستلقٍ على فراشه الأبيض يتقلب بين محطات التلفاز الصغير ضائق النفس حائراً في ذاته بعدما عاوده الشعور بالفراغ المؤلم وعاد الحزن ساكناً بعينه اليمنى، لقد تألم حقاً من طول الفترة التي قضاها في هذه المشفى ولم يعد هناك شيء غير انتظاره لإجراء العملية لعينه اليسرى وسيتمكن من الذهاب بعد ذلك ولكن أبيه لم يعاود الاتصال به بعد كل المحاولات التي اجراها لمهاطفته ولكنه لا يُجيب عليه. أغلق التلفاز متحركاً من فوق فراشه بضجر ملحوظ والتقط هاتفه واخذ يبحث في قائمة الأسماء عن أبيه وبينما هو يبحث عنه مر امام عينيه رقم (منزل هادي) فتوقف امامه للحظات متفكراً في مهاطفة والدته ومعرفة ما الذي توصلت له وهل من شيء جديد قد حدث أم لا تزال الأمور كما هي عليه،

فضغط عليه وأخذ منتظراً الإجابة مستمعاً لرنين الهاتف بداخل أذنه
اليمنى ...

التقت (ناصر) السماعة متحدثاً بهدوء. السلام عليكم.

. تفاجئ بالصوت الرجولي مجيباً بتردد. وعليكم السلام.. منزل السيد
(عبد العزيز)؟.

أجل من معي.؟. تساءل بجديّة أصابت الآخر بالتوتر مما جعله يفكر في
إنهاء المكالمة ولكنه تدخل بقلق..

أنا (أحمد) صديق ل (هادي) وأود محادثة السيدة (فاطمة) من فضلك.

أخفض السماعة ملتفتاً إليهم وهم جالسون بينما انتبهت (فاطمة) له
متسائلة بحيرة. من (ناصر)؟.

إنه (أحمد) صديق (هادي) يود محادثتك!! فتحرّكت ملتقطه منه
السماعة هامسة بهدوء. - أجل.. أجل.. شكراً لك (ناصر).

ثم تحدثت بلهفه لربما كان يملك أخبار جديدة. مساء الخير بُني.

مساء الخير أُمي.. أسف للاتصال في هذا الوقت ولكنني فقط أردت
الاطمئنان عليكم أولاً ومعرفة إن كان هناك شيء جديد بأمر (هادي).

أحبطتها الكلمات كثيراً قدر ما أسعدتها متنهدة بقوة. شكراً لك عزيزي..
وأيضاً يمكنك الاتصال وقت ما تشاء إنه منزلك ولكن للأسف يا بني لا
يوجد شيء جديد.. لقد ظننت بانك علمت شيئاً ولكن يبدو بانك مثلي
تماماً متوق لمعرفة أين هو.

مسح على جبينه متأثراً بصوتها الحزين حائراً فيما يقوله لها، ظل صامتاً
قليلاً ثم أراد التحدث ولكن طرقات الباب أعاقته نطقه حيث صاح.
تفضل. ففتح الباب الطبيب صائحاً به. (أحمد) أنا ذاهب هل ترغب
بشيء قبل ذهابي..؟. أجاب سريعاً. شكراً جزيلاً دكتور(سامح) في رعاية
الله. حسناً. الوداع. صاح بها وهو يغلق الباب خلفه. تدخل معتذراً.
أسف أمي.. المعذرة.

لا.. أبداً يا بني. تدخلت بهدوء ثم تساءلت بحيرة. لقد سمعتك تقول
دكتور.. ما الذي حدث..؟. اكل شيء على ما يرام..؟.

لقد تعرضتُ لحادث منذ عدة أسابيع. تدخل بآلم.

يا إلهي ما الذي حدث..؟. تدخلت بدهشة.

لقد تعاركت مع رجل وقد تحطمت اضلاعي و...وفقدت عيني اليسرى.
ألقي بها بحزن شديد.

تجرعت لعابها بدهشة كبيرة وتغيرت ملامحها للاستغراب والحيرة
هامسة بذعر. يا للهول.!! وكيف أنت الان.؟.

تنهد بألم هامساً بانكسار. الحمد لله.. لقد تعافت أضلعي ولم يتبق إلا
إجراء عملية بعيني لأن الدماء متجمعة بها بطريقة مخيفة وقد تقبلت
الأمر وبدأت اعتاد على الرؤية من عين واحدة.

أسفه جداً يا بني.. أقسم لك لم أكن أدري حتى الان. تدخلت بالم ثم
تابعت بحيرة. هل ذلك يعني بأنه ليس هناك حل للرؤية من جديد من
خلال عينك اليسرى.؟.

لقد حاول الأطباء كثيراً ولكن كل طبيب يأتي يقول مثل ما قال الطبيب
بالمشفى بأنه لا يوجد أمل للرؤية من جديد.

تسللت الدمعة من عينيها الزرقاء عندما تذكرت كم كانوا سعداء معاً
فيما مضى أما الان فولدها مفقود وصديقه العزيز مصاب بشده مسحت
دمعه عيناها متسائلة بحزن. في أي مشفى انت متواجد يا بني.؟.

أنا في مشفى السلام.

سأمر بك قريباً إن شاء الله وأتمنى لك الشفاء العاجل. تدخلت ببعض
المواساة له.

شكراً لك أُمي وأتمنى ان نسمع عن (هادي) شيئاً في القريب العاجل
إن شاء الله.

آه.. أتمنى ذلك حقاً يا بني...أتمنى ذلك حقاً.

يصدر صفيراً هادئ وهو يتحرك في الرواق الأبيض الضيق متجهاً إلى
البوابة الواسعة يحمل حقيبته السوداء فوق كتفه، ظل متحركاً بهدوء
حتى وصلت خطاه إلى مركز الاستقبال المتواجد عن يمينه صائحاً
بحماس إليها وهي جالسة خلف المكتب الخشبي الأبيض وهو يواصل
سيره. الوداع دكتور (شهيرة). صاحت به وهي تقف متلهفة. (سامح)..
انتظر.. حمداً لله أنك لاتزال هنا.. لقد ظننت بأنك غادرت. تراجع متحيراً
مستغرباً الأمر صائحاً بحيرة وهو يستند بمعصميه على جدار المكتب
الخشبي. ماذا هناك دكتور؟ ما الذي يحدث.؟

احمرت وجنتيها خجلاً من وقع عينيها البنية بداخل عينية السوداء
المختبئة خلف جدار زجاجي رفيع ناطقة بارتباك ملحوظ. لقد.. ذهب
الطبيب المنوب لإجراء عملية خطيرة لأحد المصابين منذ عدة دقائق وقد
تلقينا اتصالاً آخر بان هناك مصاب بشدة قادم في الطريق ولا يوجد طبيب
غيرك الان ولا بد أن تتابع حالة المريض حتى ينتهي الطبيب المنوب من
المريض الاول.

الان.؟. تدخل بضجر شديد ثم تابع باستياء. وأنا الذي ظننت باني سأرحل
باكراً. أخذ يفرك بخصلات شعره المنتصب هامساً بتردد. حسناً.. لا بأس..

ولكن متى سيصل المريض ...؟ لم ينتهي من جملته حتى اخترق أذانهم صوت إنذارات سيارة الإسعاف متوقفة امام المدخل الرئيسي.. ها هي قد وصلت. تدخلت ببسمة مازحة بخجل.

ترك حقيبته جانباً صائحاً بها بضجر. أعطني قفازات وغطاء الرأس ارجوك!..

ناولته إيهاهم مسرعة ثم أخذت تدون مواقيت الوصول للحالة بينما هو أخذ يرتدي قفازاته وغطاء رأسه وقد وصل الفراش المتحرك موضوعاً عليه المصاب وهو يسيل في دمائه كالفيض تتقاطر من فوق الفراش وهم يدفعونه فاندesh من أمره وأخذ يتطلع بوجهه عندما أصبح على مقربة منه وسرعان ما أصيب بدهشة عارمة صائحاً بغير إدراك منه. يا إلهي.. هذا ...!

ماذا هناك.. هل تعرفه.؟. تدخل بحيرة ملاحظة الدهشة على وجهه العريض. تنهد بقوة مجيباً بحيرة مليئة بالاستغراب. آه.. إنه (آدم) ...أخي.

لن أتحدث حتى يأتي المحامي خاصتي!. تدخل صائحاً بقوة وهو واقف أمام مكتبه المتوسط ينظر إليه بغضب وهو جالس خلفه بهدوء. أخذت انامله تداعب خلاصات شاربه العريض صائحاً بقوة أكبر. أنت أيها اللعين لا تصيح هكذا أنت لست بمنزلك وهذا آخر تحذير لك وإلا لن تستطيع النطق مرة أخرى طوال حياتك.. منذ ان بدانا التحقيق وأنت تتصرف كأنك تملك القسم بأكمله وتجاهل بأنك المجرم هنا وإن ظننت بان

معاملتنا لك باحترام ضعف منا فقد خانك ذكائك أيها المجرم.. انتبه جيداً ولا تتباهى بمعارفك فمعي لن ينفعك شيء إلا الصدق وقول الحقيقة.. لذا أجب على السؤال ولا تجادل.. هل السيارة السوداء الفاخرة ملك لك ام لا.؟. تحدث بتعاليه وكبره المعتاد. لقد أخبرتك سابقاً لن أنطق بكلمة إلا عند وصول المحامي خاصتي.

تحرك من خلف مكتبه واقفاً أمامه وجهاً لوجه متحدثاً بثقة تتبع من عينيه السوداء. حسناً.. إن كنت تريد اتخاذ الأمور بالطريقة الصعبة فانا معك وسأسلك هذا الطريق معك إلى النهاية ولكن أريدك أن تعلم شيئاً واحداً عن المقدم (فؤاد هاشم) وهو أنني لا أستسلم نهائياً وأعرف جيداً المجرم حين اراه وقد حذرتك سابقاً ولكنك لم تستمع لتحذيراتي لذا فلا تلوم إلا نفسك سندعو محاميك ولكنه لن ينقذك من قبضة العدالة فقد أوقع بك القدر في قبضتي المحكمة وقد رأيتك وأنت تدهس الشاب و العجوز وأمسكتك في جريمة قتل مع سابق الإصرار و الترصّد لهذا الشاب المسكين بجانب قضية شغب في الطريق العام وقضية ترويع الأبرياء في الطريق العام وهناك من الشهود الكثيرون وهانا وأنت ومحاميك أمام العدالة العامة ودعنا نرى من سينتصر في نهاية الطريق العدالة أم النفوذ.

لمعت عينيه بالشر هامساً في وجهه بحماس. أه.. سنرى.

تحرك تجاه الشرطي الجالس أمام دفتره قائلاً بهدوء. والان بعد أن رفض المتهم الإدلاء بثمهمه إلا أمام محاميه قررنا نحن المقدم (فؤاد هاشم)

استدعاء محاميه لإنهاء إجراءات المحضر المسجل برقم ٣٣٦٩ لعام ٢٠١٢ وستتابع الإجراءات بعد حضور المحامي الخاص بالمتهم.

أشعل سيجارته وهو مستند على حافة مكتبه حائراً بعض الشيء ظل هكذا لحظات طوال ثم تحرك أخذاً الهاتف الحديث من فوق المكتب متجهاً إليه وهو واقف بكبر وشموخ بجسده الضخم. خذ.. هاتف محاميك الان.

تناول منه الهاتف باشمئزاز واحتقار يظهران على ملامح وجهه العريض ثم أخذ يهاتف المحامي واضعاً الهاتف على أذنيه ولكن قبل أن يتحدث جذب منه الهاتف بقوة صائحاً فيه بابتسامه قد جعلته مشتعلاً من الغيظ. لن تحادثه أنت بل أنا أيها المجرم.

تبددت ملامح الغيظ على وجهه مشتعلة عيناه بالحقده الهائج يجز على أسنانه متمالكاً أنفاسه بقوة.

ألو.. مساء الخير. تحدث بهدوء ثم تابع بلهجة سريعة. معك المقدم (فؤاد هاشم) من شرطة المدينة لقد أمسكنا موكلك السيد (نبيل سامر المغربي) في عدة جُنح خطيرة ونحن الان في غضون إجراءات المحضر وقد رفض التحدث إلا في حضورك هلا تفضلت وأتيت سريعاً وإلا أنهينا المحضر في غيابك.. في انتظارك.. الوداع. أنهى حديثه وأغلق الهاتف سريعاً يرمق الآخر بنظرات التعجب الباسمة رافعاً حاجبه إليه بسخرية. لا تقلق.. يبدو بانه قادم!!

تحرك من فوق الفراش بترنح مخمول مرتدياً ردائه الابيض الفضفاض متحركاً خارج الغرفة المظلمة ليجلس خلف مكتبه الفاخر بإحداي الغرف المطلة على النيل الواسع البراق، مسح بيده على وجهه بنعاس وأرق وسرعان ما أمسك سماعة الهاتف المنزلي الذهبي مدخلاً الأرقام واضعها على أذنه بهدوء في ذات الوقت كان الهاتف المنزلي الفاخر يصدر رنيناً عالياً بداخل القصر الكبير صاحب الإضاءة الخافتة ظل يرن لحظات طوال حتى تحرك الخادم سريعاً مجيباً بقلق. مساء الخير سيدي.

من معي.؟. تساءل بصوت يملئه النعاس.

بينما أجاب الآخر بتوتر. (سعد) الخادم معك سيدي.

أبلغ سيديك بأن (كارم عبد البر) المحامي على الهاتف يريدك في شيء هام للغاية.

أمرك سيدي. ترك السماعة برفق وأخذ يتحرك سريعاً للأعلى صاعداً الدرج المستطيل الواسع الذي يتوسطه سجاده حمراء فاخرة وبينما هو كذلك صاح به من أعلى. ماذا هناك (سعد).؟. جاءه الصوت الغليظ بغته فتوقف بارتباك شديد صائحاً بهدوء وتوتر. إنه.. إنه السيد (كارم) محامي سيادتكم سيدي.. يقول بأنه شيء هام للغاية.

أجابه بهدوء وهو يهبط للأسفل بردائه الذهبي الواسع. حسناً.. حسناً. أذهب أنت وأحضر لي قهوتي في المكتب.

أمرك سيدي. اجابه سريعاً متحركاً لداخل المطبخ بينما التقط الآخر السماعه قائلاً بجديّة. ما الأمر (كارم).؟.

المعذرة سيدي. تدخل بتوتر متابعاً بقلق. ولكنني تلقيت اتصالا من شرطة المدينة تفيد بأنهم القوا القبض على السيد (نبيل) ويبدو الامر خطيراً..

وضع السماعه جانباً فوق الطاولة الخشبية قديمة الطراز وتحرك لداخل الغرفة الواسعة جالساً خلف مكتبه الكبير زافراً بغضب وهو يشعل سيجارته الضخمة ملتقطاً السماعه من هاتف مكتبه متدخلاً وهو ينفث الدخان بقوة. اذهب وتفقد الأمر وهاتفني من هناك.

أمرك سيدي.

وضع السماعه فوق الهاتف الكبير بغضب شديد بينما وضع الخادم قهوته فوق المكتب بهدوء متحركاً للخارج في عجلة من أمره، أمسك فنجان قهوته مرتشف منه بهدوء يزفر بغضب هامساً بضجر. هذا اللعين. سيكون عقابه وخيماً.

وصل المحامي لقسم الشرطة في عجلة سريعة وولج لداخل مكتب المقدم جالساً بهدوء أمام مكتبه متدخلاً سريعاً قبل أن ينطق المقدم بشيء. أريد الانفراد بموكلي بعد إذن سيادتكم أيها المقدم. مسح على شاربه وعيناه مليئة بنظرات التعجب ويعلو وجهه ابتسامه خفيفة

يضحك بداخله عندما أدرك أن المحامي يحاول إعادة الإهانة له بعد ما فعله على الهاتف ولكنه لم يستسلم بسهولة متدخلاً بمرح. هذا سريعاً للغاية سيدي المحامي! انت حتى لم تستمع لما يواجه موكلك!!! أخرج من جيب جاكته السوداء الأنيقة علكة خضراء وأخذ يمضغ فيها بقوة. آه.. سنخوض في هذا الامر لاحقاً ولكني أريد الجلوس مع موكلي قبل ذلك إن تكرمت سيادتك. جاءت له لهجته مليئة بالتقليل من شأنه وأكثر ما نبهه على ذلك الأمر هو مضغه للعلكة هكذا وفي هذا الوقت ولاسيما أمامه أيضاً، أغضبه الأمر كثيراً وأخذ يفكر في توبيخه لذلك ولكنه لا يريد المماطلة في أمر لا جدوى منه تمالك نفسه مشعلاً سيجارة حمراء وأخذ يُحرك راسه للشرطي وكأنما يقول له تستطيع الذهاب الان وبالفعل قد استوعب الشرطي الأمر وتحرك للخارج. نفث الدخان بقوة وهو يتحرك تجاه الباب صائحاً بجديّة تملأ ملامحه. خمس دقائق لا أكثر. ثم تحرك للخارج مغلقاً الباب خلفه.

تحرك وجلس أمامه ويعلو ملامحه العريضة نظرات الاستياء، تدخل الآخر وهو يمضغ علكته. حسناً.. أخبرني ما الامر.؟

تنهد بحيرة قائلاً بخوف. أنا في ورطة كبيرة ولا أعتقد بان هناك مفر.

تبسم ضاحكاً متدخلاً بسخريه. مهلاً.. مهلاً.. ألم تستمع لمقولتي الشهيرة.. مع (كارم عبد البر) هناك مائة مفر ومفر لا تقلق وأخبرني ما الذي حدث.؟. وعندما أقول أخبرني ما الذي حدث ذلك يعني أن تخبرني بالحقيقة ولا تكذب في أي تفصيله ولو صغيرة.

الأمر وما فيه أني كنت غاضباً وتحركت بالسيارة وأنا كذلك وقد اعترض طريقي رجل وسيدة عجوز فصدمتهم ولم أبالي بشأنهم ثم تعاركت مع شاب حتى الموت ويبدو بان هذا الشرطي كان يراقبني وأمسك بي بعد أن قضيت على الشاب.

ضم شفتيه اللامعتان متسائلًا بحيرة. وهل مات الشاب ايضاً؟.

لقد ظننت ذلك ولكن يبدو بانه لا يزال على قيد الحياة.

حسناً. تنهد بها بقوة ثم تابع بهدوء. لا تقلق من أمر الشاب والسيدة يمكننا التلاعب بهذا الأمر ولكن الشاب لن نستطيع فعل ذلك إن كان على قيد الحياة وتتمنى ان يظل هكذا لأنه إن مات ستكون ورطة حقيقية وأيضاً لا تقلق سأتكفل بالأمر ولكن ادعوا الله أن يظل حياً للصباح. وبخصوص هذا الأمر هل كان هناك شهود؟.

اجل.. كان هناك سيدتان.

لقد توقعت ذلك. زفر بها بقوة ثم تابع بحذر وعينه مليئة بالمكر. حسناً.. استمع لي جيداً.

كيف هو دكتور (معتز).؟. تساءل بقلق وهو يتحرك معه بعد خروجه من غرفة العمليات بداخل الرواق الواسع.

دكتور (سامح). صاح بها باستغراب ثم تابع بحيرة وهو يتوقف في ساحة الانتظار. هل تعرفه.؟.

اجل.. إنه أخي. اجاب بهدوء.

تبسم قائلاً بهدوء. لا تقلق الأمر ليس خطيراً فقط كسر في الفك الأيسر والأنف وجرح عميق بالرأس وبعض الكدمات ليس أكثر وقد تم كل شيء على أكمل وجه وهو بخير فقط خسر بعض الدماء وقد علقت له محلول مركز به بعض المسكنات.

حمداً لله.. تنهد بارتياح ثم تابع بقلق. لقد ظننت انه بين الحياة والموت عندما رأيت سيل الدماء المنهمرة منه ولكن الحمد لله انه بخير.. لقد أربعني حقاً.

لا تقلق دكتور سيكون على ما يرام وأيضاً يستطيع الخروج الليلة إن أراد ولكني أفضل أن يبقى الليلة هنا.. وايضاً إنه مستيقظ تستطيع الاطمئنان عليه.

شكراً جزيلاً دكتور (معتز). تدخل بها بسعادة وهو يضغط على نظارته الرفيعة.

لا شيء عزيزي (سامح).. وايضاً أنا الطبيب المنوب الليلة كما تعلم.. إن حدث اي شيء أطلعني على الفور إن أردت قضاء الليلة معه ولكني

أفضل أن تذهب وتنال قسط من الراحة.. أنت لست غريب عن المشفى وتعلم كيف هي الخدمة فيها جيداً.

تبسم بسعادة صائحاً وهو يضافحه بحراره. أجل دكتور.. شكراً جزيلاً. تصافحاً ثم افترقا. تحرك (سامح) لداخل الغرفة المعلق عليها لوحه صغيرة بجانب بابها الخشبي الأبيض رقم (٣٩) ليجده مستلقى على فراشه مستند بظهره على خداده قطنيه بيضاء، صاح به بحيرة عندما رآه. (سامح)..؟!.. كيف..؟.

جلس على أريكة سوداء واسعة بجانب النافذة صائحاً بمزاح. كيف ماذا أيها الأحقق..؟!.. ثم تابع بسخرية. تقصد كيف وصلت هنا..؟!.. ام كيف عرفت بأمر حالتك..؟!.. في كلتي الأحوال هذه المشفى التي أعمل بها وقد كان امر معرفتي صادماً عندما رأيتك للحظات شككت بعيني واعتقدت بانك شخص آخر يشبه أخي ولكن عندما تحققت من بطاقتك تيقنت بانه أنت.. مصادفة كبيرة أليس كذلك..؟.

تنهد بألم متحدثاً بآرق. آه.. لم أتوقع بان ينتهي الامر هكذا وفي المشفى التي تعمل بها.

حمداً لله بانك بخير يا رجل. تدخل بارتياح ثم تابع بتوتر. عندما رأيت الدم ينهمر من الفراش المتحرك ظننت بانك بين الحياة والموت ولكن الحمد لله لقد مر الأمر بسلام وهانت ذا.

عيناه العسليتان مليئتان بالحزن متسائلاً بداخله لماذا مازلت على قيد الحياة؟. متدخلًا بحزن عميق ينبع في قراره صوته المتعب. آه.. معك حق.. هانا ذا.

تحرك باستياء متدخلًا بضجر. يا إلهي.. متابعاً بحماس وهو يقف على مقربة منه. (آدم) هذا ليس وقت الحزن والاكتئاب الذي تعيش بداخله ولا تريد الخروج منه هذا وقت تشكر الله على أنك لاتزال حياً لتربي طفلك إلهي. هذه المحنة تجعلك تعيد التفكير بأمر حياتك البائسة وتعزم على محاولة إنقاذ حياتك الزوجية وتبدء حياتك العملية من اجل الاستقرار.

(سامح) أرجوك. تدخل باستياء متألماً متابعاً ببعض من الغضب. اظن باني أوضحت الأمور أمام الجميع وليهتم كل واحد بحياته ولا يشغل عقله بحياتي.

ما أملك غير النصيحة أخي وأنت حر تماماً لفعل ما تشاء. همس بيأس متابعاً بحيرة. ولكن أخبرني.. ما الذي حدث؟.

انا لم أخرج من البيت إلا الحادية عشر.. تركت السيارة في المنزل وصعدت الباص لأروح عن نفسي بوسط المدينة وحينها وجدت الشاب سائلاً في دمائه تحركت لمساعدته ولكنك لم تعطني الفرصة سيدي بالقبض عليّ. تحدث بمكر. ظل يرمقه بنظرات التعجب مرسوم على وجهه بسمة ساخرة وهو يفرك بخصلات شاربه العريض مراراً وتكراراً وقد استنبط المغزى بان هذه لعبة المحامي الماكر الجالس امامه بهدوء

لا يهتز.. تنهد بقوة متحركاً ليقف بينهم وهم جالسون فوق المقاعد السوداء. هكذا إذا!! ولكن دعني أخبرك بانك تلعب لعبة خطيرة يا بني وأنت غير مُلم بقوانينها ولكن افتراضاً بان ما تقوله صحيح فما بال هذه الكدمات الممتلئ بها وجهك.؟. تساءل بمكر متابعاً بسخرية تامة. لابد وأنها من الزحام الشديد بداخل الباص العام فإننا نتلقى الكثير والكثير من الشكاوى القادمة منه وكما تعلمون الزحام في بلادنا شديد وفي تزايد مستمر كل عام.

إنها كدمات قديمة!! تدخل باستياء ملحوظ.

تحرك من فوق مقعده صائحاً بقوة. لقد قال موكلي ما لديه بالفعل واطالب بإنهاء المحضر الان. ثم تابع وهو يرمق (فؤاد) بنظرات السخرية. ودع التحقيقات للنيابة وهي التي ستحدد إن كانت كدمات من الزحام أم من شيء آخر.

مسح على شاربه رامقاً إياه نظرات التحدي الجادة. انا من يقول متى ينتهي التحقيق ومتى يتم إغلاق المحضر يا سيد. ثم تابع بهدوء وهو يجلس فوق مقعده. ولكن إن كانت هذه رغباتكم سأحترمها وفق القانون وتتابع غداً في النيابة.

حسناً.. فليكن الغد لقائنا. صاح بسخريه وهو يقترب من الباب ماسحاً على حلته الفاخرة بشيء من التفاخر.

لم يُلقِي له بالألّ ولم يُبد أي اهتمام بتصرفاته الحمقاء فهو مدرك لما يفعله تمام الإدراك وقد قابل أمثاله الكثيرون ولكنه يجاريهم بملك إرادته مع أنه يستطيع المماثلة في الأمر ويُجلسهم ما يشاء من الوقت وقد يظل يحقق معهم حتى الصباح ولكن فضوله الغريزي العميق يدفعه للانتظار حتى الصباح ليرى كل حيلهم الفاشلة امام ما يملك من ادله كافية، تنهد بهدوء قبل ان يشعل سيجارته متفكراً بأنه أحرق الكثير والكثير هذا اليوم حتى تخدر صدره ولم يعد يشعر بالألم.. زفر الدخان ببطء قائلاً بهدوء. وقع على اقوالك وتستطيع الانصراف أما المتهم فكما تعلم سنقوم بحسن ضيافته حتى الصباح لتسليمه إلى النيابة.

وقعوا على أقوالهم في صمت ولكن ملامح (نبيل) كانت مضطربة منذ سماعه هذه الكلمات ولايزال مستنفراً حائراً هل حقاً سيمضي الليلة بالحجز مع المجرمين وهل سيسمح والده بذلك أم أنه سيغادر عائداً إلى قصره حتى الصباح. تنهد باضطراب شديد كونه حائر في الأمر ولكن سرعان ما قُتلت حيرته عندما فُتح الباب وعبر من خلاله شرطي يؤدي تحيته يصيح بقوة. أمرك سيدي.

تحدث بهدوء صوت متعب من يوم شاق جداً متشابك الأصابع. خذ هذا المجرم وألقي به في الحجز.

أمرك سيدي. صاح بها ثم تحرك ليجذبه من ذراعه العريض، بينما تفاجئ الآخر ينظر لمحاميه بأعين مليئة بالخوف متسلل بينه تساؤل صامت وكأنما تقول عينيه حقاً هل ستركني أبيتُ الليلة هنا.؟. أراد حقاً

نطق تلك الكلمات التي أبدت بها عينيه المرتعبة ولكنه خشي أن يُظهر خوفه أمامه وهو ينفث الدخان بهدوء حتى أخرجه الشرطي متحركاً خلفه محاميه.

تلبس الصمت المكان قليلاً قبل أن يقطعه بتنهيده المتعبة هامساً بهدوء وهو يتحرك من خلف مكتبه. يبدو بأنها نهاية الليلة عزيزي (سمير).

اغلق دفتره هامساً بابتسامة. أجل سيدي.. يبدو كذلك.

حسناً.. أنا ذاهب لقد قاربت أن تصبح الثانية سأحاول الحصول على قسط من الراحة.. وأنت أيضاً عزيزي احرص على ذلك فيبدو بأن أماننا يوم طويل غداً.

لا تقلق سيدي.. ليلة هائلة.

تقصد صباح هاني. القاها بضحك وهو يتحرك للخارج.

اجابه ببسمة هامساً. المعذرة سيدي.. صباح هاني.

أنت أيها الشرطي لا تجذبني هكذا أنا اتحرك معك بالفعل لا داعي لذلك. صاح بغضب وهم يتحركون في رواق ضيق مُشع بالضوء الأبيض الهادي، صرخ فيه الشرطي بغضب. تحرك أيها المجرم بصمت وإلا أسكتك رغماً

إبراهيم سيد كرم

عنك. رمقه بنظرات الغضب حبيسه أنفاسه متمالكاً أعصابه بشده
فيكفي ما جنته يداه هذه الليلة وتحرك معه في صمت، بينما لحق بهم
المحامي يصيح بالشرطي. مهلاً...مهلاً عزيزي.

ها.. ماذا هناك.؟. تدخل الشرطي بضجر.

اقترب الآخر كثيراً وأطبق ورقة نقديه كبيره ووضعا في يديه بتخفي
هامساً بأذنه. اسمح لي بالتحدث مع موكلي بضع دقائق.

أسقط ناظره على مقدار المال الذي حصل عليه وسرعان من لمعت
عينيه ببهجة هامساً بهدوء. بضع دقائق فقط لا أكثر.. لا أريد الوقوع في
معضلة.

لا تقلق عزيزي.. لن يكون هناك أي معضلة.. فقط بضع دقائق
وسأنصرف. فارتكوا مستندين على الحائط الأبيض الباهت

يهمس بلهفة. ماذا هناك سيد (عبد البر) هل ستخرجني من هنا.؟.
أرجوك افعل شيئاً فانا لن اتحمل المكوث هنا الليلة!.

لا تقلق عزيزي. تدخل بهدوء متابعاً وهو يخرج هاتفه من جيب حلتة
الفاخرة. فقط دعنا نهاتف والدك ونخبره بالأمر ونعلم ماذا سنفعل. وضع
الهاتف على أذنه بتوتر.. بينما في الجانب الآخر التقت السماعة في عجاله
من أمره مت دخلا بقلق. (كارم) أخبرني ما الذي حدث.؟.

تدخل بقلق يجوب ملامحه الداكنة. الأمر أصعب مما توقعت سيادتكم،
ثلاث قضايا خطيرة والمعضلة الحقيقية أن رئيس المباحث هو الذي
قبض عليه بنفسه وقد رأى الأمر من البداية للنهاية.

ما هي نوعية هذه القضايا.؟. تدخل بغضب جام.

مما زاد ارتباك الآخر وهو يجيب بخوف. دهس سيدة وشاب بالسيارة
وتعارك شخص حتى الموت ولكن الإسعاف نقلته للمستشفى وهو بين
الحياة والموت.. لا تقلق سيدي كل شيء تحت سيطرتي.. بخصوص
حادث السيارة سنستطيع الإفلات منه بسهولة لكن المشكلة الكبيرة في
الشخص الراقد بين الحياة والموت سنضطر للتعامل معه بطرق
مختلفة لأنه موضوع كبير جدا ومعضلة حقيقية لأن الشهود على الواقعة
كثيرون مما يعارض خطة الهروب منه ولا يتبقى أماننا إلا مواجهته
بطرقنا الخاصة، سنستطيع حينها وضع الكرة في ملعبنا ...

قاطعته باستياء. تعلم ما الذي عليك فعله (كارم) وأنهى الامور بسرعة
وبدون أي صخب لأنك تعلم بأني مرشح للانتخابات قريباً.. أفعل ما
يتطلبه الأمر سريعاً.

امرك سيدي.

أشعل سيجارته الضخمة نافثاً الدخان بقوة. و(نبيل).. أين هو.؟.

متواجد أمامي سيادتك. تدخل بهدوء متابعاً بقلق. ولكنه لن يستطيع الخروج حتى يُعرض على النيابة غداً.

ما الذي يعنيه ذلك.؟. تدخل بجديه.

للأسف سيدي لا أستطيع فعل شيء لأن التحقيقات لم تنتهي بعد ولا يستطيع الخروج بكفالة إلا من دار النيابة ولكن الأمر سيختلف كثيراً إن تدخلت سيدي فمكالمة واحدة منك تستطيع فعل المعجزات.

آه.. حسناً.. اعطه الهاتف أريد محادثته.

ناوله الهاتف هامساً إليه بقلق. سيادته يريدك. بينما أخذ الآخر الهاتف واضعاً إياه على أذنيه هامساً بانكسار. أبي!

ما هو عذرك لكل ما حدث (نبيل) باشا.؟. تساءل بعتاب.

تلقى الكلمات بالم صامتاً حائراً فيما يقول له مُعاتباً ذاته بأنه كرر ما يكرهه.. الوقوف أمامه بانكسار هكذا.. فكر طويلاً في الإجابة التي سيقولها ولكنه عجز عن التحدث وأصبح ذليل النفس أمامه منكسراً مُحطم الأرجاء ولكن سرعان ما تذكر ألم هذا الشعور البغيض على نفسه معارضاً له بداخله متدخللاً بكبره وتعالیه. وما الذي حدث سيادتك.؟.

نفث الدخان بقوة متدخلًا بضيق. أستشعر من لهجتك الغير لائقة أنك لاتزال مُصرّاً على الوقوف وجهي!! وفي حقيقة الأمر يا بني لقد عجزت عن إيضاح الأمر لك بالصورة الصحيحة وما أنت فيه الان يُثبت صحة كلماتي بأنك فاشل لا قيمة لك.

انخرست الكلمات كأنها أسهُم سامه في فؤاده لثُشعل كيانه بالغضب. أنا لستُ بفاشل وما كنتُ يوماً ولكني فقط أردت أن أجعلك ترى كيف تكون تصرفات الفاشل الحقيقية!!

جميل جداً.. وبما إنك اعترفت بذلك فبالتأكيد لن تمانع تحمل نتيجة تصرفاتك.. أيها فاشل.

لماذا تُصر على إغضابي طوال الوقت هكذا وتخرجني عن صوابي. صرخ بغضب متابعاً بتهكم. لقد كرهت الحياة بما فيها بسببك.

لقد أردت إخباري كيف يكون تصرف الفاشل؟ جميل. إذاً لابد أن تتحمل عواقب أفعال الفاشل.

لن تخرجني إذاً؟. تساءل بضيق شديد.

نفث الدخان بقوة هامساً بغضب وهو ينازع مشاعره الحزينة على حال ابنه الوحيد. لا..

إرتكن على الحائط ساكناً وعيناه متحجرة النظرات ملتهبة بنيران ذكرياته المريرة معه وكيف تحولت كل تلك الذكريات للكراهية تجاهه حتى الان لايزال يزيد هذه الكراهية بداخله من افعاله التي لا توحى بالمحبة إطلاقاً وكيف أنه يعادي الدنيا كلها بسببه حتى خسر نفسه واصدقائه. غلبه الحزن الذي يعارضه بداخله منذ سنوات وللحظات تجمعت المياه بعينيهِ المتورمتان وكاد أن يبكي ولكنه منع نفسه بقوة كبيرة مع أنه يريد أن يطلق العنان لأحزانه ولكن ما يخشاه اكثر من البكاء هو نظرات الشفقة التي ستعتلي وجوه من يرونه فهو يعاني كبت أحزانه عوضاً عن إظهار ضعفه للناس . أتعلم أبي..؟. أنت محق...! أنا فاشل. أجل ولكن أنت السبب. أنت من أظهر هذا الفاشل للوجود.. أنت من جعلني اتصرف هكذا واتعامل مع الناس هكذا ولكن اطمئن فمن هذه الليلة سأكون الفاشل الذي تراه أمام عينيك.. سأكونه بحق. اغلق الهاتف وتحرك بكبره المعتاد يجذب يد الشرطي المكبلة بيده صائحاً بقوة. هيا بنا أيها الشرطي. أرغب بالنوم. فتحرك معه صارخاً بقوة. تحرك أيها المجرم ولا تنطق بحرف واحد وإلا أشبعنك ضرباً مبرحاً. بينما تحرك المحامي للخارج وفي يده حقيبتة السوداء المتوسطة ... في الجانب الآخر أغلق الهاتف بقوة كبيرة من شدة غضبه المشتعل وجلس مستنداً بظهره على مقعده الفاخر والغضب يتزايد بداخله وما لبث حتى أمسك الهاتف وألقي به على الأرضية الواسعة المفترش عليها سجادة زرقاء فاخرة ليتحطم الهيكل الخارجي للهاتف حين سقوطه مما أصدر صوتاً عالياً نتج عنه قدوم زوجته تهرع إليه تهمس بقلق وهي ترتدي روب أسود فضفاض. ما الذي حدث (سامر)..؟. هل كل شيء على ما يرام..؟.

بدى حائراً كثيراً وهو ينفث الدخان بغضب شديد غير منتبهاً لوقوفها أمامه فقط شعور بالغضب يُشعل كيانه.. مسح على جبينه العريض الأبيض مُغلقاً عينيه متسائلاً بداخله أحقاً هو من صنع هذا الفاشل أم إنه فقط تمرد شخصية ولده المُترف..؟. رفع عينيه يتطلع إليها بهدوء وملامح القلق تعتلي وجهها الرقيق.. أطفاء سيجارته زافراً بحيرة هامساً بهدوء.. لا شيء عزيزتي.. لا شيء.. فقط مشاكل العمل.

هل كل شيء على ما يرام ...؟ تساءلت بقلق.

آه.. لا تقلقي.. هيا اصعدي سألحق بك الان. أجب بهدوء.

تنهدت براحة متحركة لأعلى.. بينما ظل جالساً حائراً فيما عليه فعله؟

السماء مظلمة والهواء بارد استشعر قوياً يدفعني للخلف محاولاً سقوطي من فوق القمة الرملية متوسطة الارتفاع.. أجلس عليها منذ ساعات وساعات حين جافاني النوم وسئمت كثرة التقلب فوق فراش الرمال البارد.. تائهاً حائراً فيما أفعله وما سأفعله..! مُضجر من حاضري غائص في ماضيا خائف من مستقبلي.. دائماً ما يتردد بداخلي سؤال منذ أن وجدت نفسي هنا..؟. وبعد أن تبينت لي رؤية أخطائي وهو ما الذي أفعله..؟. ومع كثرة تكراره بداخلي حقاً لا أفهم مغزى السؤال ذاته..؟. ولكنني أخيراً أدركت بأن هناك شيء خاطئ أفعله كي ينبع هذا التساؤل بداخلي بكثرة حتى يصل لمسامعي هكذا..؟. وفي حقيقة الأمر ليس أمر واحد فقط بل كل شيء خاطئ كما كان فأنا لم أتغير ولو شيء بسيطاً

عما كنت عليه في المدينة فقط تغيرت بالكلام أما الواقع يثبت بأني لا
أزال ذات الشخص الضعيف.. المنطوي بداخل نفسه.. المتواكل على
الغير.. ضعيف الشخصية.. هزيل الكيان. خريز القوى.. جبان.. خائف من
مواجهة الواقع فقط أتخيل بأني أواجه بداخلي وأتغلب عليه.. اللعنة
علي..! في أي مصيبة وقعت؟. ما بالي أنا وبال هذه الحياة البرية القاسية..
انكسر حاجز الحزن بداخلي وانطلقت الدموع كسيل حار يفيض على
وجنتاي الضعيفتان وأصبح معه نحيب مريراً على ضعف حالي وقوة
مصيبتني وما كان مني غير أني وجهت ناظري للسماء أشكوا لله مُجيب
الدعاء. يا رب أنا ضعيف فقوني.. مهزوم فانتصر لي.. خائف فطمأنني.. يا
رب مصائب الدنيا تتابع فوق رأسي وما عدت أتحمل آلامها.. أنت
المعين فأعينني.. أجعلني قوياً وأخرجني من معزلي.. يا رب أنا تائه لا
أعرف ماذا أفعل فأعينني وخذ بيدي.. أجعلني رجلاً بحق فعلاً وعملاً
ليس قولاً وتخيلاً.. يا رب نجني من مُصيبتني هذه وأخرجني من هذه
الصحراء بسلام.. مسحت دموع عيني وقلبي لا يزال دافئاً من حرارة
الحزن ممزوجاً بمشاعر كثيرة مضطربة الألحان ما بين اشتياق وحنين
..غضب و شفقة , يتردد على عقلي مشهد شجاري مع أُمي وآخر لحظات
أبي معي ورأيتني هناك من جديد أعيش هذه اللحظات الخالدة بذاكرتي
هناك فوق الحشائش الخضراء بداخل الحديقة الواسعة تحت ضوء
الشمس الهادئ قبل مغيب الشمس بقليل وهو يضع يديه فوق أكتافي
يتطلع بوجهي بعينيه السوداء الواسعة وأنا أبادله ذات النظرات المليئة
بالمشاعر الدافئة الجميلة طالت نظراته فتساءلت تساءل طفولي بريء
..ماذا هناك أبي؟. لأزال أتذكر كلماته ونبرة صوته وابتساماته كل شيء
وكأنني هناك.. ليس الفتى صاحب العاشرة ولكن الشاب صاحب

الخامسة والعشرون.. أبتسم بخجل هامساً بحنان. لا شيء عزيزي.. فقط اشتقت إليك كثيراً وأردت أن أشبع نظري منك.. أنا أيضاً اشتقت إليك كثيراً أبي وأرجوا ألا تذهب مرة أخرى.

تنهد بقوة والحيرة اعتلت ملامح وجهه النحيلة. عزيزي (هادى) أنت تعلم أنه ليس بمقدوري أن ارحل عنكم وأني أذهب وأتغيب عنكم لشهور وربما سنوات من اجلكم وإنه لشيء عليّ لعصيب ولكنه أمرٌ ضروري لذا أريدك أن تكون رجل البيت في غيابي، أرح والدتك وساندها حتى أعود وإن طال غيابي وتأخرت عودتي فلا تقلق بلا شك سأعود يوماً ما فإنه يُشق عليّ فراقكم عني كثيراً ولكنها عادات عملي يا بني. ضمني إلى صدره ضمة مليئة بالحنان هامساً بهدوء. أعلم بأنك لن تتفهم كلماتي الان ولكن يوماً ما ستفهم وتعذروني. انا أحبك كثيراً. انتهى وأخذ يضغطني لصدره أكثر حتى ملئني بحبه وحنانه، أتذكر أنه في هذا اليوم لبي لي جميع رغباتي ما اشتهيته وما لم أشتهيه ثم فارقنا والدموع تملأ أعيننا وكان هذا آخر لقاء لنا حتى خبر وفاته المزعوم بعد أيام قليلة من رحيله. لازلت اتذكر هذا اليوم أيضاً كأنه رأي عين، حيث كأنت الشمس تتوسط السماء تُلهب الوجود بحرارتها الحارقة ولاسيما أرض المدافن التي أخذتني إليها أُمي بصحبة خالتي، الجمعُ كان كبير والزحام شديد، الدموع تنهمر فوقها العرق الغزير. لم أكن أدرك حينها ماذا يحدث ولماذا جلبتني أُمي لمثل هذا المكان المليء بالنحيب وسرعان ما توالى أُمي بالبكاء الشديد وخالتي تُسندُها فحُفَّت وسرعان ما أخذت أبكي لبكائهما المتواصل، طال الانتظار يتلفت الجميع من حولهم وكأنهم ينتظرون شيئاً وسمعت من أُمي وخالتي عن كون أنهم تأخروا وما إلى ذلك وقد

أستنبط الأمر الان بانهم كانوا ينتظرون السيارات التي تتابعت بالدخول الى أرض المدفن تبعا خلف بعضها البعض وما ان تزاحم المكان بهم حتى تنازع الناس يهرعون إليهم وعند مؤخرة كل سيارة رجلٌ ينادم باسم وهناك من الجمع من يُجيب ثم يذهب يستلم جثمان ملفوف في ثوب أبيض يدفنه أهله ويذهبون صارخين باكين بألم , مر الوقت وأخذ المكان يفرغ شيئاً فشيئاً حتى فرغ تماماً ولم يبقى الا سيارة واحدة قريبة من منفذ الخروج الواسع ولكن الغريب في امرها بأنه كان يقف بجانبها طبيب وشرطي , ظلت أمي وخالتي يتهامسون ببكاء مريب وما أن انتهوا حتى أخذوا يقتربون منها بخوف خطوات تتقدم وأخرى تتراجع وكلما اقتربوا من السيارة أكثر كلما شعرت بيد أمي ترتجف حتى توقفت خطاها أمام السيارة وسرعان ما صاح الشرطي بعدما أنتهى من الورقة البيضاء التي كان يتطلع بها . السيدة (فاطمة هادي مختار) .

مسكينة أمي ما كانت قادرة على النطق حينها فأومأت برأسها من اعلى لأسفل.

تدخل الشرطي متابعاً. نعتذر على التأخير ولكننا واجهنا صعوبة في الوصول الى هنا من شدة الزحام كما رايتي منذ قليل.. يرحم الله موتنا جميعاً. ويعلم الله كم عانينا في إخراج الجثمان من المشرحة..

المشرحة.؟. قاطعته خالتي بفرع.!!

أجل سيدتي.. الحريق كان شديداً ولم نتعرف على جثمان أحد إلا عن طريق الطب الشرعي. ثم أشار إلى الطبيب متابعاً. وهذا هو الطبيب (زكريا الجندي) أحد أساتذة الطب الشرعي بمصر والوطن العربي.

تدخل الطبيب ضاغطا على نظارته الشمسية السوداء العريضة. أجل سيدتي الحريق قد التهم الجثمان كاملاً وما كان امامنا غير تشريح الجثمان لمعرفة هويتها.. نعتذر لذلك ولكن ما كان امامنا طريق آخر ونتيجة التحليل هو أن صاحب هذا الجثمان السيد (عبد العزيز سليمان مختار).

صرختُ حينها صراخ طفولي بريء وانا اجذب يد امي بقوة. أمي.. أمي. إنه أبي.. إنه أبي.. أمي.

وكأنما هذه الصرخات كانت الشعلة التي أوقدت نار صدرها حيث صرخت وصرخت بنحيب باكٍ وحزن مرير وهي تهرع لمؤخرة السيارة. أريد رؤيته.. اريد رؤية زوجي.. (عبد العزيز) ... (عبد العزيز). فصرخت أعدو خلفها بيبكاء مُخيف حتى أمسكتُ بها وهي لاتزال تردد. أريد رؤيته.. أريد رؤيته.

تدخل الطبيب بقلق. ولكن سيدتي..

قاطعته الشرطي مسرعاً. لا باس دعها تراه.

هل أنت متأكد من ذلك الأمر؟. تساءل الطبيب بحذر.

آه.. لا بأس.

تحرك الطبيب وفتح باب السيارة الخلفي ثم صعد إليها بهدوء ثم قام بسحب التابوت للخارج قليلاً وهبط كاشفاً وجه الجثمان الراقد بثبات وما أن فعل حتى صرخت أُمي صرخة مفزعة جعلتني أنظر لداخل التابوت وما ان نظرت حتى توقف ناظري ثابتاً مرتعب من هول مشهد لوجه محترق بشدة لدرجة جعلته أسود شبيه بالرماد ولا توجد له أي ملامح ولكن سرعان ما جذبتني خالتي للخلف بعيداً عن هذا المشهد المرعب ولكن حينها شعرت شعور جارف بأن هذا ليس بأبي لا أدري لماذا ولكنه شعور أشبه باليقين , قام الطبيب بستر الجثمان دافعاً التابوت للداخل كما كان وتحركت السيارة والجميع خلفها يتحركون في صمت مريب حتى دفنوا الجثمان وأُمي لاتزال منهارة غير قادرة على الوقوف فوق أقدامها وأنتهى اليوم بغير إدراك مني حينها ولكن لاتزال هذه الصورة المرعب عالقة بذهني حتى الان لم أستطع نسيانها قط وأستطيع وصفها كأنها بين يداي الان في هذا الظلام الدامس, تنهدت بحيرة في أمري فأنا لا أزال حائراً لا أدرك أين هي الحقيقة ولكني دائماً ما أعتقد بأنها ستتكشف لي يوماً ما مهما طال سترها ستظهر للجميع.. لأن ليس أمامي غير انتظار الصباح لأبداء بأولى خطوات التغيير خاصتي.. فقط الصباح يأتي وكل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله. أتفكر كثيراً بأمر أمراضي الجسدية ولا أزال حائراً بأمر إعاقاتهم لي أثناء تدريباتي..؟. أتساءل..؟. أحقاً ستتمكن الفتاة من تدارك أمرهم أم أنها لا تدري ماذا ستواجه..؟. لا

أدري.؟ حقاً لا أدري.!! ولكني أتمنى أن تتفادى المعوقات لأتمكن من التدريب بشكل جيد يُفيدني فيما بعد ولأتمكن من مواجهة المخاطر المحيطة بي داخل هذه الصحراء وخارجها إن شاء الله.. حقاً أتمنى ذلك. تنهدتُ بارتياح حينما غمرتني ريح باردة منعشة وبدأتُ أستشعر الصقيع فتحركتُ ببطء للأسفل لألتمس بعض الدفء ولأحصل على قليل من الراحة لأتمكن من التحرك غداً بلا شقاء وتعَب.

تحركت لأسفل القمة الصغيرة التي كانت راقدة عليها تراقبه بتخفي وحذر متفكرة بأمر جلوسه طويلاً هكذا وكيف أن مظهره تغير كثيراً عن أول لقاء بينهما حيث أنه الان أصبح ذو لحية كثيفة طويلة غير مشدبه وشعره أصبح يصل لأكتافه وكيف أن جسده أصبح نحيلاً ضعيفاً عما سبق بمراحل كبيرة.. تنهدت بحيرة وهي تشعر بالأسى على حاله متعاطفة معه كثيراً و تود لو تذهب إليه الان وتذهب معه للمدينة ولكنها فقط تنتظر لترى ماذا سيحدث فيما بعد وماذا تنوي هذه الفتاة على فعله معه , تنهدت بشوق ورخاء وهي تتفكر ماذا لتفعل إن كانت هي من يتولى أمر تدريبه , تبسمت وهي تتخيل الاحداث تجري أمام عينيها البلورية الصافية متقلبة المشاهد ما بين وقوف أمامه تتأمل بوجهه المحبب وبين تلامس اليدين واحتضان يحملها بعيداً عن هذه الصحراء , ابتسامة من عينيهِ ورقه صوته وهو يهمس في أذنها معترفاً لها كم يعشقها , غلبها فؤادها بما لا يقوى عليه فتحركت رغماً عنها تتأمل به من جديد وهو متمدد بجانب الفتاة أمام النيران الخاملة تتمنى اللحظة التي تجمعهما بشوق .

تمدد على فراشه يسند ظهره على خداده بيضاء ناعمة وسط الظلام الهادئ غير ضوء ضعيف يأتيه عن يساره من نافذة المبنى الكبير مسلط على عينيه العسلية الواسعة، اعتدل متألماً ليُبعد الضوء عن عينيه، ارتفع قليلاً مشعلًا سيجارة من علبته الورقية وأخذ ينفث فيها بحزن عميق يسكن عينيه متوغلاً بفؤاده عميقاً من فراق زوجته المتواصل، تنهد حائراً متسائلاً بذاته ما الذي جعل الأمر هكذا؟. من المذنب؟. أنا أم هي؟. نفث الدخان بقوة متألماً متجرعاً كأس الهوى المرير الذي فاض منه فؤاده حتى أغرق جوارحه، أخذته الذكريات يبحث بداخلها عن أسباب الخلاف الطويل..

قبل ثلاثة أشهر.

جالس وسط صالة شقته الصغيرة يتابع التلفاز باندماج واضح، تحركت زوجته وأغلقتة وجلست بجانبه فصاح فيها منفعلاً. لماذا؟. الا ترين بأني اتابع الفيلم؟.

اسفة. قالتها بهدوء متابعة بحيرة. ولكني أريد التحدث معك قليلاً.

تنهد بحيرة مشعلًا سيكاره هامساً بضجر وهو ينفث الدخان. ما الأمر؟.

الأمر هو مكوثك بالبيت هكذا.؟. الا ترى بانه زاد عن حده.؟. وبان هناك طفل قادم نحتاج لمصاريف له وللولادة.؟.

تنهد بقوة هامساً بهدوء. كل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله.

كيف ذلك وأنت لا تعمل.؟. تدخلت بغضب وضيق متابعة بحيرة. أخبرتك سابقاً إن لم تكن مرتاحاً في هذا العمل اتركه وأعمل بغيره.

ماذا تريدني مني أن اعمل.؟. انا لا اعرف شيئاً غير هذه المهنة.

إن كنت غير مرتاح بها أبحث عن غيرها.!! ولكن لا تجلس بالبيت هكذا

حسناً. سأبحث عن مكان جديد غداً إن شاء الله ولكن الان دعيني أتابع الفيلم أرجوك.

لا لن أدعك فهذه الكلمات سمعتها كثيراً ولكن لم يستجد شيئاً في حياتنا البائسة هذه وانت من يجعلها هكذا وقد جعلت الناس يتحدثون عنا بالسوء.

اغضبتني ولكني تجاهلت غضبي متحدثاً بهدوء. حبيبتني لا تهتمين بكلام الناس فهم لا يملكون شيئاً غير الحديث وسأثبت لك في يوم ما أنهم مخطئون بحقي وبأني لست ذلك الفاشل الذي يتحدثون عنه، أنت

تعلمين ان ظروفى أقوى منى ولكنى لن أستسلم وسأثبت لهم جميعاً بأنهم مخطئون.

كيف ذلك وأنت لازلت تجلس بالبیت منذ عدة أسابيع.؟. تدخلت بحق واضح متابعة بألم. بيتنا أصبح فارغ ولم يتبقى معى شيئاً ولو بسيطاً ماذا لو مرضت.؟. كيف ستكفل بأمر العلاج.؟. هل فى كل مرة سنذهب لأمك أو لأبيك لنأخذ مصاريف العلاج أم سنذهب لأمى التى تعول ثلاثة أطفال وحدها بعد موت أبى.؟.

حسناً.. حسناً.. لقد اخبرتك بالفعل بأنى سأذهب للبحث عن عمل جديد فما الداعى لكل ذلك الكلام المسموم.؟. ماذا تريدن منى فعلة أكثر من ذلك.؟. تحدثت بصياح غاضباً.

لقد سمعت هذه الكلمات كل يوم ولا تعمل وأوضاعنا تسوء كل يوم عن سابقه وانت غير مبالي للوضع المرير فكل ما يهملك هو سكاترك ولا شىء أكثر وحقيقة لقد سئمت هذا الوضع ولن أتحمل أكثر من ذلك.

ماذا ستفعلن إذا.؟. وماذا تريدن منى فعلة.؟. تدخلت بغضب.

هل ستكررين فعلك المشين وتهربين الى بيت أبىك تشتكين منى كعادتك.؟. فطاولت، فانفعلت عليها وضربتها ثم ذهبت إلى بيت أبىها غاضبة وهكذا كان ينتهى الخلاف دائماً بيننا.

تنهد يشعل سيجارة جديدة ينفث الدخان بقوة متذكراً ماضيه المرير.
طال الفراق بيننا ومهما كان يطول كان دائماً ما ينتهي بجلسة صلح بيننا
تجمع العائلتين ودائماً أيضاً ما اصبح انا الجاني من الطرفين ولم يفكر
احداً أبداً ما هي مشاكلي أو ظروفِي الخاصة بل كنت دائماً انا الفاشل
الذي لا يعرف شيئاً عن هذه الحياة ولا يستطيع إعالة بيت وأسرة، الحزن
أصبح ملامحي و الهم هو ابتسامتي، أعمل فيما لا أرغب وأحیی فيما لا
أريد ولكني لم أستطع الهروب من حبي لمهنتي فكنت كلما ابتعدت
عنها أعود سريعاً وتعود معها المشاكل و الاضطرابات العائلية، كان
حديث العائلة لا يدور إلا في نطاق سيرتي، الفاشل المُحطم الذي لن
يصبح رجلاً البتة حتى جاء الاختبار موعداً ولادة الطفل يقترب ولا بد من
تأمين مبلغ الولادة الذي يفوق قدرتي آلاف الجنيهات لم أكن أملكها ولم
أملكها البتة في ظروف مهنتي التي تقتضي أجر قليل وساعات عمل
طويلة فلجأت للسلف أخذت أتردد على أصدقائي ما جبرني أحد كما هو
الحال مع صاحب العمل حتى أجبرتني الظروف للجوء لأخر شخص
أرغب في الاحتياج اليه أحد افراد عائلتي أختي الكبيرة ولكن ما باليد حيلة
فالظروف كلها كانت تعترضني وبالفعل ذهبت اليها بعد توصية من أمي
كي تقرضني المبلغ

ذهبت إليها ولأول مرة أتجرع طعم الذل والهوان وكيف لم أنتبه سابقاً
لمثل هذا الأمر وكيف لم أستمع لنصيحة زوجتي وكيف وكيف.؟. الكثير
من الامور أتضح لي متأخراً، أخذت المبلغ بعهد أن أعيده بعد ثلاثة
أشهر وهو الشيء الذي لم أستطع تحقيقه، فزادت المطالبات به وكل
مرة أخبرهم بموعد مختلف حيث أن ظروفِي لم تتيسر البتة حتى أصبح

الطلب بالسب واللعن وانتقاص القيمة وزادت سيرتي بؤساء على بؤس
 لم تتحملني اختي البتة فحاولت معالجة الأمر بالسلف من شخص آخر
 ولكني لم أجد من يقرضني المبلغ فحاولت تمديد المهلة لفترة أطول
 قليلاً فهاتفتها فأخذت تسبني وتلعني، كيف تفعل الأخت بأخيها هذا؟.
 لماذا لا تتحملني وإن لم يفعل الأخ مع أخيه فمن غيرة سيفعل .؟.كيف
 أشرح ظروفى الصعبة للأخرين ويتفهموا أنه ليس بمقدوري ولكن الدنيا
 لم تعطني وقتاً طويلاً في التفكير حيث ولد الطفل مريضاً ولا بد له من
 رعاية طبيه لا تقل عن الخمسة ليالي ولكن الليلة الواحدة بمبلغ وقدره
 فوقفت أحمل طفلي بين يدي حائراً أين أذهب به وماذا أفعل حتى
 أستطيع توفير الدواء له وقفت أبكي على حالي وعلى طفلي الذي لا
 أستطيع علاجه وما كان مني غير أني ذهبت لأعرض هاتفى للبيع ولكنه
 لم يجلب لي إلا مبلغ قليل ولكنه أفضل من الا شيء فأخذت أذهب به
 للأطباء واحد تلو الاخر طبيب يطمني وآخر يرهمني حتى أنتهى المبلغ في
 عدة أيام حتى ذهبت لطبيب الجميع يشيد به ،فذهبت اليه وكما هو
 الحال مع غيره طلب مني الكثير من التحاليل و الأشعة التي امتلأت بها
 حقيبتى ولكنه أيضاً كغيره لا يعترف بهم إلا إن كان من المعمل الخاص
 به ولكن في نهاية الأمر فعلت حتى آخر جنيه في جيبي وفي النهاية طلب
 مني حجة بالحضانة لديه فأخبرته بانى لا املك المال لفعل ذلك فكتب
 لي على علاج فأخبرته بأنى لا أملك المال لجلبه ايضاً فصرفه لي وأسدد
 ثمنه حينما أملك ولكني لم افعل حتى الان وأصبح ديناً جديداً ينهال
 على كاهلي باللهم الصديق الذي لا يفارقني أينما ذهبت دوامات خلفها
 دوامات ديون تتبعها ديون أنا الملام أنا الفاشل أنا المتضرر بالضرر الكبير
 , الكل يلومني ,الكل يؤنبنى ,الكل يشفق على حالى ,خرجت تلك الليلة

وأنا هارب من حالي، هارب من واقعي، هارب من حياتي لأصطدم بهذا الشاب ليحطم أضلعي على حين أني لا أدري ماذا افعل لأغير واقعي، لأغير ماضيا ومستقبلي...أطفى السيجارة وعيناه الحزينة تبوح بما في قلبه فقرر الهروب من الواقع بالنوم والذهاب بعيداً في خيال افضل من واقعه ولكنه لم ينعم حيث تم طرقت الباب ثم فتح قبل أن ينطق وعبر من خلاله رجلان يحملون حقيبة سوداء كبيرة...أعتدل سريعاً هامساً بتوتر. من أنتم وماذا تريدون؟

دفعه الشرطي قوياً لداخل غرفه الحجز ثم أغلق البوابة الحديدية بينما يصيح به الآخر بغضب. لماذا تدفعني هكذا ايها الأحمق ألا تدري منا أنا.. أقسم بأني سأغلق هذا القسم عن بكره أبيه. وبينما يصيح جائه أحد القاطنين يصيح به. أنت ايها اللعين الا تدرك باننا نائمون.؟. أصمت والا اقتلعت لسانك من فمك.

التفت اليه الآخر بكبره المعتاد فاردا أذرعه الضخمة بشموخ يرمقه بشر يشز من عينيه المتورمتان متدخلاً بغضب. ماذا تريد أيها الأحمق.؟.

أبتعد عني وإلا حطمتك مكانك.

حطمتني.؟. تدخل بسخرية واضحة. الا تدري من أنا.؟.

لا يهمني من أنت أو اي أحمق في هذا المكان وإن لم تبتعد عني ستكون أنت القتيل الرابع في هذه الليلة.!

تدخل الآخر بجدية وهمجية. لا انت من يجب على الاحتراس مني وإن لم تصمت ستكون أنت القاتل الرابع في هذه الليلة السوداء. كل شخص يأتي هنا يصبح جبار فجأة ويظن أن بإمكانه الإطاحة بنا هكذا. ولا يدرون باننا من قبلهم في طريق الإجرام.

انتبه الحضور لأمرهم ينظرون إليهم في صمت وترقب على ماذا ستؤول اليه الامور وخاصاً الشبان ولا سيما بعدما سمعا أمر القاتل الرابع فهذا يؤكد كلام الضابط وبدت عليهم الريبة فيما إن كان الطريق الذي سلكوه خطيراً ولكن الرفيع سرعان من تدارك الامر بخطة بديلة فهمس لصاحبه أنت.

التفت اليه الآخر بغير إدراك. ها.؟. ماذا هناك.؟.

استمع لي جيداً.. إن كان هذا الشخص بالفعل قتل ثلاثة أشخاص ولا يزال بمثل هذه الثقة إذا فلا بد من تغيير مجرى الأمور حتى لا نضيع هباء.

وماذا يعني ذلك.؟. تساءل بحيرة.

ذلك يعني أن نقف مع هذا الشاب لا أن نُعاديهِ.

لا يهم ولكن كيف ذلك.؟.

همم... لا أدري ولكن بلا شك سنأتي بخطة بديلة.

تحول الشجار ما بين صياح فيما بينهم إلى تعارك باليد والأقدام حيث انقض (نبيل) على الشخص الآخر جاعلاً منه حقيبة تدريب جديدة وعندما انتهى منه وقف صارخاً فيهم جميعاً. هل هناك أحد آخر يريد العراك.؟.

أخذ الجميع ينظرون لبعضهم البعض بدون حراك وعندما أدرك أنه لا أحد يريد صاح فيهم. جيد لا أريد سماع صوت أحدكم حتى الصباح.

أستيقظ على حين غرة من أمره متصيب منه العرق ملتفتاً حوله بقلق وتوتر, زفر بهدوء مفرغاً بعض الخوف الذي لايزال ساكناً بقلبه السقيم هامساً بهدوء بعد أن تجرع بعض الماء البارد . كابوس آخر لعين .تفقد الوجود حوله بعد أن أدرك الدنيا فوجد أن الكوخ غير مرتب ومعظم الأشياء مبعثرة بداخله وبعد حين انطفأت ثلاث شعلات ولم يتبق إلا واحدة تبعث إضاءة خفيفة وتوشك على الانتهاء ,أخذ يلعن حاله البائس وكيف أن الأمور أخذت مجرى بعيداً تماماً عن ما كان يفكر به دائماً أخذ يلعن العاصفة التي دمرت حياته ثم أخذ يتساءل هل العاصفة هي التي دمرت حياته أم البعثة التي أتى لها بغير رضى والدته بعد أن حذرته كثيراً من الذهاب إليها ,للحظات دقت بقلبه رغبة الاستسلام وأن ينهي حياته البائسة ومعاناته المستمرة ولكن لايزال قبله يبعث ضوء خافتاً من الأمل بأنه لايزال قادراً على تغيير واقعه بيده مهما كانت الصعوبات ومهما كانت المعوقات التي تواجهه ولاسيما أنه كان يعايش أمله لليال

طويلة, ولا شك بأن أمله متمثل في (هادي) الشاب الضعيف الذي لم يكن يملك أي مقومات للحياة ولكنه كان يصارع معها رغبة في العيش بالرغم من انه لم يكن يستطيع التحرك ولكنه لم ييأس . تبسم ضاحكاً متقهقراً بصخب متسائلاً، كيف أصبح هذا الشاب أملي الوحيد في الحياة.؟. كيف تحول لمنقذ لي من يأس نفسي وقنوطها.؟. كيف تملك كل هذا الحب بداخلي.؟. لم يكن الشاب فقط هو ما امتلئ قلب (فرانك) به بل كلماته أيضاً لاتزال تتردد على عقله من حين لآخر وهو ما أثار فضوله به كثيراً. كيف بكل ما يمر به لا يزال يصارع ولم يفقد الأمل، بل أيضاً ما جعل الحب بقلبه يتملكه سريعاً عندما اعتبره شريكاً في الصحراء يصارع من أجل ما خلفه بعد طول فترة لم يكن يحدث بها أحد غير ابنته ونفسه طوال الوقت. كل تلك اللحظات طاردت الظلام الساكن بقلبه وجعلت الضوء يمتلئ به عازماً على عد الاستسلام، تحرك واقفاً بصعوبة متفكراً بعده تغيرات لابد أن تتم في هذا الوقت فبدء بالتحرك.

نفث الدخان بقوة متنهداً بكلل ينضر في عينه اليسرى عن كون التفكير أذهب عن عينه النوم، متفكراً متى سيخرج من هنا ويعود لحياته من جديد وماذا سيفعل بعد ان يخرج من المشفى.؟.، كيف سيواجه ذلك الضخم بعضلاته المفتولة وقوته الهائلة بضعفه هذا.؟. أفكار وافكار تطارد النوم من عينيه، استسلم لأفكاره المنهمرة على عقله الواهن ينفث الدخان بكثرة متتابعاً الأنفاس بقوة، طرق الباب مقاطعاً تفكيره العميق، نظر بساعة الحائط مستغرباً الامر من سيأتيه في هذه الساعة الباكرة.؟.

تفضل. صاح بها قوياً.

دخل أبيه مغلقاً خلفه الباب، أسرع الآخر بإطفاء السيجارة حالما أدرك انه هو. جلس بجانبه متاوهاً من الألم متظاهراً بأنه لم يراه وهو يدخل. لقد مررت بيوم طويل للغاية وشاق جداً، لذا أتمس منك المعذرة على تأخري عليك يا بني، فهذا أمر خارج عن إرادتي.

لا يهم أبي فمن يملك أمره بيده.؟. تدخل بإحباط واضح.

لقد سددت مستحقات العملية ومستحقات المشفى ايضاً قبل دخولي بلحظات وستتم العملية في الوقت الذي تحدده أنت.

شكراً لك ابي. لفظها بأسى واضح متابعاً بحزن عميق. واسف على ما سببته لك حتى الان.

على اي شيء ايها الاحمق تتأسف لي. تدخل سريعاً متابعاً بتثاؤب وهو يضع يده على فمه. انا لا املك غيرك في هذه الحياة، انت الرجل الذي طالما حلمت بولادته منذ الصغر واي من كان فعل بك هذا فاقسم لك بانه سيدفع الثمن غالياً هو ومن يقف خلفه.

انت لا تريد الاستسلام ابي.. ارى ذلك ولكن هذه معركتي وليست معركتك ولن اسمح لك بالتدخل والا حينها لن أصبح الرجل الذي تمنيته طوال حياتك.

الفكر يشغلني طارداً النوم من عيناى بأفكار كثيرة وتخيلاى عديدة, ما بين عودتى لأمى وإخوتى و ما بين قوتى التى تهزم ضعفى وتتغلب على من هم مثل (نبيل) وغيره مفترشا الرمال متأملا النجوم بعينى الضعيفتان, شعرت بالظماء فتحررت تجاه البئر متجرعاً الماء بنهم حتى ارتويت ثم لطمت وجهى بالماء البارد المنعش حتى استفتقت فيبدو بأن النوم لن يأتينى هذه الليلة التى أوشكت على الانتهاء, جلست فوق سور البئر متفكراً ملتهباً برغبة الخروج من هذه الصحراء و العودة لحياتى الهادئة ولكن كشخص جديد , شخص مختلف تماماً ولكن السؤال هنا هل أصبحت ذلك الشخص المختلف حقاً أم لازلت أتمنى وأتخيله ساكناً بداخلى طوال الوقت ويحتاج لمن يوقظه ويحرره وأظن بأن كل شخص فيه من الخير بمقدار الشر وهو من يختار ايهما يسلك!! هل حان وقتى لأسلك طريق الشر.؟. ولكن هل القوة هى الشر.؟. تحركت أسير فوق الرمال بقدمى العارية مستشعراً برودة الرمال أسفل منى, أنا لا أعتقد بان القوة هى الشر بل هى سلاح ذو حدين يمكن أن تستعملها فى الدفاع عن النفس وحماية من تحب ويمكن أن تستخدمها مثل (نبيل) للاستقواء على الضعفاء وفرض هيمنتك على الآخرين, هذا هو الاختيار الحقيقى ما بين خير وشر.. لحظات صمت متفقداً الصحراء من حولى مستغرباً الوجود الشاسع وبالرغم من ذلك الا اننى استشعر ضيقاً مثل حبه رمل لا تكاد ترى واشعر بأننى مسجون بدائرة قطرها لا يكاد يرى, غريبة حقاً هذه الحياة.. أغرب ما فيها هم البشر فكم تحير العلماء فى فهم هذا اللغز العتيق ولا يزال الغموض يجتابه من كل النواحي ولكن اكثر ما يذهلنى هو طريقة التفكير فقل ما تجد من تتوافق افكارهم ومنهم من لا يفكر اطلاقاً وهناك من هم مثلى , من هم لا يتوقفون عن

التفكير ليل نهار , اتحدث مع نفسي طوال الوقت ولا يبتعد عن عيني
التخيل فانا دائم التخيل , تخيلني الاقوى , الافضل , الاغنى , الاوسم
وتخيلني عاشقاً , صاحباً بداخلي طوال الوقت ساكناً مع من حولي
فمعظم الوقت أظل صامتاً رغم الرغبة القوية التي تجتاحني بالتواصل
مع الاخرين ولكني لا استطيع فكلما حاولت ارتبك وتتوه مني الكلمات
ولا اعرف من اين ابدأ وماذا اقول .؟. فأصمت وكما هو الحال دائماً ابدأ
بالتخيل ... أتخيل الحديث بيننا الذي لم يتم او حتى قبل ان يتم ومن
كثرة التخيل أصبحت في حيرة من امرى وفي الكثير من الاوقات اتوه بين
الحقيقة والخيال وربما لا أدرك الشخصيات الحقيقية والخيالية وكثير
من الاوقات اجلس متفكراً هل أبي من بين هذه الشخصيات الخيالية.؟.
هل هو حقاً بين الاموات منذ ذلك المشهد المروع أم انه لا يزال على قيد
الحياة كما اشعر وان كان قد قضى نجه فلماذا لا اشعر بذلك ويعتريني
الشعور الجارف بانه حي يرزق ولكن ان كان كذلك ما الذي يمنعه من
العودة.. أم أنى مريض كما قالت أمي.!! لا أدرى.. حقا لا أدرى. كما انني
حتى الان لا أدرى كيف دخلت هذه الصحراء اللعينة.؟. لا يزال الغموض
متلبس الكثير من الامور لا أستطيع استيعابها الان. بدء الارهاق يدخل
اقدامي وانا اتحرك ماشياً غير الصقيع الذي لا ينفك ينهش بجدي
وعظامي، وقفت حائراً أعود وأستريح أم أجلس فوق القمة التي امام
عيني ...

توقف حائراً بينما اضطرابات قلبها المتحمس يقرع على طبول صدرها
بقوة فهو قد اقترب منها كثيراً ولكنه لا يشعر بوجودها امامه مباشراً،

خطوات بسيطة وضعف نظره يفصل بينهم، يفصل بينه وبين حبه الذي سيغير مجرى حياته الى الأبد...

تحركت متوجهاً الى القمة وأخذت أصدع بهدوء حتى وقفت فوقها.

في تلك اللحظات كانت (رحمة) ساكنه تحت اقدامه تتمنى لو تقف وتضمه لصدرها بكل حنان وشوق ولكنها تخشى ان تفزعه ويهرب منها فظلت كما هي لا تحرك ساكناً.

تنهدت بقوة مستريحاً حين لفحني الهواء بقوة كاد ان يسقطني على غفلة مني، قليلاً والظلام سينقشع.. فقط قليلاً وسأتمكن من مواجهة الواقع بجدية وقوة وليس بالتخيلات ومن فرط الحماسة بداخلي ما كان مني غير أني وجدتني أصرخ بصرخات قوية تحمل معها ضعف سنوات طوال.

هيا ايها النهار فإني انتظر.

جاءت الصرخات على حين غفلة منهن فبرغم فزعها الشديد الا انها لم تتحرك ولو قليلاً ولكن الأمر كان مختلف تماماً بالنسبة للأخرى حيث تحركت فزعه من ثباتها العميق تشهر بسلاحها تتساءل عما هذا؟. وما هو مصدر ذلك الصوت؟. وأين الشاب قد ذهب؟.

.. اللعنة. زفرت بها وهي تتحرك بخوف وارترباك.

١٥

العاصفة قادمة

اسف جداً، لم انتبه. تدخلت معتذراً بهدوء.

تنهدت صافحه عني بهدوء. ارجوك أنتبه لمثل تلك الاشياء البسيطة قد تنقذ حياتنا، ولا تفعل أي شيء غبي مرة أخرى.

حسناً. تدخلت بها متابِعاً بحيرة. ماذا سنفعل الان.؟.

هذا وقت جيد لبدء التدريبات. تحدثت بثاؤب متابعة وهي تلتف متجه الى البئر. أتبعني.. أمامنا يوم طويل.

تحركت خلفها والظلام في السماء ينقشع بأول ضوء للشمس، أتحرك والحماسة تملأ قلبي طاردة التعب والخمول وقله النوم.. أيها الماضي والحاضر، أيها الجالس والواقف، ايها الصحراء القاسية، أيها الليل

الطويل والنهار الحارق، اليوم هو اليوم الذي سيغير كل شيء في حياتي، اليوم سأخطو أول خطوة تجاه المستقبل المشرق، تجاه أمي وإخوتي، تجاه حاضري الماضي ولكن ليس بذات الضعيف البائس، سأنجو حتما سانجو. وصلت للبئر واقفة أمامي بعدما اغتسلت صائحة بحماس. هل أنت مستعد..؟.

تهتدت بحماس أرمقها بشغف واضح.. آه.

جالس يراقب الشوارع الفارغة و المدينة الخالية من خلال زجاج السيارة الخلفي متمسك بالحقيبة بقوة لتذكره دائماً بالواقع الذي لا يزال خائفاً أن لا يكون الواقع الحقيقي , اشعل سيجارة جديدة قبل أن تنتهي السيجارة التي في يده من شدة وروعة الشعور الذي يراوده قد تناسى الألم ولم يعد يشعر به فعقله في مكان آخر غير الذي به الان ,أرتباك بلهفه بشغف بحماس بجذوب , الحياة تتجدد بدمه فليس هذا هو الإحساس الذي كان ينبض به قلبه قبل ساعات وليست هذه الرؤية هي ذاتها الرؤية التي كانت تراها عيناه للدنيا, لقد مكنه الله من أكثر شيء كان يحتاج اليه ليغير واقعه , الان سيثبت للناس بأنه ليس بذلك الفاشل الذي كان يرونه وليس بذلك البائس ولا ذاك المحطم الذى لطالما أخطوا من معنوياته لمواجهة ظروفه الصعبة كيف وكل من حوله يثبطونه بحاله ,كيف ولا يجد من يمد اليه يعد العون لتغيير واقعه ,كيف وكل شيء كان يقف بوجهه ..أهله !. والظروف ونفسه خارت الدموع من عيناه منهمة كنهز فوق وجنتاه عندما تذكر فضل الله عليه وكيف نصره على كل من خذله حتى من أقرب الأقربين اليه، واقع أغرب من الخيال.

سبحانك ربي.. سبحانك. الحمد لله الذي نصرني على كل من ظلمني يوماً
نصرني أمام نفسي وأمام الدنيا، حتى بعدما يئست لم يتركني. قاطع
أفكاره السائق صائحاً فيه بثأؤب. وصلنا يا سيد.

تلقت حوله ماسحاً دموع عيناه المتورمتان مشيراً بيده للسائق هامساً
بهدوء. أدخل ذلك الشارع من فضلك يا سيد.

أمرك سيدي. تدخل بها السائق وهو يتحرك بالسيارة.

توقف في النهاية أمام منزله فتح الحقيبة وسحب ورقة نقدية من فئة
المئتين جنيه وهبط ثم أعطاها للسائق هامساً ببسمة خفيفة. الباقي من
أجل أولادك.

أخذ السائق يدعي له بينما تحرك ليدخل بيتهم الثاني في تلك الحارة
الضيقة المسدودة من نهايتها، أخذ يصعد بتعب سلاّم المنزل المتواضع
حتى صعد لشقته في الطابق الرابع، وقف أمام الباب يشهق من التعب و
الإرهاق، فتح الباب ملتقط أنفاسه الضائعة ليفاجئ بطفله الصغير يهرع
إليه صائحاً بسعادة. بابا.. بابا. وضع الحقيبة حاضناً إيه بقوة متألماً في
صمت، نظرت إليه زوجته وهى جالسة بأعين يملأها الحزن، تفاجأت من
مشهده وهو مصاب بشدة فتحركت إليه هامساً بحيرة. يا إلهي ما الذي
حدث.؟. اعتدل واقفاً واضعاً يده فوق كتفها الصغير ناظراً بداخل عينيها
السوداء الضيقة هامساً بصدق ينبع من قراره فؤاده الملهب بحبها.
(حياة).. أنا أسف جداً على كل ما فعلت بك وأرجوا أن تغفر لي تغفري

سوء معاملتي وضيق صدري في الأيام الماضية . تجاوزت مشاعرها
الجياشة مع كلماته الدافئة بدموع تنهمر على وجنتيها الضعيفتان من
الحزن الساكن بلامحها الصغيرة الجذابة. آدم أقسم لك بأني أحبك ومن
محبتي لك يضيّق صدري لما يقوله عنك فانا لا أرى ذلك الفاشل فيك
ولكنك أنت من يثبت لهم ذلك بتخاذلك هكذا طوال الوقت وعدم بحثك
عن عمل فأنت لو كنت مكاني لفعلت اكثر مما فعلت انا ولن يلومك أحد
,فكثير من الأوقات اشعر بانك لا تعيش معنا هنا بل تعيش في عالم من
الأوهام التي لن تتحقق أبداً وحتى إن كان بإمكانها التحقق فانت لم
تسعى لها من بادئة الأمر فكل ما تفعله هو أنك تتمنى فقط وليس أكثر
,تمنيت أن يقرضك أحد مبلغ تسدد به الديون ولم تعمل لأجل سداها
وهناك الكثيرون مما ذهبت لهم يملكون المال ولكن الكل لم ولن
يعطيك شيئاً طالما أنت هكذا وأمر السلف في حد ذاته لا أقبله فأنت لا
تدرك ماذا يقولون من خلفك وأنا بكل الأسى لا أستطيع إسكاتهم
فأصمت متحملة الأذى من كلماتهم المسمومة فلا تلومن على فماذا
تنتظر مني بعد أن رأيت أهلك لا يقفون معك او ماذا تريد من أي
شخص ان يفعل معك بعد أن يرى ما يفعله أهلك معك أو ما يقولون
عنك ويوم ذهبت أنا لم أفكر بنفسي بل جُل تفكيرى كان بطفلي ماذا لو
مرّض .؟. فمن أين سنتكفل بأمر الدواء وهلمّ جرا لأمر انك لم تلقي لها
بالاً ولا آراءك تهتم فكل ما أسمعك منك بأن كل شيء سيكون على ما
يرام إن شاء الله. توغلت تلك الكلمات بذكرياته الأليمة تعرضها أمام عينه
موقف بعد آخر ومشهد بمشهد ليتذكر فضل الله عليه وكيف نصره الله
ومكنه في حين انه كان فاقد لأي أمل في الحياة، جلس وهو لا يستطيع
كبح دموع عينيه التي اصطحبت معها النحيب وابقظت الحزن الساكن

بقلبه المكلوم، تحركت إليه زوجته تخفف عنه ما يشعر به وقد شعرت بانها قست عليه، مسحت دموع عينيه مهدئه من روعه الهائج.. كان الطفل يلعب بالحقيبة ويحاول فتحها، أدركتها الأم هامسة بحيرة. - ما هذه الحقيبة؟. وما الذي حدث لك؟. ما الذي يبكيك الان؟. هذه ليست دموع الحزن بل هي دموع الفرحه والبهجة بأن الله قد نصرني على الجميع حتى أنتِ، حتى نفسي. مسح دموع عينيه واقفاً بالم وعيناه مليئة بالعزيمة الراسخة، من اليوم لن يبكي أحدنا مرة أخرى، من اليوم وصاعداً سيتغير كل شيء بواقعنا وماضيها ومستقبلنا ايضاً. تدخلت زوجته سائحة بحيرة واضحة. مهلا انا لا أفهم شيء.. ما الذي حدث لكل ذلك؟.

سأخبرك ولكن عندما أعود.

اللعنة على هذه الحياة.. اللعنة علي.. اللعنة على ذلك الألم الذي لا ينتهي. هكذا خرجت منه الكلمات وهو جالس مستند بظهره على الكوخ وقدماه في الهواء الطليق , يتصاعد الدخان من مدخنته الخشبية متسلل بين اصابعه المتربة متفكراً بالم بانه قد عزم على الا يدخل منها مرة اخرى ولكنه لم يتحمل الالم الذي اصابه بعد ان رتب كل شيء بداخل الكوخ وجعله كما كان في سابق عهده , نفث الدخان بقوة متنهداً ببعض من الشعور بالراحة عندما اخذ عقله يتراوح بين اوهام وخيالات مبتعدة عن التفكير بالألم الساكن في قدمه متفكراً كيف ان (هادي) كان يمتلك العزيمة والقوة أكثر منه وهو يقارن نفسه به في مشاركة الالم ولاسيما انه يخبر نفسه بأنه اصبح عاجز مثله وكيف أن هذا العجز أمر مؤلم للغاية

وصعب تقبله بشتى الطرق وكيف أن طالب مثله اصبح متورط في كل تلك الامور فجأة هكذا , بالرغم من صعوبة تصديق الامر الا انه لا يضاھي قسوة عليه وبالحدیث عن الامر فهو ایضا قد تورط من قبله وهو عالم لیس أكثر وتذكر كيف ان ابنته ایضاً تورطت في الامر فجأة كل شيء مثالي یصبح فوضى عارمة . - لا بد وانه القدر الذي تحدث عنه الفتى. لفظ بها متنهداً بقوة متفكراً في التحرك للداخل قبل هيجان الشمس الحارق ولاسيما ان الجو بدء بالتغير الملحوظ والعواصف الصغیر تهيم من حوله في كل مكان ولكنه لم یستطع فهو یشعر بدوار شديد واسترخاء بالغ ونشوة تجوب به في الافاق , شهق من مدخته بشرائه بالغه , مرة بعد اخرى حتى ضاع في عالم التيه و الاوهام تدور به الدنيا وتتراقص من حوله الجبال وسرعان ما بدء في التبسم وحده واتبع التبسم ضحكات متقهقره حتى ادمعت عيناه مسح دموع عينيه لیجد نفسه بداخل الذکرى القديمة وهو جالس فوق طاولة الطعام وزوجته تمسح دموع الضحك الصاخب المتساقط فوق وجنتيه الضعيفتان , تبسم باکیاً عندما تذكر الكلمات التي قالها في تلك الأمسية الرائعة المحببة الى قلبه بعدما امسك يدها ونظر بداخل عينيه العسلية الواسعة . - كم ان الحياة جميلة ورائعة بجانبك حبيبتی . تبسمت بخجل ناضراً فوق وجنتيهما الجذابة هامسه بشجون . - أنت من یجعل حياتي بهذه الروعة عزیزي فمن غيرك ما كانت لتصبح بهذا الجمال اطلاقاً. وفي وسط تلك المشاعر الجياشة توقف بث البرنامج الكوميدي الذي كان یذاع وتحول لنشرة لخبر عاجل قاطعت انسجامهم منتبهين لها حيث كانت انذار بقدم عاصفة قوية وعلى الجميع عدم مغادرة المنازل والاحتماء بشيء قوى لخطورة وقوة العاصفة. لفحت الأتربة وجهه

لتعيده حيث هو هامساً بارتباك وهو يتحرك للداخل بفزع. - انها قادمة..
انها قادمة.

يبدو بأن الامور تغيرت حقاً سيدتي منذ أن ظهر هذا الفتى كما قلت
سابقاً. تحدثت اليها بصوتها الناعم وهن يتحركن بوسط الصحراء الخالية
وكانهن صورة متطابقة لا تكاد العين تفرق بينهما، تقهقرت الاخرى
متدخلة بصوتها المخيف. بالتأكيد صغيرتي فكما اخبرتك سابقاً فقد
رأيت كل شيء بعيني هاتين، لقد رأيت امور عجيبة سيفعلها ذلك الفتى
بهذه الصحراء ورؤيتي لا تخيب ابداً.

اصدقك سيدتي فقد رأيت انا العجيب وهو أنك سيدتي تتحركين بالنهار
واعلم كم تكرهين الامر. وهذا امر عجيب بالنسبة لي.

أجل.. أكره النهار كثيراً ولكن لا وقت لدينا فالأمور اصبحت تحدث بسرعة
كبيرة وعلينا مواكبة تلك السرعة والا تغيرت كل الخطط وضاع كل شيء
من بين ايدينا، لم أكن اتصور بأن كل ذلك سيحدث في الوقت ذاته وبأن
تتحرك أنا وانت في الوقت ذاته وكل هذا بسببه.

كيف ذلك سيدتي.؟. تساءلت بحيرة.

تنهدت بقوة واضطراب هامسه بحيرة. منذ ان ظهر وقد توقفت الرؤية
واصبحت مرتبكة فيما سيحدث ولم احط به علماً فهو لا يصدقني وهذا
أكثر ما يغضبني ويخيفني في الوقت ذاته.

إبراهيم سيد كرم

هذا أمر لا يصدق. تدخلت بها بتعجب كبير.

ما هذا.؟. تساءلت العجوز بحيرة.

العجورية التي يخشاها كل من في الصحراء ومن حولها تخاف من ذلك الفتى.؟. حقاً امر لا يصدق.

للأسف عزيزتي هذا صحيح ومن الافضل لكِ انْتِ ايضاً ان تخافي منه فأنتِ لا تعرفين شيئاً عن ذلك الفتى لا تعرفين ما هو قادر على فعله.

اهو بتلك الخطورة حقاً.؟. تساءلت بقلق ينبع في قراره صوتها الرقيق.

أخطر مما تتخيلين، لقد رأيت الجابرة يهابونه والجحيم يخضع لقوته، عندما يفقد انسانيه ويمزق ماضيه بيده سيصبح الوحش الذي رأيتته بأحلامي، لنتوقف قليلاً فقدمي أصبحت أثقل من ذي قبل.

أمركِ سيدتي.

توقفن بين قمتين صغيرتين، يسترحن لتناول الطعام، اخرجت الفتاة الخبز واللبن الدافئ المحفوظ بداخل اناء بلاستيكي ابيض وقدمته للعجوز ولكنها لم تطعم منه شيئاً حيث ان الرمال العاصفة قد افسدت راحتهم وارقت مضجعهم تدخلت الصغيرة بتأفف واضح.

اللجنة على تلك الرمال، كم أكرهها حقاً. اليس بإمكانك فعل شيء لها
سيدتي اريد تناول الطعام بهدوء.

هذا شيء خارج عن ارادتي وعن اراده الجميع فهي قادمة لا محالة.

من هي سيدتي.؟.

العاصفة.. العاصفة قادمة لا محالة. لذا ليس هناك وقت لتضيقه
ستذهبين انتِ لمراقبتهم وسأتحرك أنا لمقابلته.

مقابلة من.؟.

المبجل. فهو لم يفي بالوعد حتى الان.!

حسناً. القى بها بإرهاق وهو جالس خلف مكتبه وعن يمينه يجلس
الكاتب امامه دفتر ورقي كبير، ارتشف رشفة من فنجان قهوته هامساً
بأرق للشرطي الواقف امامه. ادخل المتهم الاول يا (عدنان).

امرك سيدتي. لفظ بها متحركاً سريعاً للخارج، ما هي الالحظات وتمثل
(نبيل) واقفاً امام النيابة العامة وبجانبه محاميه الماكر ومن خلفهم
يجلس (فؤاد) لمتابعه مجرى التحقيقات وكونه شاهد اثبات على جميع
الاتهامات

إبراهيم سيد كرم

تدخل وكيل النيابة مبتدأ التحقيق متدخلًا بهدوء وهو ينظر لوجهه
المتورم

لماذا قتلت الشاب والعجوز في الطريق وقد كانت الإشارة حمراء وكان
عليك التوقف في حينها؟.

تبسم فؤاد في الخلف وهو يعلم مقدار المعاناة التي سيمر بها هذا
اللعين والمحامي الاحمق خاصته لأنهم وقعوا مع أمهر الضباط في النيابة
المشهود له بكشف الحقيقة في وقت قياسي دائماً، بينما تنحج الآخر
مضطرباً فقد فاجئه السؤال المباشر

انا لم اركب سيارتي البارحة وبالتالي لم اقتل أحد.

إذا فمن قتلهم.؟.

لا أدري. تدخل بارتباك متنهداً بقوة متابعاً بكبره المعتاد وتعالیه
المتفاني. أظن بأن هذه وظيفتك لمعرفة من قتلهم فأنتم تمسكون
بالشخص الخاطئ هنا.

تدخل المحامي لتهدئه الامور قبل ان يرتكب موكله اي حماقه تضر
بموقفه الممتاز من وجهه نظره فهو متأكد بانه يستطيع اخراجه الان منها
بكل بساطه ويسر . سيدي اظن ان الامور في غاية الوضوح فكل
الاتهامات الموجهة لموكلي ليست صحيحة واطن بان هناك خطأ ما في

اتهمه فليس هناك دليل واحد بان موكلي هو من ارتكب هذه الجرائم
البشعة فهو ذو خلق ومقام رفيع لماذا قد يفعل اي من هذه الافعال
الحمقاء بجانب انه لم يركب سيارته البارحة اطلاقاً وبإمكانك التأكد من
ذلك الامر بان السيارة لم تتحرك من مكانها حيث تركها سيدي بالمنزل
وتحرك ليستقل الباص ليتنزه قليلاً ومع سيدي تذكره الحافلة التي
صعدھا البارحة توضح لسيادتكم الموعد والتاريخ و الوجة التي يسلكھا
سيدي لذا اطالب بالإفراج عن موكلي بدون اي ضمانات .

الامر ليس بتلك البساطة سيدي المحامي فهذه التذكرة لا تعني شيئاً
فهي ليست تذكرة خاصة مدون عليها اسم موكلك وبإمكان اي شخص
ان يجلبها له حتى انت بإمكانك ذلك مادامت لا تدون بالاسم وايضاً هذه
ليست القضية الوحيدة المتهم بها موكلك واطن بانك تعلم ذلك جيداً،
حسناً. تدخل بها ضاعطاً الزر الموضوع على اول مكتبه، فدخل الشرطي
سريعاً صائحاً بهدوء. امرك سيدي.

ادخل الشابان بالخارج.

تبسما بسمه خفيفة وكلاً منهم يظن بانها ورقته الرابعة.

الحماسة تشعل جسدي ليتصبب عرقاً من جميع الجوانب ونحن نركض
في دائرة كبيرة متتبعين اثار اقدامنا منذ مدة كبيرة المشاعر المتضاربة
تجتاحني , تدخل اقدامي وضيق انفاسي وارهاق عقلي يعيفني ولكن
عزيمتي تجعلني اتجاهل الالم كما كنت افعل دائماً فهذه هي الطريقة

الوحيدة التي سأعبر من خلالها لخلاصي , لأصبح الشخص الذي لطالما تمنيته وتخيلته , اريده بشدة حتى ان اضطررت لتسلق الجبال بأصابعي سأفعل فقد سئمت الضعف الذي تلبسني دائماً , سأركض , اركض , اركض واركض حتى تنقطع انفاسي وان انقطعت سأركض حتى يتوقف قلبي ويصبح القلب الذي لا يخشى شيئاً القلب الذي يمكنني من القوة التي احتاجها في هذه الصحراء القاسية , اشعر بأني طائر محلق بعيداً في السماء ظمآن يبحث باستماته عن الماء ولا يرغب ان يستريح حتى يجدها .توقفت الفتاة متدخلة لمنتصف الدائرة هامسة وهي تتحرك .هيا لنستريح قليلاً ونبدأ بالإحماء .وبالفعل استرحنا قليلاً ثم بدئنا بالإحماء اخذنا طويلاً وانا اراقبها وافعل مثل ما تفعل وما ان انتهت حتى اخذت تتحدث بجدية كبيرة . والان بعد ان ركضنا وهيئنا عضلات الجسد للتمرين سنبدأ بالتمارين الفعلية التي سنبنني عليها اساس القتال بعد ذلك .

تدخلت متحيراً متسائلاً بتأفف. ماذا؟. ان تعلميني القتال بعد.؟.

لا. ليس بعد. تدخلت سريعاً متابعة بهدوء وهي تسقطني ارضاً بذراعيها. علينا تقوية الذراعان والقدمان اولاً حتى تستطيع القتال بقوة حينها والا قتلت في لحظات. وبعد ان ننتهي ستمم الجزء الخاص بك من الاتفاق والا قتلتك انا.

حسناً اريني ماذا افعل. تدخلت ضاحكاً معتدلاً فأجرت بعض التمارين امامي وعندما انتهت بدأت بتمارين الضغط والمشي على اليدين واخرى

لتقوية الذراعان مؤلمة للغاية وبينما انا كذلك سألتها بهدوء وحيرة فقد اشغلني الامر كثيراً وكان على ان افهم الامر الذي لطالما ارقني. لماذا الحب بحد ذاته.؟. الم يسبق لفتاة جميلة مثلك ان مرت بتجربة.؟.

تنهدت بحرارة وشعرت في قولها بالحزن الدافئ وهي تقول. لا.. لم يسبق لي فقد ...فقد قضيت معظم شبابي هنا اسيرة تلك الصحراء اللعينة.

واخذت تسهب في سردت قصتها المزعومة مما جعل الاخرى تردد وهي تتمرن وحدها بعيداً عنهم بمسافة كبيرة. هذه الفتاة كاذبة.. لماذا لم تذكر ابيها له حتى الان.؟. ثم افترشت الرمال تتنفس الصعداء وهي تردد بياس واحتقان شديد. هذا ليس عدلاً ان تكون هي التي بجانبه طوال الوقت من المفترض ان اكون انا التي تساعده وتأخذ بيده اليس كذلك مذكري العزيزة. اعتدلت مخرجة مذكرتها وصديقتها الوحيدة لتبث لها شكواها وتشاركها مشاعرها الجياشة. اللقاء يتجدد عزيتي الغالية واريد ان اخبرك بأشياء قد افعلها عن قريب ولكني في غاية التردد طوال الوقت ففي الكثير من الاوقات تراودني الافكار بان اقتل هذه اللعينة الكاذبة لأكون انا بجانبه طوال الوقت ولكي اتمكن من اخراجه من هذه الصحراء اللعينة فهي لا تعرفها قدر معرفتي وهذا يجعلني أتساءل لماذا لا يفكرون بالخروج منها حتى الان.؟. لماذا لا يبحثون عن طريق المغادرة عوضاً عن جلوسهم بها وبخطرها الدائم ولكن عندما أفكر بذلك الامر اسأل نفسي نفس الاسئلة لماذا لا اغادر حتى الان وما الذي يبقيني متعلقة بها رغم ما عانيته فيها، اعتقد بانه الحب الذي جعلني اسيرة لذلك الاحمق وارغب بشدة في سماع حديثه عن الحب لربما يذكرني

ويطفئ نيران شكوكي حول ادراكه لحبي. تراودني المشاعر بالاستسلام
والمغادرة وحيدة وترك كل شيء خلفي والنظر لمستقبلي ولكني لا
أستطيع لربما احتاج مساعدتي في يوماً ما وهذا ما يدفعني للبقاء بجانبه
طوال الوقت وسأظل بجانبه حتى يدرك مشاعري في يوما ما. الوداع يا
عزيزتي.

تحركت الريح العاصفة تحمل مشاعرها المضطربة لتلفح وجهه وهو
يمارس التمارين، مسحت الرمال من وجهي واخذت ابصق ما تدخل
بفمي ولكن كان يشغلني الامر كثيراً فتدخلت متسائلاً بحيرة. يبدو بان
اقدارنا متشابهة ولكن ما امر هذه الصحراء اللعينة الا يوجد طريقة
للخروج منها حقاً؟.

تفكرت قليلاً قبل ان تجيبني وهي تمسح بيدها على شعرها البني
الداكن. لقد حاولت الكثير من الاوقات ولكني لم اتمكن من الخروج منها
مهما حاولت ولكني تمكنت من صنع خريطة لمعظم الصحراء بداخل
عقلي وربما تتمكن هذه المرة من الخروج منها للأبد.

شرد ذهني بعيداً وانا لا ازال امارس تمارين الخصر و المعدة لهنالك حيث
كنت لازلت طفلاً أتدرب على يد الكابتن (رضا) الصورتان تجمعاً معاً
لذات التدريب حيث الجزء السفلي مثبت و الجزء العلوي لايزال يتحرك
صعوداً وهبوطاً حتى ملامسة الرأس بالأرضية ولكن مع كامل اختلاف
البيئتان فهناك كان يتدرب فوق بساط اسفنجي ناعم وهنا يتدرب فوق
بساط رملي شديد البأس ولكن سرعان ما تدهورت الاحوال حيث بدأت

تتصاعد نبوه الربو القاتلة فتوقف متحركاً وكأنما يهرب من الموت يصارع لاستنشاق الهواء مما اثار فزعها فتحركت بفرع اليه صارخه بهلع بالغ. يا الهي ما الذي حدث .؟. هل انت بخير.؟.

ولكن لا توجد استجابة وقد احمر وجهه بطريقه مريبة جعلتها تظن بأن شيئاً ما قد حُشر بحلقه وهو يتدرب فأخذت تطرق فوق ظهره بقوه فحرك زراعته اليها لتتوقف ولكنها لم تفهم فقط تراقب لحظات المعاناة التي قد لا تمر على خير هذه التارة.

سعاله يضجج البنك الهادئ في هذا الصباح الباكر وهو مضمد بكل مكان بجسده ووجهه متورم للغاية , يعتقد بان سبب السعال المتواصل هو مكيف الهواء البارد الذي يأتي من كل مكان بالغرفة الواسعة المكسوة بالبياض الناصع كان يجلس في الانتظار وبجانبه صاحب البذلة السوداء منتظرين رقمهم في هذا التجمع القليل من البشر هذا الصباح وما ان جاء رقمهم حتى تحركوا للشباك الذي يحمل رقمهم تدخل صاحب البذلة .- نريد فتح حساب باسم السيد (آدم سعيد) ثم نقوم بتحويل قيمة هذا الشيك بالحساب . , كان السعال لا يكاد يتوقف وهو ينظر حوله باستغراب وحيرة شديده فهو لا يصدق ما يحدث حتى هذه اللحظة وكيف تتغير الحياة من حوله في لحظات وفي تلك اللحظات كادت الدموع تتسلل من عينيه لولا انه تمالك نفسه بشدة يحمد الله على الفرج الكبير الذي حصل عليه بدون اي شقاء او تعب , اخذت الاجراءات مجراها وعندما انتهوا تحركوا للخارج متدخللاً صاحب البذلة الانيقة. هذه السيارة ستقللك للنيابة, انت تعرف ماذا ستفعل اليس كذلك .؟.

حرك راسه اعلى وأسفل علامة الموافقة متدخلًا بخفوت. اعرف ما سأفعل لا تقلق.

انا لست قلقاً، فقط تذكر اننا اتمننا الجزء الخاص بنا من الصفقة وقد حان الجزء الخاص بك وارجوا ان تتمه بدون اي مشاكل والا ...

ليس هناك داعي لكل ذلك فانا رجل احترم الاتفاق لذا لا داعي للقلق.

حسناً. تنهد بها الرجل مشعلًا سيجارة حمراء متابعاً وهو ينفث الدخان بقوة. تحرك الان ايها السائق وحاول الا تتأخر.

امرك سيدي. تدخل بها وهو ينطلق بالسيارة.

بينما أشعل الاخر سيجارة ينفث فيها توتره الملحوظ بقوة.

ما الذي دفعكم لتحطيم زجاج سيارة المقدم (فؤاد) وسرقتها.؟

تسائل الضابط بهدوء وهو يراقب تصرفاتهم بعناية وتركيز شديد.

تدخل صاحب الصوت الرفيع متحدثاً بثقة بالغة. لم يحدث اي من ذلك سيدي.

أدرك تصرفاتهم جيداً وعلم الطريق الذي يسلكوه فتماشى معهم متدخلًا بهدوء اعصاب واضح. حسناً.. اذ لم يكن هذا الذي حدث واعترفتم به في المحضر الموقع منكم امامي فما الذي حدث.؟.

الامر وما فيه سيدي الكريم اننا كنا نمرح في الملهى الليلي البارحة وعندما قررنا المغادرة اصطدم بنا السيد (فؤاد) فسقط صديقي منطرحاً بقوة وعندما أردنا منه الاعتذار تكابر فتعالت الاصوات وتشاجرنا وانتهى بنا الامر بتلفيقه لنا تلك الاتهامات الخطيرة.. هذا ما حدث سيدي الكريم.

نفث (فؤاد) الدخان بعدما أنصت جيداً لتلك الكذبة التي القى بها الشاب وقد تغيرت ملامحه للامتعاض الغاضب ولكنه يعلم بان تلك الاكاذيب لن تجدي معه فهو ضابط على اعلى مستوى من الكفاءة وقد مرت به الكثير من هذه القضايا من قبل بل وأخطر من ذلك بكثير ولم يفلح معه أحد حتى يكشف الحقيقة.

هذه قصة مؤثرة حقاً ولكن المحضر الموقع منكم امامي لا يروي نفس القصة بل يروي قصة مختلفة تماماً والتي هي ...

انا اعلم ما هي جيداً سيدي الفاضل ولكنها ليست الحقيقة فالحقيقة ما اخبرتك به الان وكل ما قيل البارحة كان تحت التهديد والترهيب وتستطيع التأكد سيادتكم من الامر بهذه الآثار للضرب المبرح والتعذيب الذي لاقينه لتلفيق تلك التهم بهذا الرجل وتوريط أنفسنا. ثم خلع سترته

والتف اذ بظهره علامات واثار لتعذيب واضح مما دفع (فؤاد) للهيجان الغاضب صارخاً بقوة. ماذا تقول ايها اللعين.

صرخ الشباب باكيان متدخلين بمكر شديد. انظر.. انظر سيدي الكريم هذا ما اتحدث عنه يريد تعذيبي الان ايضاً.. ارجوك سيدي التمس الحماية من سيادتكم.. ارجوك احمنا سيدي من هذا الطاغية المتوحش.

وكانت هذه الفرصة المثالية والثغرة التي تركها (فؤاد) خلفه ليغتنمها بدهاء ومكر شديد متدخلًا. لقد وكلت نفسي محامياً لهؤلاء الشباب بعدما شاهدته من اضطهاد وتعذيب لهم وهذا الامر لن يغتفر فقد تحركت البلاد ضد الفساد من اجل امثال هؤلاء الطغاة المتوحشين واطالب بالتعويض المادي لهم وسأتقدم بدعوة قضائية ضده وسأناشد الجمعية العامة لحقوق الانسان وارجوا ان تثبت ذلك في المحضر من فضلك سيدي.

بدي وكيل النيابة في غاية الغضب واضعاً يده فوق جبينه منفعلًا من الخطاء الذي ارتكبه (فؤاد) والذي اتاح لهم الفرصة في قلب الموازين لصالحهم بعد ان كان كل شيء ضدهم منذ البداية. من فضلكم سنستريح قليلاً ثم نكمل مع المجني عليه السيد (آدم سعيد).

جالس فوق الاريكة هائم في افكاره وفراغه القاتل وبجانبه الكثير من الدفاتر والمجلدات والكثير من علب السجائر الفارغة حاول كسر الملل بمراجعته الدروس التي تغيب عنها ولكن سرعان ما ضاقت نفسه لعدم

تركيزه وانتهى الامر بإلقاء المجلدات بجانبه حائر فيما يفعل وفي نهاية الامر استسلم للتلفاز يتقلب بين محطاته آملاً ان يجد ما يغير حالته المضطربة ولو قليلاً وبينما هو كذلك جاءت طرقات الباب الضعيفة، اعتدل صائحاً. ادخل. فتح الباب لتعبر منه متوترة للغاية وعندما رآها تحرك هامساً باستغراب شديد وترحيب حار. السيدة (فاطمة).. تفضلي ارجوك.

رتب المجلدات ووضعتها بتراص فوق الطاولة الزجاجية سريعاً متدخلة وهي تجلس. كيف احوالك اليوم يا بني. اسفه باني لم أدرك الامر الا متأخرة جداً.

لا باس يا امي الغالية انا أدرك جيداً الظروف التي تمرين بها وقد اصبحت أفضل بحمد الله.

حمداً لله على كل حال. تدخلت بها بتهنيده ضعيفة متابعة بحرج. - ما الذي حدث ليفعل بك كل هذا الضرر.؟

لقد تشاجرت مع شخص بغيض ولكن يبدو بانه اقوى مني بكثير.

هذا يذكرني بشجار شاهدته البارحة وقد كان دمويًا مخيفاً للغاية وأظن باني رأيت ذلك الشاب الضخم، اعتقد بانه معكم بالجامعة.

تلبسه الدهشة واغمره الحيرة متدخلاً باندهاش واضح. (نبيل).!؟.

أظن بان هذا هو اسمه، لقد حطم الشاب الاخر بطريقة بشعة للغاية.
ولكن الشرطة تمكنت من القبض عليه واظن بانه سينال اشد العقاب
على ذلك.

تعاطم الغضب بداخلة لتتسلل الكلمات بخفوت لا تكاد تسمع من نيران
غضبه. هذا اللعين.. اقسام باني سأقتله.

تدخلت متحيره. المعذرة.. هل قلت شيئاً.

انتبه لها متدخلاً بهدوء وهو يغير مجرى الحديث حتى لا تتنبه لشيء
يزعجه. لا.. فقط أتساءل هل هناك جديد..؟.

حركت راسها يميناً ويساراً قبل ان تستقر عينيها بالأسفل حسرة وحن
عميق. فتدخل باستغراب. حتى الشرطة لم تتوصل لشيء كل ذلك
الوقت.

انا لم ابلغ الشرطة حتى الان.

لم تبلغني حتى الان..؟. تحدث بحيرة بالغة.

اجل.. لا اعتقد بأنهم سيفعلون شيئاً.

هذا غير صحيح امي الغالية، اتفق معك بأنهم في غالب الامر لا يتوصلون لشيء ولكن ان لم تنفع لن تضر وايضاً ربما يتوصلون لشيء يدلنا على مكانه او نعرف ما الذي حدث له.

تقاطرت الدموع من عينيها بغير إدراك منها فهي خائفة وأكثر ما يخيفها هي فقدان الامل وهذا ما يدفعها لعدم اتخاذ هذه الخطوة حتى الان، مسحت دموع عينيها تتحرك مغادرة هامسه بهدوء. اسفه على ازعاجك يا بني وحمداً لله على سلامتك.

تحرك خلفها هامساً بهدوء. لا تقلقي سيده فاطمة سنجده بكل تأكيد.. انا على يقين بأنه لا يزال حياً في مكان ما.

أتمنى هذا حقاً يا بني.. اتمني هذا حقاً.

اللعنة (فؤاد) ما الذي فعلته هناك يا رجل.؟. الم تستطع تمالك نفسك.؟. والغريب بانك من اخبرتني انهم يملكون حيل للتلاعب بمجريات التحقيق. هكذا جاءت صيحاته الغاضبة فيه وهو جالس بالمكتب ينفث الدخان، تدخل بغضب وضيق. اسف (تامر) ولكني لم أستطع تمالك نفسي امام تلك الادعاءات الكاذبة.. حاولت ولكني لم أستطع.

تنهد بقوة متدخلاً بضيق. لا اعتقد بان هناك فرصة في الفوز بتلك القضية الان.

كيف ذلك.؟. تدخل بحيرة بالغة.

انفعالك اثبت تلك الادعاءات عليك وان حاولنا المماثلة فلن تجدي نفعاً لقد تعاملت مع هذه القضايا من قبل واعرف نوعيه المحامي هذا جيداً لقد خطط لكل شيء سابقاً وقد وصلني منه اخطار باعتراف الشخص الذي دهس الشاب والعجوز في الطريق وقد ذهب لتسليم نفسه هذا الصباح.

ما الذي يعنيه هذا.؟.

هذا يعني بان كل شيء يسير حسب ما خطط له المحامي.

ولكن هذا كذب واضح.. لقد اخبرتك بأني رايته وهو يخرج من السيارة التي قتلت الشاب والعجوز.

وان يكن فقد اعترف شخص اخر ولن تستطيع اثبات اي مما تقول لا يوجد كاميرات ولا شهود قد رؤاه وهو يخرج غيرك واضف على ذلك شاهدة الشابان ويصبح كل شيء من صنعك انت لكراهية هذا الشاب.

إذا هل هذه النهاية.؟. يخرج منها وهو القاتل.؟.

ليس امامنا غير الشاب الاخير والذي اعتقد بأنهم اهتموا بأمره هو الاخر.

اطفئ السيجارة منفعلًا بغضب.

بينما كان الاخرين واقفين في الرواق يرمقون بعضهم بنظرات الغضب والتحدي الواضح مثل الليلة السابقة تماماً، نفث (آدم) الدخان بوجهه المتورم مما اثار غضبه الاخر هامساً بتعاليه الدائم. ماذا ايها الاحمق هل تريد القتال مرة اخرى.؟. ولكن هذه التارة لن تنجوا من يدي ولن ينقذك أحد.

تبسم ضاحكاً. انا لم اموت بعد.

إذا ستبحث عني وتقتلني كما قلت.؟.

لا.. أصبح لدي اشياء اهم لفعلاها، اهم من فاشل مثلك.

إذا انت هنا الان لتزج بي بداخل السجن على ما اعتقد.؟.

ضحك تقهقراً. اعتقد بان هذا سيكون جيداً لفعله.

تدخل المحامي بقلق. اعتقد بانك لم تنسى ما اتفقنا عليه اليس كذلك.؟.

آه.. لا تقلق سيذهب ذلك الاحمق معك اليوم.

حسناً. تدخل بها وكيل النيابة متابعاً بهدوء وهو ينظر له وهو مضمد من كل جانب. اوضح لنا كيف بدء الامر.؟.

اي امر سيدي.؟. تدخل بهدوء.

امر الاعتداء عليك.

انا لم يعتدي على أحد.

إذا فما الذي اصابك بكل تلك الاضرار.؟. تسائل بهدوء.

لقد كان قتال بيني وبين صديقي (نبيل) واتذكر بأني لم اقم برفع دعوة قضائية ضده ولم اتهمه باي شيء.

إذا انت لم تنكر بانه من فعل هذا بك.؟. تسائل بذكاء.

ولماذا أنكر ذلك.؟. تدخل بوضوح متابعاً بهدوء. نحن معتادون على القتال بهذه الضراوة في كل مره بداخل نادي القتال او حتى خارجه فهو منافسي الوحيد.

نادي القتال.؟. لفظ بها متحيراً.

اجل سيدي نحن مشتركون معاً بنادي القتال بالمدينة. تدخل بهدوء متابعاً وهو يخرج شيئاً من جيب بنطله الاسود. وهذا رقم العضوية الخاص بي واظن بان لدى (نبيل) عضوية أفضل فهو من عائلة مرموقة.

تحرك المحامي واضعاً رقم العضوية امامه هامساً ببسمه خفيفة وهو ينظر لفؤاد الجالس بالخلف يشتغل غضباً. هذا هو الرقم الخاص بموكلي سيدي الفاضل.

تنهد الضابط بقوه متدخللاً بهدوء. إذا فانت لن تتهم (نبيل) بشيء.؟.

اطلاقاً سيدي فنحن اصدقاء منذ زمن ومعتادون على الامر.

حسناً. تدخل بها بضيق متابعاً بقله حيله. قررنا نحن السيد وكيل النيابة العامة بالإفراج عن المدعو (نبيل سامر المغربي) بكفالة قدرها مليون جنيه بضمان محل اقامته وبالإفراج عن كلاً من (منير محمد احمد) و (محمد سعيد فواز) بضمان محل اقامتهم لعدم وجود ادله كافي.

غادر الجميع وظل (فؤاد) جالس كما هو ينظر اليه خلف مكتبه فحرك الاخر يديه علامة قله حيلته وكونه لا يستطيع فعل شيئاً رغم انه يعرف الحقيقة، تنهد مشعللاً سيجارة ينفث فيها غضبه القاتل متحركاً للخارج، صاح به وهو يتحرك مغادراً. (آدم).

توقفت خطاه ناظراً للخلف. بينما لحق به متسائلاً بضيق وحيرة. لماذا.؟.

المعذرة سيدي لماذا ماذا.؟. تدخل بحيرة كبيره.

لماذا لم تقول الحقيقة.؟.

أشعل سيجارة نافثاً الدخان بقوة متدخلأً بهدوء.

اعذربي سيدي على ما سأقول ولكن أنت بكل سلطتك ومكانتك لم تستطيع فعل شيء معه فهل انا الذي لا حول لي ولا قوة سأفعل.؟.

أخفض راسه وقد الجمت كلماته لسانه فهو يعلم جيداً بأنه محق

ارجوا المعذرة سيدي فانا حقاً لن أستطيع مساعدتك في شيء. تدخل بها مغادراً بينما ظل الاخر متذوقاً مراره الهزيمة التي تمزق فؤاده تمزيقاً وبينما هو كذلك تحرك الاخر بجانبه يتقهقر بصخب عالٍ يضجج المكان واقفاً امامه متفاخراً متعالٍ بكبره الشديد هامساً وهو ينظر بداخل عيناه.

لقد اخبرتك ايها الشرطي لن تستطيع فعل شيء معي مهما حاولت.

تمالك اعصابه المنجرفة بالغضب متدخلأً بهدوء. الامر لن ينتهي هكذا ايها الاحمق حتما سأوقع بك.

لن تستطيع الم تعرف ابن من انا.؟.

اصبحت اعرف الان واقسم لك باني سأوقع بك والايام بيننا.

الايام بيننا.؟. تدخل بها متقهقراً بصخب عالٍ متابعاً بسخريه.

هذه كلمات ابنك الضعيف قبل ان أحطم راسه.

تحرك متقهقراً بصخب بينما ظل الاخر واقفاً يشتغل غضباً.

اتي المساء بظلامه وانواره، انوار توضع المدينة بكل جوانبها وظلام دامس
قابع بالصحراء الواسعة يختبئ أسفل منه الوحوش الضارية والحيوانات
القاتلة يحمل معه نسيمات بارده تطارد الحرارة القابعة بالرمال، هناك في
اقاصي الصحراء وسط الجبال الضخمة وبقلب احدهم كانت واقفه امامه
وهو يعتلي عرشه الذهبي وبجانبه زوجته المزينة بقلائد من انفث
المعادن والزينة، تدخل وهو ينفث الدخان بقوة.

ما الذي أتى بك هنا ايتها العجوز الشمطاء.؟. كيف تجرئين على اظهار
نفسك امامي بهذه الوقاحة!!!.

تدخلت بنبرتها المخيفة غاضبه. كيف تجرؤ انت وتخطبني بوقاحه هكذا.؟. انسييت نفسك (عصام).؟. كيف تخاطب ملكة الصحراء هكذا وانا التي اتيت لك بكل هذا الثراء وفي المقابل انت لم تفي بوعدك القديم.

اعتدلت متدخلة بتهكم وتعالى. كيف تجرئين ايتها اللعينة على مخاطبة الملك المبجل بوقاحه هكذا تريدين الموت.؟. انتبهى لما تقولين والا قطعت راسك وعلقته بين الجبال.

هكذا إذا.. تدخلت بصوتها المخيف في لحن قولها الضيق متابعه بحراره مريره. بعد ان اخذت الذهب وتلبست الثراء تريد الفرار من الجزء الخاص بك من الوعد المقطوع الموصول بالدماء.. اليس كذلك ايها المبجل.؟.

اختصري الوقت واخبرينا لماذا اتيتي هنا وقد اخبرتك سابقاً الا تقتربي منا مرة اخرى.؟. تحدث بتهكم واضح.

لقد اتيت اذكرك بالوعد الذي لم تفي به حتى الان. وبان هذا فعل خاطئ وان كان معي انا زعيمة الصحراء.

عن اي وعد تتحدثين ايتها الخرقاء ثم من انتِ لتتحدثي معي انا ملك الملوك المبجل بهذه الطريقة ... اخذ يَمجد في نفسه بينما هي تشتغل غيظاً وغضب حارق مما جعل عينيها حمراء داميه مضيئة باللهب الدامي رافعه عصاها ثم انزلت بها فوق الرمال بقوة مما جعل الرمال تتناثر بجميع انحاء الغرفة لترتفع الرمال في مشهد يخلع القلوب وهي

تصرخ بصوت كهل مريب. كفى تمجيداً بنفسك ايها اللعين ولا تنسي
باني صاحبة الفضل في كونك جالس فوق هذا العرش والا اخذت منك كل
ما تملك وارجعتك بائس كما كنت طوال حياتك. اثار المشهد الرعب في
قلوبهم وبث فيهم الخوف والهلع الذي أصبح ينضر فوق وجوههم
المتربة وكون انهم لم يستوعبوا ما حدث وكيف حدث وسرعان ما
تغيرت النبرات الحادة لخافته والعاصية لمطيعه مستسلمة.

انطفئ لهيب عينيها الوهاج متدخلة بهدوء بعد هيجان الغضب الجارف.

ما الذي يؤخرك عن الوفاء بالجزء الخاص بك من الوعد حتى الان
(عصام).؟.

الامر ليس بسيط كما تظنين ايتها الساحرة فالأمر متعلق بالأجنبي الذي
اختفى منذ اعوام ولكن لا تقلقي لقد اقتربت كثيراً منه.

لا انت مخطئ الامر ليس متعلق بالأجنبي بل متعلق بالجزء الذي لم
يتم حتى الان.

وما هو اذا.؟. تسائل بحيرة.

لقد كانت المعاهدة تنص على قتل اثنين ولكن لم يمت الا واحد.. إذا ما
الذي يؤخرك عن قتل الشخص الاخر حتى الان (عصام).؟. هل
استكفيت بما لديك من الكنوز.؟.

إبراهيم سيد كرم

الامر ليس كما تظنين لقد اصبحت اقوى وأصبح لديها عائلة تحميها
وتقاتل من اجلها ولكني لم اصمت وقريباً سأنهاها تماماً.

اجل ولكن لا بد ان تقتلها اختها وليس انت او أحد رجالك حتى ينكشف
المستور ونستطيع حل اللغز وفتح الابواب المغلقة.

اجل.. لا تقلقي سيحدث كل شيء عن قريب وقريب جداً سيدتي. تحدث
والشر ينصر من عينيه.

ماذا سنفعل سيدتي..؟. تسائل وهو جالس امامها بداخل الغرفة الضيقة
ذات الاضواء الخافتة، تحركت قليلاً بكرسيها المتحرك لتتنظر للقمر الذي
يتدلى من شرفتها المستطيلة الصغيرة هامسه بحزن كبير. لا أدري لقد
سئمت هذه الاجواء المشحونة بالحقد والممتلئة برائحته الدماء المقذدة.

اجل سيدتي الاجواء اصبحت مشحونة بالفعل ولكن هذه التجاوزات لا
يمكن ان نصمت عنها أكثر من ذلك وخصوصاً بعد ما حدث.

التفتت اليه هامسه بجديه. ماذا تقترح (منذر)..؟.

لا بد وان نبعث برسالة قوية ل(عصام) وزوجته حتى يدركوا بأننا
مستعدون لخوض الحرب في اي وقت كانت.

وهل نحن مستعدون حقاً لذلك.؟. تساءلت بحيرة واضحة.

اجل سيدي مستعدون وبقوة. اجابها بثقة بالغه.

انت تتحدث بعاطفتك (منذر) ولا ترى الصورة واضحة نحن اقل منهم
عدة وعتاد والرجال اقل منهم بكثير الأفضلية والغالبية تقف بجانبهم وانا
لن اقود العائلة لمذبحة نخسر فيها كل شيء.

أدرك الوضع جيداً سيدي ولكني اظن بان الغالبية لنا ولجنودنا فنحن
سنقاتل ونعلم بان معنا الحق ولكنه يمتلك مرتزقة يقاتلون من اجل
المال وليس الحق والحق سيدي ضربته اقوى من الظلم بكثير.

اتفق معك ولكن الكثرة تغلب الشجاعة (منذر) وهم يملكون الكثرة في
كل شيء لذلك ستكون معركة خاسرة.

هذا لا يجعل امامنا غير المناورة سيدي.

اجل ولا بد ان تكون مناوره ناجحة.

لا تقلقي سيدي ساعد لكل شيء وستكون ضربة موجعه لهم ان شاء
الله وبأسرع ما يكون.

واقفه متخفيه اسفل رداثها الاسود الداكن تراقبهم من بعيد وهم
يجلسون حول النيران و الاخرى مستلقيه تراقبهم هي ايضاً مندمجة مع
خيالها الجارف , مر الوقت سريعاً واتي الصباح فاذا بهم رقود بلا صوت
غارقين في ثبات عميق غيره فقد كان جالس فوق قمه صغيرة متحيراً في
امره كعادته وهناك بعيداً كان يجلس هو ايضاً امام كوخه الصغير يجتابه
ذات الحيرة في امره وبعيداً في اقاصي الصحراء لازالت تنظر من شرفتها
الصغيرة لم تتذوق طعم النوم متحيره في ما تحمله الايام لها وللعائلة
وبعيداً عن الصحراء بداخل شقتها المتواضعة تصلي وتدعوا لله ان تعثر
على ولدها ورجلها في الحياة وبالجانب الاخر ينفث دخانه وهو يتطلع
لصور القضايا التي قام بحلها ونال عليها الجوائز و الترقيات وآخر ينفث
الدخان وهو ينظر للأموال الطائلة الموضوعه فوق الطاولة امامه وكأنه
يعاتبها لشقائه بسبب قتلها سابقاً وفي الجهة الاخرى يتحرك خارج من
المشفى مستشعراً وكأنه ينال حريره بعد سجن مرير ولكنه ليس كما
كان فهو عازم لأمر كثيرة وان كان بعين واحده

مرت الساعات سريعاً بغير ادراك منهم وهم يتدربون هذا في الصحراء
وهذا في المدينة ولكن كل واحد منهم له سبب غير الذي يمتلكه الاخر
ولكن العزيمة تكاد تكون واحده في الجانبين , احدهم يعانق الرمال بلا
هوادة والاخر يرفع الاثقال بلا راحة متبسلين بالعزيمة الراسخة يرغبون
بتغير واقعهم مهما تطلب من جهد وشقاء , ساعة بعد ساعة يوم بعد
يوم وعزيمتهم لم تتأثر وكان التغيير واضحاً ايجابياً بالنسبة ل(هادي) اما
(احمد) فاصبح يشعر بعدم الفائدة من رفعه الاثقال بعد الان فهو يبحث
عن القوة التي ستمكنه من هزيمه ذلك الضخم المتوحش .

وفي قلب الظلام وقد اصبحت الرياح مهتاجه على غير عاداتها وبوسط الصحراء الخالية كان يجلس خمسه ملثمين ملتفين حول النيران المتوهجة من إثر الهواء العاصف متدخل أحدهم. كم امامنا من الوقت للوصول لهدفنا.

اخرج أحدهم جهاز التتبع ناظر فيه متدخلاً بهدوء. يومان وليله ربما اقل من ذلك او أكثر.

هذا المسكين تعداد حياته أصبح في تنازل واضح فهو غير مدرك بان موته قد تقارب للغاية.

سنتنظر حتى تهدي الرياح ثم نتابع تحركنا.

وتيرة الايام تتحرك سريعاً حينما يكون هنالك ما يشغفك وعندما تريد ان يطول بك الوقت لتستفيد أكثر من خبرات الحياة ولكن على النقيض الفعلي عندما لا تجد ما تفعله وتتمنى ان تمضي الساعات ولا تحرك ساكنه تنظر اليك ببعض الكيد والغضب، ادرّب منذ ايام ولكني اشعر بأنها مرت كالساعات تركض سريعاً بغير إدراك منا، تعلمت فيهم الكثير من الاشياء ولكنني اسأل نفسي كثيراً هل أستطيع الاعتماد على نفسي الان.؟ هل أستطيع حماية امي واخوتي من المشاغبيين.؟ هل بإمكانهم الاعتماد على حقاً وان اكون لهم سنداً يلجؤون اليه عند حاجتهم.؟ ام لا ازل ذات الضعيف المتوهم.؟ حقاً لا أدري.!. ولكن الشيء الذي اعرفه حق المعرفة الان بأن امامي الكثير والكثير لأتعلمه في هذه الصحراء قبل

ان اغادر منها وأكثر الاشياء التي اضعتها نصب عيني هو رغبتني الجارفة
في الانتقام من تلك الساحرة اللعينة وسأنتقم منها اشد انتقام.. حتما
سأنتقم منها واجعلها تتذوق مراره الذل التي اذقتني اياها يوما ما.. لن
أنسي ذلك اليوم طوال حياتي ولن اغفر لنفسي حتى اجعلها تمر بما
مررت به وسيكون قريباً ان شاء الله.

النهاية.

نلتقى في الجزء الثاني ان شاء الله واذن.

تحياتي

المؤلف الصغير.

إبراهيم سيد كرم .

